أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق

وجهودهم العلمية وقضاياهم العـــامَّة

من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الهجريين

تأليف

الأستاذ أبي علي بحيدَّ بن الشيخ يربانَّ القلقمي الإدريسي


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد : فعملاً بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)رواه الترمذي[1] ، لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لسفارة الجمهورية الإسلامية الموريتانية لدى المملكة العربية السعودية في الرياض على ما قدمته من دعم مادي ومعنوي يستحقان التنويه والتقدير . وأخص بالثناء أصحاب السعادة السفراء الذين تعاقبوا عليها إبان إعداد هذا البحث على حسن تجاوبهم معي ، واهتمامهم بالموضوع وهم على التوالي الأستاذ هيبتنا ولد سيدي هيبة القلقمي والأستاذ الشيخ بن باها الشمسدي والأستاذ سيدي محمد ابن محمد فال الكنتي وفقهم الله و أثابهم .

كما أشكر إخواني الكرام الذين فتحوا لي قلوبهم وبيوتهم ، وتفضلوا مشكورين بالإجابة على الأسئلة التي وجهتها إليهم ، وكذا أولئك الأماجد الذين استقبلوني بالبشر والترحاب في مكتباتهم ومكاتبهم كما هي عادة الشناقطة دائماً في بدوهم وحضرهم وفي وطنهم وغربتهم ، بل هي سجية كل مسلم ملتزم بآداب الإسلام وأخلاقه أين كان .

كما أشكر كل من زودني برقم هاتف أو دلني على بيت أو صحبني في طريق أو عرض علي خدمةً ،أو أسدى إلي معونة ، والله يتولى جزاء الجميع على جميل تعاونهم وحبهم للخير إنه على كل شيء قدير آمين .

---

[1] الترمذي (1955) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد : فإن الأمة الإسلامية لما كانت تمجد العلم وتفخر بالعلماء ، ويردد أفرادها قولهم : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله عز وجل ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام . ويقول أميرها : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله ، ويقول لناصحيه لا خير فيكم إن لم تقولوها(كلمة الحق) ، ولا خير فينا إن لم نقبلها .. أولئك الأخيار الذين بسطوا العدل بين الناس ، وبلغ إحساسهم بالمسؤولية مبلغاً عظيماً حتى قال قائلهم : لو عثرت بغلة بأرض العراق لخشيت أن أسأل عنها لِم لمْ تعبد لها الطريق .

أقول : لما كانت كذلك مرّ عليها حين من الدهر مرفوعة الرأس قوية الأركان ، متماسكة الأوصال ، متصلة الأقطار ، مرهوبة الجناب . و لم تزل تعانق الثريا وتناطح الجوزاء شموخاً وعزة وسؤدداً حتى دبّ إليها ما دبّ إلى الأمم قبلها من حب الدنيا وكراهية الموت ، وإيثار الخلود في القصور على سكنى القبور.. فطاش صوابها واختلّت موازينها ، وتغيرت مفاهيمها ، فتنكرت لتاريخها وحضارتها المجيدة وولّت وجهها شطر المجهول فتفرقت بها الأهواء وأضحت غثاء كغثاء السيل لا وزن لها بين الأمم ولا تأثير لها في أحداث العالم رغم سموّ دينها ورقيّ ثقافتها ، وغناها الاقتصادي ، واستراتيجية موقعها وعددها الذي فاق المليار والمائتي مليون نسمة .. وهذا عين ما أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ثوبان رضي الله عنه : (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) ، قيل: من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) قيل وما الوهن يارسول الله ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) رواه أبو داود [1].

وفي خضم هذه الجاهلية الجديدة وإعصارها المدمر بادر المخلصون الغيارى من أبناء الأمة في كل مكان فنصحوا وصحّحوا ، وبينوا لعل الأمة تعود إلى رشدها أو تصحو من

---

[1] أبو داود (4297).

غفوتها أمانة للتاريخ وبراءة للذمة ، وعسى أن تتدارك ما يمكن تداركه أو تنقذ ما يمكن إنقاذه ، وقد اتسع الخرق على الراقع وبلغ السيل الزبى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولما كانت دراسة تراجم العلماء تعد عبرة لأولي النهى ، ونبراساً للأجيال يحيي فيهم الآمال ، ويبعثهم على التفاؤل ويضيء لهم الآفاق ، فقد كانت تراودني فكرة الكتابة عن علماء الشناقطة في المشرق وجهودهم العلمية ، ودورهم البارز في نشر الإسلام والتمكين له حيثما وجدوا ، وفاء لهم وقياما ببعض حقهم علينا خاصة وأنني لم أجد من مؤرخينا وكتابنا الشناقطة أو من غيرهم من أفرد لهم تأليفا جامعاً لمفترقهم ، وشاملاً لقضاياهم . وكانت هذه الفكرة أقرب إلى الوهم والخيال منها إلى الواقع والحقيقة لقلة المصادر المكتوبة عنهم ، ولأن أكثرهم قد مات رحمهم الله تعالى ولم يترك وراءه أثراً لجهوده العلمية ، ومناشطه المختلفة تورعاً وإيثاراً للخمول .

وشاء الله سبحانه أن يسند إلي الملف الثقافي بسفارة موريتانيا لدى السعودية أيام السفير الطموح سعادة هيبتنا بن سيدي هيبة ابتداءً من سنة 1415هـ /1995م ، وما إن عرضت عليه المشروع حتى أيده ودعمه . كما لمست رغبة جامحة لدى مثقفينا في المشرق لتجسيد هذه الفكرة في أقرب وقت ممكن لحاجة المكتبة العربية الإسلامية إلى مثل هذه المراجع والبحوث فنشط ذلك من عزمي وقوّى من همتي .

وقد أتاح لي تواجدي في المملكة العربية السعودية الاتصال بالشناقطة المشارقة والاطلاع على همومهم وقضاياهم عن قرب ، وأخذ ما لديهم من معلومات في هذا الشأن كما استفدت من بعض الكتب القيمة التي ذكرت بعض علماء الشناقطة أو أُلفت عن بلاد شنقيط وعلمائها وإشعاعها الثقافي ، ودورها الجهادي مثل معجم الشيوخ للزبيدي وشجرة النور الزكية لمحمد مخلوف وفتح الشكور للبرتلي والوسيط لأحمد بن الأمين العلوي وموسوعة حياة موريتانيا للمختار بن حامد والشعر والشعراء لمحمد المختار بن أباه وبلاد شنقيط للخليل النحوي وغيرهم .

وقد تريثت كثيراً قبل إنجاز هذا العمل وتقديمه إلى الطباعة لعلني أكتشف شخصية جديدة أو أحصل على معلومات إضافية عن حياة من ترجمت لهم ولكن دون جدوى .

ولاشـك أن الإحاطة متعذرة ، وما فاتني أكثر مما ذكرت إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك بعضه .

هـذا ، ولم أترجم إلا لمن قضى نحبه باستثناء ستة أعلام لمكانة سنهم حفظهم الله تعـالى ، وأما غيرهم من الأحياء فلم أترجم لهم لأن عطاءهم ما زال مستمراً وفقهم الله تعـالى ، وهـم كثيرون ولله الحمد لاسيما تلاميذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان ، وقد ذكرت بعضهم في متن الكتاب تنويها بجهودهم العلمية والاجتماعية .

ونتوخى من عرضنا لهذه النماذج الحية من تاريخنا المجيد ثلاثة أهداف أساسية :-

أولاً :تذكـير الجيل الشنقيطي المعاصر وغيرهم من الأجيال المسلمة بما كان عليه سـلفهم من دين وعلم وخلق ، وعلوِّ همة لعلهم يعيدوا لنا تلك الصورة المشرقة لأمتهم التي نحن اليوم بحاجة ماسة إليها .

ثانياً: تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الشناقطة وبلادهم ، وإشعاعهم الثقافي في المـنطقة وخارجهـا نتـيجة للتضليل الإعلامي الذي ساد العالم الإسلامي خلال العقود الأخـيرة بسـبب الاستعمار ومخلفاته المشؤومة ، ومحاولاته المريرة لطمس تاريخ الأمة ، وتجاهلـه لـرموزها وعلمائها الذين قامت على أكتافهم حضارتها الرائدة حتى لا نثق في أنفسنا وتراثنا ، وننصرف إلى رجاله وتاريخه .

ثالثاً:دوام الاتصال الفكري والتعاون الأخوي بين أبناء أمتنا الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ليكون حاضرنا زاهراً ، ومستقبلنا مشرفاً يعيد للأمة هيبتها ، ويحفظ لها كيانها ، ويبوئها مركزها القيادي بين الأمم .

ولـبلاد شنقيط حينئذ أن تفاخر بهؤلاء الأعلام لأنها أنجبتهم وعلمتهم ، وللدول الشـقيقة الـتي استوطنوها أن تفخر بهم لأنها استوعبتهم وزادت في عطائهم وتطورهم ، وللأمـة الإسلامية بعد ذلك أن تفتخر بهم لأنهم أفراد منها ، ومن بُناة مجدها ، والمحافظين على حضارتها وقوتها وازدهارها زماناً ومكاناً .

وسميت الكتاب (أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق) من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الهجريين .

وأنبه إلى أني في الإحالة على المصادر في صفحات الكتاب أكتفي بذكر اسم المؤلف وكتابه ، ولا أذكر معلومات عن النشر استغناء بذكرها في فهرس المصادر والمراجع وهو منهج مطروق لدى بعض الباحثين .

وقد انتظم البحث في مقدمة وبابين وخاتمة كما يلي :-

الباب الأول :الشناقطة وقضاياهم العامة .

وفيه أربعة عشر فصلاً :

الفصل الأول : بلاد شنقيط والإستعمار .

الفصل الثاني :الحواضر الشنقيطية العريقة .

الفصل الثالث: الإسلام في بلاد شنقيط .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : رسالة الإسلام الخالدة .

المبحث الثاني : فتح بلاد شنقيط (موريتانيا) .

الفصل الرابع : أصول الشناقطة وطبقاتهم .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أنساب الشناقطة إجمالاً .

المبحث الثاني : النظام الاجتماعي عند الشناقطة .

الفصل الخامس : التعليم في بلاد شنقيط .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعليم المحضري .

المبحث الثاني: المحاضر في ظل الاستعمار .

المبحث الثالث : المقررات المحضرية .

الفصل السادس : الحرمان الشريفان مأرز الإيمان .

الفصل السابع: الشناقطة في المشرق .

الفصل الثامن: الجوار وأفضل الأعمال .

الفصل التاسع: أوقاف الشناقطة في الحجاز .

الفصل العاشر : علماء الشناقطة مكتبات متنقلة .

الفصل الحادي عشر: تراث الأمة الضائع .

الفصل الثاني عشر : بلاد شنقيط قلعة للعلم والرباط .

الفصل الثالث عشر : شهادات متواترة .

الفصل الرابع عشر :العلماء ورثة الأنبياء .

البـــاب الثاني : ويشتمل على ثمان وعشرين ومائة ترجمة لعلماء الشناقطة وأعيانهم الذين رحلوا إلى الحجاز للحج أو استوطنوا في المشرق منذ عشرة قرون خلت .

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

نـــرجو مـــن الله العلي القدير أن يجعله خالصاً لوجهه تعالى وأن ينفع به القارئ والسامع ، ونسأله جل وعلا أن يغفر لنا ولوالدينا ومحبينا وسائر المسلمين ، ونبتهل إليه أن يجمع أمتنا على الحق، وأن يعزها وينصرها بالإسلام إنه نعم المولى ونعم النصير آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بحيد بن الشيخ يربان القلقمي الإدريسي

مكة المكرمة – يوم الخميس

1423/7/12هـ الموافق 2002/09/19م

الباب الأول

الشناقطة وقضاياهم العـــامة

الفصل الأول :بلاد شنقيط والاستعمار

عرفـــت بلاد شنقيط في كتب العرب الجغرافيين منهم والمؤرخين والرحالة ببلادة صـــنهاجة ، وصـــحراء الملثمين نسبة إلى سكان البلاد وشارتهم[1] .ورغم هذا فقد نسبت بعـــض المصـــادر المشرقية أفراداً منهم إلى التكرور السودانية[2]، واتوات[3] الجزائرية مثل الحـــاوي للفـــتاوي للسيوطي ومعجم الشيوخ للزبيدي . وليس هذا بمستغرب لأن هذه الأقاليم كانت ولا زالت داراً للإسلام ، وللشناقطة فيها منـــزلة واعتبار ، وهي أقرب إلى بلادهـــم من غيرها ، فكان حجاجهم ينطلقون منها إلى الحجاز ، وربما اتخذوا منها سكناً للتدريس والإرشاد أو للتجارة ولو لبعض الوقت. فلهذا كان المشارقة ينسبون من التقوا به مـــن علماء الشناقطة إلى هذه الجهة أو تلك حسب شهرة المنطقة التي قدموا منها . ولعل القـــوم لم يعـــرفوا بهذه الألقاب كهوية إلا بعد مجيء بني حسان في أواخر القرن السابع الهجـــري [4] ، وانهـــيار السلطة المركزية التي أقامها المرابطون ، ووضع نظامها الأساسي الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني (ت468هـــ)كما سيأتي بيانه في الفصل الرابع إنشاء الله تعالى .

وقـــد أطلق الفقيه محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (ت1219هـــ) اسم الـــتكرور عـــلى البلاد تجوزاً ومجاراة للمشارقة فسمى كتابه في التراجم (فتح الشكور في معـــرفة أعـــيان علماء التكرور) ، وهو إنما يعني بالتكرور حقيقة مدينتي تنبكتو وولاته ، حيـــث يرجع إليهما غالبية العلماء المترجم لهم ، وأما غيرهم فإنما ذكرهم بالتبعية كما هو جلي . وكان سكان هاتين المدينتين من قبيلة مسوفة[5] الشنقيطية المعروفة ، وقد خضعتا سياسياً في السابق لملوك التكرور الماليين ثم الصنغي ، وكذا بعض الأجزاء الجنوبية الشرقية

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ص/ 43 .

[2] التكرور: مدينة مشهورة في بلاد السودان ، انظر القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص/26 .

[3] اتوات : مجموعة من القرى يطلق عليها عمالة اتوات .انظر رحلة العياشي ص/21 .

[4] وزارة الإعلام الموريتانية : الجمهورية الإسلامية الموريتانية ص8 .

[5] راجع رحلة ابن بطوطة ، ص/690.

من البلاد[1] بحكم قربها من الحدود السودانية . ويشهد لهذا الفقيه أحمد أبو الأعراف التنبكتي (ت1072هـ) الذي كان أكثر دقة وضبطا لهذا المصطلح حيث سمى معجمه (إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر العلماء المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط)[2]. وعندما استقل ركب الحج الشنقيطي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري (ق.17م) ، استطاعت مدينة شنقيط تدريجيا وبحكم ازدهارها العلمي والتجاري مع بداية القرن الثاني عشر الهجري[3] أن تستقطب الحجاج من الساقية الحمراء إلى أروان، وتكون منطلقا لهم إلى الديار المقدسة ، فنسب إليها المشارقة حينئذ القطر كله[4] .وكانت حدود البلاد كما بينها صاحب الوسيط : (شمالاً الساقية الحمراء وهي تابعة له ، وجنوبا قاع ابن هيب وهو تابع له أيضا ، وشرقاً ولاته والنعمة ، وهما تابعتان له أيضا ، وغرباً بلاد سنغال المعروفة عند أهل شنقيط باندر وهي خارجة عنه)[5].

أما اسم موريتانيا فقد استخدمه مفوض حاكم إفريقيا الغربية الفرنسية العام اكزافي كبولاني Xavier Cappolani[6]، سنة 1905م[7]. ذلك أن

---

[1] ابن بطوطة المرجع السابق ، ص/689 ، وابن خلدون : العبر 6/200-201 ، والبرتلي : فتح الشكور ، ص/113 ، 176 ، 177 .

[2] سيدي عمر بن علي : فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 1995م ، ومجلة عالم المخطوطات والنوادر ، المجلد الأول ، العدد الأول محرم 1417هـ/ يوليو 1996م ، ص/194 .

[3] حماه الله بن السالم (مقال): مجلة الدارة السعودية العدد(4)شوال 1417هـ ، ص/29-30 .

[4] الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم : صحيحة النقل في علوية ايدوعل وبكرية محمد قل (مخطوط).

[5] أحمد بن الأمين : الوسيط ص/422 .

[6] اكزافي كبولاني Xavier Cappolani : ولد سنة 1866م في بلدة ماريانا (Marignana)بفرنسا ، واستقر مع أسرته في الجزائر بمدينة قسطنطين . وبها تعلم العربية ، ودرس الدين والتصوف ، ونشر عنه كتابه (الطرق الصوفية الدينية الإسلامية)بالتعاون مع أوكتاف(Octave Depont). واشتغل بعد تخرجه كاتبا مراسلا ثم إدارياً مساعداً . اقترح على فرنسا احتلال موريتانيا في تقرير له سنة 1899م . وقُتل على يد الشريف سيدي ولد مولاي الزين ورفاقه المجاهدين في تجكجة يوم 1905/5/12م . راجع :الوثائق الوطنية بنواكشوط الملف E1/9 رسالة موجهة إلى وزير الخارجية الفرنسي من مدينة سانلويس بتاريخ 1900/02/24 و.
Desire (vuillemin) Cappolani en Mauritanie, Revue D histoire des colonies, N. 148-149,4e trimestre 1955,pp.

[7] راجع محمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة ،ص/120.

العرب قسّموا المغرب إلى ثلاث مناطق: أدنى وأوسط وأقصى ، وقسمه الرومان إلى إفريقيا ونوميديا وموريتانيا[1] بمقاطعاتها الثلاث القيصرية والستيفانية ، والطنجية[2]. فمن هنا جاءت تسمية البلاد بهذا الاسم الذي أحياه الاستعمار من جديد . ومعنى موريتانيا بلاد السمر ، وهو اللفظ الذي أطلقه الإسبان على العرب الفاتحين للأندلس[3]. والاسم المتعارف عليه بين أهل البلاد أنفسهم هو(تراب البيضان)تمييزاً لها عن بلاد السودان المجاورة[4] .

وتقع موريتانيا على الحدود الغربية للوطن الإسلامي ، ولقد أغرى الدول الأوروبية موقعها الاستراتيجي ، وتحكمها في التجارة عبر الصحراء بين شمالي إفريقيا وغربيها ، فتسابقت إلى خطب ودها منذ القرن التاسع الهجري (ق.15م)، حيث وصلت البواخر البرتغالية إلى شواطئها أولاً سنة 838هـ /1434م ،ثم الإسبانية سنة 988هـ 1580م ثم الهولندية سنة 1048هـ /1638م ، والفرنسية التي وصلت إلى نهر السنغال منذ سنة 1036هـ /1626م فالألمانية سنة 1096هـ والإنجليزية أخيراً[5] . فكانوا يشترون من السكان الصمغ العربي والتمور والملح ، والذهب والجلود ، ويبيعونهم السكر والأقمشة ، والتوابل وغيرها[6] . وقد فرض عليهم أمراء الشناقطة (جزية) سنوية محددة ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري (ق.17م) ، مقابل حماية تجارتهم الأطلسية

---

(1) حسن السائح : الحضارة المغربية عبر العصور ص/39 .

(2) وزارة الإعلام بنواكشوط: المرجع السابق ص/6 ، ومعهد البحوث:المرجع السابق ص/419-420 .

(3) محمد عبد الله عنان (مقال) : مجلة العربي الكويتية العدد (25) ، ص/28 ، ومعهد البحوث : المرجع السابق ص/467 ، وعبد الباري عبد الرزاق النجم : جمهورية موريتانيا الإسلامية ، ص/12-13 .

(4) المختار بن حامد : حياة موريتانيا (جزء الجغرافيا) ص/10 .

(5) معهد البحوث : المرجع السابق ، ص/38 وما بعدها .محمد الراظي بن صدفن: السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ص/ 36 وما بعدها ، وإسلم بن محمد الهادي :موريتانيا عبر العصور ، ص/129 وما بعدها والنحوي المرجع السابق ، ص/96.

(6) Ould Cheikh Abdel Wedoud : Nomadisme , Islam et Pouvoir Politique dans la societe maure precoloniale (XIe siecle),p.88-89.

في المياه الإقليمية[1] . وربما وقعت معهم بعض المناوشات عندما يخلون بشروط التعامل ، أو يتجاوزون الحدود المرسومة لهم[2] .

وقد خلا الجو لفرنسا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (ق.20م) حينما تنازلت لها بريطانيا عن أطماعها في موريتانيا ، مقابل تنازل فرنسا لها عن أطماعها في مصر مراعاة لاتفاقية برلين سنة 1304هـ /1887م التي تقاسمت بموجبها الدول الاستعمارية القارة الإفريقية[3] فجندت عدة بعثات استكشافية ابتداء من سنة 1824م لدراسة جغرافية البلاد واقتصادها وحياتها الاجتماعية . وكان يتعذر عليهم اختراق المجتمع الشنقيطي إلا تحت ستار التنكر وادّعاء الإسلام . وقد وصل في السنة المذكورة رائد جواسيسهم المدعو رني كي (Rene Caille)إلى البراكنة بوصفه مسلماً. واختتم اكزافي كبولاني Xavier Cappolani هذه المهمة برحلته إلى الحوض ، وتقديمه لمشروع الاحتلال المشهور الذي تمت المصادقة عليه من طرف مجلس الوزراء الفرنسي سنة 1317هـ الموافق 1899/12/27م [4] .

ولما بدأت القوات الفرنسية تزحف على البلاد من الجهة الجنوبية سنة 1321هـ 1902م ، تصدى لها الشناقطة بكل شجاعة وإيمان ، وتعالت صيحات الجهاد في أطراف الصحراء ، كما قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الأبيري[5] من قبل :

حماة الدين إن الدين صارا	أسيرا للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركوه	وإلا يسبق السيف البدارا

---

[1] انظر محمد المصطفى الندى : المحاضر ودورها في موريتانيا (رسالة مرقونة ص/45).

[2] النحوي : المرجع السابق ص/320 ، وأحمد بن الحسن (تحقيق): كتاب التكملة لمحمد فال بنبابا، ص/50 ووزارة الإعلام بنواكشوط: المرجع السابق ص/10 .

[3] المعهد التربوي الوطني الموريتاني: كتاب التاريخ ، السنة الثالثة الإعدادية ، ص/77 .

[4] إسلم بن محمد الهادي : المرجع السابق ، ص/177 ، ومحمد عبد الله عنان (مقال): مجلة العربي الكويتية (العدد 25)ص/32 و

Paul(Carcasane), Maures et Touaregs, dans Revue Franco-Saharienne, P.331-334.

[5] راجع ترجمته في الوسيط ص/243 .

وهكـــذا دخلت البلاد في حالة استنفار عام ، وتقدمت كتائب الجهاد وفاء بحق البيعة ، وامتثالا لأمر الله عز وجل في نصرة دينه وإعلاء كلمته ، وخوفا من الوعيد الوارد في ترك الجهاد ، والتولي يوم الزحف ، وحرصا منهم على إحدى الحسنيين مستندين في ذلك على قوله تعالى:{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}[1] وقوله سبحانه : {يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنـيا مـــن الآخـــرة فما متاع الحياة في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويســتبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير}[2]. وما جاء عن أبي هريــرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفســه بالغزو مات على شعبة من نفاق)رواه مسلم[3] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، في فضل الشهادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته)رواه أبو داود[4] . ولأن الشهيد حي يرزق كما قال تعالى : {ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بـــالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفهم ولا يحزنون}[5] ، وقال جلّ وعلا : {ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون}[6].

وقد رأى الشيخ سيدي باباوالشيخ سعد أبيه ضرورة التعامل مع الفرنسيين لحفظ الأمن والنظام بسبب حالة الفوضى التي عرفتها الإمارات منذ القرن الثالث عشر الهجري (ق.19م) ، ارتكابـــاً لأخـــف الضررين وصيانة لدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ، شـــريطة أن لا يـــتدخلوا في دين الناس وحياتهم الخاصة[7] .. بينما خالفهم عامة المشايخ

---

(1) التوبة :111 .

(2) التوبة:38-39 .

(3) مسلم (1910)

(4) أبو داود (2522).

(5) آل عمران: 169-170 .

(6) البقرة :154 .

(7) النحوي : المرجع السابق ، ص/329-330 ، والندى : دور المحاضر في موريتانيا (رسالة مرقونة)ص/66.

والعلماء في اجتهادهم هذا ، كالشيخ ماء العينين الذي دعا إلى الجهاد وقاده وأطّره سياسياً ، ووفر له التسليح والتموين ، وكذا أبناؤه الأماجد ، والعالم سيدي محمد الصغير ابن حبت ، والعالم أحمد بن محمد بن البشير في الشمال الموريتاني ، والشيخ محمد عبد الله بن أحمذي في الجنوب ، وأبناء مايأبى الأعلام في وسط البلاد ، والعلامة محمد عبد الجليل بن الشيخ المصطفى عميد محضرة الكحلاء والصفراء من البراكنة ، والشيخ حماه الله والشيخ محمد الأمين ابن زين في الشرق ، وغيرهم من أمراء المناطق والأعيان[1] .

وفي سنة 1322هـ /1904م صدر مرسوم جمهوري من باريس يعلن إلحاق موريتانيا بالمستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا ، وحكمها رسمياً كبولاني Xavier Cappolani [2]. الذي قُتل لاحقاً في مدينة تجكجة على يدي الشريف سيدي ابن مولاي الزين ورفاقه الاستشهاديين سنة 1323هـ/1905م[3] . ثم تتابعت المعارك الشرسة على مختلف الجبهات ، أبلى فيها الشناقطة بلاءً حسناً ، وكانت لهم صولات وجولات ، وأيام لا تنسى على الرغم من تواضع عدتهم العسكرية منها: معارك ألاك (1902م) ، وشمال سهوت الماء (1903م) ، وميت (1904م) ، وانبود (1905م) ، وانيملان (1906م) ، وكيديماغا (1907م) ، ولكويشيش (1908م) ، وقصير الطرشان (1910م) ، وأجار لعصابة(1911م) ، وكدية أهل عبدوك(1916م) ، ومجيك (1923م) ، وشنقيط (1925م)، وآزويقة (1927م) ، وأم التونسي (1932م)[4] التي هزم فيها الفرنسيون هزيمة نكراء[5] جعلتهم يقررون بعدها أن يحكموا موريتانيا من السنغال ، ولهذا كانت مدينة اندر العاصمة التي يديرون منها شؤون البلاد

---

[1] راجع سيدي محمد بن بناهي : نماذج من تاريخ أسرة آل حبت (رسالة مرقونة) ص/42 ، 57 والنحوي: المرجع السابق ص/331 ، 332 ، والصوفي : المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة)ص/129 وما بعدها ، والوثائق الوطنية بنواكشوط ، الملف E2/44.

[2] عبد الباري عبد الرزاق النجم : جمهورية موريتانيا الإسلامية ص/163 .

[3] راجع غيث ابن أمّم : إمارة أولاد يحيى بن عثمان (رسالة مرقونة)ص/52 .

[4] اسلم بن محمد الهادي المرجع السابق ، ص/188-190 ، وحمداتي شبيهنا ماء العينين: المرجع السابق ، ص58-59 .

[5] احمدناه بن خطري (تحقيق): نظم المختار بن المحبوب في التاريخ (رسالة مرقونة) ص/53 .

حـــتى أُعلـــن عن استقلالها[1] . وأما قادة الجهاد فمنهم فضلا عمن تقدم أحمد بن سيدي عـــلي ، وســـيدي أحمـــد بن عيده ، وأحمد بن الدّيد ، وبكار بن اسويد أحمد ، وفاضل جاكلي وسيدي بن الغوث ، وعلي بن مياره ، ومحمد الأمين ادرامي[2] .

يقـــول الكولونيل كوروا (Goraud)واصفاً شجاعة الشناقطة ، وشدة بأسهم ، واستبسالهم في ميادين المعارك أمام السلاح الفرنسي المتطور ، بعدما لاقى منهم الأمرين: (لـــيس باستطاعة من لم ير البيضان يقاتلون أن يدرك مدى بسالتهم.. إنهم لا يلبسون إلا ثوبـــاً فضفاضاً خفيفا يحسرونه عن سيقانهم في حالة الحرب ، ولا يملكون من السلاح إلا بـــنادقهم العتيقة ورصاصها والخناجر .. تراهم بشعورهم الطويلة وعيونهم البراقة يقفزون من صخرة إلى صخرة ، يختفون خلف أبسط حاجز ، يطلقون الرصاص ، يغيرون مواقعهم تماماً كما تفعل الوحوش)[3] ، وناهيك بها شهادة من عدو !.

وقد توقفت المواجهة العسكرية بين الطرفين سنة 1934م وتمت لفرنسا السيطرة عـــلى تـــراب البيضـــان برمتها[4] . ولعل ما يبرر ذلك : تفوقها العسكري ، وحصارها للمجاهدين في الداخل والخارج ، ونجاحها في استمالة بعض القبائل إلى جانبها ، واتباعها لسياســـة (فـــرّق تسُـــدْ)منذ البداية [5] ، ومن ثم اقتصرت المقاومة على الجهاد الثقافي والسياسي وقد أخفق المستعمر في مهمته التخريبية ، ولم يستطع النيل من دين الشنقاطة ، وثقافـــتهم العربـــية ، وهويـــتهم الإسلامية الأصيلة. بل حدث العكس إذْ تذكر الوثائق الفرنســـية أن مشايخ البيضان استغلوا بذكاء وحدة المستعمرات لنشر الإسلام في إفريقيا بالدعوة والحكمة والقدوة الحسنة مما أنذر بالخطر على سمعة فرنسا وهيبتها ، ومستقبلها في القـــارة . وقد بادر الحاكم العام لغرب إفريقيا (كورناي) فأصدر أوامره بوضع حد لتنقل

---

[1] الصوفي : المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة)ص/136 .

[2] إسلم بن محمد الهادي: المرجع السابق ص/188-190 .

[3] النحوي : المرجع السابق ، ص/338 نقلاً عن Christine Garnier.

[4] عبد الباري عبد الرزاق النجم: المرجع السابق ، ص/164 ، ووزارة الإعلام الموريتانية: الجمهورية الإسلامية الموريتانية ص/10 .

[5] الصوفي : المرجع السابق ، ص/136 ، ووزارة الإعلام بنواكشوط : المرجع السابق ص/10.

هـؤلاء العـلماء بين المستعمرات[1] ، واتخذت ضدهم إجراءات تعسفية قاسية من نفي وسجن وملاحقة إلا أنهم صمدوا ورابطوا حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً . وحصلوا على استقلال بلادهم النهائي غداة28نوفمبر 1960م ، وتولى رئاستها الأستاذ المختار ولد داداه.

والجمهورية الإسلامية الموريتانية الحديثة تحدها الجزائر من الشمال الشرقي والصحراء الغربية من الشمال الغربي ، والسنغال من الجنوب ، ومالي من الشرق والجنوب الشرقي ، والمحيط الأطلسي من الغرب[2] . وتبلغ مساحتها (1.030.700كم) ، ويقدر سكانها بـ(2.700.000نسمة) حسب إحصاء 1418هـ/1998م[3] ، وهم جميعاً مسلمون سنيون على مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى . ولغتهم الرسمية هي اللغة العربية إلى جانب لغات إفريقية أخرى .وعلم البلاد أخضر اللون يتوسطه هلال أصفر مفتوح نحو الأعلى محيط بنجمة صفراء ، وعملتها الأوقية[3] .

أما اقتصادها فيعتمد على الثروة الحيوانية والسمكية ، والزراعة والتجارة ، ومناجم الحديد والنحاس[4] ، والذهب، والملح والصمغ العربي ، إضافة إلى ثروات معدنية أخرى لم تستغل حتى الآن . ومن صناعتها النسيج والجلود والصوف[5].

وقد أصبحت موريتانيا دولة نفطية ابتداءً من سنة 1421هـ /2001م وذلك بعدما اكتشفت شركة هرمان(Harman)الأسترالية وشركاؤها حقولا نفطية في المنطقة الساحلية ، تُقدر احتياطاتها بخمسمائة مليون برميل ، وتبلغ طاقتها الإنتاجية مائة ألف برميل يومياً . ولا تزال عمليات التنقيب متواصلة مع شركات أخرى[6] .

---

[1] Dechassey :المرجع السابق ، ص/136 ، والوثائق الوطنية بنواكشوط الملفات : E1/99-E2/67/68.

[2] راجع أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، ص/1566 ، ومعهد البحوث : دراسة مسحية لموريتانيا ص/ز وما بعدها .

[3] محفوظات إدارة الإحصاء بنواكشوط .

[3] عبد الرحمن حميدة ، وساطع محلي: دليل العالم ص/280 ، 281 .

[4] أحمد عطية الله: القاموس السياسي ، ص/1566 .

[5] مجموعة مولفين : أطلس العالم الصحيح ص/133 .

[6] جريدة (الحياة)اللندنية ، بتاريخ 2001/03/16م .

وموريتانيا الإسلامية عضو في هيئات ، ومنظمات عربية وإفريقية ، ودولية عديدة مـــثل منظمة الأمم المتحدة (1961م) ، ومنظمة الوحدة الإفريقية (1963م) ، ورابطة العـــالم الإســـلامي(1964م) ومـــنظمة المؤتمر الإسلامي(1969م) ، والجامعة العربية (1973م) وغيرهـــا[1] . وعـــلى الصعيد الثنائي تربطها بدول العالم علاقات دبلوماسية واسعة قائمة على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل .

وتـــبلغ الولايات الموريتانية 13ولاية هي: 1-ولاية الحوض الشرقي (وعاصمتها الـــنعمة). 2-ولاية الحوض الغربي(عيون العتروس) . 3-ولاية العصابة(كيفه). 4-ولاية كـــيديماغا (سيلي بابي). 5-ولاية البراكنة(ألاك). 6-ولاية اترارزه(القوارب).7-ولاية آدرار(أطـــار).8-ولايـــة إنشـــيري (أكجوجت).9-ولاية تكانت(تجكجه).10-ولاية كوركـــول(كيهـــيدي).11-ولايـــة تـــيرس الـــزمور (الزويرات).12-ولاية داخلت أنواذيـــبو(انواذيبو ، وهي العاصمة الاقتصادية).13-ولاية نواكشوط (نواكشوط ، وهي العاصـــمة الإدارية)[2].هذا فضلا عن مدن تاريخية مشهورة ، ومناطق أثرية هامة سنذكر بعضها في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

---

[1] الصوفي: المرجع السابق ، ص/14 ، ووزارة الإعلام بنواكشوط : الجمهورية الإسلامية الموريتانية ص/18 .

[2] عبد الله السريع : موريتانيا الماضي والحاضر ، ص/182 .

الفصل الثاني

الحواضر الشنقيطية التاريخية

توجد في بلاد شنقيط مدن تاريخية عديدة[1] ، لازال بعضها قائماً حتى اليوم رغم العوادي ، وقد تأسس معظمها بعد الفتح الإسلامي ، واحتضنت العلم والدين عبر العصور . وتخرج منها أعلامٌ ذاع صيتهم في المشارق والمغارب ، وبنوا لأمتهم مجداً وعزاً . من أهمها :

- ولاته : عُرفتْ قديماً باسم (بيرو)[2] ، وقيل إنها تأسست في القرن الأول الهجري[3] وتقع على مسافة 120كم إلى الشمال من مدينة النعمة[4] ، ولا تزال تواصل عطاءها الثقافي والحضاري . وقد زارها الرحالة ابن بطوطة سنة 753هـ /1352م ووصفها بقوله: (تبدو عليها مظاهر الشيخوخة والقِدم) ، وقال عن رجالها بأنهم : (محافظون على الصلوات وعلم الفقه وحفظ القرآن)[5] .وذكر السعدي أنها كانت مزدهرة قبل تنبكتُو فقال : (أخذ الناس يسكنون في تنبكتُو وعِمارته تزداد إلى أن صار سوقاً للتجارة . وكان التسوق قبل ذلك يتم في بيرو (ولاته) الذي يرد إليه الرفاق من كل الآفاق ، وسكن فيه الأخيار من الصالحين من ذوي الأموال من كل القبائل والبلاد)[6] وهكذا كانت ولاته منارة علمية ، وملتقى تجارياً نشطاً ، وقلعةً حصينةً يأوي إليها الناس للعلم والتجارة والأمن . ففي القرن السادس الهجري انتقل إليها علماء مملكة غانا بقيادة الشيخ إسماعيل بسبب ضغوط أمراء صوصو[7] .كما استقبلت أفواجاً من علماء تنبكتُو بسبب غزو المرينيين في القرن السابع الهجري ، وفساد سني علي من سلاطين الصنغي في القرن التاسع الهجري ، وحملة السعديين التي أطاحت بحكمهم في

---

[1] من المدن التي اندثرت : أودغست ، وغانا ، وآزوكي ، وتنيكي ، وآبير (مدينة شنقيط الأولى).

[2] محمد المختار بن أباه: المرجع السابق ص/20 .

[3] النحوي : المرجع السابق ص/68 .

[4] جان كلود كلوتشكوف: موريتانيا اليوم تعريب إلياس ملكي ، ص/153 .

[5] ابن بطوطة : الرحلة ، ص/661-663 .

[6] السعدي : تاريخ السودان ص/21 .

[7] محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/20 .

القرن العاشر الهجري[1] . وقد زارها الشيخ سيدي أحمد البكاء الكنتي في القرن التاسع واتخذها داراً له ، وبها توفي سنة 920هـ /1591م رحمه الله تعالى[2].

واشتهر من علمائها كثير منهم الفقيه محمد يحيى بن أبوُّ ، ومحمد يحيى بن سليمه ، ومحمد بن سيدي عثمان[3] .

- شنقيط[4] :مدينة علمية قديمة ، تقعُ في منطقة آدرار على مسافة 120كم إلى الشرق من مدينة أطار[5] . وقد أُنشئت شنقيط الأولى باسم (آبير)سنة 160هـ/776م ولبثتْ قروناً منتعشةً ثم هجرها أهلها ، وأُسستْ شنقيط الأخيرة قريباً منها سنة 660هـ/1262م[6] ، وبها يُعرفُ البلد في المشرق . وكانت تُعدُّ سابع مدينة مقدسة في الإسلام[7] . وقد اختُلف في أصل اشتقاق اسمها ، فقيل إنها كلمة بربرية تعني (عيون الخيل)[8] ، وقيل بل عربية فصيحة أصلها (سن قيط) أي طرف جبل (قيط)المجاور للمدينة[9] ، أو (الشقيط) وهو نوع من الأواني الخزفية كان متداولاً في المنطقة[10] . وقد لعبتْ شنقيط أدواراً علمية ودينيةً واقتصاديةً مشهورةً على امتداد تاريخها ، فكانت مركزاً ثقافياً يفد إليها الطلاب والعلماء ، ومنطلقاً موسمياً لكثير من الحجاج ، ومحطة تجارية تتعاقب عليها القوافل على مدار السنة . وزارها الشريف أحمد الذهبي آل عبد الله التلمساني في أواخر القرن العاشر الهجري، فدرس بها مختصر خليل لأول مرة ثم عاد إلى مراكش بعد مدة وبها توفي رحمه الله تعالى [11]. وحلّ بها أيضاً الشريف الفاسي

---

[1] النحوي : المرجع السابق ص/68 .

[2] البرتلي: فتح الشكور ص/30 ، 31 ، وسيدي محمد بن سيدي الحبيب:نماذج من النشاط الثقافي في ولاته (رسالة مرقونة) ، ص/44 .

[3] محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ص/20 ، 21 .

[4] كانت تعرف بشنجيط (بالجيم المعجمة) في العصر الأول . انظر أحمد بن الأمين: الوسيط ص/422.

[5] جان كلود كلوتشكوف : موريتانيا اليوم ، تعريب إلياس ملكي ، ص/149 .

[6] أحمد بن الأمين: المرجع السابق ص/425 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/72 .

[7] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/426 .

[8] أي عيون كانت تشرب منها الخيل ، انظر : الوسيط ، ص/422.

[9] أحمد بن المفيد: شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي (رسالة مرقونة) ، ص/8 .

[10] شغالي بن أحمد محمود:لمحات من تاريخ شنقيط (رسالة مرقونة) ، ص/5 .

[11] المصطفى بن أحمدان : مساهمة في كتابة تاريخ وادان (رسالة مرقونة) ، ص/46 .

الموسوعي الملقب (الشاب الشاطر) في القرن الحادي عشر الهجري ، فانتخب أربعة من أهلها ليعلمهم ، من بينهم المفتي الطالب محمد بن الأعمش ، والقاضي عبد الله بن الطالب محمد ، فلما أتم لهم الفنون التي أرادوها استأذنهم وانصرف[1] . وتشهد مدينة شنقيط اليوم إقبالا كبيراً من الباحثين الدوليين لما تحويه من أمهات المراجع ، ومن المخطوطات النادرة ، ومن الآثار الهامة.

- تيشيت[2]: مدينة علمية عريقة تقع في وسط البلاد بمنطقة تكانت على بعد 250كم إلى الشرق من مدينة تجكجة[3] . وقد تأسست في القرن الثاني الهجري على الأرجح[4] ، ويعتبر الشريف عبد المؤمن تلميذ القاضي عياض السبتي ، هو المؤسس الحقيقي للمدينة ، حيث أعطاها مكانتها العلمية والحضارية بعد ما استقر فيها سنة 536هـ/1142م[5] . وكانت محطة التقاء لكثير من القوافل وخاصة تلك التي تمر بطريق قلم ، وولاته إلى الإسكندرية عن طريق تنبكتو واتوات وفزان[6] . ولا تزال تيشيت صامدة رغم التحديات معتزة بماضيها المجيد ، وتراثها الثمين . وقد أنجبت كثيراً من العلماء والصلحاء منهم الحسن بن اغبدّ وأبناء حماه الله ، وأبناء انبوجه[7] ، وأحمد وعبيدة ابنا محمد الصغير .
- وادان: مدينة علمية قديمة تبعد 100كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من مدينة شنقيط ، وقد تأسست سنة 536هـ/1142م بمبادرة من الحاج يعقوب القرشي ، والحاج عثمان الأنصاري ، والحاج علي الصنهاجي ، ثم انضم إليهم

---

(1) البرتلي : المرجع السابق ، ص/213 ، 214 ، وأحمد بن الأمين: المرجع السابق ص/578 ، 579.

(2) كانت تكتب قديماً تيسيت (بالسين المهملة) ، ولكن أهلها يقولون : إن أصلها (تي شئتُ) اعتماداً على حكاية يروونها في ذلك عن الشريف المؤسس لها .راجع محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/22 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/70 .

(3) النحوي: المرجع السابق ، ص/69 .

(4) جان كلود كلوتشكوف : المرجع السابق ، ص/141 .

(5) محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/22 .

(6) النحوي : المرجع السابق ، ص/69 .

(7) محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/23 ، والنحوي :المرجع السابق ، ص/70 .

عـــبد الرحمن الصائم لاحقاً[1] . وتؤول تسميتها بوادين ملئ أحدهما علماً وديناً وملئ الآخر نخلاً وتمراً[2] . وكانت تلتقي فيها شبكة من الطرق تصلها بالداخل والخارج أهمها تلك التي تربطها بدرعة وسجلماسة في الشمال ، وباتوات وتغازة في الشـــمال الشرقي ، وبتنبكتو في الجنوب[3].وقد تألّقت فيها العلوم واستقطبت الطـــلاب من حاضرتي شنقيط وتيشيت ، وخرجتْ أفواجاً من العلماء والأدباء مـــثل سيدي أحمد أبو الأوتاد التيشيتي ، وسيدي عبد الله بن محمد (ابن الرازكة) الشـــنقيطي ، ومحمد بن أحمد بن أبي بكر الواداني صاحب (موهوب الجليل على مختصـــر خليل)الذي يعد ثاني أقدم مؤلف موريتاني محفوظ بعد كتاب الإشارة في تدبير الإمارة للإمام الحضرمي[4] .وكانت وادان مركزاً تجارياً مزدهراً منذ القرن الـــثامن الهجري ، واستمر نشاطـــه أربعة قرون شـــارك فيه التجـــار المغاربـــة والسودانيون بل والبرتغاليون أيضاً[5]. ولا تزال هذه المدينة قائمة رغم معاناتها ، يحتضنها بقية من أهلها يصونون تراثها ، ويحافظون على ما تبقى من حيويتها .

- آزوكـــي : تقع في وادي تيارت إلى الشمال الغربي من مدينة أطار على بعد 10كـــم تقريـــباً . وفيها يوجد ضريح القاضي محمد بن الحسن المرادي الملقب بالإمـــام الحضرمي الذي قدم إلى البلاد مجاهدا ومعلماً مع الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني في منتصف القرن الخامس الهجـــري .وقد اشتهـــرت آزوكي بكلابهـــا الشرسة المدربة على خوض المعارك ، وصدّ الغزاة، وقيل: إن المرابطين لما وصلوا إلى هـــذه المديـــنة احـــتمى أهـــلها بحصـــن مـــن الحجـــارة ، وأرسلوا إليهم كلابهم ، فتقدم إليها الإمام الحضرمي فخضعت لـــه ، ثم سلّطها على أصحابها ، وساعـــدت علـــى فتـــح المدينـــة أمـــام المجاهـــدين . ويذكر أن هذه المدينة

---

[1] النحوي : المرجع السابق ، ص71 .

[2] نقل هذا التعليل عن الشيخ سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم .انظر رحلة المنى والمنة للطالب أحمد المصطفى ابن اطوير الجنة(مخطوط).

[3] المصطفى بن أحمدان : المرجع السابق ، ص/95 ، 97 .

[4] النحوي:المرجع السابق ، ص/71 .

[5] المختار بن حامد :حياة موريتانيا (مخطوط) ، وإسلم بن سيدي حمود (مقال) : جريدة (الشعب)الموريتانية العدد (1723)بتاريخ 1981/03/19م ، ص/3 .

شـبـهدتْ ازدهاراً مطرداً منذ فتحها وحتى القرن الثامن الهجري ، وكانت محطة كبيرة للقوافل الصحراوية . ولم يبق منها اليوم سوى أطلال منهارة ، وأساسات حجـرية تنبـئ عـن قوة بيوتها ، وحصونها القديمة . ووجد مكتوباً على بعض صخورها هذه العبارة : إنتبهوا يا أولي الألباب هذه مدينة الكلاب قد صارت إلى الخراب[1] .

- تنيكي:بكافٍ معقودة مكسورة ، مدينة مندثرة تقع بين مدينتي شنقيط ووادان وتبعد عن كليهما حوالي 60 كم . ويقال إنها ثالث حاضرة علمية تأسستْ في الـبلاد بعـد مدينة آزوكي ورباط عبد الله بن ياسين في جزيرة(التيدرة). وقد أسسها الجكنيون على العلم في القرن السادس الهجري ، وبلغت أوج ازدهارها في القـرن العاشر الهجري حتى قيل إنها كانت تضم يومئذ ثلاثمائة فتاة تحفظ موطأ الإمام مالك ، فضلاً عن العلماء والفقهاء من الرجال . وقد آل أمرها إلى الخراب بسـبب حرب أهلية في القرن الحادي عشر الهجري ، وأضحت مضرب المثل ، فيُقال (أخلا من تنيكي)[2] .

والجدير بالذكر أن الحكومة الموريتانية قد صادقت منذ سنة 1392هـ /1972م عـلى قـانون لحماية المعالم التاريخية[3] .وأتبعته بوضع خطة لإنقاذ المدن التاريخية الحـية بالـتعاون مع منظمة التربية والتعليم والثقافة (اليونسكو) سنة 1401هـ 1981م . وهي مسجلة ضمن التراث الإنساني العالمي ، ومعترف بها دولياً[4] .

---

[1] جـان كلود كلوتشكوف : المرجع السابق ، ص/93 ، 94 ، 148 ، وأضفت إليه ما سمعته مشافهةً من بعض أهلها ، والأستاذ محمد فاضل بن الأدهم : مقابلة أجريتها معه في مكة المكرمة يوم 1422/12/15هـ .

[2] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (جزء الثقافة) ، ص/5 ، وأحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/430 ، 431 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/74 ، وجان كلود كلوتشكوف : المرجع السابق ، ص/132.

[3] مركز التكوين والإعلام بنواكشوط: مجلة موريتانيا أرض الرجال ، سنة 1973م ، ص/14 .

[4] انظر: جريدة الشعب الموريتانية العدد(1702)سنة 1401هـ/1981م ، ص/5-8 .

الفصل الثالث

الإسلام في بلاد شنقيط

المبحث الأول: رسالة الإسلام الخالدة

لقد مضت الأمم الغابرة ، وتقطعت القرون الخوالي والرسالات تتنـــزل ، والرُّسل تترى تذكر بعهد الله وميثاقه الذي أخذه على عباده وهم في عالم الذر في صلب أبينا آدم عليه السلام ليحيى من حيي عن بينة ، وليموت من يموت عن بينة لقوله تعالى:{وإذْ أخذ ربـــك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شـــهدنا أن تقولـــوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين}[1]، ولقوله سبحانه : {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}[2] .ولقد أمر الله النبيين عليهم السلام بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وباتباعه ونصرته إن ظهر في زمانهم . فبشروا به أتباعهم وتركوا الوصية عـــندهم في كتـــبهم الأولى قبل أن تمتد إليها يد التغيير لقوله عز من قائل :{وإذْ أخذ الله ميـــثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصـــرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشـــهدين فمـــن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}[3] ،ولقوله جل شأنه :{ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والإنجيل}[4] ، ولقوله عز وجل: {وإذ قال عيسى ابن مريم يبني إسرئيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سحر مبين}[5] ..

---

(1) الأعراف :172 .

(2) الإسراء: 15 .

(3) آل عمران :81 ، 82 .

(4) الأعراف :157 .

(5) الصف : 6 .

وبعد مضي أربعين سنةً ونيفاً على حادثة الفيل [1] جاء الإسلام على حين فترة من الرسل ناسخاً لجميع الأديان السابقة ، وأنزل القرآن الكريم مهيمناً على جميع الكتب السماوية ، والشرائع الماضية إلى قيام الساعة . واختار الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا للثقلين ، واصطفاه خاتماً للنبيين والمرسلين عليهم السلام ، ورحمة للعالمين ، وذلك لحكمة بليغة ظهرت مقاصدها لذوي البصائر ، وتجلت حقائقها لذوي الأفهام ، ولا تزال شواهد الكون تتساوق بتأييد هذا الدين ، وستظل تدمغ المعاندين والجاحدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لقوله سبحانه : {وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين}[2] ، ولقوله تعالى: {وما أرسلنك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[3] ، ولقوله سبحانه : {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}[4]، ولقوله جل وعلا : {إن الدين عند الله الإسلام}[5] ، ولقوله تبارك وتعالى: {ومن يبتغِ غير الإسلم دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين}[6] ، ولقوله عز وجل: {سنريهم ءايتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}[7] ولقوله جل شأن : {لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}[8] .ذلك أن الإسلام دين حق لا يحده مكان ولا زمان للسلام الذي يحمله وللسماحة التي يدعو إليها . فهو سلم لمن سالمه وحرب على من حاربه لقوله تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من ديركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهكم الله عن الذين قتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديركم وظهروا على

---

[1] وقعت حادثة الفيل قبل المولد النبوي الشريف بخمسين يوماً ، أو بخمس وخمسين يوماً عند الأكثر . وبُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أتم أربعين سنة قمريةً .انظر الرحيق المختوم للمباركفوري ، ص/58 .

[2] الأنبياء:107 .

[3] سبأ:28 .

[4] الصف:9 .

[5] آل عمران:19 .

[6] آل عمران:85 .

[7] فصلت:53 .

[8] البقرة:256 .

إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظلمون}[1].والإسلام كامل في عمومياته وجزئياته ، شامل في منهجه ونظامه ، تتشوف إليه العقول المستقيمة ، وتتقبله الفطر السليمة ، وتعتقده القلوب المستنيرة . وكيف لا وقد أحاط بالأديان السماوية وأتمها وأحصى الكتب الأولى واحتواها ، وصدق بالرسل ولم يفرق بينها ، لقوله عز من قائل : { ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملئكة وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}[2]. ودين هذه ميزته وتلك أوصافه لابد أن يسمو عن الحدود ، وتطوى له البقاع ، ويرفع لواؤه في الآفاق لا لأجل تشييد ملك لقبيلة ولا لإقامة سلطان لعشيرة ، وإنما يريد للإنس والجن أن يتحرروا بعبوديتهم لله عز جل ، ويسعى جاهداً ليخرجهم من شقائهم بالإيمان الخالص وليسعدهم بالدين الحق الذي ارتضاه لهم خالقهم جل شأنه.

وقد فطن لهذه الحقيقة هرقل عظيم الروم حيث قال لأبي سفيان بن حرب رضي الله عنه حين سمع منه التفاصيل الدقيقة لسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (إن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدمي هاتين ، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدميه)متفق عليه[3] ، لأنه كان على علم بالكتاب ويعلم أن النصر في النهاية للحق ، وهو الذي يعلو ولا يعلى عليه . نعم ، لقد تكفل الله بإظهار دينه وانتشاره في الخافقين ، وبشر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة والأمة بذلك فقال : (إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) رواه مسلم[4] ، وقال عليه الصلاة والسلام : (ليبلغنّ هذا الدين مبلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)رواه أحمد [5] .ولن ينفع الكفار والمنافقين عداوتهم له وكيدهم لأهله فالله متم نوره على كل حال لقوله جل شأنه : {يريدون ليطفئوا نور الله

---

[1] الممتحنة :8 ، 9 .

[2] البقرة:285 .

[3] البخاري-الفتح (2941واللفظ له) ، ومسلم (1773).

[4] مسلم (2889) ، والترمذي (2176) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

[5] أحمد (16957) والبيهقي (181/9)من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}[1] . والإسلام عامل الناس على أنهم بشر وجعل التفاضل بينهم بالتقوى لقوله سبحانه:{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[2]، وهو دين العدل يزيد صاحبه ولا ينقصه ويرفعه ولا يخفضه ويعزه ولا يذله بل قال النبي صلى الله عليه وسلم بصريح العبارة : (تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)متفق عليه[3] أي أسلموا واستقاموا . وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء تحمل هذا المعنى وتدور كلها على كلمة واحدة وهي: (أسلم تسلم ويبقى لك ملكك)متفق عليه[4] .ولما علم الناس إنصافه وأنه لا يحط من الأقدار شيئا ولا يسلب المناصب أهلها بل يعز الذليل ويزيد العزيز رفعة وعزاً توافد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم أفواجاً ، وآمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم سراعاً ، فأسس للإسلام دارا وأفسح للقرآن مجالا ، وعقد للجهاد لواءً وقرأ على القوم قوله تعالى: {ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}[5] . ثم قرأ عليهم في حجة الوداع قوله تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}[6] ،ثم قام فيهم خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر . ثم قال : (أما بعد : ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) ، ثم قال: (وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) قيل لزيد بن أرقم رضي الله عنه:ومن أهل بيته؟ قال أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قيل: ومن هم ؟ قال:هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس[7] وآل الحارث .ثم أوصى القوم عند احتضاره بأبي هو وأمي وقال

---

(1) الصف: 8

(2) الحجرات: 13 .

(3) البخاري–الفتح (3493).

(4) البخاري–الفتح(7) ، ومسلم (1773) ، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية 688/3وما بعدها.

(5) التوبة :28 .

(6) المائدة:3

(7) مسلم(2408) .

محذرا من الكفار وكيدهم ، ومنبها على ضرورة بقاء الجزيرة خالصة للإسلام وأهله فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)متفق عليه[1]. وهكـــذا تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولحق بالرفيق الأعـــلى راضـــياً مرضيا بعد ما بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده .

أمـــا الصـــحابة رضـــوان الله عليهم فقد حملوا الأمانة بقوة وضحوا من أجلها بأنفســـهم وأموالهـــم ومضـــوا في سبيل الله راغبين مطمئنين . فكانوا رجالاً حقاً أوفوا بعهودهـــم ، واستشـــهدوا دون مـــبادئهم مقبلين غير مدبرين ، فقال الله عنهم : {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا}[2].. وعلى هذا الدرب سار التابعون واللاحقون لهم بإحسان ، وستبقى الأجيال المؤمـــنة عليه حتى تلقى ما وعدها ربها جل وعلا إن شاء الله تعالى ، لقول النبي صلى الله علـــيه وســـلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم -وفي رواية- من خذلهم حتى يأتي أمر الله)متفق عليه[3] .

وإن المنهج الرباني الرشيد الذي أشرق نوره على العالم بالأمس من جزيرة العرب ، وحقـــق للأمـــة قوتها وعزتها في زمن قياسي كما رأينا وحفظ لها دينها وكيانها ، لجدير بإنقاذهـــا الـــيوم مما يتهددها من أخطار ، وخليق بالتمكين لها ثانية واسترجاعها لقيادتها ومكانتها بين الأمم . لقوله سبحانه : {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبـــيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيـــز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن

---

[1] البخاري-الفتح(3168 ، 3053)، ومسلم (1767) ، وأحمد (201).

[2] الأحزاب:23 .

[3] البخاري-الفتح (125/9) ، ومسلم (1920-1923).

المنكر ولله عاقبة الأمور}[1] ، ولقوله عز وجل: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير}[2] .

ولاشك أن تضامن الأقطار الإسلامية في عصرها الحاضر تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة واجتماعهم على كلمة سواء بمبادرة من العربية السعودية قد أسس للأرضية الصلبة للحوار والتفاهم فيما بينها من ناحية ، وأوجد الإطار الملائم للتشاور والتنسيق في مختلف القضايا الخارجية من ناحية أخرى . وهذا بحد ذاته مكسب يجب صيانته واستثماره ، ويستوجب الدعاء لأولئك العلماء والقادة الذين وفقوا لوضع اللبنة الأولى لهذا الصرح الإسلامي الكبير الذي نعول عليه الآن أكثر من أي وقت مضى. وقد ساهمت هذه الرابطة مع منظمة المؤتمر الإسلامي في معالجة كثير من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية في حين لا تزال تعترض طموحاتها على صعيد آخر تحديات حساسة وجوهرية لاسيما فيما يتعلق بتحرير المسجد الأقصى من اليهود الغاصبين، واستقلال الدولة الفلسطينية الشقيقة السليبة ، وحماية الأقليات الإسلامية في العالم .وبناء على هذه المعطيات ، واستناداً إلى التجارب السابقة التي مرت بها الأمة نرى أن الواقع الدولي الجديد الذي يقوم على التحالفات والتكتلات يزيدنا يقينا بتعاليم ديننا الحنيف ، حيث يأبى لأهله الخمول والتبعية ، والنظرة الإقليمية الضيقة ، وينبذ بطبيعته الفرقة والتشتت ، ويفرض علينا في الوقت نفسه التركيز في المستقبل على ما يلي:

أولاً -تحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى:وذلك بتفعيل جهود رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وتطوير أجهزتهما للعمل على تجاوز الخلافات الفكرية الجزئية ، والنظرة القطرية الضيقة اللتين تعترضان سبيل تلاحمنا ، ووحدتنا المنشودة ، ولتحقيق أهدافنا العليا .

---

[1] الحج :38 – 41 .

[2] النور:55-57 .

ثانــيا-تحقيق الجندية الإسلامية: وذلك بتعميم نظام التجنيد الإجباري على كافة البلدان الإسلامية ، ومن الأفضل التدرج فيها موازاة مع المراحل الدراسية المختلفة .

ثالثا-تحقيق الاستقلالية الاقتصادية :وذلك بتشجيع احتراف الأفراد ، واشتراكهم في مؤسسات تجارية وصناعية ، وتعاونها في إنشاء المشاريع التنموية التي تحقق لها الاكتفاء الذاتي ، وتعود بالخير على الجميع.

رابعــاً : الاهتمام بالبحث العلمي ، وزيادة نسبة الإنفاق عليه ، وتبادل الخبرات الفنية على مستوى الأقطار الإسلامية ، وحماية مكتسباتنا في هذا المجال.

خامساً-تحقيق عالمية الإسلام:وذلك بانفتاح المسلمين على العالم لرحمته ، وإنقاذه من ظلمات الجاهلية التي يتخبط فيها ، ودعوته إلى الإسلام بالحكمة وبالتي هي أحسن مع مراعاة ظروف المرحلة، ومتطلبات العصر ، والاستفادة من وسائل الإعلام المتاحة في هذا السبيل .

وإن الاســتجابة لهــذه المطالب الملحة سيساهم في إرساء قواعد السلم والأمن في العالم ويحقق لأمتنا ما تتطلع إليه من مجد وسؤدد وما ذلك على الله بعزيز.

المبحث الثاني

فتح بلاد شنقيط (موريتانيا)

وقياماً بواجب تبليغ هذا الدين وإقامة الحجة على العالمين خرجت الجيوش الإسلامية من جزيرة العرب في صدر القرن الأول الهجري ، وتفرقت في الآفاق تبشر بعقيدة التوحيد ، وترابط في الثغور ، وترسي فيها قواعد الإسلام . فأخضعوا لحكمهم مملكتي فارس والروم العظيمتين ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية إفريقية . وامتد ظلهم إلى بلاد السند والهند وتركستان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ولم ينقض القرن حتى عبروا شمال إفريقيا إلى أوروبا ، ودخلوا بلاد الأندلس غرباً[1].

وهكـذا شمل الفتح المغرب ودخل الإسلام إلى موريتانيا وقضى على ما فيها من ملل ونحل كاليهودية والنصرانية والمجوسية[2] . وقد اختلف المؤرخون في القائد الذي فتح موريتانيا وفي تاريخ فتحها ، فبعضهم يرى أن عقبة بن نافع الفهري (ت63هـ)[3] افتتح أجـزاء منها إبان ولايته الأولى على إفريقية ، ووصل إلى وادان وما وراءها من الواحات الجنوبـية[4] . ويعـتقد آخرون أنه لم يدخلها إلا في ولايته الأخيرة حيث اكتسح المنطقة وجـاب البلاد طولاً وعرضا[5] حتى أوقفت زحفه أمواج بحر الظلمات [6] .ويذكر ابن عذاري المراكشي أنه لما وصل بجيوشه إلى شواطئ المحيط الأطلسي اقتحم فرسه في الماء ثم رفع يديه إلى السماء قائلاً: (يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد مدافعاً عن دينك

---

[1] عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام 991/2 .

[2] النحوي: المرجع السابق ، ص/29 .

[3] بعثه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم إلى إفريقية فافتتحها ، وأسس مدينة القيروان . وقد غزا أقواماً من البربر والروم وتولى إمارة الجيش مرتين الأولى من سنة 50هـ إلى سنة 55هـ ، والأخرى من سنة 60هـ إلى وفاته . وقُتل شهيداً سنة 63هـ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، 217/8 ، وابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص/199 .

[4] ابن عبد الحكم : المرجع السابق ، ص/194 ، وأحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص/38 .

[5] ابن خلدون : العبر 608/6 ، والناصري:الاستقصاء 73/1 ، والسيد عبد العزيز سالم:تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص/38 وما بعدها .

[6] بحر الظلمات : هو الاسم القدم للمحيط الأطلسي .

مقاتلاً من كفر بك)[1] . وعندما تم له الفتح رحل إلى القيروان ، وسير معظم جنده إليها على عجل من المغرب الأوسط ، ولم يستبق معه إلا جزء صغيرا من جيشه قصد به تهودة ليفتحها ولكنه اعترضه كسيلة بن لمزم في حشد عظيم من البربر والبيزنطيين .. فتلاحم الجمعان واستشهد عقبة بن نافع وجمع غفير من المسلمين ، وأسر الباقون[2] .ودفن بموضع يعرف بمقام سيدي عقبة في واحة بسكرة في الجزائر[3] سنة 63هـ[4] .

ويقول بعض المتأخرين إن حفيد عقبة حبيب بن أبي عبيدة هو الذي أدخل الإسلام إلى موريتانيا في حملته التأديبية الشهيرة لبربر السوس سنة 116هـ/734م حين تجاوزهم إلى بلاد لمتونة وجدالة ومسوفة[5] ، وانتهى إلى مدينة أودغست[6]. ثم حفر الآبار بين أودغست وبقية الواحات الصحراوية في المغرب الأقصى[7] ، فأحيا القفار وأمّن الطرق مما كان له بالغ الأثر في تشجيع الدعوة الإسلامية ، وتنشيط الحركة التجارية بين هذه الحواضر وبين إفريقيا الغربية[8] .

والظاهر أن عقبة ابن نافع هو الذي يرجع له الفضل في إسلام بلاد شنقيط (موريتانيا) خلال حملته الأخيرة في الصحراء ، وهذا الاحتمال أقوى من غيره ، وأقرب إلى الواقع والحقيقة للأسباب التالية :

---

[1] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، 27/1 ، والسيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق ، ص/39 .

[2] ابن عذاري المراكشي :المرجع السابق 28/1 ، 29 ، وابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص/199 ، وأحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص/41 .

[3] أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ص/41 ، 42 ، وبول مرتي :كُنْتَة الشرقيون ، تعريب محمد محمود ولد ودادي ، ص/13 .

[4] وقيل توفي سنة 64هـ .انظر السيد عبد العزيز سالم:المرجع السابق ، ص/39 .

[5] ابن خلدون:العبر 110/6 ، 111 .

[6] أودغست :عاصمة قديمة للصنهاجيين ، وتقع أطلالها على مسافة 40كم شمال شرقي مدينة تامشكط في الحوض الغربي بموريتانيا .انظر النحوي: بلاد شنقيط ، ص/66 .

[7] البكري:المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، ص/296 وما بعدها ، وحسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص/68 .

[8] حسن أحمد محمود: المرجع السابق ، ص/68 .

1-إجماع المؤرخين على فتح عقبة بن نافع للمغرب الأقصى قبل موسى ابن نصير [1] ، وموريتانيا جزء لا يتجزأ منه أرضاً وشعباً حتى إنه لا يطرأ على قبيلة أمر إلا كان له صدى في القبائل الأخرى إيجاباً أو سلبا .

2-اعتذاره لربه على ضفاف المحيط الأطلسي دليل قاطع على أن أهل الصحراء اعتنقوا الإسلام عن بكرة أبيهم .

3-رجوعه إلى القيروان بجيشه يؤكد أنه حسم قضية الصحراء ، ودان أهلها بالإسلام وهذا ما تقتضيه الحكمة والمنطق الحربي .

أما حملة حفيده المذكورة فهي طبيعية ومألوفة بل وتتكرر كثيراً في قوم لا يزالون قريبي العهد بالإسلام ، منهم من حسن إسلامه ، ومنهم المؤلفة قلوبهم ، ومنهم من هو مرتاب يتحين الفرصة للعصيان والتمرد . فلابد لقوم هذه حالتهم أن يكونوا تحت المراقبة والمتابعة من لدن ولاة الأمر.وهذا ما حصل مع الحفيد إذْ قام بحملته تلك بأمر من عبد الله ابن الحبحاب والي هشام بن عبد الملك على المغرب لقطع دابر الفتنة ، ولإرساء قواعد الإسلام في صحراء الملثمين وقد فعل[2] والله تعالى أعلم .

ومهما يكن فإن هذا الخلاف لا يوجد إلا في بطون الكتب أما الشناقطة أنفسهم فلا يرون فاتحاً لبلادهم سوى عقبة بن نافع الفهري[3] ، ويستأنسون لذلك ببعض القبور المنتشرة في بلادهم، يزعمون أنها لبعض رفاقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ويقولون إنهم عرفوا ذلك عن الأوائل بالتواتر ، وهم وإن كانوا لا يعلمون أسماءهم ولا يميزون أنسابهم بصفة عامة إلا أنهم يقطعون بانتساب بعض القبائل إلى أفراد منهم كقبيلة أولاد تدرارين الصحراوية المنتسبة إلى صحابي أنصاري قدم مع عقبة[4] . ويعتقدون أن

---

[1] موسى بن نصير اللخمي مولاهم :كان حازما ذا رأي وتدبير وخبرة بالحرب ، افتتح بلاد المغرب والأندلس ، وتوفي سنة98هـ . انظر: البداية والنهاية لابن كثير 9/171-174 .

[2] انظر ابن خلدون : العبر 6/110 ، 111 ، وعبد الله حميدة : نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط (رسالة مرقونة) ، ص/12 ، 13 .

[3] انظر : محمد المصطفى بن اطوير الجنة: رحلة المنى والمنة (مخطوط) ، والشيخ محمد المأمون بن الشيخ ماء العينين: الجأش الربيط في مغربية شنقيط (مخطوط).

[4] عباس الجراري : ثقافة الصحراء ، ص/10 عزواً إلى محمد الغربي : الساقية الحمراء ووادي الذهب ، ص/128.

عقبة خلّف ابنه العاقب بولاته وقبره في صحن مسجدها الذي هو بانيه[1] . وليس هذا بمستبعد إذ كان من سنة الأمراء والولاة توزيع الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على مختلف الجبهات تيمناً بدعواتهم ، وتبركاً بوجودهم لاسيما في هذه الجهة الحيوية من العالم. وهذا ما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يأتي على الناس زمان يغزون فيقال: فيكم من صحب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم ، فيفتح عليهم ، ثم يغزون ، فيقال لهم : هل فيكم منْ صحب منْ صحب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم ، فيفتح لهم)رواه البخاري[2] .

وقد ذكر عدد من المؤرخين أن مئات الصحابة والتابعين رضي الله عنهم دخلوا إلى إفريقية وشمالها منذ فتحها[3] على يد عقبة بن نافع . وكان في جيشه خمسة وعشرون صحابياً في ولايته الأولى[4] ، وكثرة منهم في ولاية الثانية[5] . بل روي أن المنيذر الإفريقي من صغار الصحابة دخل الأندلس مع موسى ابن نصير[6] ، ودخلها معه أيضا التابعي المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري ، فكان يخرجه على العساكر[7] . ودخلها كذلك طائفة من التابعين للجهاد والرباط منهم : محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري يروي عن أبي هريرة ، وحنش بن عبد الله الصنعاني يروي عن علي بن أبي طالب ، وفضالة بن عبيد ، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي يروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين .

---

[1] الشيخ سيدي محمد الكنتي : الرسالة الغلاوية (مخطوط).

[2] البخاري-الفتح(3594)من حديث أبي سعيد الخدري.

[3] عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي :معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، زاده وعلق عليه أبو القاسم ابن ناجي التنوخي ، تحقيق إبراهيم شبوح ، 33/1 ، 70 وما بعدها .

[4] ابن عذاري المراكشي:المرجع السابق 23/1 .

[5] عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي ، ص/149 .

[6] المقري : نفح الطيب ، تحقيق د.إحسان عباس ، 5/3 ، 6 .

[7] المرجع السابق 10/3 نقلا عن الحافظ بن بشكوال .

هـــذا فضلا عن موسى بن نصير القائد المذكور حيث يروي عن تميم الداري[1] . وموريتانـــيا فتحـــت قبل الأندلس بعشرات السنين فلابد أن يكون حظها من الصحابة والـــتابعين أكبر . ولعل لأبي بكر بن عمر اللمتوني[2] سنة فيهم حين اصطحب معه بعض القريشـــيين لفتح بلاد التكرور تبركاً بوجودهم معه[3] .فهذه الحقائق تؤيد ما ذهب إليه الشـــناقطة ، وهم أدرى بتاريخهم .وفي سنة 89هـــ/708م تولى موسى بن نصير ولاية المغـــرب ، وانضـــوت تحـــت قيادته قبائل الملثمين واستطاع بمشاركتهم أن يضم جزيرة الأندلس الأوروبية إلى دار الإسلام سنة 92هـــ[4] . وفي عهد الأدارسة بالمغرب الأقصى الذي امتد أكثـــر من قرنين[5] ، ابتداء من حكم أبيهم الإمام إدريس الأكبر[6] بن عبد الله الكامل الحسني سنة172هـــ ، عملوا على ترسيخ الإسلام في النفوس وتوطيد أركانه في الحواضر والبوادي ، فأحبهم أهل الصحراء ونصروهم وأعطوهم ولاءهم .

وعرفـــت المنطقة في زمنهم من الازدهار والرخاء ما لم تعرفه من قبل[7] ، ومن ثم اختلط الســـادة الأشراف بالبربر عامة وبصنهاجة خاصة وصاهروهم ، واتخذوهم شعاراً ودثارا ، وتوطـــنوا فـــيهم . وقد أُرِّخ لقيام ملك هاشمي في غانا بزعامة الشريف صالح بن عبد الله الحسني في القرن الثاني الهجري[8] . ثم تحالفت قبائل صنهاجة الجنوب في القرن التالي على

---

[1] عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي، ص/14 .

[2] أبو بكر بن عمر اللمتوني:كان رجلاً صالحاً ورعاً من أوائل تلاميذ عبد الله بن ياسين ، ومن أخلصهم له . قاد الجهاد ونشر الإسلام وحارب الفتنة . وتوفي سنة 468هـــ ببلاد شنقيط . انظر عصمت عبد اللطيف : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، ص/95 ، وابن أبي زرع: الأنيس المطرب ، ص/128 .

[3] ابن حبت:مذهب المقاصد (مخطوط).

[4] سفارة موريتانيا في تونس: أضواء على موريتانيا ، ص/7 نقلا عن زيني دحلان في كتابه: الفتوحات الإسلامية، ص/31 .

[5] ابن أبي زرع: المرجع السابق ، ص/19-23 ، وابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص/190-194

[6] إدريس بن عبد الله الكامل(المحض) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه: لحق بالمغرب الأقصى سنة 170هـــ على إثر معركة فخ(المعروفة اليوم بالشهداء) بضاحية مكة المكرمة بين آل علي والعباسيين . ونزل على قبيلة أوربة من بربر البرانس فبايعوه ، وتزوج منهم . توفي مسموما بيد أحد رجال هارون الرشيد العباسي سنة177هـــ .انظر ابن أبي زرع: المرجع السابق ، ص/19وما بعدها ، وابن الخطيب : المرجع السابق ص/190 وما بعدها .

[7] حسن أحمد محمود: المرجع السابق ، ص/69 –70 .

[8] ابن خلدون : المقدمة ، ص/91 .

الجهاد وحماية الدين ، واتحدت تحت إمرة تميم بن يلتان اللمتوني[1] ، وتمكنت من إخضاع إمبراطورية غانا الزنجية ، واحتلت أودغست وفرضت الجزية[2] .

ولما حج الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي (ت440هـ)عاد إلى قومه بالفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي[3] الذي صار إماما للمرابطين[4] . وقد أقاموا أول رباط لهم على بعد 60كم إلى الشمال الغربي من نواكشوط في جزيرة (التيدرة)على أصح الأقوال[5]، وانطلقوا منها سنة 431هـ/1039م للدعوة والجهاد[6] .. فبسطوا سلطانهم على جميع بلاد الصحراء والمغرب الأقصى ، وبعض الجزائر وأنقذوا الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ومكنوا لها أربعة قرون أخرى[7] . وقد استشهد شيخهم عبد الله بن ياسين في معارك البرغواطيين سنة 451هـ ، ودفن في بلدة (كريفة) التابعة للرباط في المغرب الأقصى[8] .

---

[1] ابن خلدون :العبر182/6 ، وحسن أحمد محمود :المرجع السابق ، ص/74 .

[2] محمد المختار بن أباه : الشعر والشعراء في موريتانيا ، ص/8 .

[3] عبد الله بن ياسين الجزولي : شيخ المرابطين وإمامهم ، ولد في أحواز أودغست أوائل القرن الخامس ، وتعلم في المغرب الأقصى والأندلس . ثم انتدبه شيخه وجاج بن زلو للتعليم في بلاد الملثمين(موريتانيا).. فأسس بها رباطا، وقاد الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى حتى استشهد سنة 451هـ . انظر إبراهيم الجمل : الإمام عبد الله بن ياسين ، ص/38 ، 42-49 .

[4] المرابطون: علم على مجموعة كبيرة من القبائل ، أشهرها لمتونة وجدالة ومسوفة وجزولة وتراغة ولمطة.. وكان لهم دور بارز في التمكين للإسلام في منطقة المغرب والأندلس ، وفي شمال وغرب إفريقيا عموما . راجع حسن أحمد محمود: المرجع السابق ، ص/39 ، 40 ، وحسن سائح : الحضارة المغربية عبر العصور ، ص/147 .

[5] راجع معهد البحوث :دراسة مسحية لموريتانيا ، ص/13 ، والنحوي:بلاد شنقيط ، ص/65 ،128 . وقد اختلف في تحديد موقع رباطهم على ثلاثة أقوال: فقيل في الموضع المذكور وهو الذي رجحه جمهور الباحثين ، وقيل في جزيرة في منحنى النيجر قرب تنبكتو ، وقيل قرب اندر في السنغال . انظر الشيخ الطيب بن عمر : السلفية وأعلامها في موريتانيا ، ص/140 وما بعدها .

[6] النحوي : بلاد شنقيط ، ص65 ، وقيل إن تاريخ تأسيس رباط عبد الله بن ياسين سنة 451هـ . راجع إبراهيم الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين ، ص/118 .

[7] علي النشار (المقدمة): الإشارة في تدبير الإمارة للإمام الحضرمي ، ص/23 ، وسلامة الهرفي : دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، ص/307 .

[8] ابن أبي زرع : المرجع السابق ، ص/232 ، والقاضي عياض: ترتيب المدارك تحقيق سعيد أحمد إعراب 83/8.

وعندما تنازل الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني لابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين[1] عن حكـــم المرابطين في مراكش سنة 465هـــ ، توجه إلى الممالك الزنجية الوثنية في الجنوب وحاربهم حتى استشهد على أيديهم سنة 468هـــ[2] ، وقبره مشهور في (المقاسم) بمنطقة تكانت في موريتانيا[3] .

ويذكر أنه لما استتب له الأمر في بلاد شنقيط اهتم بتنظيم شؤونها عسكرياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً ، فوزع جنده إلى ثلاث طوائف حسب الحاجة تضم كل منها قبائل معينة ، وذلك كالآتي:

- طائفـــة للتعلـــيم: تدرس العلوم الشرعية ، وتشتغل بالإمامة والقضاء ، والفتيا وتراقب دين المجتمع عامة .
- طائفـــة للجهاد : تسهر على أمن البلد عسكريا ، وتصون وحدته وحدوده ، وتنفذ الأحكام الشرعية الصادرة من العلماء والقضاة .
- طائفة لحفظ المال : ترعى بيت المال ، وتقوم بتنميته ، وتؤمن للجميع مصدر رزقهم ونفقاتهم[4] .

وقـــد توارثت الأجيال هذا التقسيم الوظيفي ، وعززته هجرات عرب المعقل إلى الصحراء في القرن السابع الهجري[5] .وخلعوا عليه ألقاباً خاصة بعدما آلت إليهم السلطة في البلاد ابتداءً من القرن التاسع الهجري ، فكانوا يقتسمون الحكم في إطار خمس إمارات رئيسية هي : إمارة البرابيش ، وإمارة أولاد دليم ، وإمارة أولاد رزك (بكاف معقودة) ، وإمـــارة المغافرة ، وإمارة أولاد عروق[6] . وقد بقيت هذه الإمارات متصارعة منذ نشأتها والغـــارات بيـــنها متواصلة لغاية احتلال فرنسا للبلاد سنة 1321هـــ ، حيث اجتمعت

---

[1] يوسف بن تاشفين اللمتوني : عرف بالدين والدهاء ، وكون جيشا قوياً من جميع القبائل المغربية ، وقاد الجهاد ، وتغلب على الأندلس وجعلها تابعة لمراكش . وتسمى بأمير المسلمين ، ودعا أصحابه بالمرابطين ، وتوفي سنة 500 هـــ على الراجح ، وقيل 493هـــ .انظر الأنيس المطرب لابن أبي زرع ، ص/136 ، 137 .

[2] ابن عذاري : المرجع السابق 26/4 ، وقيل توفي سنة 480هـــ ، انظر ابن خلدون: العبر 184/6 .

[3] الشيخ سيديابابن الشيخ سيدي:تاريخ البيضان (مخطوط) ، وأحمد مختار العبادي: المرجع السابق ، ص/305

[4] أحمد بن حبت: مذهب المقاصد (مخطوط) ، ومحمد يوسف مقلد: موريتانيا الحديثة ، ص/46 .

[5] الشيخ محمد المأمون بن الشيخ ماء العينين : الجأش الربيط في مغربية شنقيط (مخطوط) ، والنحوي: المرجع السابق ص/32 .

[6] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط) .

كلمتهم وتوحدت صفوفهم تحت راية الجهاد في سبيل الله ، وهذا ما أعطينا عنه لمحةً في الفصل الأول فلينظر هناك .

وهكذا استقر الإسلام في موريتانيا منذ عرفته وازداد قوة مع الأيام ، وتأصل في شعبها ، وطبع عاداته وثقافته بطابعه الخاص حتى أن المرء ليحسب أنها لم تعرف ديناً غيره من قبل . من ذلك قولهم (إلّ مَاهُو حَرَامْ شِينَتُهُ قَلِيلَة) أي أن كل أمر لم يكره شرعاً فلا سبّة في فعله أو قوله ، وهذا يدل على مراعاتهم للحدود الشرعية . وكذلك قولهم (شَيْنُ الدِّينْ مَا يَلْحَقْ الصَّلَاة) أي أنه مهما يبلغ الفسق والجهل بالمرء فلا يستطيع بحال أن يترك الصلاة[1] ، لأنها عمود الإسلام وصلة بين العبد وربه وأول حق لله تعالى يسأل عنه يوم القيامة . وتركها كفر بواح لما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)رواه مسلم[2] ، وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) رواه أحمد والنسائي والترمذي[3] . ومن المعلوم أن الصلاة إذا أديت على الوجه الشرعي المطلوب فإنها تحصن صاحبها ، وتحفظه من المخالفات والزلات لقوله تعالى:{وأقمِ الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}[4]. وهم يلجأون عادة إلى هذه الصيغة لتأديب من تنكب الصواب وشذّ عن الجادة ليس في الصلاة فحسب وإنما في أوامر الإسلام جميعها .

ومنه تعبيرهم عن السهو بقولهم إذا نسوا شيئاً (عادلِ كسبْ آخرة) أي صار بالنسبة إليّ ككسب الآخرة ، ذلك أن الله سبحانه إذا أحبّ العبد وفقه للخيرِ، وأبعده عن الشرِّ ، وآية ذلك أن ينسيه ما قدم من عمل صالح ليزداد حرصاً على الإكثار من الحسنات ومجانبة السيئات . بينما العبد المرائي يمنُّ على الله تعالى بإسلامه ، ويستكثر طاعته ، ويعدها عداً ويستقل ذنوبه ويستصغرها ، ويقول : فعلتُ كذا وكذا من صالح الأعمال ، أو يقول: يكفيني ما قدمتُ ، وهو راضٍ عن نفسه ، مرتاح البال ، والضمير كأنه ضمنَ السعادة الأبدية ، وتبوأ من الجنة حيث يشاء !! ولكن هل يدري المسكين أنه قبل منه ؟!

---

[1] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (جزء الثقافة) ، ص/91 .

[2] مسلم(82) .

[3] أحمد (346)، والنسائي (231) ، والترمذي (2621) ، وقال حسن صحيح .

[4] العنكبوت :45 .

وقد حارب الإسلام هذه الخليقة المذمومة وغيرها من الأمراض القلبية في آيات وأحاديث كثيرة منها قوله تعالى : {هو أعلم بكم إذْ أنشأكم من الأرض وإذْ أنتم أجنّةٌ في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى}[1] ، وقال سبحانه : {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون}[2] . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : يارسول الله { الذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة } هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال: (لا ، يابنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، وهو يخاف الله عز وجل) ، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن الكافر جمع إساءة وأمناً [3].

ومن أهم مظاهر الإسلام في ثقافتهم أيضاً تعرب ألسنتهم أجمعين أكتعين ، وإيثارهم للعربية لغة للعلم والتخاطب ، فأصبحت اللهجة الحسانية وسيلة التفاهم الوحيدة بين السكان على اختلاف أعراقهم ،واندثرت اللهجات البربرية التي كانت سائدة في المنطقة كالأزيرية والأمازيغية والتارقية بينما لا تزال حيةً في دول المنطقة كالمغرب والجزائر وتونس . وتعتبر الحسانية أقرب لهجات المغرب العربي إلى اللغة العربية لفصاحتها ، وموافقتها للبنية النحوية في كثير من تراكيبها وأوزانها ، ولعلها من أنقى اللهجات العربية عموماً[4] . وهذا ما جعل كثيراً من إخواننا الأفارقة الوافدين لطلب العلم يتخذها سلّماً إلى فهم العربية ، والتحدث بها كما أخبرني بذلك أحدهم[5] . وفضلاً عن دور الإسلام في التمكين للعربية وإشاعتها بين الناس فقد وجدتْ في البيئة الطبيعية لموريتانيا أرضيةً خصبة تستوعبها ، وتضاريساً بارزة تفك رموزها كتلك التي ولدت فيها وتعللتْ بنسماتها وتفتقت عبقريتها بين صحرائها ، وأنجادها في شبه الجزيرة العربية مما أدى إلى الانسجام التام بين الإنسان والأرض والثقافة في بلاد شنقيط منذ أول يوم .

---

[1] النجم :32 .

[2] المؤمنون:61 .

[3] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، 258/3 .

[4] معهد البحوث :المرجع السابق ، ص/472 ، والنحوي :المرجع السابق ، ص/41 .

[5] أفادني بذلك الأستاذ/علي سيسي من غينيا في نواكشوط سنة1407هـ ، وأخبرني أنه جرب ذلك بنفسه وقال: ما عرفتُ العربية إلا عن طريق الحسانية ، ولا أرى فارقاً كبيراً بينهما .

الفصل الرابع

أصول الشناقطة وطبقاتهم

المبحث الأول : أنساب الشناقطة إجمالاً

يتألف الشعب الشنقيطي من أعراق مختلفة تجمعها آخية الإسلام ، وتشدها وشائج المحبة والقربى . وتنميها أواصر الصداقة ، وحسن الجوار . وقد تفاعلت عناصرها عبر العصور، وكان في تنوعها مصدر قوة وإثراء للبلد ، ونموذجاً للمجتمع الإسلامي في تعدده وتضامنه .

ويمكن إجمال هذه السلالات في قسمين أساسيين هما :

أ-**البيضان** : ويمثلون أربعة أخماس السكان تقريباً[1] ، وينحدر معظمهم من أصول قريشية عدنانية ، وحميرية قحطانية. فأما قريش فتوجد منها قبائل من السادة الأشراف والهاشميين يرتفع نسبهم إلى السبطين الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية من آل علي كرم الله وجهه ، ومعقل من آل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم ومنهم من ينتسب إلى محمد بن أبي بكر الصديق وعقبة بن نافع رضي الله عنهم .

وأما حمير فمنها قبائل أنصارية من الأوس والخزرج[2] وإليها ينتسب أيضا الملثمون الذين يعرفون بصنهاجة الرمال[3] أو صنهاجة الجنوب

---

[1] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط) .

[2] للتوسع في هذا الموضوع راجع الشيخ سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم : صحيحة النقل في علوية ادوعل وبكرية محمد قل(مخطوط) ، والروض في أنساب أهل الحوض المنسوب له أيضاً ، وصالح بن عبد الوهاب الناصري: الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية ، تحقيق أحمد بن محفوظ(رسالة مرقونة) ، ص/4 وما بعدها ، وأحمد ابن حبت : مذهب المقاصد في التاريخ (مخطوط) والشيخ سيديبابن الشيخ سيدي : تاريخ البيضان (مخطوط) والشيخ سيدي محمد الكنتي : الرسالة القلاوية(مخطوط) والشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان : رسالة الأنساب(مخطوط) ، وأحمد بن الأمين: الوسيط ، ص/478 ، والدليشي: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص/30 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/38 ، 285 .

[3] لقبت صنهاجة بالملثمين لاتخاذهم اللثام شعاراً يميزهم عن غيرهم ، وهي تنتمي إلى قبيلة البرانس الكبرى المنتشرة في المغرب العربي ، ولها فرعان رئيسان هما : صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى والأوسط ، وصنهاجة الجنوب في موريتانيا جنوبي المغرب الأقصى . راجع ابن الأثير: الكامل في التاريخ 76/8 ، وحسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص/50 ، و أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص/15 ، 16 .

بفـئاتها الثلاثة لمتونة وجدالةُ ومسوفةُ[1] .وهم الذين قال فيهم أبو محمد بن حامد الكاتب :

قوم لهم شرف العلا من حمير وإن انتموا صنهاجة فهم هـم

لما حووا إحراز كل فضيلـة غلب الحياء عليهم فتلثمـوا[2]

وأمـا بقية البيضان فأخلاط شتى[3] وقد اندمج بعضها في حسان وانصهر أكثرها في صـنهاجة وحملوا اسم القبيلة(الحليفة) أو (المضيفة)التي تعصبوا معها طبقاً لما يقضي به العـرف المتبع في ذلك . وأصبح من الصعوبة بمكان اليوم التمييز بين تلك القبائل بسبب المصـاهرة وتقـادم الأيـام ، في حين حافظت أمهات القبائل على أصولها ، وتمسكت بمشجرات لأنسابها[4] يتركها الآباء لأبنائهم ويرثها الخلف عن السلف ، وهي معتمدة عند علماء البلد ونسابتهم.

وقد خطّأ ابن خلدون منْ نسب عرب المعقل المستوطنين بالمغرب الأقصى إلى بني هـلال أو إلى آل البيت رضي الله عنهم بحجة أن الطالبيين لم يكونوا أهل بادية ونجعة ، وصـحّح نسبهم إلى بطن مذحج من القحطانية[5] . وفي قوله هذا نظر إلا إذا كان يعني حـالهم في الجاهلـية ، أما بعد الإسلام فلا لاسيما بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث ظهرت الفرق أيام الأمويين والعباسيين ، وكثرت الفتن ونُوزع أهل الأمر أمرهم ، وخرج الناس عن المألوف ، وهجروا أوطانهم.

---

[1] كانت تتوزع هذه القبائل في بلاد شنقيط كالتالي : لمتونة في الوسط ، ومسوفةُ في الشرق ، وجدالةُ في الغرب على شواطئ المحيط الأطلسي . انظر عبد الله عنان (مقال) : مجلة العربي الكويتية ، العدد (25) ، ص/24 وما بعدها.

[2] انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 76/8 .

[3] هذه الأخلاط مزيج من العرب والبربر والقبط والبافور .راجع أحمد بن حبت : المرجع السابق ، وأحمد ابن الأمين: المرجع السابق ، ص/475وما بعدها ، والدليشي:المرجع السابق ، ص/23 . والنحوي: المرجع السابق ، ص/28 ، ومركز التكوين والإعلام بنواكشوط :مجلة موريتانيا أرض الرجال ، ص/4 .

[4] انظر أحمد بن حبت : المرجع السابق ، محمد يوسف مقلد : شعراء موريتانيا ، ص/101 ، والدليشي: المرجع السابق ، ص/23 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/38 ، 39 ، وحمداتي شبيهنا ماء العينين : المرجع السابق ، ص/1.12-114 .

[5] ابن خلدون: العبر 121/6 ، ورضا كحالة: معجم قبائل العرب 1123/3 .

وقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مثل هذه الظروف: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن)رواه البخاري[1] ، وورد ذكر هذه الفتن صريحاً في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حيث قال : (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . فقلت يا رسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن . قلت: وما دخنه ؟ قال : قومٌ يهدون بغير هديي تعرفُ منهم وتنكر. قلت :فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جنهم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا فقال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفِرق كلها ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)متفق عليه[2].وهذا الحديث والذي قبله يشملان كل من خاف الفتنة سواء أكان من آل البيت رضي الله عنهم أو من غيرهم . إذ الواجب على المؤمن في حال وقوع الشقاق بين المسلمين-أعزهم الله وجمع كلمتهم على الحق- أن يسعى لإصلاح ذات بينهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإذا حاول مرات وعجز ، واتسع الخرق على الراقع، وبلغ السيل الزبى ، وكان لابد للفتنة أن تشمله فيجب عليه حينئذ أن يعتزلها وينجو بنفسه ويسيح في أرض الله الواسعة حتى تخمد الفتنة وتهدأ الأوضاع . هذا طبعاً في حالة التباس الأمر عليه ، وأما إذا علم أن الحق مع طائفة معينة دون أخرى فيجب عليه حينئذ أن ينصرها ويقف إلى جانبها حتى يعود الحق إلى نصابه لقوله سبحانه وتعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}[3] ، ولما روى أنس بن مالك رضي الله

---

[1] البخاري-الفتح (7088) .

[2] البخاري-الفتح (7084) ، ومسلم (1847) .

[3] الحجرات:9-10 .

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قالوا: يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال: (تأخذْ فوق يديه)متفق عليه[1] ، أي تكفه عن الظلم بالفعل والقول . وقد يكون المرء طرفاً في النزاع ، ويكون في جواره لقومه سبب لإثارة الفتنة فتلجئه المصلحة إلى ارتكاب أخف الضررين ، ويُغادر عشيرته وربما وطنه كله تجنباً لتفاقم الأوضاع ، وتفرق الكلمة عملاً بقول الحكيم : (بعد يورث الصفاء خير من قربٍ يورث الجفاء). فهذا هو الذي تدل عليه نصوص الشرع العامة في مثل هذه الظروف ، ومن المؤكد أن آل البيت رضي الله عنهم كانوا في قلب تلك الأحداث ، بل كانوا قطب رحاها وقد اضطروا مكرهين إلى خوض حروب لم يريدوها ولم يتسببوا في إشعال فتيلها ، بل كان منهم رضي الله عنهم من تنازل عن حقه صيانة لدماء المسلمين كسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما حين ترك إمارته لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. مع أنه كان في مركز قوة ، ومنعة وقد بايعه المسلمون خليفة شرعيا لهم بعد مقتل أبيه .وفي ذلك يقول أبو موسى: سمعت الحسن يقول: (استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها) ..فطالبه معاوية بالصلح فصالحه . فقال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : (إن إبني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)رواه البخاري[2]. أما ما وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما فأهل السنة والجماعة لا يجيزون الخوض فيه ، وغاية ما يقولون عنهم : إن علياً اجتهد وأصاب فله أجران ومعاوية اجتهد وأخطأ فله أجر[3].

وقد اصطلى الجعفريون أيضاً بنار هذه الفتن ، واضطروا إلى سكنى البادية مع أنصارهم وأحلافهم[4] وهذا الذي يدل عليه سياق التاريخ . فقد ذكر المؤرخون أن أحياءً من بني جعفر رضي الله عنه وعلى رأسهم أميرهم جعفر بن إبراهيم الأعرابي هاجروا من

---

[1] البخاري-الفتح (2443)واللفظ له ، ومسلم (2584) .

[2] البخاري-الفتح (2704) ، (7109) .

[3] انظر كتاب العواصم من القواصم لابن العربي .

[4] ابن خلدون : العبر 5/6-59 ، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا (مخطوط) .

الحجاز إلى صعيد مصر ، واتحد معهم بطنان من عرب اليمن يلقب كل منهما بمعقل ، ثم اندمجوا في الهلاليين وانتقلوا معهم إلى المغرب[1] . فتحصل من هذا أن المعقل ثلاثة بطون أحدها حجازي والآخران يمنيان وهم معقل جعفري وهو محل الشاهد ، ومُعقّل قضاعي من آل عليم بن جناب ، ومعقل كهلاني من آل معقل بن كعب بن ربيعة[2] . وقد حقق نسب معقل الجعفري من علماء البلاد محمد اليدالي الديماني(ت1166هـ)، ومحمد والد ابـن المصطفى الديماني (ت1212هـ)[3]وغيرهما . وقد اعترض ابن خلدون على عروبة صـنهاجة كذلـك ، ونسبهم إلى البربر مثل ابن حزم[4] ولكن جمهوراً كبيراً من النسابة والمؤرخين نسبهم إلى حمير وهم : ابن سلام ، وابن الكلبي ، والزبير بن بكار ، والطبري ، والهمـداني ، والجرجاني ، والسمعاني ، وابن الأثير ، والسلطان الأشرف عمر بن يوسف ابـن رسـول ، وابن خلكان ، وابن جزي الكلبي ، وابن الخطيب ، والفيروز آبادي ، واليعقوبي، والرشاطي ، وعبد الغني الإشبيلي ، وعبد الحق المالكي[5] ، والإدريسي[6] .

وأمـا نسـبتهم إلى البربر فإنها تثبت عروبتهم ولا تطعن فيها عند بعض النسابة والمؤرخين أيضاً كالمسعودي والطبري وغيرهما ، إذْ يرون أن الخلاف ليس في عروبة البربر لأنهـا مقطوع بها ، ولكن في القبيلة العربية التي ينحدرون منها . وبينوا أن نسبهم متردد بين غسان ولخم وجذام وكنعان والعماليق. وقيل إنهم من ولد بربر بن قيس عيلان العربي خاصة[7] والله تعالى أعلم .

---

[1] المختار بن حامد : المرجع السابق ، وحمداتي شبيهنا ماء العينين : المرجع السابق، ص/112 وما بعدها.

[2] راجع الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين :المرجع السابق (مخطوط) ، وصالح بن عبد الوهاب الناصري : المرجع السابق ، ص/4 .

[3] محمد بن أحمد يوره : إخبار الأحبار بأخبار الآبار ، ص/19 .

[4] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط) .

[5] عبد العزيز بن عبد الله : معلمة المدن والقبائل .

[6] الإدريسي :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص/223 .

[7] محمد يوسف مقلد: المرجع السابق ، ص/101-103 ، ومحمد المختار بن أباه الشعر والشعراء في موريتانيا ، ص/6 .

ب-الـــزنوج : ويمثلون خمس السكان تقريباً ، ولهم ثلاثة فروع هي : التكارير والسراقول ، والولوف، ولكل واحد منهم لغة خاصة به[1] . وأما الفلاّن وإن كان لسانهم أعجمي إلا أن المختصين في تأريخهم ينسبونهم إلى العرب ، وهم يتميزون عن بقية الزنوج ببشرة فاتحة تميل إلى السمرة[2] .

وقـــد رأيـــت من الكتاب المعاصرين من طعن في نسب بعض العرب القاطنين في إفريقـــيا لســـمرتهم ولكنة ألسنتهم . ولعله لم يطلع على قول الكندي : (إن البيضان إذا تناســـلوا في بلد السودان سبعة أبطن عادوا في سحنتهم ، وسوادهم . وإذا توالد السودان في بلـــد البيضـــان ســـبعة أبطن عادوا في صورتهم وخلقهم من البياض والنقاء)[3]. ومن المعـــروف أن للبيئة تأثير كبير في تحديد ملامح صاحبها وشكله وسحنته إضافة إلى عامل الوراثة الأساسي .ولا شك أن اللـــون واللســـان لا يثبتـــان نسباً ولا ينفيانه ، وإن كان يستأنس بهما أحياناً .. فمثلا قد شاع عند البيضان الشناقطة التسري والتزويج بالموالي منذ القدم كسائر الأمم ، حتى لا تكاد تجد قبيلةً منهم إلا وفيها بيتٌ أو عائلةٌ لها خؤولة فيهم. فكـــان منهم من غلبت عليه صبغة الأخوال ، وربما تبلبلت ألسنة بعضهم ، وخاصة من كانت أمه من السودان ، ويكثر هذا في المغتربين في السنغال وغانبيا ومالي وبركينا فاسوا وســـاحل العـــاج والنـــيجر وغيره . وهم مع ذلك يحتفظون بأنسابهم العربية الأصيلة ، ويتشـــبثون بأخلاقهم الإسلامية الحميدة ، وهذا غاية ما يراد منهم شرعاً ، وممن هو على شـــاكلتهم ،فـــلم يـــبق للمنصف الصادق والحال هذه ، إلا أن يعمل بقوله عز وجل: {ادعوهـــم لآبـــائهم هـــو أقســـط عـــند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم}[4] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد تعددت الزيجات بين العجم أبيضهم وأســـودهم ، وأحمرهم وأصفرهم كما هو مشاهد في بعض البلدان ، فتنازعت الأعراق

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق، ص/475وما بعدها ، والدليشي: المرجع السابق، ص/26،23.

[2] الشيخ موسى كمر : تمييز الأشراف من الأطراف (مخطوط) ، والنحوي ، المرجع السابق ، ص/263 ، وعبد العزيز سي :القاضي أبو بكر سي بن الإمام إبراهيم سي (رسالة مرقونة) ، ص/40 .وعبد الله بن محمد الفودي: ضياء التأويل ، ص/4-6 .

[3] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص/101 .

[4] الأحزاب :5 .

الأبناء وخالفت ألوانهم ألوان آبائهم، وباينت لغات الأحفاد لهجات الأجداد وهكذا .. فإذا تقرر عندك هذا تيقنت أن الذي يعول عليه في تحقيق الأنساب إذاً هو قول أهل الاختصاص فيها من أمناء النسابة ، ومحققي المؤرخين . وهو مطلب شرعي يجب الاهتمام به وإعلاء شأنه وحفظ الأنساب من الضروريات الخمسة التي اتفقت الشرائع السماوية على وجوب حفظها وصيانتها وهي : الدين والنفس والنسب والعقل والمال[1] ، فحُفظَ الدين بالجهاد ، وحفظ النفس بتحريم القتل بغير الحق ، وحفظ النسب بتشريع النكاح وتحريم السفاح ، وحفظ العقل بتحريم الخمر وغيره من المسكرات والمخدرات ، وحفظ المال بتحريم السرقة، هذا فضلاً عن تحريم الحرابة ، وإقامة الحدود المقررة شرعاً وغيرها من التعزيرات .

وقد زلّ من تجاهل فنّ الأنساب وقال : علم لا ينفع وجهالة لا تضر بل هو علم جليل متعبد به لله تعالى به يتعارف الناس ، ويصلون أرحامهم ، ويصححون أنكحتهم وبه يؤدون الحقوق إلى ذويها ، ويوزعون الفرائض على مستحقيها .منه ما هو فرض عين لا يسع المرء جهله كالذي أجملنا آنفاً ، وهو على درجات آكده معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يلتبس على غيره فيفضي ذلك إلى الكفر وتمييز نسب آله رضي الله عنهم[2] الذين فرضتْ محبتهم ولزم توقيرهم وموالاتهم ، وتعين حقهم في الخمس وحرمت عليهم الصدقة[3] . ومنه أن يعلم أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر

---

[1] بجيد بن الشيخ يربان (مقال) : شجرة العائلة ،جريدة الوطن السعودية العدد(119) ، سنة 1421هـ ، ص/20.

[2] لقد اهتم ولاة المسلمين بهذا الواجب عبر التاريخ لاسيما نسب النبي صلى الله عليه وسلم لخطورته ولما يترتب على حفظه من حقوق . فكانوا يتعاونون مع السادة الأشراف لإقامة نقابات تصون نسبهم من الأدعياء وتدافع عن حقوقهم المعروفة من الدين بالضرورة ، ولا تزال بعض هذه النقابات موجودة إلى الآن في مصر والمغرب وإيران .

[3] نعم ، حرمت عليهم الصدقة لما روى عبد الله بن الحارث الهاشمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس ، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)رواه مسلم (1072) ، وآل محمد بنو هاشم وبنو عبد المطلب عند الإمام الشافعي ، وقال الجمهور هم بنو هاشم فقط . وأما إذا حرموا حقهم وهو سهم ذوي القربى فقال بعض آل البيت وجماعة يحل لأغنيائهم أن يزكوا على فقرائهم فقط . وذهب الجمهور إلى أنها تدفع لهم من سائر الأغنياء مطلقا من غير تمييز لحفظهم من ذل السؤال ، ولقلة الغنى فيهم لماروواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) رواه مسلم (1055) أي كفافاً . وفي قول للشافعية أنها لا تدفع لمواليهم لما روى أبو رافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه =

ابـــن كنانة ،وكذا معرفة نسب الأنصار للوصية بهم خيراً . وأما فرض الكفاية فمنه معرفة أسمــــاء أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ لحرمة نكاحهنّ وضبط أسماء أكابر الصحابة من المهاجـــرين والأنصــــار رضي الله عنهم لوجوب محبتهم والترضي عنهم أجمعين إلى غير ذلــك[1] .فتـــبين من هذا أن علم الأنساب تنفع معرفته ويضر جهله في الدنيا والآخرة ، ولولا ضيق المقام لأسهبنا استدلالا وتفصيلاً وفيما ذُكر كفاية لأولي الألباب .

=وسلم قال: (مولى القوم من أنفسهم ، وإنا لا تحل لنا الصدقة)رواه أبو داود (1650) ، والظاهر من المذاهب أنها تدفـــع لهـــم لانتفاء النسب الشريف عنهم والحديث محمول على التنـــزيه تبعاً لسادتهم الأشراف .انظر النهاية في غريـــب الحديـــث والأثـــر للإمام المبارك بن محمد الجزري الشهير بن الأثير تحقيق محمود محمد الطناحي 228/5 والتاج الجامع للأصول للشيخ منصور علي ناصف 33/2-34 .

[1] للتوسع في هذا الموضوع راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص/ 2-3 .

المبحث الثاني

النظام الاجتماعي عند الشناقطة

يعتـــبر النظام القبلي التقليدي هو الطابع العام في بلاد شنقيط ، ويقوم أساساً على وحدة الدم ووحدة الجماعة . وتجسده مظاهر الانتجاع في أطراف الصحراء والدفاع عن حـــوزة القبيلة ومصالحها[1] . وقد انبثقت عن التوزيع الوظيفي المرابطي السابق قيام بنية اجتماعـــية بـــدأت تتشكل معالمها مع دخول عرب المعقل إلى الصحراء . واستقرت على ثلاث مراتب انتظم فيها البيضان والزنوج معاً[2] وتحاشياً للتكرار نكتفي بالتمثيل بالبنية الاجتماعية عند البيضان وذلك كالآتي :

أولاً–الزوايا أو الطلبة[3]:وتطلق محلياً على القبائل المشتغلة بالعلم وأمور الدين ، وهـــي المسؤولة عن إعداد الأئمة والفقهاء والقضاة . وتتولى إقامة الشعائر الدينية ، وتهتم بإدارة الشؤون الاقتصادية ، وتشارك في القضايا السياسية[4] .

وقـــــد جمـــع بعضهم بين العلم وحمل السلاح[5] . ويشتهرون بالتقوى والورع والعفة والصبر والحلم والأناة[6] .

---

[1] معهد البحوث : دراسة مسحية لموريتانيا ، ص/479-480 ، والشيخ الطيب بن عمر : السلفية وأعلامها في موريتانيا ، ص/78 .

[2] أحمد بن الأمين: المرجع السابق ، ص/475وما بعدها ، والدليشي:المرجع السابق ، ص/26 ، 27 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/37 . وقد ذكر الأستاذ محمد محمود بن ودادي أن هذا التقسيم يشمل شعوب المنطقة كلها في موريتانيا والساقية الحمراء وجنوب المغرب ، وجنوب الجزائر ، وشمال مالي والنيجر ، وفي الطوارق، والقبائل الزنجية على اختلافها . انظر تعريبه لكتاب كنتةْ الشرقيون لبول مارتي ، ص/26 ، 27 .

[3] قال الشيخ سيدي باب: إنهم سموا بالزوايا لملازمتهم للزوايا ، جمع زاوية وهي مكان لتدريس العلم والعبادة . كما يلقبون بالطلبة لطبهم للعلم واشتغالهم به . انظر كتابه تاريخ البيضان (مخطوط).

[4] معهد البحوث : دراسة مسحية لموريتانيا ، ص/473 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/36 ، والدليشي: المرجع السابق ، ص/27 .

[5] النحوي : المرجع السابق ، ص/34 ، 40 ، ومحنضبابابن المختار :مدخل إلى تاريخ الطرق الصوفية في موريتانيا (رسالة مرقونة) ، ص/13 .

[6] أحمد بن الأمين: المرجع السابق ، ص/478 ، و الدليشي: المرجع السابق ، ص/28 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/35 .

ثانيا–حسان : وهم المهتمون بالأمور العسكرية وكانت لهم إمارات مستقلة ، وعاصمة الإمارة عبارة عن معسكر متنقل يسمى (المحلة) . وعرف عنهم خبرتهم بممارسة الحروب ، واحتكامهم إلى منطق القوة دائماً ، وكان ديدنهم شنُّ الغارات من وقت لآخر على بعضهم البعض وعلى القبائل الأخرى .وعندما تضعف سلطة الإمارة يتولى رعاياها إدارة شؤونهم بأنفسهم ولو إلى حين[1] . وكان منهم من تابوا إلى الله مما فرط منهم ، وفارقوا جماعتهم ، ولحقوا بالزوايا ولازموا العلم والعبادة ، فلقبوا بالتياب أو المهاجرين[2].

ثالثا–اللحمة : وهم قبائل تابعة معروفة [3].

ومن عادة المجتمع الشنقيطي في النكاح أن يتم التزاوج داخل كل طبقة بين أفرادها مراعاة للكفاءة عند الجمهور ، وربما يتزوج الزاوي بالحسانية تعززاً كما يتزوج الحساني بالزاوية تبركاً .

وهم عامة يؤثرون الكفاءة في النسب على الكفاءة الدينية والمالية [4]كسائر العرب[5]. ويعتبرون إهمالها وصمة عار تحط من قدر صاحبها معنوياً واجتماعياً ويعير بها

---

[1] معهد البحوث : المرجع السابق ، ص/446 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/32 وما بعدها ، وبول مارتي: المرجع السابق ، ص/25 .

[2] الشيخ سيدي محمد الكنتي : الرسالة القلاوية (مخطوط) ، وصالح بن عبد الوهاب الناصري: الحسوة البيسانية، ص/18 .

[3] راجع أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/476 ، والدليشي : المرجع السابق ، ص/27 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/37 .

[4] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (جزء الثقافة) ، ص/187 .

[5] لم يأت اشتراط الكفاءة في النكاح من فراغ بل إنها شرعتْ وأقرّت على إثرِ تجارب وتراكمات منذ فجر الإسلام .والإسلام دين العدالة والحكمة ، فهو يريد دوام العشرة بين الزوجين مع المودة والألفة بينهما ، وبين عائلتيهما أيضاً ، واعتبر (أبغض الحلال إلى الله الطلاق)الحديث . ولتحقيق هذا المطلب راعى تماثل الزوجين في الخصائص الاجتماعية كالنسب والحسب ، وتوافقهما في الطبائع الخلقية كالتدين والاستقامة. والعرب تأنف من نكاح الموالي والأعاجم عادة وطبعاً ، ويرونه نقصاً ومعرةً ، وأما غير العرب فالتكافؤ عندهم بإسلام الآباء حيث صار الدين بعد إسلامهم مناط شرفهم وفخرهم ، كما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه :

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا انتسبوا لقيس أو تميم

وأما المساواة التي وردت في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى)فالمراد بها التساوي في الحقوق والواجبات والمسؤوليات العامة لا في الأمور الخاصة–

ذووه مدى الدهر . وقد حدث بعض ذلك في زمن الشيخ محمد العاقب ابن مايأبى الجكني فأنشأ ناصحاً :

لقد شاع في ذي الناس مذ عدم النشب ... مصاهرة أودى بها الأصـل والنسب

إذا قـلّ مـال المـرء أهـدى نساءه ... لذي ثـروة جرّاء نفـع بما اكتسب

فمن عجـب الدنيا زفـاف شريفـة ... لأرذل لا عـلم لديـه ولا حسـب

ألا إن كسب المال بالسعي ممكـن ... و ما كرم الأصـل القديم بمكتسـب

وهكـذا سادت هذه الوضعية بلاد شنقيط ، وأطّرت للحياة فيها أكثر من سبعة قرون خلتْ ، استقلّ فيها (الزوايا)بالقيادة العلمية والدينية ، وإدارة الشؤون الاقتصادية . واستقل(حسان) بالقيادة العسكرية واشتركا معاً في السيطرة السياسية .وكانوا يعبرون عن هذه القيادة الثنائية بقولهم الدارج: (العيش اللاّ تحت الركاب واللاّ تحت الكتاب)، أي أن الحياة الكريمة لا تكون إلا بالسيف أو بالعلم[1]، أو بهما معاً .

والواقـع أن هذه التشكيلة بدأت تتلاشى تدريجياً مع احتلال فرنسا للبلاد[2] ، ثم اختفت نهائياً غداة الاستقلال بسبب الوضع الدولي الجديد الذي يتطلب توحيد السلطة ، وتضافر الجهود للنهوض بالأمة من كبوتها ، وجمعها بعد شتاتها . ولعلها خطوة جادة نحو الوحدة الإسلامية الكبرى التي يتطلع إليها المسلمون في كل مكان بفارغ الصبر .

=والاعتبارات الشخصية التي ترجع إلى عادات الناس وأعرافهم والتي لا تناقض مبادئ الدين الحنيف . فإذا لم تشترط الكفاءة ضعفت روابط المصاهرة ، و لم تحقق الزوجية المصالح المرجوة منها ، بل ربما أتت بنتائج سلبية على الطرفين.ولهذا قال عمر الفاروق رضي الله عنه : (لأمنعن تزوج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء) رواه الدارقطني في سننه (298) . والمدار في الكفاءة على الدين والنسب والصناعة جميعاً كما هو مقرر في محله من كتب الفقه .

راجع إن شئت الشيخ منصور بن يونس البهوتي : شرح منتهى الإرادات تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي 152/5 ، 153، وزكي الدين شعبان : الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، ص/238-253 .

[1] النحوي : المرجع السابق ، ص/36 ، والشيخ الطيب : المرجع السابق ، ص/81 .

[2] وزارة الإعلام بنواكشوط :المرجع السابق ، ص/9 .77

الفصل الخامس

التعليم في بلاد شنقيط

المبحث الأول : التعليم المحضري

كـــان التعلــيم (المحضري)هو النظام التربوي الوحيد السائد في بلاد شنقيط منذ دخـــلها الإسلام إلى سنة 1323هــ /1905م ، حيث ظهر ما يسمى بالتعليم العصري أو (المدارس النظامية) مع احتلال فرنسا للبلاد .

والمحضرة بالضاد المعجمة أو بالظاء المشالة هي : مؤسسة تربوية إسلامية حرة تقدم تعلــيماً جامعياً عالياً ، وربما اشتهر بعضها بفن خاصٍ[1] . ويعتبر رباط عبد الله بن ياسين الجزولي من أقدم المحاضر التي أسست لمثل هذا التعليم ، وعملت على تعميمه وازدهاره ، ولعلها لم تشتهر بهذا الاسم إلا في القرن السادس الهجري[2] . وتعتبر الدراسة في المحضرة ســـرمدية ليلاً ونهاراً وطيلة أيام السنة لا يحدها نظام زمني ، ولا تنهيها مناهج محددة كما هو الحال في النظام التربوي الحديث .

يقول العلامة المختار بن بونا الشنقيطي (ت1220هــ) مفتخراً بالتعليم المحضري في بلاده:

ونحن ركب من الأشراف منتظم   أجلُّ ذا العصر قدراً دون أدنانا

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسةً   بهـــا نبينُ دين الله تبيـــانـــا

ذلك لأن شرط العلم الاستقرار والتحضر ، ولكن الشناقطة خرجوا عن المألوف ، وتمكنوا بفضل الله تعالى من تحقيق نهضة علمية رائدة في حلهم وترحالهم تجاوزت شهرتها العالم الإسلامية كله. وقد أوصى الإمام ناصر الدين الشنقيطي(ت1085هــ)قومه بالتعلم ولــو كانوا في ساحات الوغى ، فقال : (من ركب منكم فرسه فليجعل لوحه بينه وبين سرجه فإن الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الآخرة)[3].وهكذا كانت عادة القوم مع العلم لا فرق عندهم في تحصيله بين حالة الحرب وحالة السلم فلهذا بلغوا ما بلغوا !!

---

[1] محمد المختار بن أباه :الشعر والشعراء في موريتانيا ، ص/23 ،24 ، والنحوي:بلاد شنقيط ، ص/53 وما بعدها.

[2] معهد البحوث:دراسة مسحية لموريتانيا ، ص/471 ، ومحمد الصوفي:المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة)، ص/34

[3] محمد اليدالي : مناقب الإمام ناصر الدين(مخطوط) ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/104 .

يقول الأستاذ محمد عبدالله بن الحسين عن دور المحضرة العلمي ، ومآثرها الخالدة :

فكم أسعفت للفكر عند هبوطه — وكم أثبتت أنا طلائع نهضة
وكم حفظت لنا كتاباً وسنة — وكم بينت لنا متون الشريعة
وكم سهلت حكماً شديداً برخصة — وكم يصبح الترخيص عين عزيمة
وكم قومت ركناً مهيضاً لسنة — وكم قوضت قصراً مشيداً لبدعة
وكم أحكمت بناء قاض وصيرف — ومن فارس يقضي بأول وكزة
ومن شاعر قح بليغ كأنما — تساقط نظم الدر منه بنبرة

- **مساكن التلاميذ :**

تختلف مساكنهم حسب مكان المحضرة ، فالخيمة أو الخباء أصلح للبادية ، وهي منسوجة من القطن أو الشعر ، والأعرشة للقرويين منهم ويبنونها من جذوع الشجر والثمام ، بينما يسكن أهل الحضر في الدور المعروفة[1].

- **أدوات التعليم :**

أ-اللوح : يقطعونه من جذوع الشجر ومن الأخشاب ، وهو مستطيل الشكل ، مقوس الرأس غالباً، وله وجهان يتسع كل منهما لدرسين .

ب-المحبرة: يتخذونها من الحجارة ، وتكون بيضوية الشكل أو مفلطحة منقورة في وسطها لحفظ الحبر.

ج- الحبر : يصنع محلياً بألوانه المختلفة من النبات والمعادن ، والأسود منه أكثر استخداماً من غيره. وكثيراً ما يحضرونه من مزيج بين الماء والصمغ والفحم.

د-القلم : يتخذ عادة من الحلفاء والثمام ، يقومون ببري رأسه حتى يصير دقيقاً ثم يشقونه من النصف شقاً خفيفاً .

أما الورق فكان نادراً ، ولا يستخدمونه إلا في التأليف وكتابة الرسائل [2].

---

[1] انظر الصوفي : المرجع السابق ، ص/ 177 .

[2] راجع النحوي : المرجع السابق ، ص/149 .

● **المـــراحل الدراســـية في المحضـــرة** :تنقسم المرحلة التعليمية في المحضرة إلى ثلاثة مستويات رئيسية عرفاً[1] ينتهي كل منها عادة بإعطاء أسانيد وإجازات في الفنون المدروسة وذلك كالآتي :

أ-المســـتوى الابـــتدائي:ويلقب صاحبه بالمبتدئ لأنه يشتغل بالتهجي ، ثم بحفظ القـــرآن الكـــريم وتجويده ، ودراسة مبادئ الدين واللغة ، ويؤدب فيه التلميذ بالترغيب والترهيب وبالضرب أحياناً ويكمل هذه المرحلة غالباً في حيه بين ذويه وعشيرته . وتتولى النساء عادة التدريس في هذه المرحلة .

ب-المستوى الثاني:ويدعى صاحبه (ولد الزوايا)أو (الفتى) ، وهو الذي صارت له مشاركة متميزة في العلوم المقررة ولكنه لم يبلغ درجة التعمق والاستيعاب الكلي . وقد جـــرت العادة أن تكون هذه المرحلة بداية لاغتراب الطالب لتحصيل العلم والتفرغ له[2] ويقتصر التأديب فيها وفيما بعدها على التوجيه والنصيحة برفق وحكمة .

ج-المســـتوى الجـــامعي: ويعرف صاحبه بالمنتهي أو العالم[3] ، وهو الذي أكمل المـــتون المحضـــرية، واطلع على المراجع المعتمدة فيها وأخذ منها بحظ وافر حفظاً وفهماً واجـــتهاداً . ويتميز بأنه لا يرد لوحاً ، ولا يحضر لدرس ، وهذه أعلى درجة ويوجد من هو دون ذلك. فإن أخلف شيخه في التدريس ، أو أنشأ محضرة جديدة لقب بـــ (المرابط) أو (الطالب) وهما في اصطلاح الشناقطة بمعنى الأستاذ ، ولقب بذلك لأنه يعلم احتساباً بل غالباً ما ينفق على تلامذته من ماله الخاص[4] ، وهي سمة عامة لشيوخ المحاضر وعمدائها ، لهـــذا لقـــبوا بالمرابطين قديماً وحديثا لجهادهم بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ولطلبهم المـــثوبة مـــنه وحده سبحانه وتعالى . وقد يتفرغ (العالم)لمهام أخرى مثل القضاء والفتيا

---

[1] الصوفي: المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة) ، ص/183 .

[2] وقد بين أحمد بن الأمين العلة في الغربة فقال : (لأن الشخص في أرض شنقيط يصعب عليه أن يتعلم في بيت أهله، إذ يلزمه أن يتفقد مواشيه ، وأن يواظب على الضيوف التي تقصده دائماً ، وبالنظر في الشؤون المنوطة به فيتغرب لذلك ، إذ لا يهمه إذا كان غريباً غير شؤون نفسه) ، انظر الوسيط ، ص/520، 521 .

[3] راجع محمد الصوفي :المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة) ، ص/183 ، 184 .

[4] أحمد بن الأمين: المرجع السابق ، ص/519 .

وتربية المريدين حسب ما يظهر له في ذلك من مصلحة دينية راجحة [1] ، وكثيراً ما يجمع بين هذه الوظائف كلها .

أما الفترة الزمنية في المحضرة فهي غير محددة ، وإنما يرجع ذلك إلى رغبة الطالب ، ودرجة ذكائه[2] .

- **موارد المحضرة** : تقوم الحياة الاجتماعية في بلاد شنقيط عامة على أساس من التعاون النادر ، والتكافل الفريد حتى صارت مضرب المثل في هذا المجال ، وبذلك تجاوزت الأزمات الاقتصادية وتغلبت على السنين التي أتت على الأخضر واليابس .ولا غرو فالشناقطة يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة تتقاسم السراء والضراء. وقد تجسد هذا التكافل بجلاء في المحاضر[3] ، فالطالب فيها إما أن يكون مقتدراً فيأتي بزاده من الزرع والضرع ، والبقر أنسب وخير معين على الدراسة لقلة مشقته ، ولاستغنائه عن الرعي لذلك سموه (حيوان الزوايا) . وأما إذا كان الطالب معوزاً وهو الملقب (بالمؤبد) أو (تلميذ الغربة)فإن الشيخ المحضرة هو الذي يتكفل بنفقته ، أو يقاسمه زملاؤه ما عندهم[4] ، أو تتناوب أسرُ الحيِّ إعالته ولا سُبّة في ذلك ولا غضاضة ، بل إن المجتمع يعتبر استضافته للطلاب واجباً ضرورياً للأسباب التالية :

أولاً:لأن الطلاب الذين تفرغوا للعلم إنما يقومون بفرض كفاية نيابة عن مجتمعهم حتى لا يأثم الجميع ، فكان لزاماً على الأهالي توفير لهم ما يحتاجونه من مؤونة لقوله تعالى: { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا

---

[1] النحوي :بلاد شنقيط ، ص/179 .

[2] النحوي : المرجع السابق ، ص/165 .

[3] يقول محمد يوسف مقلد اللبناني الذي زار موريتانيا في الثمانينات الهجرية واطلع على محاضرها عن قُرب: (تالله ما عُرفت الاشتراكية الصحيحة التي يتشدق بها دعاة هذا العصر اشتراكية مثالية كاشتراكية أولئك التلاميذ البيضان الذين يشقون في طلب العلم كل ذلك الشقاء وهم لا يحزنون) . انظر شعراء موريتانيا ، ص/383 .

[4] أحمد بن الأمين :المرجع السابق، ص/519 ، 521 ، والندى : دور المحاضر في موريتانيا (رسالة مرقونة) ص/139.

إلـــيهم لعـــلهم يحذرون}[1] ، ولما رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم)رواه البيهقي[2] .

ثانـــيا: لأن تعـــلم العلم ونشره من أفضل البر الذي يجب التعاون عليه عملاً بقوله سبحانه: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعانوا على الإثم والعدوان}[3] ، ولما رواه أبو الـــدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإنه ليســتغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضـــل القمـــر عـــلى سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافرٍ)رواه أحمد[4] .

ثالـــثاً: لأن طـــلاب العلم غرباء فهم بهذا الاعتبار ضيوف وجار يجب إكرامهم ومواســـاتهم ، ومعاشرتهم بالمعروف لما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله علـــيه وســـلم قـــال : (ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعاناً وجاره إلى جنبه جائع)رواه الحـــاكم[5] ، ولما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كـــان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)متفق عليه[6] .

ومن أوجه الرعاية لطلاب العلم في بلاد شنقيط ما تعارف عليه القوم من (عادات)[7] تجبى للطلاب في مناسبات معينة نذكر منها :

- شاة على الأقل بمناسبة كل نكاح أو عقيقة .
- ظهر كل ذبيحة من البقر ، وعنق كل نحيرة من الإبل .

---

(1) التوبة : 122 .

(2) رواه ابن عدي والبيهقي عن أنس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم(3913).

(3) المائدة:2 .

(4) أحمد (21715).

(5) الحاكم (7386) ، وكنـز العمال(24929).

(6) البخاري –الفتح (6018) ، ومسلم(47-48) .

(7) عادات: جمع عادة وهي امتيازات معروفة يعينهم الأهالي بها على تعلمهم .

- (الغدوة) وهي وجبة غداء خاصة تعد للطلاب إذا ختم أحدهم جزءاً من القرآن ، أو أكمل نصاً من النصوص .
- ثُلثُ الماء أو رُبعه(الدلو الثالث أو الرابع) من مياه البئر لسقياهم[1].

وإذا ضـاق الحـال بـأهل المحضرة يلجأون إلى تحرير رسالة مفتوحة تعرف محلياً (برسـالة التلاميـذ) يشيدون فيها بالعلم وأهله ، ويثنون على المنفقين والمتصدقين . ويضمنونها معاناتهم ، ويذكرون فيها طلباتهم مرغبين تارة فيما عند الله من جزيل الثواب ومـنذرين أخـرى من مغبة البخل ورد السائل.. ثم يطوفون بها في أرجاء الحي ، فيبادر الناس إلى سدِّ خلتهم ، وقد يتخلل ذلك مناظرات ومساجلات مع نبهاء الحي في جوّ من الأريحية والتسلية البريئة يروحون عن أنفسهم من كدِّ العلم ومعالجته .ولهذه الرسائل نماذج كثيرة ، وأساليب متنوعة حسب الحال[2] .

- **طـريقة التعلـيم** :عندما يختار الطالب الفن الذي يرغب في دراسته يكتب منه حصة ويـتقدم بهـا إلى أسـتاذه ضـحوة لتصحيحها[3] ، ويسمى ذلك (بالتّسْقَامْ) ، من الاسـتقامة ، أي تقـويم النص من الأخطاء . ثم يشتغل الطالب بحفظ درسه ، فيقرؤه مرات بصوت مرتفع حتى يرسخ في ذهنه وقلبه ونسمي ذلك بـ (آغْبَابِيدْ) ، مفردها (غـبّاد) وفيه معنى المكابدة لما يبذله الطالب من جهد لاستظهار النص قبل أن تنضج لديه ملكة الحفظ .وبعد هذا يعود إلى (المرابط)ليشرح له الدرس ويعرف عندنا بالتفسير أو (الـتقدام) ، تحريف التقديم ، أي عرض الدرس ، فيأذن له قائلاً : (قَدِّمْ)أو (مَشِّ) بمعـنى قدم فقرة .. ثم يختم الطالب يومه بمراجعة درسه وهي مرحلة (التكرار) . ومن عـادتهم أن يتعاهدوا محفوظاتهم كل يوم[4] لئلا تنسى ، ويقولون : (من ترك التكرار فلابد أن ينسى).

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع راجع الندى : دور المحاضر في موريتانيا(رسالة مرقونة) ، ص/144 ، والنحوي: المرجع السابق ، ص/144.

[2] انظر نماذج لهذه الرسائل عند الندى: المرجع السابق ، ص/146 .

[3] محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/24 .

[4] النحوي: المرجع السابق، ص/175 .

- **العطل المحضرية** : ويسمونها (غرود) ، ولعلها من التغريد الذي يدل على الحرية والطلاقة . وللمحضرة ثلاثُ عطلٍ رسميةٍ :

أ- عطلة عمر رضي الله عنه الأسبوعية : وتشمل مساء الأربعاء ويوم الخميس وصباح الجمعة .

ب- العطلة الموسمية :بمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد النبوي الشريف ، حيث تتوقف الدروس أسبوعاً كاملاً ، يوم العيد وثلاثُة أيام قبله وثلاثة أيام بعده[1]

ج- العطلة السنوية :وهي صيفية ومدتها شهر واحد .

- **اختبارات المحضرة**:ليست المحضرة كالمدرسة أو الجامعة في نظام الاختبارات والامتحانات التي تتخلل السنة الدراسة ، ويتحدد بها مصير الطالب من نجاح ورسوب أو طرد ، بيد أن لها طريقتها المميزة في تقويم التلميذ[2] ، ومنحه الإجازات العلمية المستحقة . وهي أدقُّ وأشملُ من التقويم التربوي المعاصر رغم ما وصل إليه من تطور وسخر له من إمكانات مادية وبشرية .ذلك لأن (التلاميذ) في المحضرة يعيشون في كنفِ (المرابط) ، وتحت إشرافه المباشر ، فهو يراقبهم عن كثب ولا يغيب عنه شيء من أحوالهم ، ويعلم منهم ما لا يعلمه الأستاذ عن طلابه بحكم المساكنة والجوار[3] .

وأما الامتحانات المحضرية فهي كثيرة ومتنوعة ، منها اختباران أساسيان أحدهما خاص بتلاميذ القرآن الكريم ، ويجرى ليلة الأربعاء بعد صلاة المغرب من كل أسبوع ويسمونها(ليلة الزَرْك) بزاي وراء وكاف معقودة ساكنة ، وهي جمع (زركة) بالحسانية ، وهي بمعنى الرمية أصلاً فاستعاروها للُّغزِ لأنها تؤثر في نفسية الطالب عند عجزه عن الجواب ، كما تؤثر الرمية في الجسم ، ولهذا يتفاصح بعضهم فيقول : بركت عنها أي تفاديتها . وتسمى ليلة الثلاثاء التي قبلها (ليلة أمْ عظيلةٍ) ، تصغير عضلة بالعامية لصعوبتها لأنها ليلة المراجعة والاستعداد للمساءلة . أما طريقته فإن حفظة القرآن الكريم يُمتحنون

---

[1] النحوي: المرجع السابق ، ص/168 .

[2] الطالب في المحضرة يلقبُ بالتلميذ إلى أن يتخرج منها عالماً مجازاً .

[3] تكلم الخليل النحوي عن هذا الموضع بإسهاب في كتابه : بلاد شنقيط ، ص/176 ، وما بعدها فلينظر .

في أربعـــة أجـــزاء، ومن لم يكمل القرآن الكريم يختبر في أربعة أثمان ، وتُغيّر هذه الأجزاء والأثمـــان للطلاب في كل اختبار.ومن أخطأ في كلمة يردّ إلى أول الثمن أو الجزء، يحاول ذلـــك مـــرتين أو ثلاثـــاً ، فإن أصلح خطأه نجح وإلا اعتبر راسباً في تلك الليلة ، وعليه مضـــاعفة جهوده للأسبوع القابل . والاختبار الآخر خاص بتلاميذ علوم الشريعة واللغة وغيرهـــا ، وهو يومي يعقد في أول كل ليلة دراسية بمبادرة من طلاب المحضرة ، وبمباركة من (المرابط) . وطريقته أن يطلب من التلميذ سرد فقرة معينة من محفوظاته أو يسأل عن شرح جملة منها ، ويختارون عادة مواضيع الألغاز والاستشكالات في تلك الفنون[1] . ويمر التلميذ المحضريُّ باختبارات أخرى خارج المحضرةِ تأتي عرضاً غالباً ، وخاصة عندما يشتغل التلاميذ بتحصيل (عاداتهم) المتقدمة . وفيها يجتهد الناس لتخطئتهم وإفحامهم فإن صمدوا وأجابوا ظفروا بمطلوبهم ، وإلا سقط حقهم وكان لسائلهم الخيار ، فإن شاء أعطاهم وإن شـــاء مـــنعهم حسب التقاليد المرعية في ذلك. ومن تلك الاختبارات امتحان التلميذ بعد تخـــرجه بأمر من وليه وذلك للتأكد من حفظه وجودة استيعابه ويتولى ذلك أحد العلماء البارزين ، فيحكم له بالدرجة العلمية المستحقة بأمانة .

فإذا أكمل التلميذ المتون المحضرية المقررة ، وأثبت جدارته في الاختبارات ، وظهر تمـــيزه مـــع الأيام من بين أصحابه في المناظرات والمناقشات العلمية قرّبه (المرابط) واتخذه عضداً له يساعده في إدارة المحضرة ، وفي إمامة المسجد والفتيا والتدريس ويكلفه بالإتيان بالميرة مع القوافل[2]، ويعتبر هذا مؤشر على الإجازة والتخرج .

وهكـــذا يخضـــع تلميذ المحضرة خلال مسيرته التعليمية لسلسلة من الاختبارات القاسية في كافة جوانب الحياة تجعل حكم الشيخ عليه في غاية الدقة ، وإجازته إياه ليست إجـــازة علمـــية فحسب ، بل شهادة منه أيضاً على كفاءته لمواجهة أعباء الحياة وتحمل المسؤولية . ومن هنا يمكن القول إن المحضرة مدرسة للحياتين الدنيا والآخرة .

وقـــد أُعجبتْ الدولة التونسية بالنظام التربوي الفريد المتبع في المحاضر الشنقيطية ، فبعثـــت وســـاماً شرفياً ، وشهادة تقدير لمحضرة العلامة يحظيه بن عبد الودود الشنقيطي

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/376 .

[2] النحوي:المرجع السابق ، ص/177 ، 178 ، والصوفي : المرجع السابق ، ص/190، 191 .

الـــرائدة سنة 1357هــ/1938م[1] (تجد صورته في الصفحتين التاليتين) ، تكريماً منها للعـــلم والعـــلماء . ويعتـــبر هذا من المواقف المشرفة التي تحفظها وتقدرها بلاد شنقيط للجمهورية التونسية الشقيقة.

وقد تساءلت مجلة(الأمة) القطرية في تقرير لها عن التعليم في (موريتانيا) ، فكتبت : (كيف استطاعت بلاد شنقيط وهي تقع على شاطئ المحيط الأطلسي في أقصى غربي القارة الإفريقية بعيداً عن الجزيرة العربية أن تبلغ تلك الدرجة العليا ، وتظل لقرون عديدة منارة للعـــلم والفكر الإسلامي ، والأدب العربي ، ومهداً لإعداد العلماء والدعاة العاملين؟!) ، وأجابـــت نفســـها انطلاقاً من واقع الحياة الشنقيطية: (لا يكاد يختلف اثنان على أن بلاد شـــنقيط لم يكن لها أن تبلغ ما بلغت لو لا ذلك النظام الذي التزمت به وسارت عليه في مجال التربية والتعليم.. ألا وهو ما اصطلح على تسميته بنظام المحاضر)[2] .

وما زال هذا التعليم موجوداً في البلاد ، وتوليه الحكومة الموريتانية اهتماماً خاصاً من خلال كتابة الدولة لمحو الأمية وللتعليم الأصلي[3] . ويحرص الأهالي في البدو والحضر على وجوده واستمراره، بل ويحافظون على استقلاليته دائماً كما كان أول مرة . ويندر أن تجد شنقيطياً ميسور الحال في موريتانيا أو خارجها إلا وعنده محضرة في بيته يدرِّسُ فيها أبناؤه ومن تحت كفالته من قرابته، بل ويتعلم عند شيخ محضرته –إن لم يكن هو شيخها– أبـــناء الجـــيران ، وهـــذا طبـــيعي عندهم ، وهو من تقاليدهم التي توارثوها عن الآباء والأجداد . وإذا حالت الظروف دون تحقيق ذلك تبقى محضرة البيت أمنيةً لدى الشنقيطي يـــريد تحقيقها في كل حين ما استطاع إليها سبيلاً . وهي في مفهومنا الاجتماعي عنوان للعلم وللأصالة والمحافظة ، ويعتبر تركها ، والإعراض عنها تفلت وتفسخ، ورقة في الدين ولا يرضـــى بذلك عاقل على كل حال إلا أن يجد عنها بديلاً كحلق العلم والتحفيظ في المساجد .

---

(1) أورد هذه (الشهادة) وتحدث عنها محمد بن محمد يحيى بن الدُّوه في(محضرة يحظيه بن عبد الودود) ، رسالة مرقونة) نواكشوط 1985م.

(2) مجلة (الأمة) القطرية ، العدد(60) ، ذو الحجة سنة 1405هــ/أغسطس1985هــ ، ص/52 .

(3) أنشئت كتابة الدولة لمحو الأمية بمقتضى المرسوم رقم(86-34)الصادر في 1986/04/01م ، ثم ألحقت بها المعاهد القرآنية والمحاضر بموجب المرسوم رقم(87-91) الصادر بتاريخ 1987/08/13م وأصبحت باسم (كتابة الدولة المكلفة بمحاربة الأمية وبالتعليم الأصلي) . انظر مجلة الأنباء رقم (1)الصادرة عن اللجنة الوطنية الموريتانية لليونسكو بنواكشوط سنة 1997م ، ص/5 .

المبحث الثاني

المحاضر في ظل الاستعمار

ولما أخضع الغزاة البلاد عسكرياً تفرغوا لتصفية المحاضر تحت ستار التحضير حيث اقترح كبولاني الحاكم الفرنسي لموريتانيا في رسالة عاجلة إلى الحكومة الفرنسية سنة 1905م ضرورة تغيير المحاضر واستبدالها بالمدارس الفرنسية ، وطلب من مدير التعليم في تونس والقنصل الفرنسي في القاهرة، ووالي الجزائر موافاته بالخطط الناجعة لمحاربة التعليم الإسلامي في تلك الدول كي يستفيد منها للقضاء على المحاضر[1].

وقد مرت خطتهم لاستئصال المحاضر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: بدأ تطبيقها سنة 1321هـ/1903م ، وتمثلت في تضييق الخناق على المحاضر بتقنين أنظمتها ، وإخضاعها للرقابة وتهديدها بالإغلاق بحجة الحفاظ على الأمن[2] . وقد تمكنوا بعد هذه الإجراءات القاسية من افتتاح أول مدرسة لهم في كيهيدي سنة1905م ، فقاطعها البيضان وأدخلوا فيها الزنوج قسراً[3] .

المرحلة الثانية: لجأوا فيها إلى الإغراءات المادية ، فقرروا تقديم مكافأة شهرية قدرها 300 فرنك لكل شيخ يخصص ساعتين في اليوم لتعليم اللغة الفرنسية بمقتضى المرسوم المحلي الصادر بتاريخ 1906/06/12م[4] ، فلم يزد ذلك أساتذة المحاضر إلا بعداً ونفوراً على الرغم من حاجتهم الماسة إلى تلك المنحة .

المرحلة الثالثة : وقد خلصوا بناء على التجارب السابقة إلى إسناد الإدارة المدرسية إلى مسلمين(مزدوجين) قد يكون أجدى لاستقصاب تلاميذ المحاضر ، وأقربُ لاستدراج الشيوخ ، وأرضى للمواطنين . فقرروا ابتداء من سنة 1922م استقدام أساتذة جزائريين لإدارة المدارس في موريتانيا ، فكان أولهم النقلي الجنيدي الذي تولى إدارة مدرسة بوتلميت[5] ، وتبعه بو العالم ولد الرويس سنة 1929م ، ثم مصطفى بن موسى سنة

---

(1) Francis De Chassey:La Mauritanie.op.cit.p.133.

(2) أحمد بن سيدي(تحقيق) :وفيات الأعيان لمحمد بن البراء (رسالة مرقونة) ، ص/72 .

(3) النحوي: بلاد شنقيط ، ص/348 .

(4) الوثائق الوطنية بنواكشوط ، E2/44 ، و رسالة بتاريخ 1907/04/16م .

(5) Francis De Chassey: المرجع السابق ، ص/154 .

1938م ، ثم جاء تفاحي مراد ، فكان هؤلاء الأربعة يتعاقبون على إدارة المدارس في موريتانيا[1] . والجدير بالذكر أن مدرسة كيهيدي تبعتها مدرسة بوغي (1912م) ، ومدرسة بوتلميت (1913م) ، ومدرسة تنبدغه (1933م) ، ومدرسة أطار(1936م) ، ومدرسة كيفه[2](1940م) .

فلما نجحت هذه الخطة وآتت أُكُلها فطِنَ لها المواطنون وانبرى العلماء يحذرون ويصدرون الفتاوي في تحريم دخول المدارس باعتبارها وسيلة إلى التنصير أو هي في حقيقتها ردة وكفر . وكان من أفتى بذلك الشيخ عبد الله بن داداه (ت1394هـ) [3] ، والعلامة المختار بن ابلول (ت1398هـ)[4] . بل إنهم فضلوا موت أطفالهم على دخولهم المدرسة الفرنسية ، فقال العلامة الشاعر الشيخ محمد حامد بن آلا في قصيدة له في هذا الشأن :

لموتهم عندنا خيرٌ من أن يلجوا ... بما به طلبوا في قعر سجين

إن كان في ذلك للدنيا سياستهم ... فالدين أولى بتأسيس وتحسين

فتقبل الناس هذه الفتاوي باهتمام بالغ، وبدأ التلاميذ يهجرون مدارسهم الواحد تلو الآخر منتهزين كل فرصة سانحة ..فكان منهم من فرّ منها من أول يوم ، ومنهم من اقتصر على سنة أو سنتين من الدارسة ، ومنهم من أكمل المرحلة الابتدائية ثم اختفى نهائياً في المحاضر البدوية النائية عن مراكز الحضر والعمران[5] . وللشناقطة في ذلك قصص وفنون ، فقد كانوا ينكرون الولادات ، ويخفون الأطفال تارة ، ويختلقون المعاذير ويدفعون الرشاوي تارة أخرى ، مما خيب آمال المستعمر وحيره ، فلم تصل يده في الغالب إلا إلى

---

[1] النحوي: المرجع السابق ، ص/349 ، 350 .

[2] الوثائق الوطنية بنواكشوط : الملف E2/44.

[3] الندى :دور المحاضر في موريتانيا (رسالة مرقونة) ، ص/124 ، 125 نقلاً عن الأستاذ عبد الله بن باباه الباحث بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ، وأحد خريجي محضرة الشيخ المذكور .

[4] أحمد سالم بن مولاي اعلي: المختار بن ابلول (رسالة مرقونة) ، ص/48.

[5] تناول القرار رقم 235 الصادر في 1947/02/26م عن المفوض السامي لغرب إفريقيا ظاهرة الهروب من المدارس وضرورة القضاء عليها . راجع: Francis De Chassey المرجع السابق ،ص/143-144 و محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق ، ص/94 ، 97 .

أبـــناء بعـــض الفئات الدنيا[1] .الأمر الذي جعل نسبة التمدرس في البلاد منخفضة وغير منتظمة مقارنة مع أقاليم إفريقيا الغربية الفرنسية الأخرى[2] ، بسبب علاقة المد والجزر بين الأهـــالي والإدارة المســـتعمرة . ففي سنة 1932م مثلاً بلغ مجموع المدارس النظامية في موريتانيا438تلميذاً ، وهو ما يمثل نسبة 1.1% مقابل 3.7% في بلدان إفريقيا الغربية الفرنسية[3]. وقد نجحت سياسية المستعمر المرنة مع الأيام في استقطاب بعض علماء البلد ومثقفيـــه للتعـــاون معهـــم في مجـــال التدريس[4] . فأعطى ذلك بعض الثقة والإعتبار لمدارسهم ، فازدادت أعداد التلاميذ تدريجياً لتصل إلى 11200تلميذاً ، أي نسبة 7.3% حوالي سنة 1960م[5] .

وعـــندما استقلت البلاد ، وآل أمرها إلى المواطنين أبقوا على النظام المدرسي إلى جانـــب نظامهم المحضري لسببين ، أحدها أنها صارت بيد أبناء البلد وهم مأمونون على العقيدة والدين، وثانيهما لأنها أضحت حتميةً عصريةً لا مناص منها لدولة تحترم نفسها ، وتـــريد مواكـــبة الـــدول المتقدمة ومنافستها .. ذلك لأن دولة الإسلام بحاجة إلى قضاة وفقهـــاء ، كمـــا أنها بحاجة إلى أطباء ومهندسين وخبراء في كل فن . وهذا ما يرشد إليه القرآن الكريم ويأمر به كما ورد في قوله سبحانه: {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تـــنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك}[6] . ومن المعلوم أن كل ما زاد على فرض العين من علوم الشرع فهو فرض كفاية يتساوى مع غيره من الفروض الكفائية الأخـــرى ، ولكـــنه علمٌ فوق علمٍ وشرفٌ فوق شرفٍ بلا شكٍ . وقد فات هذا المقصد كثير من الناس للأسف فاعتبروا جهلاً منهم أن تعلم العلوم الدنيوية هو للتوظيف والمعاش لا يحاســـب عليه ، ولا قيمة لـــه في نظر الإسلام ، وأن علوم الشرع هي التي يثاب على

---

(1) النحوي : المرجع السابق، ص/363 – 364 ،و Francis De Chassey:La Mauritanie.op.cit.p.142.

(2) Denise Bonche:(these) L Ensignement dans les territoires Francais de L A.O.F,p.75
وعمار هلال (مقال):انتشار اللغة العربية في إفريقيا السوداء (الحلقة الثانية) ، نشرة مجلة (تاريخ العرب) ، العدد 27 ربيع الأول 1401هـ/يناير 1981م ، ص/61-62 .

(3) Francis De Chassey المرجع السابق ، ص/156 .

(4) النحوي : المرجع السابق، ص/350 ، و Francis De Chassey:La Mauritanie.op.cit.p156 .

(5) محمد الراظي بن صدفن : المرجع السابق ، ص/94 .

(6) القصص:77 .

تعـلمها، ويعاقب على جهلها .. وهكذا ضاعت الأمة بين طائفتين متناقضتين تدعي كل منهما العلم والتنوير، وتلك كارثة عظمى . طائفة ترغب عن دراسة العلوم الشرعية إلى غيرهـا مـن العلـوم مخافة أن يكون الدين وسيلة للدنيا فتقع في الإثم والمحظور حسب فهمها ،زاعمةً أنها بذلك قد تخلصتْ من المؤاخذة والحساب ومتناسيةً قوله سبحانه :{قل إن صـلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك لـه وبذلك أمرتُ وأنا أول المسـلمين}[1] ، وطائفـة أخرى شغلت حياتها بدراسة النوازل الفقهية ، والفرعيات التي تنقضي الأعمار دون وقوعها ، وأهملت العلوم الدنيوية الضرورية لمن يريد العزة والكرامة لديـنه وأمته ، مدعية أن تلك العلوم غير مطالب بها شرعاً ، بل تقول إن تعلمها ضرب من الترف الفكري واشتغال بما لا يعني . وكلا الفهمين سقيم قطعاً ، وتلبيس من إبليس واضح مع جلاء الأمر وظهوره ، فلو أنهم فهموا أنهم مطالبون شرعاً بتشييد دولة الإسلام عـلى أسـاسٍ راسخٍ من الإيمان والقوة لعلموا أن أدنى عمل يقوم به المسلم بنية خالصة لإعزاز دينه ، ونصرة أمته لتبقى لها الريادة والقيادة في كل شيء سواء أكان ذلك في مجال العلوم الشرعية أو في نطاق العلوم الدنيوية النافعة له فيه أجر عظيم ، والعكس أيضاً ، فمن قصر في هذين الجانبين فقد ضيع نفسه وأمته والله حسيبه . ولم يقتصر حض النبي صلى الله علـيه وآله وسلم لأصحابه على طلب العلم الشرعي فحسب وإنما دعاهم كذلك إلى كل علم يفيد المسلمين في حالهم ومآلهم ، ويدخل ذلك في عموم القوة التي يجب على المسلمين إعدادها لقوله تعالى:{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكـم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم}[2] .ويشهد لهذا ما رواه أبو يعلى والإمـام أحمد وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع من زيد بن ثابت رضي الله عـنه بضـع عشرة سورة من القرآن الكريم ، وهو صغير السن أُعجب به ، وأمره أن يتعلم لغة اليهود في مدارسهم ، فقال : (إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل واحد ، فهـل تسـتطيع أن تتعـلم كتاب العبرانية أو قال السريانية ؟ فقلت : نعم). قال زيد : فتعلمـتها في سـبع عشـرة لـيلةً[3] . فكـان من كُتّاب الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] الأنعام:162، 163 .

[2] الأنفال:60 .

[3] الشيخ عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، 446/5 ، 447 .

ومترجماً له . ويعضده أيضاً توجيهه صلى الله عليه وآله وسلم إلى العلوم التجريبية في حديث تأبير النخل المشهور ، وذلك عندما مرّ بقوم يلقحون ، فقال: (لو لم تفعلوا لصُلح حاله؟!) فخرج شيصاً ، فمرّ بهم ، فقال : (ما لنخلكم؟!) قالوا : قلت كذا وكذا . قال : (أنتم أعلم بأمر دنياكم)رواه مسلم[1] . يعني في هذا ومثله ، وإلا فإن الإسلام تدخل في كل شيء ، ويكفي أنه لم يترك الحرية للمسلم في دخول المستراح كيفما اتفق له ، بل أمره بتقديم رجله اليسرى عند دخوله وتأخيرها عند خروجه ، والانحراف عن جهة القبلة وأمره بالدعاء قبل ذلك وبعده . فكيف يكل إليه الأمر في غيره ويضع حبله على غاربه فيما هو أخطر وأعظم . وقد أساء العلمانيون فهم هذا الحديث وحملوه على غير وجهه ، فقالوا : لا دخل للدين في أمور الدنيا والسياسة ، وإنما هو طقوس وعقيدة بين العبد وبين ربه . وفاتهم أن الدين نفسه سياسة الله لعباده ولكنها على النقيض من سياسة الشيطان المبنية على الكذب والنفاق ، وصدق الشيخ بداه بن البوصيري التندغي مفتي الديار الموريتانية حين قال : (دين بلا سياسة لا يستقيم ، وسياسة بلا دين عار الدنيا ونار الجحيم) .

فالواجب على المسلم أولاً أن يتعلم فرض عينه ويتفقه في دينه .. فإذا تحصن بالعقيدة وتسلح بالشريعة كان له بعد ذلك أن يتعلم ما شاء من العلوم الأخرى النافعة حسب ميوله ورغبته ، وحسب حاجة بلاده من تلك التخصصات . وهذه مسألة واجبة لا مناص منها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمنين الضعيف وفي كلٍ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)رواه مسلم[2]، فخيرية المؤمن القوي مرهونة بصرف قوته في مصالح الإسلام وأهله ، وإلا فإن قوته وبال عليه عاجلاً وآجلا ، والمؤمن الضعيف خير منه في هذه الحالة إن أحسن النية لما رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وإنما لكل امرئ ما نوى)متفق عليه[3] .

---

[1] مسلم(2363) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[2] مسلم(2664).

[3] البخاري-الفتح (5070) ، ومسلم(1907) وغيرهما .

وقد ترتب على تلك المفاهيم الزائغة أمور خطيرة نجملها فيما يلي :

1-تجرد كثير من المتخصصين في العلوم الدنيوية عن النية الصالحة ، ففاهم بذلك كثير من الخير والأجر ، وربما سخروا علومهم وتجارهم لخدمة أعداء الأمة وهذا ينذر بسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى .

2-حرمان التجار طلاب العلوم العصرية كالطب والهندسة والتكنولوجيا والجيولوجيا وغيرها من الزكاة بحجة أنه لا يزكى إلا على طلاب العلوم الشرعية وتلك قسمة ضيزى . وقد أحسنت الدول الإسلامية التي تنفق على طلابها من الخزينة العامة من غير تمييز بين تخصص وغيره .

3-تأخر الأمة في مجال الهندسة والتكنولوجيا والإلكترونيات مما أصبح يهدد وجود الأمة وكيانها .

وهذا كله راجع إلى عدم فهم دلالات النصوص ومقاصد الشرع لاسيما فيما يتعلق بالأخذ بأسباب القوة وإعمار الأرض .ولهذا أمر الله تعالى بسؤال أهل العلم فقال : {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}[1] ، وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الرواية والدراية معاً ، وأعطى للدراية شأناً عظيماً لكونها لبُّ اللباب ، فقال : (نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[2] ، أي أفهم منه ، ورحم الله من قال : (لو سكت من لا يعلم لقلّ الخلاف) .

فتبين مما أسلفنا أن الطبيب المسلم في مشفاه ، والمهندس المسلم في مصنعه يعتبران في نظر الإسلام مرابطان في سبيل الله ، والكيميائي المسلم في مختبره ، والعسكري المسلم في ثكنته مرابطان في سبيل الله ، وكل من قام بعمل رشيد وبنية صالحة فهو في سبيل الله تعالى ، ولن يتره عمله ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جله ، ونعوذ بالله من طمس البصيرة .

---

[1] النحل :43 .

[2] أحمد (21590) ، (4157) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه وللفظ له ، وابن ماجه (230) وغيرهما.

المبحث الثالث

المقررات المحضرية

الكتب المتداولة في المحضرة كثيرة ولا تدخل تحت حصر منها ما هو محلي ومنها ما هو مستجلب من الخارج ، ويمكن إجمال المقرر منها عموماً فيما يلي[1]:

أولاً- القــرآن وعلومه: وأداؤه عندهم بروايتي ورش وقالون عن نافع ، والأولى أكثر انتشاراً، واشتهر جماعة من قرّائهم بالقراءات السبع والعشر .

أ-القــراءات والتجويد: مقدمة ابن الجزري الدمشقي ، والدرر اللوامع على مقرأ الإمــام نافع لابن بري الرباطي ، ونظم الشوشاوي ، والشاطبية في القراءات السبع لأبي القاسم الشاطبي .

ب-التفســير : الجلالــين وحواشــيهما ، وابن كثير ، والطبري ، والقرطبي ، والصاوي ، و الخازن ، وتفسير ابن عطية .

ج-الرســم والضــبط والإملاء : مورد الظمآن ، المحتوى الجامع لرسم الصحابة وضــبط التابع للطالب عبد الله الجكني ، والحملة لسيدي عبد الرحمن المسومي(منظومة في المحمول) ، وكشف العمى والرين عن ناظر مصحف ذي النورين لمحمد العاقب بن ما يأبى الجكــني ، وجوهرة الإملاء فيما يخفى من الإملاء لأحمد بن محمد الحاجي ، ورسم عبد الــودود بــن حميه لأبــيري ، والفرش فيما تخالف فيه حفص وورش ، لمحمد بن أباتي التندغي .

ثانياً-الحديث وعلومه :

أ-كتــب الحديث :موطأ الإمام مالك ، والصحاح الستة (البخاري ، ومسلم ، والترمذي، وابن ماجة ، وأبو داود ، والنسائي).

ب-مصــطلح الحديث : منظومة البيقونية ، وطلعة الأنوار للشيخ سيدي عبد الله ولد الحاج إبراهيم العلوي ، ألفية زين الدين العراقي .

---

[1] راجــع المختــار بــن حــامد: حــياة موريتانــيا (جزء الثقافة) ، ص/6-77 ، ومحمد يوسف مقلد:شعراء موريتانيا ،ص/336-345 ، ومحمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/26 ، والندى:أساليب وطرق التدريس المحضري في الكحلاء والصفراء (رسالة مرقونة) ، ص/31 ، 32 .

ثالثاً–العقيدة :عقيدة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وعقيدة المرشد المعين لابن عاشر ، والعقيدة السنوسية ، وإضاءة الدجنّة في اعتقاد أهل السنة للمقري ، ووسيلة السعادة للمختار ابن بونا الجكني ، والواضح المبين لعبد القادر بن محمد سالم .

رابعاً–المنطق :نظم السُّلم لعبد الرحمن الأخضري ، ومختصر السنوسي ، وقواعد المنطق للمغيلي ، ومنظومة الجواهر لابن طيب .

خامساً–الفقه :

أ–الأصول :الورقات لإمام الحرمين ، ومراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ، وجمع الجوامع للسبكي ، والتنقيح للقرافي ، ومرتقى الوصول لمحمد ابن عاصم الغرناطي ، والكوكب الساطع للسيوطي .

ب–القواعد : المنهج للزقاق وتكميلات له .

ج–الفروع : نظم المرشد المعين لابن عاشر ، ومختصر الأخضري ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ومختصر الشيخ خليل بن إسحاق ، ونظم الكفاف لمحمد مولود ابن أحمد فال اليعقوبي ، وتحفة الحكام لابن عاصم الغرناطي ، وتهذيب المدونة للبرادعي ، ولامية الزقاق في القضاء ، وحدود ابن عرفة .

سادساً–التصوف :مقدمة الأخضري ، وخاتمة ابن عاشر ، ومطهرة القلوب لمحمد مولود بن أحمد فال ، وخاتمة التصوف لمحمد اليدالي .

سابعاً–العربية وعلومها :

أ–النحو والصرف : مختصر ابن آجروم ، ومنظومة عبيد ربه لمحمد بن آبّ القلاوي ، وملحة الإعراب للحريري ، وألفية محمد بن مالك الأندلسي ، وخلاصته ، ولامية الأفعال له ، واحمرار ابن بونا الجكني على الألفية ، والفريدة للسيوطي .

ب–البلاغة والمعاني: عقود الجمان للسيوطي ، والجوهر المكنون للأخضري ، ونور الأقاح لابن الحاج إبراهيم العلوي .

ج–اللغة : المعلقات العشر ، ودواوين الشعراء الستة الجاهليين ، وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ، ولامية العرب للشنفري ، ومقصورة ابن دريد ، وديوان غيلان ،

وديوان المتنبي ، وديوان المعري ، وديوان الشماخ ، ومثلث قطرب ، ومثلث ابن مالك ، والشمقمقية ، والمقصور والممدود لابن مالك ، ومقامات الحريري .

د-العروض : القصيدة الخزرجية لابن هشام ، ومنهم من تحصل له الملكة فيه بمجرد حفظه للقصائد في شتى البحور فيكتفي بها ، كما قال أحدهم لمن يريد الانخراط في سلك الشعراء : احفظ ما سمعت من الشعر ثم انسه تكنْ شاعراً .

ثامناً-السيرة والأنساب : نظم قرة الأبصار لعبد العزيز اللمطي ، ونظم الغزوات للبدوي المجلسي ، ونظم أنساب العرب له .

تاسعاً- الطب :الطب النبوي لابن القيم الجوزية ، والعمدة لأوفى الكبير الإيداشفغي .

عاشراً-الحساب العددي:أراجيز السملالي ، والرّسموكي ، والأخضري .

الحادي عشر-الفلك: المُقنع وشرحه الممتعْ لأبي عبد الله محمد بن سعيد السوسي ، وروضة الأفكار في علم الليل والنهار لمحمد المختار بن الأعمش العلوي ، وكتاب الفلك للباجوري .

الثاني عشر-الجغرافيا :تذكرة داود الأنطاكي ، وكتاب الجغرافيا للنخبة الأزهرية .

وكان هذا غاية ما يتطلع التلميذ إلى تحصيله يومئذ في المحضرة ، إذْ كان العلم عندهم علمانِ علم الأديان وعلم الأبدان ، وأما الحرف والصناعات فكانت بسيطةً وتقليديةً ويتم تعليمها تطبيقياً بالتوارث في فئة معينة من المجتمع . وهي محصورة في البنادق ، والأقفال ، والأدوات المنزلية . فلم يكن نمط المعيشة ، ووسائل الحصول على الرزق بحاجة إلى علوم أخرى . فالناس كانوا يشتغلون أساساً بالتنمية الحيوانية ، والزراعة والتجارة فقط ، فكان عندهم اكتفاء ذاتي في ضرورات الحياة .

الفصل السادس

الحرمان الشريفان مأرز الإيمان

لم ينقطع التواصل بين بلاد الحرمين الشريفين وبين سائر الأقاليم الإسلامية منذ أن دانـت تلك الأقطار بالإسلام وإلى يومنا هذا . وذلك لخصوصية هذه الأرض المباركة ، فهي عاصمة الإسلام ، وقبلة المسلمين ، ومثابة المؤمنين في الحج والعمرة والزيارة ، ومهبط الوحـي وحرم الله الآمن سواء العاكف فيه والبادي .وهي أقدس البقاع ، وأطهرها على الإطلاق بإجماع العلماء لا يختلى خلاها ، ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها .وأرض هذه منـزلتها فلا غرو أن يتعلق ها المسلمون ، ويتشوقون إليها ، ويشدون إليها الرحال لقولـه تعـالى:{وإذْ جعلـنا البيت مثابة للناس وأمنا}[1] ، وذلك استجابة لدعاء الخليل إبراهيم عليه السلام في قوله عز من قائل: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عـند بيـتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الـثمرات لعـلهم يشـكرون}[2] ، وتلبية من الموحدين لنداء الحج الأكبر في قوله جل وعـلا :{وأذن في الـناس بـالحج يـأتوك رجـالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عمـيق}[3] . ولما ورد فيها من أحاديث تدل على أفضليتها ومضاعفة الأعمال في رحابها وترغب في التردد عليها ومجاورتها . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور[4]ليس لـه جزاء إلا الجـنة)مـتفق عليه[5] ، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثـة مسـاجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى) مـتفق عليه[6] ، وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة في مسجدي هذا خير

---

[1] البقرة :125 .

[2] إبراهيم :37 .

[3] الحج : 27 .

[4] الحج المبرور: هو الحج المقبول ، وهو ما كان على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ، و لم يخالطه إثم أو معصية، وازداد صاحبه بعده إيماناً وتقوى وعملاً صالحاً .

[5] البخاري-الفتح(1773) ، ومسلم (1349) .

[6] البخاري-الفتح(1189)واللفظ له ، ومسلم(1397) .

(وفي رواية: أفضل)من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)متفق عليه[1] . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها)رواه مسلم[2] ، وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت في صاعها ومدها بمثليْ ما دعا به إبراهيم لأهل مكة)متفق عليه[3] . وقد وضع سيدنا إبراهيم عليه السلام أعلاماً على حدود مكة المكرمة بإرشاد من جبريل عليه السلام ، ثم جددها قصي ، ثم جددها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جددها عمر رضي الله عنه ، ثم جددها معاوية ، ثم جددها عبد الملك[4] ، وهي معروفة لدى الناس حتى اليوم .وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: (المدينة حرام ما بين عير[5] إلى ثور[6] ، لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا يصلح أن تقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره) رواه أبو داود [7]. واستثني مع العلف أيضاً ما تدعو إليه الحاجة كالإذخر والسنا ، والسواك ، وغيره[8] على تفصيل في ذلك بين المذاهب فلينظر في محله من كتب الفقه . وحرم المدينة ما بين لابتيها [9] بريد في بريد بين ثور وعير لحديث علي رضي الله عنه مرفوعاً (حرم المدينة ما بين ثور إلى عير)متفق عليه[10] .

وما أحسن قول الشاعر:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

---

[1] البخاري-الفتح(1190) ، ومسلم(1394) .

[2] مسلم(146) ، ومعناه في أحمد (7846) ، (10440) ، (9471) و الترمذي(2630).

[3] البخاري-الفتح (2129) ، ومسلم(1360).

[4] محب الدين الطبري المكي : القرى لقاصد أم القرى ، ص/652 نقلاً عن الزهري .

[5] عير : جبل بجنوبي المدينة المنورة مشهور .

[6] ثور:جبل أحمر صغير خلف جبل أحد من جهة الشمال .

[7] أبو داود ، (2034-2035) .

[8] عبد الرحمن الجزيري : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة 649/1 –650 .

[9] لابتيها :مثنى اللاّبة ، أي الحرّة وهي أرض تربتها حجارة سود .

[10] البخاري-الفتح(1870) ، ومسلم (1370) ، (1373) .

وقال آخر :

وما أنت بالمشتاق إن قلت بيننا ... طوال الليالي أو بعيد المفاوز

وقديماً قيل :

زر من هويت وإن شطّت بك الدار ... وحال من دونه حجب وأستار

لا يمنعنك بعد من زيارته ... إن المحب لمن يحب زوار

فكان الشناقطة من أولئك المحبين الذين تعلقوا بهذه المقدسات ، وأخذتْ بمجامع قلوبهم ، وعاشوها في وجدانهم ، وعانوا من أجلها غربةً روحيةً في أوطانهم ، لأنها في الحقيقة موطن الإسلام ومأرز الإيمان .وكان المسير إليها بالنسبة إليهم غاية الغايات ، ومنتهى الأمنيات ، ولم يثنهم عن زيارتها بُعد الشقّة ، ولا الأوبئة والمخاطر ، وفي ذلك يقول محمد بن سيدي محمد الشنقيطي :

ثقوا بالله واعتصموا وسيروا ... خفافاً فالمهيمنُ خير واق

فلا الإقدام يجلب ما كفينا ... ولا الإحجام يصرفُ ما نلاقي

أي أن ما كُتب وقُدر في سابق علم الله تعالى كائن لا محالة ، ولا يمنع حذر من قدر كما هو معلوم ، فالمطلوب الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى . ويقول الشاعر في هذا المعنى :

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها

ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وهكذا كانت الركبان تنطلق من مختلف مناطق شنقيط في كل عام ميممةً الديار المقدسة زرافاتٍ ووحداناً .وقد تحج الأسرة منهم كلها لشدة اعتنائهم بالحج[1] ، ولحرصهم على المجاورة بتلك البقاع الطاهرة ، وهو ميول فُطرَ عليه الشناقطة عامّةً مثل إخوانهم في البلاد الإسلامية الأخرى. وكان ركبُ مدينة شنقيط أكبر قافلة تغادر موريتانيا إلى الحجاز باعتبارها حاضرة علمية ، ومركزاً تجارياً حيوياً ونقطة تجمع لكثير من الحجاج

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/426 .

مــن سائر الآفاق[1] ، وقد أهلها ذلك لتمثيل البلد في المشرق وحمل اسمه لاحقاً كما ذكر ســابقاً. فقد كان يقدّر عدد الحجاج المنطلقين من شنقيط سنوياً بثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف حــاج[2]. وقــيل إن ركبَ الحجيج يتكون من ستمائة راحلة ، تصحبها ثلاثمائة للبيع[3] . ويمكن استيعاب هذا الفارق إذا علمنا أن ثمّة قافلة رسمية تسيِّرُها المدينة في موسم الحــج ويلتحق بها حجاج المناطق الأخرى ، وهم عادة غير منضبطين بعدد. وقد تستغرق الرحلة عاماً أو عامين كاملين[4] ، يسلكون خلالها إحدى طرقٍ ثلاثٍ ، شمالية تمر بالمغرب وتونــس ، ومصــر ، والبحر الأحمر، وجنوبية تمر بمالي ، والنيجر ، والسودان ، فالبحر الأحمر[5] ، ووسطى شرقية تمر باتوات ، وليبيا ، ومصر ، فالبحر الأحمر ، أو براً عبر شبه جزيــرة ســيناء مــع الركب المصري[6] . أما في العصر الحديث فقد كثرت المحطات ، وتعددت السبل ، واختزلت الطائرة هذه المسافات الشاسعة في بضع ساعات .

ولله در القائل :

أشجان قلبي بذات النخل و الحُجر	وأختها تلك ذات الحِجر والحَجر
تقسّم القلب بين البلدتين فــلا	أنفك من لهب الأشواق في سعر

وقال آخر :

لسعــــت حية الهوى كبدي	فــلا طبيــب لهــا ولا راقــي
إلا الحبيـــب الذي شغفت به	فعنـــده رقيتـــي و ترياقـــي

وكانت الركوب عندما تصل إلى مشارف المدينة المنورة يصدح الحادي بشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يقفون على باب السلام بعد الزيارة ويقول الحادي:

---

[1] الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم : صحيح النقل في علوية إيدوعل وبكرية محمد قل (مخطوط) ، وأحمد بن الأمين: المرجع السابق ، ص/426 .

[2] أحمد بن المفيد: شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي (رسالة مرقونة) ، ص/37 .

[3] سيدي محمد بن بناهي : نماذج من تاريخ أسرة آل حبت (رسالة مرقونة) ، ص/68 .

[4] يختلف هذا بحسب الظروف الأمينة ، والتغيرات المناخية ، والإمكانيات الاقتصادية ، فأما في الأحوال الطبيعية فيقول ابن اطوير الجنة الشنقيطي: إن بين وادان ومكة شرفها الله تعالى نحو خمس أربعينات تقريباً سيراً بلا إقامة، وذلك من وادان ، إلى فاس ، إلى تونس ، إلى طرابلس ، إلى مصر ، إلى مكة المكرمة. انظر رحلته (مخطوط).

[5] النحوي: بلاد شنقيط ، ص/110 .

[6] حماه الله بن السالم(مقال) :بمجلة الدارة السعودية ، العدد الرابع ، شوال 1417هـــ ، السنة(22) ، ص/32 .

عســـى عســـى في كـــل عـــام نقـــف عـــلى بـــاب الســـلام
ونشاهـــــــد البـــــــدر التمام نبينـــــــا خيـــــــر الأنام[1]

وكأني بالذين حبسهم العذر عن المسير أمام هذه الرغبة الشديدة يقولون :

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحـــا
إنا أقمنـــــا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقـــد راحـــا

وقـــد اهتم الخلفاء الراشدون ، والملوك المسلمين بعمارة الحرمين الشريفين على مرّ التاريخ ، وتنافسوا في توسعتهما خدمة لدينهم ، وتسهيلاً للحجاج والزوار . فزاد فيهما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، ثم الوليد بن عبد الملك الأموي ، ثم المهدي العباسي، ثم الأشرف قايتباي صاحب مصر ، ثم السلطان عبد المجيد العثماني وغيرهم [2].

ولما تأسست المملكة العربية السعودية سنة 1351هـ/1932م سادها الأمن من أقصـــاها إلى أقصاها ، وأصبح المسافرون يخترقونها طولاً وعرضاً في كل ساعة من ليل أو نهـــار ، دون خشية على أنفسهم وأموالهم ، مما شجع الحجاج والزوار على التوافد على الحـــرمين الشـــريفين طـــيلة أيـــام السنة ، وبأعداد متزايدة . فظهرت الحاجة إلى توسعة المســـجدين ، وتطويـــر العاصمتين المقدستين . وبناء على هذا أعلن الملك عبد العزيز آل ســـعود عن عزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف يوم 1368/08/12هـــ الموافق 1949/06/09م[3] .وقـــد بدأ تنفيذ المشروع بهدم البيوت المتاخمة للمسجد النبوي يوم 1370/10/05هـــــ ، وصرف لأصحابها تعويضات سخية [4]. واكتمل المشروع يوم الســـبت 1375/03/05هـــ الموافق 1955/10/22م [5].وكانت هذه المبادرة بداية

---

[1] أحمد أمين صالح مرشد : طيبة وذكريات الأحبة 322/1 .

[2] علي حافظ :فصول من تاريخ المدينة ، ص/81وما بعدها .

[3] نُشر هذا الخطاب في جريدة المدينة المنورة برقم 378/2/4/27 ، وتاريخ 1368/08/12هـــ في عددها رقم (301)الصادر في 1368/09/05هـــ .

[4] علي حافظ: المرجع السابق ، ص/99 .

[5] المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر السعودية : المسجد النبوي ، مأثرة التوسعة السعودية الخالدة (دون تاريخ) .

موفقة لسلسلة من مشاريع الإنشاء والتعمير العملاقة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، تابعها أنجاله الكرام من بعده الملك سعود(ت1389هـ) ، والملك فيصل (ت1395هـ) ، والملك خالد (ت1402هـ) ، وتوجها الملك فهد بأضخم توسعة للحرمين الشريفين على مدى التاريخ الإسلامي ، حيث بدأها بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد النبوي يوم الجمعة 1405/02/09هـ الموافق 1984/11/02م ، وقبل أن ينتهي العمل فيها[1] تشرف بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام يوم الثلاثاء 1409/02/02هـ الموافق 1989/01/15م ، واكتملت في 1413/11/30هـ الموافق 1993/05/21م[2] . وأصبح المسجد الحرام يستوعب اليوم أكثر من مليون مصل في أوقات الذروة بدلا من أربعمائة ألف مصل بعد التوسعة السعودية الأولى التي بدأت سنة 1375هـ/1955م ، وانتهت مراحلها المختلفة سنة 1396هـ الموافق 1976م[3].ووعياً من الحكومة السعودية بثقل الأمانة ، وعِظم المسؤولية التي تضطلع بها جعلت شعارها (خدمة الحاج شرف لنا) ، وصار المسلمون يؤدون عباداتهم ومناسك الحج والعمرة والزيارة في أمن وسهولة وطمأنينة.

وإن مما يحز في النفس ، ويدمي القلب أن بعض المنتسبين للإسلام في زماننا هذا يصلون إلى مكة المكرمة للعمرة والحج ويرجعون منها إلى بلدانهم دون أن يزوروا المدينة المنورة ، ويتشرفوا بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريب ، وينعموا بالصلاة في مسجده الشريف ، ويشاهدوا جانباً هاماً من تاريخ أمتهم واقعاً حيّاً لعلهم يعتبرون . وتلك جفوة بلا شك ، وحرمان ، وبخل على النفس غير مسبوق مع أن المسافة بين المدينتين المقدستين لا تتجاوز 418كم ، ولا يستغرق قطعها سوى ساعة جواً ، أو خمس ساعات براً ، ولا تكلفُ أكثر من ثلاثمائة ريال عموماً . وهذا شيء يسير إذا ما قورن مع الأجر العظيم والغذاء الروحي الغزير ، والشحنات الإيمانية الفيّاضة التي يكتسبها المتردد على تلك الربوع المنيفة التي احتضنت الدعوة ، وأسست للإسلام ، وأخرجت

---

[1] انتهى العمل فيها يوم الجمعة 1414/11/15هـ الموافق 1994/04/06م .

[2] حامد عباس : قصة التوسع الكبرى ، ص/296 ، 300 .

[3] الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي : الحرمان الشريفان ، ص/70 .

للعالم جيلاً فذّاً من المؤمنين الصادقين الذين لم تعرف لهم البشرية من بعدُ مثيلاً أو نظيرا . وقد احتفظت بعشرة آلاف منهم في ثراها الطاهرة[1] ، منهم الخلفاء الراشدون ، وشهداء أحد ، وآل البيت ، وأمهات المؤمنين ، والمهاجرون والأنصار ، وبقية المسلمين رضي الله عنهم أجمعين . وشيد فيها أول مسجد أسس على التقوى ، ومسجد قباء ، ومسجد الجمعة ، ومسجد القبلتين ، ومسجد الفتح . وجعل الله تربتها دواء كافياً وماءها ترياقاً شافياً .

إنه لعمري لغبن بيّن ولكن كما قال جل وعلا: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}[2] . ولو أنهم عرفوا مقدارها لقادهم الإشتياق إليها ولو حبوا على الأكف والركب ، ولم لا ؟ وقد تواترت الأحاديث أنه لما صنع المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتقل إليه يوم الجمعة للخطبة حنّ إليه الجذع الذي كان يستند إليه من قبل حتى اضطرب ، وتصدع، وانشقّ ، وارتجّ المسجد لشدة صياحه حزناً على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم يهدأ حتى ضمّه صلى الله عليه وسلم . فجعل يئنّ أنين الصبي الذي يسكت حتى استقر ، ولو لم يحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة.. ثم إنه خيره بين الدنيا والآخرة فقال: (إن شئت عادت إليك خضرتك ، ونضرتك ، وإن شئت دعوت الله أن يجعلك من غراس الجنة) فاختار الجذع أن يكون من غراس الجنة ، وأمر به أن يحفر له ويدفن[3] . وذكر أهل السير أن موضعه تحت المنبر من جهة القبلة[4] ، بدلاً من أن يلقى في العراء كسائر الأخشاب ، والجمادات ، فسبحان من فاضل بين خلقه ومخلوقاته وأودعها أسراراً لا يعلمها إلا هو .وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا حدث بهذا الحديث يبكي ويقول : (يا معشر المسلمين الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى لقائه فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إليه)[5] .

---

[1] نقل في مدارك القاضي عياض عن مالك رحمهما الله تعالى : (إنه مات في المدينة المنورة من الصحابة نحو عشرة آلاف دفنوا في البقيع ، وتفرق الباقون في البلدان) أي للجهاد ونشر الإسلام . انظر علي حافظ : المرجع السابق ، ص/167 ، ومحمد يحيى الولاتي :الرحلة الحجازية ، ص/ 191 .

[2] الحج :46 .

[3] راجع ابن حجر :فتح الباري على صحيح البخاري ، 736/6 ، 737 .

[4] غالي محمد الأمين الشنقيطي : الدر الثمين ، ص/35 .

[5] ابن حجر : المرجع السابق ، 736/6 .

(قلـــت) إذا كان هذا حال الخشبة وهي جماد فما بالك بمن أشربوا في قلوبهم محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من البشر ، وقد سرتْ في عروقهم ، ومازجت عظامهم ، وخالطـــت لحومهم ، فلا شك أنهم معذورون في شوقهم ، بل يغبطون عليه . وكيف لا يكـــون أحب إليهم من أعزتهم ، وهو عليه الصلاة والسلام السبب في نعيمهم الأبدي في دار الخلد تفضلاً من الله تعالى ، ومنةً منه جل شأنه . بل إن حبه شرط في الإيمان وكماله لما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)متفق عليه[1] ، بل ومن نفسه التي بين جنبيه كما في قول عمر رضي الله عنه : (لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنك الآن والله أحـــب إلي مـــن نفسي . فقال : الآن يا عمر)رواه البخاري[2] . وهكذا يكون المؤمنون الخُلـــصُ صادقين مع أنفسهم ، وصادقين مع الله عز وجل . فهذه المحبة الخاصة هي التي جعلـــتهم يتسابقون إلى القرب منه ، والتردد عليه ، ومجاورته صلى الله عليه وسلم . بل كـــان منهم رضي الله عنهم من يتغير لونه ويحزن وتضيق به الدنيا بما رحبتْ حتى تكتحل عيناه برؤية وجهه الأنور بأبي هو وأمي .والسيرة النبوية حافلة بهذا الحب الرباني الذي بهر الناس ، وقال عنه عروة بن مسعود الثقفي حين رجوعه من الحديبية : (أي قوم ، والله لقد وفـــدت عـــلى الملـــوك ، على كسرى وقيصر ، والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصـــحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً)[3] . ومن ذلك ما رواه الإمام البغوي عن ثوبان مـــولى رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وســـلم ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، فقال له رسول الله صلى الله علـــيه وسلم ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما بي مرض ، ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين ، وإني إن دخلت الجنة فأنا في منـــزلة أدنى من منـــزلتك ، وإن لم أدخل

---

[1] البخاري-الفتح (54) ، ومسلم (44) .

[2] البخاري-الفتح (161) .

[3] ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد 293/3 .

الجنة لا أراك أبداً فنزلت الآية : {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً}[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ! متى الساعة ؟ قال : (وما أعددت لها ؟) ، قال : حب الله ورسوله .(قال : فإنك مع من أحببت). قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (فإنك مع من أحببت) رواه مسلم .[2]

نعم ، إن الصلاة في المسجد الحرام أكثر أجراً من الصلاة في المسجد النبوي مائة مرة ، وإن السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إليه من كل مكان ، وليس خاصاً ببقعة معينة لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي[3] .وإن ترك زيارة النبي صلى الله عليه وسلم-العياذ بالله تعالى- لا يؤثر في صحة الحج ، ولكنها مرغب فيها ، متفق على استحباها ، وقد ألحقها العلماء بالحج في كتبهم ، وجعلوها من فقهه وذكروا فضلها وآدابها . فالعاقل إن لم يتمكن من الجوار والموت في المدينة فلا يحرم نفسه على الأقل من زيارتها ، والتزود من عبقها ، والتردد عليها كلما سنحت له الفرصة ووجد إليها سبيلا إذْ المعاينة ليست كالسماع ،وكيف يقاطع المسلم المدينة المنورة ويهجرها وهي حرم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومهبط الوحي ، ومنزل الرحمات والبركات ، وهي خير البلاد بعد مكة المكرمة .. فتنبه عبد الله ولا تكن من المحرومين لعل الله يقضي عليك في إحدى تلك الزيارات فتفوز مع الفائزين بالدفن في هذه البقاع الشريفة ، ولك أسوة في صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما . ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر . قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كنتُ ثمّ ، لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر) متفق عليه[4] .

---

[1] النساء :69 .

[2] مسلم (2639) .

[3] أبو داود(1531) ، وابن ماجه (1085)، والنسائي (1373) .

[4] البخاري-الفتح (1339)، ومسلم(2372) .

والسلام من قريب ليس كالسلام من بعيد لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من أحد يسلم علي عند قبري إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام)رواه أحمد وأبو داود[1] ، وهذا لعَمر الحق فضل كبير ، وشرف عظيم نسأله تعالى أن لا يحرمنا منه وجميع المسلمين .

والأخطر من ترك الزيارة المفاخرة بعدم الوقوف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، والظن بأن ذلك دليل على قوة الإيمان وتجرد التوحيد لله سبحانه . ومثل هذه الشطحات الزائغة تبعث على النفاق ، وتقسي القلب ، وتقطع الطريق إلى الله سبحانه ، وهي صادرة عن ذوق مسموم وفكر مقلوب ، ويخشى على دين صاحبها إن لم يتداركه الله بلطفه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)متفق عليه[2] ، أي يفهمه حقائق الدين ، ومقاصده ، ويفتح قُفل قلبه ، والقائل : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)رواه أحمد وابن ماجه[3] ، أي أفهم منه رغم كثرة محفوظه ، ولذاقة لسانه . وليته بلّغ سماعه ، وترك المعنى لأهل الدراية به ، فإن ذلك أسلم له ، وأبقى لأجره أخذاً بقوله تعالى : {ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا}[4] . ولم تظهر مثل هذه المفاهيم المتطرفة إلا عند ما ضاعت الأمانة ، وتولى الدين غير أهله لما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا إذا وليه غير أهله)[5] . نسأله سبحانه العلم النافع والتوفيق في الأقوال والأفعال .

---

[1] أحمد(10815) ، وأبو داود (2041) بسند صحيح وليس فيه (عند قبره) .

[2] البخاري-الفتح (71) ، ومسلم (175) من حديث معاوية رضي الله عنه .

[3] أحمد (4157) ، (21590) ، (19738) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، واللفظ له ، وابن ماجه (230) ، وغيرهما.

[4] الإسراء:36 .

[5] أحمد (23585) .

الفصل السابع
الشناقطة في المشرق

توجـد في المشرق الإسلامي جاليات شنقيطية ، تتميز بمكانتها العلمية ، والدينية علـى المستويين الرسمي والشعبي . وتعتبر الجالية في المملكة العربية السعودية أكبرها كثافة حيث بلغ تعدادها عشرون ألف نسمة تقريباً ما بين متجنس ومقيم حسب إحصاء سنة 1418هـ/1998م[1]. ولا نعلم بالضبط متى تشكلت النواة الأولى لهذه الجماعة ، ولم نجـد في المصادر المتاحة ما يحدد ذلك ، وإن كانت تشير إلى أنهم تواجدوا في هذه الديار منذ قـرون سحيقة . ذلك أن أقدم صكٍ من صكوك أوقاف الشناقطة في المدينة المنورة يـرجع تاريخه إلى شهر شعبان من سنة 1135هـ [2] . وهذا التاريخ لا يمكن أن يكون بداية لاستقرارهم في شكل جماعي إذا أخذنا في الحسبان أهمية الحج عندهم ، وبعد بلادهم وتـرابطهم الأسـري والقبـلي ، وتحفظهم من الغربة المنقطعة ، وأسباب أوقافهم ، وما يسـتغرقه ذلـك من وقت . وهذا يعني أن تكوُّن كيان من قوم هذه حالتهم يحتاج إلى تدرج متأنٍّ ، وسعة في الزمن . ولا يُتصوّر أن فكرة الوقف قد تجسدت على أرض الواقع إلا بعدما أصبحوا يشكلون تجمعاً ظاهراً ، وإلا لما كان للوقف معنى أو فائدة لبعد المشرق مـن المغـرب وقتها . إذْ روي أن الحاج منهم كان في فترة من الفترات لا يغادر بيته أو فسطاطه حتى يوزع تركته، ويكتب وصيته لكثرة المخاطر . بل ويعتبرون العائد من الحج كأنمـا وُلد من جديد ، وأصبحت رحلة الحج بالنسبة لهم ضرباً من المغامرات ، وخوض المجهول ، لا يجرؤ عليها إلا آحاد العلماء والصلحاء على تفاوت في ذلك بين مناطق البلاد المختلفة . وهذا ما جعل بعض فقهائهم يفتي بسقوط فريضة الحج عن قطرهم . وقد أفتى بذلـك الشـيخ سيدي المختار الكنتي(ت1226هـ)حين رأى كثرة الفتنِ ، وعدم أمن الطريق داخل البلاد وخارجها[3] . ومما يؤكد أسبقية جوارهم على أوقافهم تلك ما ورد في بعـض المصادر أن أحد أعلامهم وهو الحسن المسوفي كان مجاوراً في المدينة المنورة في

---

[1] محفوظات إدارة أوقاف الشناقطة في المدينة المنورة والقنصلية الموريتانية بجدة .

[2] محفوظات إدارة أوقاف الشناقطة في المدينة المنورة .

[3] سيدي محمد الكنتي :الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد(مخطوط) .

عشـــر الســـتين وتسعمائة للهجرة [1] ، ومن الأرجح أن يكون معه غيره من بني قومه ، خاصة وأن ظاهرة الهجرة إلى الحجاز من مختلف الأقطار الإسلامية كانت نشطة ومتنامية في العصر المملوكي منذ القرن التاسع الهجري على الأقل[2] .

هـــذا وعرفـــت بلاد شنقيط ابتداءً من سنة 1324هـــ [3] هجرات متتالية إلى المشـــرق لم تشهدها المنطقة من قبلُ بسبب الاستعمار الفرنسي . وقد جاورت غالبيتهم بالحـــرمين الشـــريفين بينما استوطنت أسر منهم في دول أخرى كالأردن ، والسودان ، وتركـــيا ، ومصـــر ، واليمن، والعراق ، وذلك لاعتبارات دينية وسياسية ليس هذا محل تفصـــيلها [4]، والهجرة إلى الحجاز في الأزمات سنّة الأنبياء عليهم السلام من قبل ، فقد كـــانوا يهاجرون إلى مكة المكرمة عندما يكذبهم قومهم ، ويهلك الله أممهم ، فيلازمون العبادة عند الكعبة حتى يأتيهم اليقين لما نقله الحافظ محب الدين الطبري عن الشيخ محمد بـــن ســـابط أنه قال : (كان النبي إذا هلكت أمته لحق بمكة ، فيتعبد فيها ومن معه حتى يمـــوت) . ولهذا ورد أنه يوجد حول الكعبة قبور ثلاثمائة نبي منهم نوح وهود وصالح ، وشـــعيب عليهم السلام بين زمزم والمقام والركن ، وإسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام تحت الميزاب[5].

وكانـــت إقامـــة الشـــناقطة في هـــذه البلدان تلقى تشجيعاً كبيراً من لدن القادة والشـــعوب على حد سواء قبل قيام الجمهورية الإسلامية الموريتانية تقديراً منهم لعلمهم الواســـع ، وثقافتهم الإسلامية الرفيعة . فكان لتوطنهم فيها آثاراً إيجابية ومثمرة ، حيث كـــانوا في مواقع التأثير دائماً ، وأفادوا كثيراً في المجالات العلمية ، والقضائية ، والسياسية بصـــفـــة خاصـــة . إذْ كان منهم الأئمة والعلماء ، والقضـــاة ، والوزراء ، والسفراء ، والـــبرلمانيون ، والمستشـــارون ، كما سيظهر جلياً في باب التراجم . وإن كان لابد من

---

[1] حماه الله بن السالم : بلاد شنقيط والمشرق العربي(رسالة مرقونة) ، ص/ 67.

[2] سيدي علي: الحياة الثقافية في المدينة المنورة على عهد المماليك ، ص/69 .

[3] النحوي:بلاد شنقيط ، ص/274 ، ومحمد محمود ودادي:تعريب (البرابيش)لبول مرتي ، ص/80-81 .

[4] راجع الباب الثاني .

[5] محب الدين الطبري:القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق مصطفى السقا ، ص/654-655 ، والحسن البصري: فضائل مكة والسكن فيها ، تحقيق سامي مكي العاني ، ص/20 .

ضرب الأمثال لبعض هذه الجهود فإننا نشير إلى أنهم شاركوا بجهد كبير في النهضة العلمية السعودية التي شهدتها الساحة الثقافية على إثر دعوة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إلى إعداد جيل متعلم يملأ الفراغ الذي تركه موت العلماء .ويعد الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي في طليعة المشاركين في انطلاقة هذه الحركة لعلمية سنة 1371هـ . وكان لنشاطه الدؤوب في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة على مدى خمس وعشرين سنة أثراً حسناً على هذه النهضة المباركة وازدهارها[1] .

وقد لاحظ المراقبون بغبطة واستغراب الحضور المتميز للشناقطة في المحافل الإسلامية في الثمانينات والتسعينات الهجرية . وتمثيلهم فيها لدول شتى كما حدث إبان تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة بالسعودية حيث حضر منهم سبع شخصيات وهم :

1-الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني :عضو هيئة كبار العلماء السعوديين .

2-سعادة محمد عبد الرحمن الشيباني الشمسدي:وكيل وزارة الإعلام السعودية .

3-سعادة محمد الأمين بن الشيخ محمد الخِضْر الجكني: سفير الأردن لدى السعودية .

4-سعادة أحمد بن الشيخ محمد الأمين البوصادي :سفير اليمن لدى قطر .

5-سعادة الديّ بن سيدي بابا الشمسدي : وزير التعليم المغربي الأسبق ، ورئيس برلمانه لاحقا .

6-سعادة أحمد بن حُرْمَهْ العلوي : كان مقيماً في السعودية بدرجة سفير للمغرب

7-سعادة محمد بن الشيخ بن حدُّ الكنتي : القنصل الموريتاني لدى السعودية[2].

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على تأصل المحبة ، وعمق التفاهم اللذانِ يطبعان علاقة الشناقطة بإخوانهم في المعمورة . ومدى الثقة التي يحظون بها عندهم لما عرفوا من علمهم ، وديانتهم ، وجرّبوا من أمانتهم ، وإخلاصهم .ولم تكن هذه العلاقة قاصرة على

---

(1) الشيخ عطية محمد سالم : (مقدمة)رحلة الحج للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص/26-27 .

(2) حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد الملقب أدو بن أحمد بابا في المدينة المنورة بتاريخ 1421/11/12هـ الموافق 2001/02/06م .

المراسم الدبلوماسية فحسب ، وإنما كانت مثالاً صادقاً للأخوة الإسلامية في أنقى صورها، وأهـــى مظاهرها قديماً وحديثا . فقد نُقل عن الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني أنـــه لما علم وهو في الرياض بسجنِ شنقيطيين في المدينة المنورة بسبب انتهاء تأشيرتهما ، رفـــع قضيتهما إلى الملك عبد العزيز آل سعود سنة 1372هـــ.. فأمر بإطلاق سراحهما فـــوراً ، وعدم التعرض للشناقطة المهاجرين حتى إشعار آخر[1]. ثم تفضّل بعد أيام قلائل بإصدار مرسوم ملكي يقضي بالجنسية لكافة من يرغب فيها من الجالية الشنقيطية دون قيد أو شرط[2] . وقد استمرّ هذا المرسوم سنوات عديدة شملتْ عهد الملك سعود وصدراً من عهد الملك فيصل . والحق أنهم لم يمنعوا من الجنسية بالكلية ، بل لا زال آحادهم يمنحونها استجابة لرغباتهم الخاصة ، وقد استفاد منها أفراد منهم في عهدي الملك خالد والملك فهد آل سعود[3].

ويـــرى الأديـــب اللبـــناني محمد يوسف مقلد أن المملكة اصطفت الشناقطة على غيرهـــم مـــن الرعايا العرب لأسباب كثيرة منها : (أن معظمهم أهل ثقافة إسلامية ولغة وأدب .. ولأنها وجدتهم عنصر خير وسلام وإسلام .. إضافة إلى شدة تمسكهم بدينهم ، وعروبتهم تمسكاً لا يضاهيهم به أصحّ الناس ديناً وعروبةً في المشرق العربي)[4].

ولا يكاد يذكر الشناقطة في السعودية إلا وتذكر معهم أسرة آل جمجوم الكريمة في جـــدة للعلاقـــة الوثيقة بينهم منذ عقود خلتْ . فقد كانت تستقبل حجاج الشناقطة ، ومعـــتمريهم طـــوال أيام السنة ، وتحسن ضيافتهم ، وتتفقد أحوالهم ، وتقدم لهم المعونة اللازمـــة ، وكافة التسهيلات التي كانوا يحتاجونها في تنقلاتهم بين الحرمين الشريفين[5] . كما هو مشهور عن أكابر العائلة كالشيخ عبد العزيز جمجوم ، ونجليه الشيخ محمد صالح ، والشـــيخ عبد الرؤوف ، مروءة قديمة يرعونها ، واعتقاداً حسناً لهم في القوم . ولا يزال

---

[1] المرجع السابق نفسه ، والروايات المتداولة بين الجالية الشنقيطية .

[2] الشيخ عطية محمد سالم : (مقدمة)رحلة الحج للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص/28 ، ومحمد يوسف مقلد : شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ، ص/59 .

[3] راجع تراجم الرجال في الباب الثاني .

[4] محمد يوسف مقلد :المرجع السابق ؛ ص/59 (بتصرف يسير).

[5] محمد علي مغربي : أعلام الحجاز 1/272-273 .

آل جمجـــوم على عهد آبائهم رغم التعقيدات التي طرأت على حياة الناس في زماننا.وقد خصصـــوا عمـــارة في حي البغدادية الشرقية بجدة لنُـــزُل الشناقطة ، ولضمان استمرارية التواصل معهم .

ومن أعيان الأسر الجليلة الذين كان لبعض علماء الشناقطة صلات طيبة بهم خلال رحلاتهم العلمية ، والدعوية في المشرق آل نصيف ، وآل المشاط في الحجاز ، وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وآل البسام في نجد ، وآل المبارك في الأحساء ، وآل خليفة ، وآل الـــزياني في البحرين ، وآل الخزرجي في الإمارات العربية المتحدة ، والزبيريون في العراق وغيرهم [1].

كمـــا سجل التاريخ موقفاً أخوياً كريماً ونادراً لأمير دولة الكويت الشقيقة سابقاً الشيخ صُباح الســـالم الصُبـــاح حيـــن زاره الرئيس الموريتاني الأسبـــق الأستاذ المختار ابـــن داداه .. كـــان ذلـــك في أول جلسة عمل مشتركة بين الجانبين حيث أخذ سموه الكـــلمة ، وبعد ترحيبه الحار بالوفد الموريتاني ، والثناء عليه ، توجه بالكلام مباشرة إلى أعضـــاء حكومـــته ، وخاطـــبهم قائلاً : (باسم أمير دولة الكويت آمركم أن تلبوا جميع مطالـــب الوفـــد الموريتاني مهما كانت ، وباسمي الشخصي فإني أتخلى عن رئاسة الوفد الكويـــتي ، وأتشـــرف أن أكون عضواً بسيطاً في الوفد الموريتاني) ، ثم نهض من مكانه ، وأومـــأ إلى ولي العهـــد أنذاك الشيخ جابر الأحمد الصُباح أن يجلس فيه . وطفق يتجاوز الصـــفوف ، ويتخطى الرقاب أمام دهشة وانبهار المجتمعين حتى اتخذ مكانه في أول مقعد شـــاغر بين أعضاء الوفد الموريتاني[2]. وهذه الحادثة لها دلالات ومعاني إسلامية عميقة لا تخفـــى عـــلى اللبيـــب ، وأرى واجباً أن تدون في مكارم الأخلاق . وقد تبوأ الشناقطة الأردنـــيين مكانة سامقة لدى الأسرة الهاشمية المالكة أيضاً ، وكان الملك حُسين بن طلال كثيراً ما يشيد بمكانتهم ويقول : (لقد أوصاني جدي الملك عبد الله الأول رحمه الله تعالى

---

(1) انظر تراجم الرجال في الباب الثاني .

(2) محمد الأمين بن فاضل (مقال): العلاقات الموريتانية الكويتية ، نشرته جريدة البيان الموريتانية عدد(29) بتاريخ 23-1992/08/29م

بالشناقطة خيراً لعلمهم وصلاحهم[1] . وللشناقطة في دولة الإمارات العربية المتحدة منزلة معتبرة ، واحترام كبير ، وعُرف عن رئيسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان اهتمامه بشؤونهم ، وتوجيهه الدائم إلى مراعاة حقهم ، وتحقيق رغباتهم[2]. وأما أهل السودان فحدِّث عن حسن صنيعهم بالقوم ولا حرج ، فقد احتكوا بهم قروناً طويلة في طريقهم إلى الحج ، فأحبوهم وآخوهم ، وازدادوا بهم إعجاباً حتى اعتبروهم شرفاء أُصلاءَ وعُلماء حفاظاً دون استثناء.. ومما يحضرني من مناقبهم وتقديرهم للشناقطة ، وتفانيهم في إكرامهم حتى صار ذلك عُرفاً متبعاً يتوارثونه ما يؤثر عن التاجر المشهور الحاج مسعود المغربي (ت1410هـ) في بورت السودان ، وهو أنه جاءته ذات مرة جماعة من الشناقطة يوم التروية يريدون الحج ، فأجّر لهم طائرة في الحال لتنقلهم إلى جدة على حسابه الخاص ، وهاتف شركة للنقل هناك لتحملهم إلى مكة المكرمة .. ولما علم الشيخ محمد المجتبى بن خَطْرِي الشنقيطي نزيل مكة بقصتهم قال : يا ليتني كنتُ الحاج مسعود ، لما يرى له من الفضل والأجر العظيم .وحدثني أحد الثقاة من الشناقطة عن الحاج العباس آل البربري في بورت السودان ، وكان صديقاً له أنه قال له يوماً : (أنت تعرف الشناقطة ، وهذه خزينة الفضة بين يديك فكل من وجدته منهم يريد السلف فأسلفه ، فمن قضاك منهم فخذ منه ومن لم يقضك فلا تكلمه .. هذا عهد بيني وبينك والله حسيبك)، وينسب مثل هذا الجود ، وهذه المواقف النبيلة إلى أبي عائشة محمد كاظم آل البربري أيضاً[3]. وأما مصر فقد استضافت حجاج الشناقطة منذ أمد بعيد لمكانتها العلمية ، وموقعها الجغرافي .. وقد آوتهم وأكرمتهم ، وكانت لعلمائها معهم مجالس ولقاءات مشهورة في مدينتي القاهرة والإسكندرية مثل : العلامة السيد مرتضى الزبيدي ، والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الأسبق ، والشيخ أحمد حمزة ، وغيرهم

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع العقيد سيدي علي بن جدّين في النعمة يوم 1421/07/15هـ ، نقلاً عن الضابط محمدنا بن أحمد بابا الذي اجتمع بالملك حسين إبان انتدابه في دورة عسكرية إلى الأردن ، وسمع منه ذلك الثناء في حفل خاص أقيم لدفعته بمناسبة تخرجهم .

[2] راجع الباب الثاني ، والروايات المتواترة عنه بين الجالية الشنقيطية في دولة الإمارات العربية المتحدة تؤكد ذلك .

[3] تم استيفاء المعلومات السابقة من مقابلة بين الباحث والإمام بن أحميده الشنقيطي في جدة يوم 1420/05/04هـ الموافق 1999/08/15م .

من علماء الأزهر الشريف[1]. وأما تركيا فقد استقبلت طائفة منهم استقبال الأبطال الفاتحين بعدما جاهدوا معها ضد الحلفاء لإنقاذ الخلافة الإسلامية على عهد السلطان عبد الحميد الثاني .. فاقتطعت لهم الأراضي للسكنى والزراعة ، ويسرت لهم أسباب الاستقرار والبناء[2]. ولم يقتصر تبجيل القوم على هذا التقدير والتكريم، بل زينت بأسمائهم شوارع المدن في المشرق والمغرب تخليداً لهم وذكرى مثل شارع الشيخ محمد الخِضْر آل ما يأبى وشارع نجله الشيخ محمد الأمين في العاصمة الأردنية عمّان ، وشارع الشيخ محمد صالح الشنقيطي في أم درمان بالسودان ، وشارع الشيخ محمد الأمين بن زيدان في الحديدة باليمن ، وشارع الأمير محمد فال بن عمير في الرباط عاصمة المغرب ، وغير ذلك من الجوامع والمدارس التي تحمل أسماءهم[3] .

ولا يزال أحفاد الشناقطة في الديار المشرقية يحملون رسالة سلفهم السامية بأمانة وجدارة وهم يشكلون اليوم جسراً قوياً ورباطاً نسبياً وثيقاً بين أوطانهم التي ولدوا فيها ، ونشأوا على ثراها ، وأصبحوا جزءاً منها وبين وطن أجدادهم بلاد شنقيط . ولم تقتصر دراساتهم على المجال الشرعي فقط وإنما برزوا أيضاً في مجالات أخرى بكفاءة مثل : الإعلام ، والبريد ، والإدارة ، والاقتصاد ، والطيران، والطب ، والهندسة ، وغيرها .. وخير نموذج على استمرارية دورهم الثقافي ، والاجتماعي الريادي في المنطقة هو الشناقطة السعوديين ، فهم من جهة يساهمون بفاعلية للارتقاء بالمستوى العلمي والأكاديمي داخل المملكة ، ويبرز ذلك من خلال تواجدهم المكثف في المؤسسات التربوية ، والعلمية المختلفة انطلاقاً من مسؤولياتهم والتزاماتهم تجاه دينهم وأمتهم حيث بلغ عدد الأكاديميين منهم سنة 1416هـ ستين أستاذاً ما بين دكتور وحامل لدرجة الماجستير ، وقِسْ على ذلك أساتذة المراحل الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية .كما أنشأ طلاب الشناقطة نادياً أدبياً بالمدينة المنورة في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري من بينهم محمد بن سيدي الحبيب الجكني ، وضيف الله محمد الخضر الجكني ، ومحمد الأمين بن الحسين الجكني ، ومحمد إنجيه بن يوسف التنواجيوي ، وإبراهيم بن عثمان اللمتوني ، وعبد الرحمن بن

---

[1] انظر تراجم الرجال في الباب الثاني .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ عبد الله بن بيّه في جدة يوم 1421/06/13هـ

[3] راجع تراجم الرجال في الباب الثاني .

عبوده العلوي ، والمهدي بن ابادي اللمتوني ، وسيدي أحمد بن عبد الصمد الجكني ، والميمون بن امينوه الكنتي ، ومحمد أحيد بن محم بوبه الجكني ، ومحفوظ بن سِيدات الجكني ، ومحمد عمر بن حَوْيه الجكني وغيرهم [1].

وقد انبثقت عن هذا النادي لاحقاً عدة مجالس علمية في المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وجدة ، والرياض على التوالي، ابتداءً من سنة 1387هـ . وهي عبارة عن حلقات علمية أهلية تعقد مرة كل أسبوع بعد صلاة العشاء من ليلة الخميس أو الجمعة في بيت أحد المشايخ . ويعتمد في دروسها على روايتي حفص وورش في القراءات، والقرطبي ، وابن كثير ، والبغوي في التفسير ، وفتح الباري على صحيح البخاري ، والنووي على صحيح مسلم في الحديث . ومراقي السعود للشيخ سيدي عبد الله العلوي في الأصول ، وموطأ الإمام مالك ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه ، وابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو[2]. هذا بالإضافة إلى ما يتخلل ذلك من مباحثات علمية قيمة ، وتحليل للمسائل الغامضة في جو أخوي تسوده البساطة والتسامح ، ويعيد إلى الأذهان أيام المحاضر الشنقيطية العريقة ، وبعدها عن التكلف والرسميات[3] .

ومن جهة أخرى لهم دور اجتماعي لا يستهان به منذ سالف الزمن ، حيث كانوا يتعاونون فيما بينهم لمعالجة مرضاهم ولضمان ديات الخطأ التي تلزم بعض أفرادهم بسبب حوادث السيارات أساسا . وقد قاموا بإنشاء جمعية إصلاحية[4] سنة 1406هـ لتأطير تلك الجهود ، وتنظيمها ، ولصيانة سمعة الجاهلية الشنقيطية ، وتوجيهها إلى ما فيه صالحها

---

[1] تم استيفاء المعلومات السابقة من مقابلة بين الباحث و الشيخ محمد الأمين بن الحسين في المدينة المنورة يوم 1417/04/14هـ .

[2] تم استيفاء المعلومات السابقة من مقابلة بين الباحث و الدكتور محمد الخضر ضيف الله في مكة المكرمة بتاريخ 2000/04/06م .

[3] حضرت هذه الحلق العلمية لأول مرة في الحجاز ليلة الخميس 1996/09/12م ، وكان حالها كما ذكرت.

[4] كان سبب إنشاء هذه الجمعية أن أحد الشنقاطة وقع في حادث سير في مدينة رابغ سنة 1406هـ ، ولبث ستة أشهر محجوزاً دون أن يجد حلاً لمشكلته لقلة ذات يده ، فرأى الشيخ محمد الأمين بن الحسين الجكني والشيخ إبراهيم بن عثمان اللمتوني ضرورة التعاون بين أفراد الجالية لمساعدته في محنته .. ومن هنا تبلورت فكرة إنشاء الجمعية الإصاحية .

حالاً ومآلاً[1].وكان الحجازيون قديماً يعتمدون على الشناقطة في علاج الأمراض النفسية ، والعصبية عن طريق الرقيا بالقرآن الكريم[2] ، وأسماء الله الحسنى والأدعية المأثورة .

لقد كانوا بحق يشكلون ظاهرة اجتماعية فريدة في الحجاز في سلوكهم وعاداتهم الإسلامية الأصلية ، فكان المدرس منهم إذا خرج إلى الصلوات أو لبعض حاجاته يتبعه تلاميذه في الطرقات ، وهم يقرؤون من محفوظاتهم ، وهو يستمع إليهم ويصحح لكل واحد منهم من غير ارتباك أو تلعثم ، أو توقف في السير لشدة ضبطه وتمكنه[3] . هكذا عرفهم الناس أهل علم ودين، وسيرة حسنة سيان في ذلك رجالهم ونساؤهم ، وكل من حاد عن هذا الطريق يعتبرونه خارجاً عن منهجهم وتقاليدهم .

وتعتبر هذه الأنشطة امتداداً كذلك لدور علماء الشناقطة العلمي والاجتماعي الذي عرفوا به عبر العصور في إفريقيا وآسيا[4] . ولا تزال الجالية في المشرق ترجعُ إلى علمائها في كثير من أمورها ، وتعتبرهم قدوتها ، والممثلون الأوفياء لها ، والأمناء الحقيقيين على مصالحها . أما السفارات التي ظهرت بعد استقلال البلاد فلها دور أساسي في العلاقات الدبلوماسية المعاصرة ، وهي مكملة لجهود العلماء السابقة . ويتفهم حُكّام الأقطار المشرقية والإفريقية مقاصد علماء الشناقطة الحسنة ، ويقدرون لهم تلك الجهود الجبارة ، وما فتئوا يقدمون لهم الدعم اللازم ، ويتعاونون معهم في مساعيهم الخيرة كلها .

وإذا كان الشناقطة في المشرق قد اندمجوا في الحياة النشطة ، وبرزوا في المؤسسات العامة والخاصة ، وجمعوا فوائد الأسفار الخمسة التي نظمها الشاعر في قوله :

تغرب عن الأوطان في طلب العلا	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة	وعلم وآداب وصحبة ماجد

فإن ما يثير العجب حقاً أولئك الشناقطة الموريتانيين الذين ضحوا بمراكزهم الاجتماعية، وهجروا أمصارهم ، وخرجوا عن ممتلكاتهم ، وآثروا الكفاف في جوار

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد الأمين بن الحسين في المدينة المنورة يوم14/ 1417/04هـ .

[2] محمد صالح حمزة عسيلان : مجتمع الشناقطة في المدينة المنورة (رسالة مرقونة) ، ص/60 .

[3] المرجع السابق نفسه ، ص/58-59 .

[4] المرجع السابق نفسه ، ص/46 وما بعدها .

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على الدنيا بحذافيرها ، ولسان حالهم يردد قول المحب الشيخ مشيخ باعبود العلوي (ت 1170هـ) :

لخبـز شـعير تافـل غيـر مـالح بغير إدام والذي يسمع النجوى

مع الفقـر في دار الـحبيب محـمد ألذ على قلبي من المنّ والسلوى

على أنني فيهـا على كل حالـة غني بتيسير الأمور كما أهـوى

ولا غـرو فمحبة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يهون في سبيلها كل شيء مهما كان-بأبي هو وأمي- ولا يتمّ الإيمان إلا بتمامها ، وهذا مما يغبطون عليه بلا شك .. ولكـني أرى أنـه مـن الواجب الوقوف مع هذه الظاهرة لمعرفة ضوابطها الشرعية ، وتنقيـتها مـن المحاذيـر التي لا تنفكّ عنها غالباً ، وحتى يكون الجوار مستوفياً لشروطه ليستوفي أجره كاملاً غير منقوص ، وهذا ما سنعالجه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

الفصل الثامن

الجوار وأفضل الأعمال

ولا يعـني هذا أن الجوار بالحرمين الشريفين على نية العبادة أفضل الأعمال ، بل أجـلّ منه تعليم الناس وإرشادهم وإصلاح ذات بينهم والسعي في مصالحهم ، لأن العبادة الـتي يعم نفعها خير وأفضل من العبادة التي يخص نفعها . وأعظم من ذلك كله الجهاد في سـبيل الله تعالى لما روى أبو ذر الغِفار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أفضل العمل الإيمان بالله والجهاد في سبيله)متفق عليه[1] ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقول عندما يرسل سريةً : (والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل)متفق عليه[2] ، ولما روى أنس بن مالك رضي الله عنه عـن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكـرامة)رواه البخاري[3] .ولأن الجهاد ذروة سنام الإسلام لما ورد في الحديث أن النبي صـلى الله علـيه وسـلم قـال : (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد)رواه أحمد والترمذي[4] ، فبالجهاد يعز المسلمون ويذل المشركون ، وبه ترد الحقوق المغصـوبة ، وتنشر العدالة بين الناس . وبه تصان الأعراض ، وتحفظ الحرمات ، وبالجهاد تـأمن بيضة الإسلام من الأعداء المفسدين ، وتنجو الأمة من المناوئين العابثين ، وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا وهانوا . وآيات أفضليته كثيرة نذكر منها على سبيل المثال أن رسول الله صـلى الله عليه وسلم توفي عن أكثر من مائة ألف صحابي[5] ولم يمت منهم بالحرمين الشـريفين سوى عشرة آلاف[6] أو يزيدون قليلاً[7] ، أما غير ذلك فقد تفرق في فجاج الأرض بأمـر من الله تعالى ، وبتوجيه من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، مبلغاً رسالة

---

[1] البخاري-الفتح(2518)، واللفظ له ، ومسلم (84).

[2] البخاري-الفتح(3123) ، ومسلم(1876) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[3] البخاري-الفتح(2817) ، وغيره .

[4] أحمد (22016) ، والترمذي(2616) وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (3973).

[5] اجتمع حول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مائة ألف وأربعة وعشرون أو أربعة وأربعون ألفاً من الناس . انظر كتاب الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، ص/542 .

[6] محمد يحيى الولاتي : الرحلة الحجازية ، ص/191 .

[7] قال الحافظ محب الدين الطبري : (وقد نزل بمكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة وخمسون رجلاً) . انظر كتابه القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق مصطفى السقاء ، ص/662 .

الإسلام وداعيا إلى كلمة التوحيد . ولو كان الأمر على خلاف ما ذكر لضاق بهم رضي الله عنهم بقيع الغرقد[1] ، ومقبرة المعلاه[2] ، وهذا واضح عقلا وثابت نقلا وما ذلك إلا لأنهم فقهوا ما أنزل إليهم من ربهم ، فأخذوه بقوة وألقوا بالمعاذير عرض الحائط ، فلم تجد إلى قلوبهم سبيلاً ، فكانوا يخرجون إلى الجهاد كباراً وصغاراً يريدون الله والدار الآخرة ، غير عابئين بأي شيء آخر مهما كان ، فهذا هو مستقبلهم الذي ينتظرونه ، وهو هدفهم الذي يرجونه . فكان شِعارهم :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

وكانوا أحق بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهلاً لها : (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة)[3] . فمن ذلك ما روي عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه لما قرأ سورة براءة ، وأتى على هذه الآية :{انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}[4] ، قال : أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباناً ، جهزوني يا بني . فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك .. فأبى ، فركب البحر فمات .فلم يجدوا جزيرة يدفنوه فيها إلا بعد تسعة أيام فلم يتغير ، فدفنوه فيها)[5]. وكان بإمكانه رضي الله عنه التعذر بكبر سنه ، وجهاد أبنائه عنه ، كما هي عادة الأخيار من أهل زماننا ، ولكنه لم يفعل ، فشتان بيننا وبينهم علماً وفهماً وعملاً .والأدهى من التثاقل عن الجهاد والتستر بالمعاذير ما نشاهده اليوم من تضايق البعض من تدين أبنائهم ، واستقامتهم، واعتبارهم ذلك تضييعاً للعمر وتدميراً للحياة . ومن كانت نظرته للدين هكذا ، فلا ينتظر منه أن يحميه ، أو يفديه بنفسه ، أو بأولاده وماله . بل يعتبر أخطر عليه من الكفار الخُلّصِ لأنه محسوب على الإسلام ، ولا حقيقة لانتسابه في الواقع ، بل هو عقبة كأداء في طريقه ، والدعاوي-كما يقال-أبناؤها أدعياء ،

---

[1] بقيع الغرقد: مقبرة المدينة المنورة الرئيسية .

[2] مقبرة المعلاه : مقبرة مكة المكرمة الرئيسية ، وكانت تعرف قديماً بمقبرة بني هاشم ، ومقبرة الحجون .

[3] البخاري-الفتح (2834)، (2835) ، (4099) ، ومسلم (1805) ، وأحمد (12757) ، (12768) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[4] التوبة :41 .

[5] تفسير ابن كثير ، 373/2 .

والأصل في النكاح طلب الولد لزيادة الأمة ، والجهاد وليجري على أبويه عمله ، ودعاؤه بعـد موتهما هذا فضلاً عن طلب العفة ، وكف الجوارح عن الحرام، فعن أنس رضي الله عـنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة) رواه أحمد[1] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: (قـال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة -أو تسع وتسعين- كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله)متفق عليه[2] وهو محل الشاهد ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا مـن ثـلاث : صـدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو لـه ، أو علم ينتفع به)رواه مسلم وغيره[3] .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى : (والذين يقولون ربنا هب لـنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين)[4] ، يعنون من يعمل بطاعة الله تعالى فتقرّ به أعينهم في الدنـيا الآخـرة ، وقال عكرمة لم يريدوا بذلك صباحةً ولا جمالاً ، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين [5] . وهذا كلام عارض اقتضاه المقام .

ومـن أدلة أفضلية الجهاد على الجوار أيضاً ما أخرجه مسلم وأبو داود وابن جرير وابـن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن النعمان ابن بشـير رضـي الله عنه قال: (كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم ، فزجـرهم عمـر ، وقال :لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلـك يـوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاسـتفتيته فـيما اختلفتم فيه ، فأنزل الله تعالى : {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد

---

(1) أحمد (12613) ، (13569) .

(2) البخاري- الفتح (2819) ، ومسلم (1654).

(3) مسلم(1255) ، (1631) ، وأبو داود(2880) ، والترمذي(1376).

(4) الفرقان : 74 .

(5) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم 342/3 .

الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين[1]}[2] . ويشهد لهذا أيضاً قوله عز من قائل: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجاتٍ منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما}[3] ، ومنه ما روي عن أسلم أنه قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية[4] على صفّ العدو حتى خرقه ، ومعنا أبو أيوب الأنصاري فقال ناس : ألقى بيده إلى التهلكة . فقال أبو أيوب : نحن أعلم بهذه الآية ، إنما نزلت فينا : صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار فقلنا : قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله ، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما ، فنزل فينا:{وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}[5] ، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد)[6] . ونحن نعلم أن أهليهم وأبناءهم وأموالهم كانت بالحرمين الشريفين ، ولكنهم هجروها لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه وهداية الناس إلى صراطه المستقيم في تلك الأصقاع البعيدة عن الأحبة والأوطان. فكان من ثمار تلك الدعوة العالمية ، وذلك الجهاد المبارك أنك لا تجد اليوم بقعة من الأرض إلا وفيها من يعبد الله ويوحده ويصدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبرسالته وذلك هو الفوز الكبير . ومن الأدلة كذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)رواه ابن حبان [7] .

---

[1] التوبة:19 .

[2] انظر الشوكاني : فتح القدير 329/2 .

[3] النساء:95 .

[4] القسطنطينية : مدينة تركية تعرف بالأستانة أو اسطنبول.

[5] البقرة:195 .

[6] أبو داود (2512) .

[7] ابن حبان (4603) ، وكنز العمال (10560).

ويلخص لنا عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى هذا الحكم في أبياته المشهورة التي بعث بها إلى الفضيل بن عياض من طرسوس[1] في سنة سبع وسبعين ومائة للهجرة ، حين بلغه أنه جاور بالحرمين الشريفين وآثر العبادة على الجهاد في سبيل الله ، فقال له :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لوجدت[2] أنك بالعبادة تلعب
من كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الكريهة[3] تتعب
أو كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبيا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا جمع بين غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب[4]
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب[5]

فلما قرأها الفضيل بكى وقال : صدق أخي ونصحني . وحين كتب له هذا كان ابن المبارك ملازماً للجهاد والرباط بأرض الشام [6] .

وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الرباط في ثغور المسلمين أفضل من سكنى مكة والمدينة وبيت المقدس على نية العبادة ، ثم قال : وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة [7] .

هذا على افتراض القيام بحق الجوار من امتثال واجتناب ، والاستشعار بقدسية المكان والزمان ، وما يتبع ذلك من محاسن الأعمال وجلائل الخصال ، والتنزيه لحرم الله

---

[1] طرسوس: ثغر من ثغور الروم في الشام .

[2] وفي رواية لعلمت .

[3] وفي رواية الصبيحة .

[4] إشارة إلى ما روه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم)رواه أحمد (7480) ، وفي رواية (في جوف رجل مسلم)رواه أحمد(9693)والترمذي (1633) ، (2311).

[5] إشارة إلى قوله تعالى : {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون}آل عمران:169 وقوله سبحانه : {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون}البقرة:154 .

[6] محمد عثمان جمال : عبد الله بن المبارك ، ص/150-151 .

[7] ابن تيمية : مجموع الفتاوي ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم الحنبلي وابنه محمد ، 28/5 .

وأمنه عن ما لا يليق بعظمته وحرمته ، فما بالك بمن هو دون ذلك ؟! وهذا ما جعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في حجاج الآفاق نهاية كل موسم قائلاً : (يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم ، فإن ذلك أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم) ، ولا يعني هذا أنه يضنّ بالأرض المقدسة عليهم أو يخاف من مضايقتهم لأهلها في معاشهم ومساكنهم حاشا أمير المؤمنين من ذلك ، فهذه مفاهيم جاهلية معاصرة ، ولكنه كان يقول ذلك من باب النصيحة المحضة للرعية ، ومراعاة للمصلحة العامة للدولة الإسلامية ، ولئلا يقعوا في محظورين كبيرين أولاهما : التهوين من عظمة شعائر الله تعالى ، وعدم التشوق إلى الحرمين الشريفين بسبب مجاورتهما ، والتعود على رؤيتهما . ومن كانت حاله هكذا تنقلب عبادته إلى عادة لا معنى لها ، وحركات شكلية لا تزكي قلباً ولا تروض روحاً ، ولا تقرب من الله عز وجل كما قال أحد السلف : كم من رجل بأرض خراسان أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به ، لذا كان عمر رضي الله عنه يشفق على أهل مكة من هذه الحال ويقول : (يا أهل مكة اتقوا الله في حرمكم هذا ، أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنوا فلان فأحلوا حرمته فهلكوا ، وبنوا فلان فأحلوا حرمته فهلكوا ، حتى عد ما شاء الله ، ثم قال : والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحب إليّ من أعمل واحدة بمكة)رواه البيهقي[1]. وثانيهما : خلو الثغور من المرابطين ، وتركها عورة للأعداء وهذا يؤدي إلى عودة الكفر وتحكمه في تلك الديار بعد أن تحررت منه ودانت لله بالإسلام ، وفي ذلك من الإثم ما فيه ، وهو من قبيل التولي يوم الزحف المعدود من الكبائر العظام والعياذ بالله تعالى .

وقد رأينا أمراً آخر في زماننا لا يقل خطورة عن سابقيه ، وهو أن بعض الآباء والأمهات- سامحهم الله- يأتين إلى الحرمين الشريفين بنية الجوار متجردين من كل تبعة أخرى ، مما يضطر الأبناء إلى اللحاق بهم لإعالتهم وتأدية حقهم ما دام في الأعمار متسع . وكثيراً ما تحول الظروف المادية لهؤلاء دون اصطحاب أهليهم وأبنائهم ، أو التردد عليهم لرعايتهم وتأديبهم ، ويفضي ذلك في النهاية إلى تشتت الأسر وخراب البيوت وقطيعة الأرحام ، وتعطيل كثير من المصالح . وهذا ما يجب على المسلم الاحتراز

---

[1] شعب الإيمان للبيهقي (4012) .

منه حتى لا يقع في مفسدة لا يدرأ وزرها إلا التوبة والعدول عن مراده ، وهو مأجور على نيته وحرصه على المجاورة لقوله عليه الصلاة والسلام : (وإنما لكل امرئ ما نوى)[1] .

ومن العوام من يستنكر رجوع بعض المجاورين إلى أوطانهم ، ويستعيذون بالله من حالهم كأنهم قارفوا منكراً ، أو وقعوا في محظور ، وذلك بسبب شبهة علقت بأذهانهم مؤداها أن المدينة تطرد المنافقين وتنبذهم ، وهذا سوء ظنّ مبني على الجهل والفهم السقيم ، ولم يعلموا أن الأرض لا تقدس أهلها ، وأن الموت بالحرمين الشريفين لا يقتضي السعادة البتة كما أن الموت خارجهما لا يدل على الشقاء مطلقاً والعكس أيضاً . فالعبرة بالإيمان الصادق والعمل الصالح وأي موضع بعد ذلك صلح فيه قلب العبد وسلم له دينه ، واستقام فيه حاله فهو أفضل المواضع له بلا خلاف ، لأن الله سبحانه هو المعبود وهو رب المشارق والمغارب ورب كل شيء . فهذه الأمور يجب أن تكون واضحة ومفهومة لدى الجميع ، فقد مات عبد الله بن أبي بن سلول في المدينة ولم يقربه ذلك من الله تعالى لنفاقه وسوء طويته ، وتوفي أبو أيوب الأنصاري على مشارف القسطنطينية بتركيا ولم يحرمه ذلك من رحمة الله سبحانه لإيمانه وجهاده فافهم .

نعم إن المدينة تنفي خبثها بلا شك ولا تزال تنبذه وتطرده وتفضح أهله إلى يوم القيامة ، وهي أيضاً تظهر طيبها وتخلصهُ ، وتزيده نوراً على نور لما رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها) متفق عليه[2] ولكن لا يعني هذا أن كل من غادرها يعتبر منافقاً صريحاً وأن من بقي فيها يعد مؤمناً خالصاً ، بل يحكم على كل واحد بحسب حاله ولا يجوز التعميم أبداً إذْ حسن الظن بجميع المسلمين مطلب إسلامي أكيد .فقد خرج منها الصحابة رضوان الله عليهم للجهاد والتعليم وغيره بأمر من الشارع ، وكذا فعل أهل القرون المزكاة ، وهؤلاء من المؤمنين الصادقين قطعاً وفعلهم ذلك طاعة من أجل القربات ، وإنما وردت المذمة فيمن خرج رغبة عنها في الدنيا خاصة لا لتحقيق مصلحة دينية راجحة لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه : هلمّ إلى الرخاء هلم

---

[1] البخاري-الفتح(2) ، وأبو داود (2201) ، وأحمد (25).

[2] البخاري-الفتح(1883) ، (1884) ، (7211) ، ومسلم(1383)

إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه ، ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد)رواه مسلم[1] . فأين هؤلاء الدنيويون من ألئك الذين خرجوا يريدون الله والدار الآخرة ؟! وأما خلاصها من المنافقين برمتهم فلم يتحقق زمن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليه رغم أن الشارع أقرّ قتلهم ولكنه لم يفعل لقرب عهد الناس بالإسلام حتى لا يقال :محمد يقتل أصحابه . ولئلا يوظف ذلك ضد الدين الجديد وأهله لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما هو مقرر في الأصول والقواعد . ولن يتحقق خلاص المدينة من المنافقين إلا بعد خروج الدجال ووصوله إلى أسوارها ، ومنع الملائكة له من دخولها لما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقبٌ[2] من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها)وعندما تخيب مساعيه في دخولها يعسكر خارجها في انتظار أشياعه من الكفار والمنافقين لقول النبي صلى الله عليه وآل وسلم في بقية الحديث: (فينزل بالسبخة[3]فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه منها كل كافر ومنافق)متفق عليه[4] ، وزاد أحمد والحاكم (فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص)[5] . قال ابن حجر: (أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ، ويبقى المؤمن الخالص فلا يسلط الدجال عليه)[6] .

وأما من توفرت له شروط الجوار ، وأنس من نفسه القيام بحقه بحيث لم يتعلق به حق لأحد، ولم يتعين عليه الجهاد والرباط ، ولم يترتب على جواره تعطيلاً لمنافعه ومزاياه ، ولم يتعلق قلبه بغير الحرمين الشريفين ولم يتسبب جواره في مذلة لنفسه أو إهانة لغيره ، وكان جواره محفزاً له على المزيد من الشوق والتعظيم لشعائر الله تعالى ومعيناً له على العبادة والاستقامة ، وأجمع لقلبه وفكره فلا ريب أن الجوار في حقه مستحب وقربة

---

[1] مسلم(1381) ، (1385) ، (1388).

[2] النقب: الطريق .

[3] هي سبخة الجرف المعروفة .

[4] البخاري-الفتح(1881) ، (7132) ، ومسلم (2938).

[5] كنز العمال (38833) .

[6] ابن حجر:فتح الباري على صحيح البخاري 124/4 ، وانظر ترجيحه لخلاصها زمن الدجال خاصة114/4 ، 118/13 نقلاً عن النووي رحمهما الله تعالى.

عظـيمة ، وهل هو أفضل في مكة أو المدينة قولان : فذهب مالك وأبو حنيفة رحمهم الله إلى أن الجوار بالمدينة المنورة أفضل لما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إليّ فأسكنّي في أحب البلاد إليك) رواه الحاكم[1] ، فأسـكنه الله المدينة ، ولما أخرجه الترمذي بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النـبي صلى الله عليه وسلم قال : (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يمـوت بهـا)[2] ، وهذه شفاعة خاصة يفوز بها مجاوروه مع شفاعته العامة لسائر الناس. ولدعـاء سـيدنا عمر رضي الله عنه (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسـولك صلى الله عليه وسلم)متفق عليه[3] ، ولما روته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم حبب إلينا المدينة كما حبّبت مكة أو أشد ، وصـححها ، وبـارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة) رواه مسلم[4]. وكرها الجوار بمكة المكرمة مراعاة لضعف الإنسان من جهة ، ومن جهة أخرى لمضاعفة سـيئتها إلى مائـة ألف سيئة كالحسنة ، ولأن الله تعالى يؤاخذ فيها بالإرادة قبل العمل ، لقوـله سبحانه : {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم}[5] ، وذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى إلى أفضلية الجوار بمكة المكرمة لأن الأصل في المسلم الاستقامة ، ووزن أنفاسـه بالقسطاس لاسيما إذا جاور فيكون أشد حذراً ومراعاة للحرمات . ولأن حسـنتها بمائة ألف حسنة على مثال الصلاة في المسجد الحرام ولحديث عبد الله بن عدي ابن الحمراء أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة : (والله إنـكِ لخـير أرض الله وأحـب أرض الله إلى الله ، ولـولا أني أُخرجت منكِ ما خرجت)رواه أحمد وابن ماجه والترمذي[6] وقال: حسن صحيح .

هـذا وانعقد الإجماع على أفضلية القبر الشريف على بقاع الأرض والسماء حتى الكعـبة والعرش وحملته والجنة واتفقوا على أفضلية الكعبة المشرفة على بقية المدينة المنورة أيضاً[7] ، والله تعالى أعلم. نسأله سبحانه تنوير البصيرة والستر والتوفيق .

---

[1] الحاكم (4320).

[2] الترمذي (3917) ، وفي الترغيب في سكناها والصبر على لأوائها . انظر مسلم (1374) ، (1378).

[3] البخاري–الفتح (1890) ، ومسلم(10675) من حديث أسلم.

[4] مسلم (1376) .

[5] الحج:25 .

[6] أحمد(305) ، والترمذي (3925)، وابن ماجه(3108).

[7] الشيخ منصور بن يونس البهوتي :المرجع السابق 525/2 ، والسيد عثمان بن حسنين الجعلي :سراج السالك شرح أسهل المسالك23/2 .

الفصل التاسع

أوقاف الشناقطة في المشرق

لقـــد جـــاء الإسلام بنظامه الشامل وتشريعه الكامل لتحقيق سعادة الدارين لمن يـسريدها من الثقلين لقوله تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حـــياة طيـــبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}[1] ، وأمر الله سبحانه عباده المؤمنين بالتنافس في الخيرات ورغبهم في سائر العبادات فقال عز من قائل:{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}[2] . وقال تعالى :{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة}[3] ، وقال جل وعلا : {وما تقدموا لأنفسهم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً}[4] .

ومن تلك المبرات العظيمة التي سنها الشارع ، وكانت خصيصة لهذه الأمة الصدقة الجارية المعروفة بالوقف أو الحُبس أو السبيل . وهو مطلبٌ إسلامي جليل فعله النبي صلى الله عليه وسلم وامتثله الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان عبر القرون قربة إلى الله تعـــالى وطمعاً في بره ورضوانه . فالكيس من قدم لنفسه ذخيرة عند الله تعالى ، واستثمر في دنياه لأخراه ، واستزاد من الثواب بعد الوفاة وانقطاع الآمال والآجال . ولا يتحقق ذلك يقيناً إلا بإحدى ثلاث عددها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله : (إذا مـــات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعوا له أو علم ينتفع به)رواه مسلم[5] .

وكـــان علماء الشناقطة في المشرق من أولئك الذين اهتموا بالوقف بشقيه الأدبي والمادي ، ولست هنا بصدد سرد مكتباتهم التي وقفوها على أبنائهم أو عصبتهم أو لصالح العامـــة من العلماء وطلاب العلم إذْ سيأتي بيانها في الفصل الحادي عشر إن شاء الله تعالى

---

[1] النحل:97 .

[2] آل عمران:92 .

[3] البقرة:245 .

[4] المزمل: 20 .

[5] مسلم(1255)، (1631) ، وأبو داود(2880) ، والترمذي (1376) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

إلا أنه يجب التنويه في هذا المجال أن الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي[1] دفين القاهرة قد حبّس مكتبته على عصبته وغيرهم من علماء الشناقطة، وكان يكتب شرطه هذا على الصفحات الأولى والأخيرة من كتبه احتياطاً منه وحرصاً على تحقيق وصيته تلك .

أما الأحباس العقارية فكانت بداية اهتمامهم بها في المشرق في صدر القرن الثاني عشر الهجري حين جاورت بعض البيوتات الشنقيطية في المدينة المنورة بصفة دائمة . ولعل الشيخ أمين بن المختار القلاوي الشنقيطي الملقب بالتواتي كان السابق في ذلك حيث يرجع تاريخ أول صك وقفي له إلى شهر شعبان سنة1135هـ ، ثم تتابعت أوقافه وأوقاف الشناقطة من بعده على النحو التالي :

الثاني : صك بتاريخ 26محرم سنة1138هـ باسم الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكنتي الشنقيطي الملقب بأبي نعامة ، وقد ضاع عقاره ولا زال مفقوداً حتى الساعة .

الثالث:صك بتاريخ 26ذي الحجة سنة1140هـ باسم الحاج عثمان بن أحمد طالب الشنقيطي .

الرابع:صك بتاريخ 07محرم سنة1145هـ باسم السيد عبد الرحمن بن حمّ القلاوي الشنقيطي ، الملقب محمد الشأن .

الخامس: صك بتاريخ 27شعبان سنة 1291هـ باسم السيد المختار بن السيد عبد القادر الشنقيطي .

السادس:صك بتاريخ20شعبان سنة1313هـ باسم محمد جعفر الشنقيطي .

السابع:صك بتاريخ 06جمادى الأولى سنة 1368هـ باسم السيد مصطفى ابن محمد الجيلاني الحاجي الشنقيطي ، إلى غير ذلك من الصكوك التي ترجع إلى بعض المذكورين [2]. وتشمل هذه الأملاك الوقفية أراضٍ ودوراً وبساتين كانت متوزعة في أحياء المدينة المنورة القديمة كالسحيمي ، وزقاق الطيار ، وحارة لغوات ، وباب المجيدي ، وباب التمار ، ومحل الساحة ، والرومية ، وحي الإجابة في الحرة الشرقية . وهي خاصة

---

[1] انظر ترجمته في الباب الثاني .

[2] محفوظات إدارة أوقاف الشناقطة في المدينة المنورة .

بقطـــان المدينة المنورة من الشناقطة المتجنسين والمقيمين أغنياء كانوا أو فقراء . وقد بيعت هـــذه الأمـــلاك واشتريت بأثمانها عقارات في أحياء أخرى كالنعمان والسيح والعماري والكردي والمصانع والنصر[1] . وقد تعرضت هذه الأوقاف للاعتداء كغيرها من الأوقاف الإسلامية وبقيت الصكوك شاهداً وحيداً على أعيانها[2] ، وأنها كانت أكثر مما هو موجود حالـــياً كدلالة الأحاديث الشريفة على أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، التي أصبحت أثراً بعد عين[3] .

وقد بذل الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي جهوداً مشكورة للحفاظ عليها خلال تواجده في الحجاز وتحمل كثيرا من المشاق والأسفار بين المدينة المنورة واسطنبول بتركيا لصيانتها عن المتسلطين والانتهازيين .

أمـــا نظارة أوقاف الشناقطة فالظاهر من النصوص التي اطلعت عليها أنها لم تنتظم لهـــم بصـــورة مســـتقلة إلا أيام الأشراف وفي العهد السعودي ، أما قبلهما فكان للدولة العثمانـــية والمحسوبين عليها تدخل مباشر في إدارة هذه الأوقاف والنيل منها . وقد ذكر الشيخ محمد محمود في رحلته العلمية أن وقف الشناقطة تعرض للنهب طيلة عشر سنوات حـــين كـــان مجاوراً في دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فاضطر لزيارة السلطان عبد الحمـــيد الـــثاني ســـنة 1304هـــ لرفع أيدي الظلمة عنها ، ورجع إليه مرة أخرى سنة 1306هـــ للغرض ذاته ، وكان من أمرهما ما كان[4] .

ولم أســـتطع حصـــر أسمـــاء النظار من الشناقطة زمن العثمانيين والأشراف لشح المصـــادر في ذلك ولكني عرفت من خلال بعض الصكوكِ المتقدمة أن الشيخ أحمد البواب

---

[1] المرجع السابق نفسه .

[2] مثل وقف أبي نعامة الكنتي الآنف الذكر .

[3] لمعرفة هذه الأوقاف وأماكنها ، راجع : صحيح البخاري-الفتح(2764) ، (2777) ،(3093) ، (3712) ومسلم(86) ، وكتاب أحكام الأوقاف للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو الشيباني الشهير بالخصاف المتوفي سنة 261 هـــ ، وكتاب أخبار المدينة للإمام أبي زيد عمر بن شبه النميري ، البصري المتوفي سنة262هـــ ، والأحكام السلطانية للقاضي علي بن محمد الماوردي المتوفي سنة 450هـــ ، والأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفرّاء المتوفي سنة 258هـــ .

[4] محمد محمود بن التلاميد : الرحلة العلمية (القسم الأول) ، ص/2 ، و(القسم الثاني) ،ص/145 ، وأحمد بن الأمين: المرجع السابق ،ص/392.

الشنقيطي كان من نظار القرن الثاني عشر الهجري ، وأن السيد جعفر بن السيد أحمد الشنقيطي من نُظار القرن الثالث عشر الهجري[1] . أما الذين تولوا النظارة في العهد السعودي ابتداء من سنة 1362هـ فهم الأستاذان أحمد الداه العلوي ، ومحمد النور التركزي ثم تبعهما القاضي سيدي إبراهيم بن باباه الجكني مع الأستاذ محمد بن محمد سالم البوصادي ثم مشتركة بين الأستاذين محمد محمود بن سيدي أحمد الحاجي والعالم بن عبد العزيز الجكني ، ثم بقيت بيد هذا الأخير بعد وفاة صاحبه ، ولما توفي سنة 1413هـ آلت إلى الأستاذ محمد يحيى بن الشيخ محمد فال التركزي في شهر ربيع الأول سنة 1414 هـ وهي الآن بيده. وقد قام فور تعيينه بإصلاحات جذرية للوقف فأنشأ له مكتباً ، وإدارة متكاملة جعل مقرها في دار الوقف المحاذية لشارع السيح غرب سوق السمك القديم الواقع في سفح جبل سلع . وزودها بأجهزة آلية حديثة لحفظ المعلومات وتسهيل العمل من حيث التنظيم والمتابعة .

هذا ويُشترط في الناظر أن يكون سعودي الجنسية ، ويتم اختياره على أساس أمانته وصلاحه، وكفاءته الاجتماعية والإدارية . وللناظر مجلس إداري يتألف من ممثلي القبائل الشنقيطية المجاورة بالمدينة المنورة يستشيره في مصالح الوقف ، واستثماره بينما ينفرد هو بالتسيير وقضايا المحاكم.

والجدير بالذكر أنه توجد أوقاف شنقيطية أخرى خاصة ببعض القبائل أو الأسر مثل أوقاف الأقلال والسباعيين والعلويين والبوصاديين وكلها من تحبيس الشناقطة على بعضهم البعض ما عدا وقف آل الشيخ محمد المجتبى بن خطري فقد وقفه عليهم الشيخ عباس يوسف قطان المكي (ت1370هـ)[2] . وتتولى وزارة الحج والأوقاف الإشراف على أمور الأوقاف .

ولعل من المناسبة ذكر وقف المغاربة العمومي الذي أقصي منه الشناقطة مرتين بدعوى أنهم من السودان . وهي نازلة مضى عليها حتى الآن أكثر من قرنين وعشرين سنة ، وقد حسم أمرها أولاً الشيخ عبد الرشيد الشنقيطي المدني سنة 1199هـ حين

---

[1] محفوظات إدارة أوقاف الشناقطة بالمدينة المنورة .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد يحيى بن الشيخ محمد فال في المدينة المنورة يوم الإثنين 1417/04/13هـ الموافق 1996/08/27م .

رفــع ذلك إلى أهل الحل والعقد في المغرب فكتب له السلطان محمد الثالث بن عبد الله[1] منشوراً بأنهم من المغاربة وحكم له بذلك أيضاً القاضي التاودي بن سوده وغيره من علماء المغرب ومصر حسب رواية السيد مرتضى الزبيدي في معجمه[2] .. فأقر المعترضون بالحق وأعطــي الشناقطة من الوقف تباعاً حتى حرموا منه أخيراً في العقد الثاني من القرن الرابع عشــر الهجــري بنفس الدعوى السابقة . فاحتج الشناقطة ثانية بأدلة الشيخ عبد الرشيد الشــنقيطي ، بالإضافة إلى ما نصّ عليه سيدي العربي بن السائح في كتابه (بغية المستفيد) مــن أنهــم من أقصى المغرب ولكن مفتي المدينة آنذاك تاج الدين إلياس لم يقبل حجتهم وحكــم بأنهم من السودان زاعما أن ذلك مقتضى ما في الجغرافية حسب ما نقله عنه ابن الأمين في وسيطه[3] .

ولا يــزال الشــناقطة في الحجاز محرومون من هذا الوقف منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا . وقد عانى غيرهم أيضاً من الظلم والحيف ومنعوا من أوقافهم التي كانت تمثل مصــدرا هامــا لمعاشهم .. وهذا ما جعل المؤرخين يطلقون على تلك الحقبة عصر أكلة الأوقاف[4] .

وقد ترجح لدي بالاستقراء أن الذي هيأ الغطاء السياسي والتشريعي لهذه القضية هو تلك الجفوة والعناد اللذين حصلا بين السلطان عبد الحميد الثاني العثماني والشيخ محمد محمــود بن التلاميد التركزي بسبب مماطلة السلطان للشيخ فيما وعده به بخصوص وقف الشناقطة ، وعدم استجابته لطلباته لاسيما وأن الشيخ قد أنجز الرحلة العلمية التي كلفه بها إلى أوروبا ، وتهيأ لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن في السويد استجابة لأمره ..ولهذا كان الشــيخ حــذراً في تعاطيه مع السلطان عندما تبين له أنه انساق مع تيار المناوئين له ، ولم ينصفه (والمؤمنون على عهودهم) الحديث . وكذا النفرة والشحناء التي وقعت بين الشيخ وعلماء الحجاز وبخاصة علماء المدينة المنورة الذين كان لهم نفوذا وثقلاً في ميزان الحكومة

---

[1] السلطان محمد الثالث بن عبد الله حكم المغرب في الفترة ما بين (1170-1205هــ)الموافق (1757-1790م). انظر علي طعمة : المغرب ، ص/20.

[2] الزبيدي : معجم الشيوخ(مخطوط) ، مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة.

[3] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/423 .

[4] محمود سيد علي : الحياة الثقافية في المدينة المنورة على عهد المماليك ، ص/60 .

العثمانية حيث كان صاحبنا يخطئهم في دروسهم ويصحح لهم أغلاطهم العلمية على رؤوس الأشهاد ، إضافة إلى تشنيعه على المدنيين وقتئذ تجاوزهم لميقات ذي الحليفة إلى ميقاتي رابغ والجحفة لمخالفته للسنة .. وصدق عمر بن الخطاب رضي الله حين قال : (لم يترك الحق لعمر صديقاً) ، وهو كذلك في كل زمان ومكان .

ولبث بين ظهرانيهم ربع قرن على تلك الحال حتى ضاقوا به ذرعا ، بل إنه نازع الشيخ الدراج المغربي في رئاسته للمالكية التي كان يلقى مقابلها نصيباً معلوما من وقف المغاربة ، وقال: إنه الأولى بها لأنه أعلم منه فنصره أديب الحجاز الشيخ عبد الجليل براده ، ولكن الخصوم تمالأوا عليه فلم يتحقق له مبتغاه [1]، فمن هنا بدأت المشكلة وتشابكت خيوطها . ولعل القوم بيتوا أمرا للشناقطة المجاورين بعدما أمنوا جانب السلطان والحكومة معاً للأسباب التي ذكرتها ، وشجعهم على ذلك أيضاً موقف رئيس المالكية حيال الشيخ الشنقيطي إذْ لم يتنازل له عن الرئاسة ومنعه بذلك من امتيازاتها المادية والمعنوية . فكان ذلك كله مندوحة لهم لإقصاء الشنقاطة المجاورين من الوقف بأي سبب ولو كان أضعف من بيت العنكبوت . فحملوا الجغرافيا وزر ذلك وهي بريئة منه براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام . فهاهي أطاليس العالم ، والخرائط الجغرافية المتعارف عليها قديماً وحديثاً بين العرب والعجم تنطق بالحق ، وتثبت خلاف دعواهم ، بل تظهر بجلاء أن الشناقطة منسوبون للشعوب المغاربية ، وأن إقليمهم محسوب في الأراضي المغاربية أيضاً ، وقد كان يشكل جزءاً أصيلاً من ولاية المغرب إبان الخلافة الإسلامية في صدر القرن الأول الهجري[2] . ولكن كما يقول المثل: إذا كان القاضي خصمك فعلى من تتقاضيان ؟! .

يقول شيخ الجغرافيين من العرب والأوروبيين الشريف الإدريسي المغربي (ت560هـ) في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) عن تاريخ صنهاجة ولمطة اللتين يرجع إليهما نسب جل القبائل الشنقيطية الحميرية: (صنهاجة ، ولمطة أخوان شقيقان وأبوهم لمط بن زعزاع من أولاد حمير، وأمهم تازكاي العرجاء وأبوها زناتي ..

---

[1] أحمد بن الأمين : الوسيط ، ص/381-382 ، ومحمد محمود بن التلاميد : الرحلة العلمية (القسم الثاني) ، ص/56 ، 145 .

[2] محمد محمود الصواف : رحلاتي إلى الديار الإسلامية (القسم الأول) ، ص/50 .

وقـد بقـوا مع أمهم عند أخوالهم من زناتة .. فلما كثروا وقووا خرجوا إلى الصحاري المحـاورة للبحر المظلم(المحيط الأطلسي) ، فنزولها ، وبها قبائلهم الآن .. وليس لهم مدينة يـأوون إليها إلا مدينة نول لمطة ومدينة آزكي .. ومن قبائل لمطة مسوفة .. ومن قبائل صنهاجة جدالة ولمتونة وبنو تاشفين)[1] .قال محمد بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ) في كـتابه الـروض المعطار في خبر الأقطار : (آزكي أو أزقي مدينة بالمغرب وهي أول مـراقي الصحراء)[2] ، وهي توجد اليوم قريباً من مدينة أطار بولاية آدرار . وقال الإمام القـزويني(ت682هـ)عن بلدة (تغازة)في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد)مؤكداً لهذه الوحـدة الجغرافية والبشرية: (تغازة :بلدة في جنوبي المغرب بقرب البحر المحيط..وأهلها عبيد مسوفة)[3] . وقال الإدريسي في معرض حديثه عن جزيرة(لغوس) المعدودة في جزر الخالدات : (وفي سواحل هذا البحر الصادر عن هذه الجزائر وغيرها يوجد العنبر الجيد ، ويوجـد أيضـاً في ساحله حجر البُهت وهو مشهور عند أهله المغرب الأقصى ، ويباع الحجر منه بقيمة جيدة لاسيما في بلاد لمتونة)[4] ، وبلاد لمتونة التي أثبت مغربيتها هي بلاد شنقيط .

وفي كـتاب (صورة الأرض)لابن حوقل (ق.4هـ)الذي اعتمد فيه على كتاب المسـالك والممالك)لأبي إسحاق الفارسي المعروف بالاصطخري (ق.3هـ) جاء وصفاً دقـيقاً لحـدود المغرب من جهة البحر المحيط كما يلي : (.. ثم البحر المحيط الجنوبي فيمر عـلى ماسّة ومغارب سجلماسة ، وظاهر السوس الأقصى ، ويمتد على ظواهر أودغشت وغانـا)[5] ، إلى آخر الحدود المذكورة . يقول صاحب الروض المعطار : (أودغشت) أو (أودغسـت) بالسين المهملة مدينة بين صحراء لمتونة والسودان ، وهي مدينة عظيمة آهلة لكنها صغيرة وفي صحرائها ماء قليل)[6]. وتقع اليوم في أقصى شرق موريتانيا على الحدود

---

(1) الإدريسي : المرجع السابق 1/223-224 .

(2) محمد بن عبد المنعم الحميري :الروض المعطار ، ص/28 .

(3) القزويني : آثار البلاد ، ص/24 .

(4) الإدريسي: المرجع السابق ، ص/103 .

(5) ابن حوقل : المرجع السابق ، ص/64-65 .

(6) محمد الحميري : المرجع السابق ، ص63.

مـــع جمهوريـــة مـــالي الحالـــية .وعن دخولها في المجال الشنقيطي المغربي يقول البكري (ق6هـــ)في كتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) : (كان صاحب أودغشت في عشر خمسين وثلاثمائة تين يزوتان بن ويسنو بن نزار ، رجلاً من صنهاجة ، وكانت لـــه جـــيوش كـــثيرة فدانـــت له أزيد من عشرين ملكاً من ملوك السودان كلهم يؤدون إليه الجـــزية)[1] . ونص القلقشندي (ت.821هـــ) كذلك على مغربية أودغشت في كتابه (صبح الأعشى) نقلاً عن الشيخ عبد الواحد فقال ضابطاً لها ، ومبينا لموقعها أنها : (بفتح الهمزة وسكون الواو ، وفتح الدال المهملة ، والغين المعجمة ، وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مثناة فوق ، وهي مدينة في المغرب الأقصى في الجنوب في الصحراء)[2].ويقول ابن بطوطة (ق8هـــ) في رحلته عن نهاية حدود بلاد شنقيط شرقاً وبداية حدود السودان سياســـياً غرباً : (ثم وصلنا إلى مدينة أيوالاتن (ولاته) في غرة شهر ربيع الأول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة ، وهي أول عمالة السودان)[3] ، وتقع ولاته اليوم ضمن التراب الموريتاني قريباً من الحدود المالية . وذكر ابن الأمين في وسيطه أن النخبة الأزهرية قد نصتْ على أن شنقيط من المغرب ونصها في صحيفة(323)كمايلي: (ومن الواحات الشهيرة فيها(يعني الصحراء)غرباً آدرار وتسكنها قبائل مغاربة مسلمون ومركزها وادان ، ومدنها شنقيط ، ثم تكانت ومركزها تيشيت ، ثم والاته ..)[4] .

فهـــذه النصـــوص صريحة في مغربية بلاد شنقيط ، والقضية كما علمنا لا تعوزها الحجـــج والبراهين لأنها من باب تحصيل الحاصل ، وتوضيح الواضح ، والواقع كما يقال شاهد أقوى من العدول.

أمـــا الســـودان الذين نسب إليهم الشناقطة تضليلا فإنهم عَلَم على جنس الزنوج والأحـــباش بصفة عامة[5] ، وعن نسبهم يقول القزويني: (وجميع السودان من ولد كوش

---

[1] البكري :المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص/159 .

[2] القلقشندي : صبح الأعشى 172/5 .

[3] ابن بطوطة : الرحلة ، ص/661-663 .

[4] أحمد بن الأمين ، ص/423 .

[5] مصطفى محمد خوجلي (مقال) : مصطلح السودان عبر العصور ، (المنهل) السعودية في شوال/ذو القعدة 1417 هـــ ، ص/179 ، 185.

ابن كنعنان بن حام)[1] ، ويقول الإدريسي عن أرضهم وملامحهم الفارقة : (وهذه البلاد كثيرة الحر ، حامية جداً ، ولذلك أهل هذا الإقليم الأول والثاني وبعض الثالث لشدة الحر وإحـــراق الشمس لهم كانت ألوانهم سوداء وشعورهم متفلفلة)[2] . ومصطلح (السودان) الـــتاريخي كـــان يطلق على إقليم واسع يسكنه هؤلاء وحدوده كما ذكرها القزويني : (ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة ، وغربها إلى البحر المحـــيط)[3] ، وهذا الوصف يشمل السنغال وغامبيا في أقصى غرب إفريقيا إلى أثيوبيا في أقصى شرقها ، وشمالاً حتى الواحات[4] وأما بلاد شنقيط قديماً قبل الاستعمار وحديثا بعد الاســـتقلال خارجة عن هذه الخريطة الجغرافية ، وإن كانت تتداخل حدودها الشرقية مع مـــالي والجنوبـــية مع السنغال تماماً كما تتداخل حدود شقيقتها وجارتها الجزائر مع مالي والنيجر من جهتي الغرب والجنوب ، وهذا شأن الدول المتجاورة عموماً.

ويطلـــق الشناقطة في شرق البلاد(النعمة وظهرها) على سكان مالي اسمي (كوُشْ والســـودان) ، بينما يسمي الجنوبيون منهم سكان السنغال بـــ (الكور). وأما الشناقطة فإنهم يعرفون عند مواطني هاتين الدولتين الشقيقتين الجارتين بالعرب والبيضان ، فتبين من هـــذا أن السودان غير البيضان ، وأرض أولئك غير أرض هؤلاء ، وقد شهد بذلك أهل المنطقة أنفسهم ، وهم أدرى بما هنالك . والبيضان في بلاد شنقيط (موريتانيا) والسودان في الســـنغال ومالي إخوة في الإسلام ، وهم متحابون ، ومتجاورون على أحسن حال . والعلاقـــة بينهم عميقة وضاربة بجذورها في التاريخ ، وقد تحالفت التكرور المالية [5] التي تعتـــبر أول مملكة إسلامية في السودان الإفريقي مع المرابطين في الصحراء (بلاد شنقيط) . وكـــان أميرهـــا (لـــبي) وابنه (وارجبي) مع الأمير يحيى بن عمر الجدالي سنة 448هـــ

---

[1] القزويني : آثار البلاد ، ص/23.

[2] الإدريسي :نزهة المشتاق 18/1 .

[3] القزويني :المرجع السابق ، ص/24 .

[4] مصطفى محمد خوجلي : المرجع السابق ، ص/181 .

[5] مالي: اسم للإقليم ، والتكرور مدينة من مُدنه وبها اشتهر . انظر صبح الأعشى للقلقشندي 9/8 .

(1056م/1057م)[1] ، وزاد في تدعـــيم تلك الروابط وتقويتها أخذهم جميعاً بالمذهب المالكي وتوحد مشربهم[2] .

فلم يكن يدر بخلد أحد أن جهاد الشناقطة ، ورباطهم على أبواب السودان الغربي للتأسيس للإسلام ونشره في إفريقيا سيكون مدعاة للطعن في هويتهم المغاربية يوماً ما مهما كانت المسوغات والذرائع!! .

نعـــم ، يمكن للشناقطة أن يحرموا من وقف المغاربة في الحجاز ظلماً وعدواناً كما حدث أيام الدولة العثمانية ولكن لا يمكن تبديل أرضهم بغيرها أو تغيير السكان بآخرين لمـــا في ذلـــك من المكابرة ومجافاة الحقيقة . وإلا فكيف يُقبل منطقيا سلخ الشناقطة من مغربيتهم وهم الذين لعبوا أدواراً عظيمةً في أحداث تاريخه ؟! وكيف يصح واقعياً اقتطاع بلادهـــم من عمقها المغاربي وهي مهد المرابطين الذين أسسوا الدولة المغربية الكبرى من الأندلـــس شمـــالاً حـــتى حـــدود السودان جنوباً ، ومن ليبيا شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ؟! .

وإن مما يثير الاستغراب أن تلك الحقيقة التي تجاهلها الخصوم لم تغب عن النصارى المســـتعمرين حيث اختاروا بلاد شنقيط دون غيرها لحمل اسم (موريتانيا)باعتبارها أقصى الأقطـــار المغاربـــية ، وذلـــك تخلـــيداً منهم لهذا الاسم الذي أطلقه الرومان قديماً على المـــنطقة[3] ، وهـــو من باب إطلاق العام على الخاص . وما قيام اتحاد المغرب العربي بين الدول المغاربية الخمسة وهي تونس ، وليبيا ، والجزائر ، والمغرب ، وموريتانيا إلا تأكيداً لـــذاك الاندمـــاج البشري والترابي ، وحجة دامغة على مغـــربية السكان والأرض بدليل التاريخ والجغرافيا معاً كما رأينا آنفاً .

والآن وقـــد حصـــحص الحق فإن الواجب الإسلامي يحتم على الجهات المعنية مـــراجعة هذا الأمر الذي بات ملحاً لإنصاف أهل الحق كما هو شأن الأئمة العدول عبر الدهور . فمن المعلوم ضرورة أن حكم القاضي لا يغير من الحقيقة شيئاً ، فلا يحرم حلالاً

---

[1] النحوي:المرجع السابق، ص/19 ، و
Jean Triand:Islam et societes soudanaises au moyen age,p.16

[2] محمد الراظي بن صدفن: المرجع السابق ، ص/23 .

[3] وزارة الإعلام بنواكشوط : المرجع السابق ، ص/6 .

ولا يحلل حراماً ، وذلك ما نبه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءه رجلان في خصـــومة وحكم بينهما فقال : (إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار [1] فليأخذها أو ليتركها)متفق عليه[2] . وقد اهتم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه المسألة لخطورتها ، وأوصى بها أبا موسى الأشعري رضي الله عنه ضمن وصيته العامة له حين ولاه القضاء ، فقال : (أما بعد .. ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعـــت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فإن الحق قديم لا يبطلـــه شـــيء ، ومـــراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[3] . وعلى هذا المنهج سار السلف الصـــالح ، فقد ذكر الإمام وكيع في (أخبار القضاة)أن وقف علي رضي الله عنه المعروف بالبغيـــبغة في ينبع وثب عليه يزيد بن معاوية بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فرده عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إلى آل علي ثم وثب عليه عبد الملك ودفعه إلى آل معاويـــة حتى قام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرده إلى آل علي . فلما ملك يزيد بن عـــبد الملـــك جعله بيد آل معاوية رضي الله عنه)[4] .والأمثلة في هذا كثيرة مستفيضة ، وحســبنا قوله سبحانه : {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الـــناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله سميعاً بصيراً}[5] . وقوله تعالى : {ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون}[6] .

وقـــد بينتُ هذا خروجاً من العهدة ، لأن هذا الوقف ليس حقاً لفرد واحد ، أو قبيلة معينة ، أو دولة مخصوصة ، بل هو حق عام للمغاربة القاطنين في هذه الديار . والحق لا يسقط بتقادم الزمان، بل الحق أحق أن يتبع ، والأولى بالباطل أن يُمحق ويدحض كما

---

[1] أي حرام عليه أن يأخذها لأن مصير صاحبها إلى النار لظلمه وأكله أموال الناس بالباطل .

[2] البخاري-الفتح(7181) ، (7185) ، (2458) ، ومسلم (1713) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

[3] قال ابن قيم الجوزية : (وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول ، وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة . والحاكم والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه) . انظر كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين)تحقيق محمد محي الدين ابن عبد الحميد ، ص/85-86 .

[4] وكيع : أخبار القضاة 1/153-154 .

[5] النساء:58 .

[6] البقرة:42 .

قــال ربــنا عز وجل: { بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا زاهق ولكم الويل مما تصفون }[1].

ولسوف تبقى الأجيال تذكر بالخير من نصر الحق وأشاع العدالة بين الناس حكماً بقوله تعالى:{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون}[2]صدق الله العظيم .

---

[1] الأنبياء :18 .

[2] النحل :90 .

الفصل العاشر

علماء الشناقطة .. مكتبات متنقلة

لم يجـد أهـل المشرق لقباً يطلقونه على علماء الشناقطة رحمهم الله تعالى أنسب لحـالهم ، وأصـدق عندهم من وصفهم بالمكتبات المتنقلة[1] أو القواميس المتجولين[2] ، وذلـك لما خبروه من حفظهم وتمكنهم من علوم الشريعة واللغة والأدب وغيره مما كان متداولاً في القـرون الماضية . ولعل فيما سنذكره من حفظهم ومشاركاتهم في هاتيك الفنون يقرب الصورة ، ويبين حقيقة بعض ذلك .

ففـي تفسير القرآن الكريم مثلاً جاؤوا بصفوة التفاسير حيث يقول الدكتور أحمد نصيف الجنابي : (ذهب جمهور العلماء إلى أن أفضل التفاسير هو أن يفسر القرآن بالقرآن وأحسن ما أُلف في هذا الاتجاه كتاب (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)لمحمد الأمين ابـن محمد المختار) الشنقيطي[3]. وقد ألفه من حفظه إلا ما يتعلق بالقراءات وتوجيهاتها والمباحث الفقهية وأسانيد الأحاديث فإنه كان يرجع فيها إلى أمهات الكتب للتأكد منها وخاصة القرطبي ، وابن كثير ، وغيث النفع ، والكشاف[4] .

ومـن الملفت للنظر أنك لا تكاد تجد طفلاً من القوم إلا ويستظهر القرآن الكريم قـبل سـن العاشرة[5] حتى قيل : (إن الشنقيطيات يحنكن أولادهن بالقرآن الكريم)[6] ، ووجـد في قبائل الزوايا من كانت تحفظ غلمانها المدونة في الفقه المالكي قبل البلوغ[7] . وفي الحديـث أنجبت بلاد شنقيط الشيخ محمد حبيب الله ابن مايأبى الجكني صاحب (زاد

---

[1] عثمان بن جني : المنصف ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ص/291 .

[2] الشيخ المختار بن أحمد محمود : الترجمان والدليل لآيات التتريل ، ص/1 .

[3] أحمد نصيف الجنابي :علوم القرآن الكريم ، حضارة العراق 59/7 .

[4] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلتين أجريتهما مع الشيخ محمد الأمين بن الحسين في المدينة المنورة يوم الثلاثاء 1417/04/14هـ ، والشيخ محمد بن سيدي الحبيب في مكة المكرمة يوم الثلاثاء 1417/04/28هـ

[5] عسيلان : المرجع السابق ، ص/58 ، والصوفي : المرجع السابق ، ص/101 .

[6] مقولة شائعة في المدينة المنورة .

[7] المختار بن حامد: حياة موريتانيا (جزء الثقافة) ، ص/5 .

المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) ، وأخاه الشيخ محمد الخضر الذي كان يحفظ الصحاح الستة بما فيهم الموطأ ، ومثله الشيخ محمد عبد الله بن زيدان البوصادي [1] .

وكانت للشناقطة القدح المعلى في الفقه وأصوله حفظاً وضبطاً وتحريراً، ويشهد لهذا ما يروى عن العلامة سيدي محمد بن الشيخ سيدي عبد الله العلوي أنه قال : (إن علوم المذاهب الأربعة لو رمي بجميع مراجعها في البحر لتمكنت أنا وتلميذي الفقيه الديماني من إعادتهما دون زيد أو نقص هو يحمل المتون وأنا أمسك الشروح)[2] ، وكان والده الشيخ سيدي عبد الله الأصولي الشهير قد بلغ درجة الاجتهاد وهو مجدد قرنه في البلاد . بل كانوا أكثر من ذلك فهذا الشيخ محمد المأمون بن الشيخ محمد فاضل القلقمي الذي لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره يقول لأخيه الشيخ سعد أبيه الذي يصغره بعامين قبل مناظرتهما المشهورة لعلماء إمارة الترارزة في القرن الماضي: (أما بواطن القوم فإليك ، وأما ظواهرهم فإليّ فبحق الذي أنزل القرآن ودوّن الأديان ، لو جمعوا علينا خزائن مصر والعراق ، والشام ، وسائر الآفاق لوجدوا ذلك كله في صدري مجموعاً ومعناه في صحيفة سري مطبوعاً)[3] .. ومن ثم اعترف العلماء بفضل الشيخين واعتذروا إليهما .وقد ذكر أخوهما الشيخ ماء العينين في رحلة حجه أنه لم يزدد فيها على ما تلقاه عن والدهم[4] رغم كثرة المكتبات التي مر بها ، وهذا نادر وغريب إذا علمنا أن القوم أهل نجعة وبادية .

كما أنهم تعاطوا الشعر وأبدعوا فيه واشتهروا بذلك حتى قيل عن بلادهم إنها (بلاد المليون شاعر)[5] . فكان منهم من يقرضه طبعاً وسليقة من غير معرفة بالعروض ولا بالنحو ، وفي هذا المعنى يقول محمد بن السالم الشنقيطي مدللاً على صحة أصالته العربية :

مصداق أني كريم العيص منتسب إلى قريش بيوت العز والجدل
نسجي القريض وإحكامي قوافيه ولا أميز بين العطف والبدل

---

[1] انظر تراجمهم في الباب الثاني .

[2] المصطفى بن محمد (تحقيق) : سواطع الجمان في ذكر المعاني والأوزان لسيدي محمد بن سيدي عبد الله (رسالة مرقونة) ، ص/30 .

[3] الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل : المناظرة (مخطوط) .

[4] عبد الله بن مياره (تحقيق) : تنوير الملوين في تاريخ الشيخ ماء العينين للشيخ بونا بن الشيخ الطالب اخيار (رسالة مرقونة) ، ص/34 .

[5] مجلة (العربي) الكويتية عدد (101) سنة 1966م.

وقـد رئي العلامة اديّـيْجَ بن عبد الله الكُمْلَيْلي (مضطجعا) على قفاه يترنم وعند رأسـه ثلاثة من تلامذته ، يملي لكل واحد منهم بيتاً .. وكلما أتمّ واحد بيتاً يسـرد لـه غـيره ، وهكذا حتى أتم ثلاث قصائد في وقت واحد)[1] ، وهو في ذلك يرد على ثلاث قصائد وردت عليه من إحدى القبائل الشنقيطية . وهذا عجيب عند أهل الفن من حيث سرعة البديهة ، وقوة التركيز وتوارد القوافي .

وفي أيامـنا هذه حدثني الأستاذ محمد سالم بن أحمد بزيد آل أشْفغَ حيْبَلاّ أنه دعي للمشـاركة في أمسية شعرية بالمعهد السعودي في نواكشوط ..فلما عرض قصيدته على المشـرفين سـألوه عـن تفعلتها ، فقال : لا أدري ، قالوا : كيف عرفت الشعر من غير عروض ؟! فقال : (عندي العروض الذي كان يزن به امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى ، وطرفة بن العبد ، ونابغة الذبياني)[2] ، يعني أنه يقوله على سجيته وطبعه . وكان منهم من ناظـر بشعره شعر المتقدمين من العرب العرباء وطمع في منافستهم بثقة وجسارة ، ويأتي عـلى رأس أولئك العلامة اللغوي امحمد بن الطلبه اليعقوبي حيث قال حين نظم جيميته المنـهورة : (أرجو من الله أن أقعد أنا والشماخ بن ضرار في ناد من أهل الجنة وننشد بين أيديهم قصيدتينا لنعلم أيهما أحسن)[3] .

ومطلع جيميته :

تطاول ليل النـازع[4] المتهيـج ... أما لضياء الصبـح من متبلـج

ومطلع جيمية الشماخ بن ضرار الغطفاني رضي الله عنه هو :

ألا ناديـا أظعـان ليلى تعـرج ... فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج[5]

وقـال أيضـاً حـين أنشد ميميته : (أرجو من الله أني أنا وحميد بن ثور ننشد قصيدتينا في ناد من أهل الجنة ، فيحكمون بيننا) .

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/370 .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد سالم بن أحمد بزيد في نواكشوط ليلة 1419/08/15هـ الموافق 1998/12/04م .

[3] أحمد بن الأمين :المرجع السابق ، ص/95 .

[4] وفي بعض النسخ النازح بالحاء وهو البعيد عن بلده .

[5] المرجع السابق ، ص/109 .

ومطلع ميميته :

تأوبــه طيــف الخيــال بمريمــا فبات معنى مستجناً متيمــا[1]

ومطلع ميمية حميد بن ثور الهلالي رضي الله عنه هو :

ألا هيما مما لقيت وهيمــا وويحاً لمن لم ألق منهن ويحما[2]

وقــد جعل الشناقطة من الشعر وسيلة لإثراء ثقافتهم وضبطها ، وأخضعوا جميع الفــنون للــوزن والقافــية لتســهيل حفظها ، واستيعابها حتى إنني رأيت بعض الطلاب المحضريين الذين التحقوا بالمدارس النظامية يقومون بنظم المواد التي لم يتلقوها في المحاضر ، بــل ومــن الطريف أنهم استخدموا القريض لحفظ قواعد اللغات الأجنبية وتصريفها ، وكــأن الشعر بالنسبة لهم ما هو إلا آلة للتخزين مثل (شريط الكاسيت)يسجلون فيه ما شاءوا ولو كان غريباً عن لغة الضاد ليكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك . والحق أن وصــف الشناقطة بالشعراء قد يكون صادقاً إلى حد كبير إذا علمنا أن أغلبهم شعراء ويــتذوقون جمــيعاً الشــعر ، ومن لم يستطع قرضه فصيحاً نظمه ملحوناً بالدارجة وهو المعــروف عند المشارقة بالشعر النبطي ، ويعرف عندنا مغاربياً بالشعر العامي أو الشعبي ولا يعجز عنه إلا القليل النادر .

وقد تعرض الأستاذ الشيباني بن محمد لذكر هذا اللون من الشعر في الفصل الذي خصصه للأدب الموريتاني من منظومته عن تاريخ الأدب العربي فقال :

إن كان قد نما القريض الأفصــح بكثرة فقــد نمــا الموشــح

وهو شعر جيــــد مــوزون مقنــن لــكنــه ملحــون

إلى أن يقول :

ميزة هــذا الشعــر لا تختلــف عن ذلك الفصيح فيما عرفوا

لكــن ذا نطاقــه قــد اتسع لدى جميع طبقــات المجتمع

لأنـــه يحسنــه الذكـــي وغير بل يجيــده الأمــي

---

[1] المرجع السابق ، ص/118 .

[2] المرجع السابق ، ص/119 .

يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي الجزائري : (وما رأيت قوماً طاع لهم الرجز ، وانقاد كعلماء شنقيط ، مع السهولة عليهم في النظم ، ومتانة السبك)[1] .

وإذا كـان الشـعر سمة عامة في المجتمع الشنقيطي إلا أن منهم من يعزف عنه مع إجادته له، متأسيا في ذلك بالإمام الشافعي رضي الله عنه حين قال :

ولـولا الشعـر بالعلمـاء يزري   لكنـت اليـوم أشعـر من لبيد

وعـلى كـل حال فالشعر في نظر الشرع كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن الـتجرد لـه غير ممدوح ، وقال تعالى عن الشعراء وأنهم ليسوا سواء:{والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}[2] ، أي أن المذموم منهم من أسرف وكذب، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن من الشعر حكمة)روه البخاري[3] . وقال محمد ابـن عـبد الله ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) : (الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب على مآثرها ، والخندق المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفار ، والحجة القاطعة عند الخصام)[4] .

ومن غرائب ما يروى عن الشناقطة في هذا الباب أنه بلغ بهم التأثر بالشعر والتأثير به حدا جعل الواحد منهم ربما يمرض إذا وُقّف تدفق شاعريته رغما عنه ، وهو ما حدث للشيخ محمد عبد الله بن أحمذي الحسني[5] عندما تدخل والده لقطع المساجلة الشعرية التي وقعـت بينه وبين ابن عمه الشيخ محمد حامد الملقب بابا ابن آلا ، وعزم عليه أن لا يرد عليه احتراما لـه ، وتقديرا لقرابته وعلو منـزلته فانعكس ذلك على صحته ، وبرزت في ذراعيه دماميل وقروح .

ومطلع قصيدته هو :

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 64/2 .

[2] الشعراء :224-227 .

[3] البخاري-الفتح (6145) ، وأحمد (21154) ، (21155).

[4] ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ص/185.

[5] الحسني هنا نسبة إلى قبيلة (إيدابلحسن) الشنقيطية .

مَغنى الرّبابِ مُـربٌّ جـونِ ربابـهِ   أو دى به من بَعد بُعد ربابه

وأما مطلع قصيدة الشيخ محمد حامد فهو :

ربـــعُ الرَّبـــابِ بواسطِ الألوى به   آيٌّ تكوَّن بعدَ ما ألوَى بـــهِ

وكـــان ابـــن أخـــت ولد أحمذيّ هو الذي فتح باب هذه المشاعرة التي اشتهرت قصـــائدها (بالربابـيات) ، وذلـــك حين أنشأ قصيدة وبعث بها إلى الشيخ محمد حامد المذكور[1] . وهذا يدل على حدة قرائح القوم ، وحيوية سليقتهم ، وأصالتهم العربية .

أمـــا اللغـــة فكانوا بحق أبناء بجدتها ، وفرسان حلبتها ، وهذا ما صرح به الأستاذ أحمد بن عبد الله الملقب الذيب الصغير الحسني[2] في قوله :

لـــنا العربـــية الفصـــحى وإنـــا   أعـــمّ العـــالمين بهـــا انـــتفاعا

فمـــرضعنـــا الصغير بها يناغـــي   ومرضعـــه تكـــورها قناعـــا

ولمـــا اطلع احدود بن اكتوشن العلوي على ما نقل عن أبي الطيب المتنبي أن أحد العـــلماء سأله : كم من الجموع ورد في اللغة العربية على وزن (فِعلى) بكسر فسكون؟ فأجابه على البديهة : ظِربى وحِجلى ، قال سائله : فسهرت ثلاث ليال فما وجدت لهما ثالثاً ..فاستدرك احدود قائلاً :

وثالـــث اللفظـــين لفظ يعزى   إلـــى الـــدماميني وهـــو مِعزى[3]

بـــل إنهم تعمقوا في مباحث النحو وتأصيل قواعده إلى درجة وصفها المختصون بالترف النحوي الكبير[4] .ويعتبر العلامة المختار بن بونا الجكني عمدة القوم في هذا الفن ومـــرجعهم فـــيه . وقد انفرد الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي في عصره باللغة

---

[1] تم استيفاء المعلومات السابقة من مقابلة بين الباحث والشيخ إبراهيم بن محمد المصطفى في المدينة المنورة يوم 1421/05/15هـ .

[2] نسبة إلى قبيلة (إدابلحسن) الشنقيطية .

[3] أحمد بن الأمين: المرجع السابق ، ص/82 .

[4] محمذن بن أحمد بن المحبوب (مقال) : النحو الشنقيطي بين دروس التعمق ومباحث التخصص نشرته مجلة (المنهل) السعودية ، شوال/ذي القعدة 1998م ، ص/132.

والأنســـاب في المشرق[1] بلا منازع بشهادة العرب والعجم ، ويرى تلميذه أحمد حسن الزيات الأديب المشهور أنه كان : (آية من آيات الله في حفظ الحديث والأخبار والأمثال والأنســـاب لا يندُّ عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند)[2] . ويكفي أن ملك السويد والــنرويج(أوسكار الثاني) وجه إليه دعوة شخصية بواسطة السلطان العثماني عبد الحميد الــثاني لحضـــور مؤتمر المستشرقين الثامن ، وطلب منه سفيره لدى دولة مصر (الكونت كارلو دي لندبرج) أن ينشئ قصيدة يبين فيها رحلته العلمية وكيفية تحصيله للعلم ، وأن يذكـــر النتيجة التي استنتجها واستنبطها من العلم مما لم يستنتجه ويستنبطه أحد قبله مع هـــذه الشهرة[3] . وأترك للقارئ الكريم التعليق على هذه الأسلة وما وراءها من إعجاب واســـتغراب من تحصيل الشيخ وطول باعه في العلم مما رشحه لتمثيل الإسلام رسمياً في حـــواره مـــع العالم في هذا المؤتمر المشهود في مدينة (استكهولم)سنة 1306هـــ ، فكان بذلك أول عالم عربي مسلم يحظى بهذا الاعتبار الخاص من التاج السويدي كما صرح به السفير في خطابه أمام المؤتمر [4] .

ومـــن الثابـــت تاريخياً أن الشناقطة حملوا لواء التجديد في الأدب العربي خلال القـــرنين الحـــادي عشر والثاني عشر الهجريين في الوقت الذي نُكست أعلامه في البلدان العربية التي احتضنته من قبل في المشرق والمغرب والأندلس [5].

وإلى ذلك يشير الأستاذ الشيباني بن محمد في منظومته المتقدمة بقوله:

نـــرى لموريتانـــيا عصـــرين ... في العـــلم والأدب زاهـــرين

فـــأول العصـــرين في الحـــادي عشر ... مـــن القـــرون بدؤه قـــد استقر

يمتـــد شامـــلاً للاحتلال ... حتى يطـــل عهـــد الاستقلال[6]

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/381 .

[2] أحمد حسن الزيات (مقال) : مجلة الأزهر العدد(2)سنة 1961م ،ص/291 .

[3] محمد محمود التركزي : الرحلة العلمية (القسم الأول) ، ص/2 .

[4] المرجع السابق نفسه ، وراجع ترجمة الشيخ التركزي في الباب الثاني .

[5] محمد المختار بن أباه : الشعر والشعراء في موريتانيا ، ص/66 ، والمختار بن حامد حياة موريتانيا(قسم الجغرافيا) ص/1 ، وطه الحاجري (مقال): شنقيط أو موريتانيا حلقة مجهولة من تاريخ الأدب العربي ، نشرته مجلة (العربي الكويتية) عدد (107)، ص/32 .

[6] محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/424 .

يقول الأديب اللبناني محمد يوسف مقلد عن تألق الشناقطة في العربية وآدابها :

للضـــاد في إفريقـيا رايــــة	خفــاقــــة رفــافــة عاليـــه
يرفعهـــا العربُ بنو عمنا الـــ	بيضـــان أهـــل الهمـــة الساميـــه
هم ناشروها هــم أساتيذهـــا	هم حصنها هم درعهـــا الواقيـــه
إن الذكا كل الذكـــا كائـــن	تالله بين النهـــر والســاقيـــــه[1]

أي في موريتانيا التي تمتد أرضها من نهر السنغال جنوبا إلى الساقية الحمراء شمالاً .

وقـــد أحيى الشناقطة أنساب العرب واهتموا بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في تآليفهم وأراجيزهم ، والتي يأتي في مقدمتها نظم (عمود النسب) ونظم (مغازي النبي صلى الله عليه وسلم)للشيخ أحمد البدوي المجلسي (ت1209هـ) . وقد تلقاهما المشارقة عـــن علماء الشناقطة بشغف واعتنوا بهما غاية ، فشرح الأول علامة الديار العراقية السيد محمود شكري بن عبد الله الآلوسي وأشاد بنفاسته ، وتفرده فقال : (إني وجدت منظومة بديعة ، وأرجـــوزة كأنها عقـــود جمان تتحلى بفرائد فوائدها الأفواه والآذان ، لم يسبق ناظمهـــا إلى مثـــلها في علمها وعملها سماها عمود النسب)[2] ، بينما شرح الآخر علامة الحجاز الشيخ محمد حسن المشاط ونشره .

وممـــا هو شائع في قطر شنقيط أنه كان في الإمكان أن تحصي أربعين داراً متوالية على نهج واحد في(وادان) في كل منها عالم ضليع ومحضرة جامعة . بل إنهم يؤولون تسمية المدينة بواديين أحدهما مليء علماً ودينا والآخر مليء نخلا وتمرا كما تقدم ذكره[3] .

وحســـبك أن أحمد بن الأمين العلوي دفين القاهرة دون كتابه (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط) إملاء من حفظه ، وفيه نحو أربعة آلاف وخمسمائة بيت من شعر الشناقطة ، بالإضافة إلى تاريخ البلاد وجغرافيتها ، وأعلامها ، وحياتها الاجتماعية وغير ذلك ، وهذا غيض من فيض وقطرة من بحر فقس ما لم يذكر على ما ذكر .

---

[1] محمد يوسف مقلد : شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ، ص/30 .

[2] محمد بهجة الأثري (مقال) : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثالث سنة 1341/05/14هـ ، ص/110.

[3] ابن اطوير الجنة : المرجع السابق .

وهكذا استطاعت الحضرة الشنقيطية بمنهجها التعليمي الفريد أن تخرج أفواجا من العلماء والأدباء كانوا آية في الحفظ والنبوغ ، ومضرب المثل في الرواية والدراية ، ولسان حالهم يقول :

علمـــي معي أينمـــــا يمّمْتُ أحملــه   في باطن الصدر لا في جوف صنـــدوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معـــي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق

فـــلا غـــرو إذا وقـــد عرفنا الحضور الكبير للشناقطة في مجالات الفكر والأدب ، والدعوة وغيرها أن نجد اهتماما متزايداً بهم لدى الغيورين على حضارة الأمة وتراثها من الكتاب المصريين[1] والسعوديين[2] واللبنانيين[3] والكويتيين[4] والعراقيين منذ وقت مبكر لاســيما بعـــد ما استقلت البلاد، وأصبحت تقودها سلطة مركزية موحدة ، وأضحت وسائل الاتصال بها أسهل مما كانت عليه في غابر الأزمان .

فهذا الأستاذ الكبير عبد اللطيف أحمد الدليشي الخالدي يقول في دعوة من العراق ســـنة 1396هـــــ : (آن للأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة أن تدخل في برامج مدارسها دراسات وافية ضافية عن علماء وشعراء وأدباء شنقيط)[5] . وقد خصصت دولة العـــراق أول كتاب مطبوع لها في سلسلة أعلام الفكر الإسلامي في البصرة لأحد أعلام شـــنقيط الأفـــذاذ وهو الشيخ محمد الأمين فال الخير الشنقيطي . وكانت المملكة العربية الســـعودية مـــن أوائـــل الـــدول التي اهتمت بهذا الجانب فأدخلت في دراساتها الجامعية

---

[1] انظر مثلاً تفسير المنار لرشيد رضا ، ومجلات (الضياء)لليازجي ، و(مصباح الشرق)للمويلحي ، و(المؤيد) لعلي يوسف ، ومجلة الأزهر الشريف وغيرها .

[2] انظر اهتمام القائمين على جريدتي (اليمامة والندوة)بموريتانيا ، وأخبارها منذ فجر استقلالها في كتاب (شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون) لمحمد يوسف مقلد ، ص/12 .

[3] منهم محمد يوسف مقلد حيث ألف كتابين نفيسين عن موريتانيا وعلمائها أحدهما (موريتانيا الحديثة) والآخر شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون).

[4] انظر مثلاً مجلة(العربي) الكويتية عدد (25)سنة 1380هـــ /1960م ، وعدد (101)سنة 1386هـــ الموافق 1966م ، وعدد(107)سنة 1387هـــ /1967م .

[5] الدليشي : المرجع السابق ، ص/9 .

والأكاديمية مواضيع متعددة عن الشناقطة وعلمائهم ، ومحاضرهم ، وحياتهم الاجتماعية[1].

ونحن بدورنا إذ نشيد بالجهود الجبارة التي تبذلها هذه البلدان المشرقية في سبيل العلم وتكريم أهله كما هو الحال في أفقنا المغاربي ، فإننا ندعو جميع أشقائنا إلى المزيد من البحوث والدراسات حول هذه الظاهرة العلمية في بلاد شنقيط إنصافاً لها ، وللاستفادة منها أيضاً حتى يتحقق التكامل الثقافي الذي نسعى إليه ، وتقوم الوحدة الفكرية التي ننشدها بين أقطارنا الشقيقة في المشرق والمغرب وما ذلك على الله بعزيز .

---

[1] من الرسائل الجامعية والأكاديمية التي كان الشناقطة وعلماؤهم موضوعاً لها على سبيل المثال لا الحصر:

أ-محمد صالح حمزة عسيلان : مجتمع الشناقطة بالمدينة المنورة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض سنة 1403هـ .

ب-محمد الصوفي بن محمد الأمين : المحاضر الموريتانية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض سنة 1406هـ .

ج-سميرة بنت صقر : الشنقيطي ومنهجه في التفسير ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة 1410هـ .

د-عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس : منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة بجامعة أم القرى سنة 1410هـ .

هـ-الشيخ الطيب بن عمر :السلفية وأعلامها في موريتانيا ، رسالة ماجستير قسم العقيدة بجامعة أم القرى سنة 1416هـ .

الفصل الحادي عشر

تراث الأمة الضائع

لم تكن الحياة البدوية في بلاد شنقيط مشجعة على التأليف مطلقا ، حيث البيئة المتقلبة ، وكثرة الترحال ، وندرة الورق ، والمشاغل الجمة .. ورغم عزوف غالبية علمائهم عن التأليف تورعاً ومجاهدة للنفس فإن بعضهم اقتحم هذا المجال منذ القرن الخامس الهجري وعلى رأسهم الإمام الحضرمي المرادي (ت479هـ)صاحب كتاب السياسة في تدبير الإمارة ، ثم تطورت حركة التصنيف في بداية القرن العاشر وظهر كتاب موهوب الجليل على مختصر خليل للفقيه محمد بن أبي بكر الحاجي الواداني وازدهرت في القرن الثالث عشر الهجري [1] فكثرت المؤلفات ، ونفق سوقها . وقد تناولوا فيها جميع المقررات المحضرية في علوم الدين واللغة ، والأدب ، وأبدعوا فيها نثراً ونظما ، فجعلوها سهلة للمبتدئين نافعة للمنتهين ، وبخاصة منظوماتهم التعليمية ، وطررهم التكميلية . كما اعتنوا بما وصل إليهم من متون بالتعليق عليها واختصارها ومحاذاتها أحياناً، وبرز منهم في ذلك علماء كبار منهم أحمد البدوي المجلسي (ت1208هـ) ،وعبد الله بن الحاج حماه الله القلاوي (ت1209هـ) ، والمختار بن بونا الجكني (ت1220هـ) [2] ، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت1233هـ) ، وغيرهم .

ويقدر أحد التقارير مجموع هذه الذخائر التي خلفوها بأكثر من أربعين ألف مخطوط[3] إلا أنها تعرضت لنهب ، وحرق الاستعمار الفرنسي ، كما ضاع أكثرها خلال سنوات الجفاف العجاف التي ضرب البلاد لسنوات طويلة ، لاسيما بعد سنة 1389هـ 1969م ، فلم يجد الناس بداً من التخلص من أثقالهم المكتبية أثناء تنقلهم في أطراف الصحراء ، وأودعوها المقابر والكهوف والأطلال صيانة لها عن الامتهان [4] ، ولعلهم

---

[1] النحوي: المرجع السابق ، ص/239 .

[2] المختار بن حامد: حياة موريتانيا (جزء الثقافة ،ص/6 ، و محمد المختار بن أباه: المرجع السابق ، ص/27 ، والشيخ الطيب بن عمر : المرجع السابق ، ص/121-122 .

[3] أحمد بن محمد يحيى (مقال) الخلفية التاريخية لوجود المخطوطات الموريتانية ، نشرته مجلة (الأنباء رقم 1) الصادرة عن اللجنة الوطنية لليونسكو بنواكشوط ، ص/15 .

[4] النحوي : المرجع السابق ، ص/238 ، 292 ، ومحمد المختار السوسي : المعسول ، ص/328 .

يجدون سبيلاً لإنقاذها فتكون بجوار معالم معروفة لديهم ، وقد نالت منها عوامل الطبيعة وطمست محاسنها. وتوجد اليوم آلاف المخطوطات متفرقة بين الخزانات العائلية العتيقة في مدن شنقيط ، وولاته ، ووادان ، وتيشيت ، وفي غيرها من الحواضر والأحياء البدوية .. وتضم هذه المخطوطات كتبا نفيسة ، ونادرة في شتى المعارف لمؤلفين أندلسيين ، ومغاربة، ومصريين ، وشاميين ، وعراقيين ، وحجازيين [1] .ومن أقدمها على سبيل المثال كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي ، مكتوب على الرّق في القرن الرابع الهجري[2] ، وكتاب (تصحيح الوجوه والنظائر من كتاب الله العزيز) للشيخ أبي هلال العسكري المنسوخ في قرطبة في القرن الخامس الهجري[3] .

وقد قامت الدولة منذ السنوات الأولى للاستقلال وحتى الساعة بجهود مشكورة لتدارك وصيانة ما تبقى من تلك الكنوز المنسية بمساعدة منظمة اليونسكو[4] ، وتوجتها بتأسيس المعهد الموريتاني للبحث العلمي بمقتضى المرسوم رقم (243)بتاريخ 1984/12/31م وكلفته بصيانة التراث الثقافي ، والبحث في مجالات العلوم الاجتماعية[5] . وقد تلقى دعما هاما في بعض أعماله من لدن قطر وليبيا وألمانيا الغربية وإسبانيا والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[6] .

وقد تمكن من إنجاز ما يلي وذلك لغاية يوم 1997/09/15م :

- اقتناء ما يربو على 6000كتاب مخطوط .
- تصوير 2500 مخطوط على الميكرو فليم .
- إعداد قائمة لثلاثمائة مكتبة خصوصية في القرى والأرياف تحتضن حوالي 80% من مجموع المخطوطات الشنقيطية .

---

[1] أحمد بن محمد يحيى : المرجع السابق ، ص/14 .

[2] يحتفظ به قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط تحت رقم (3500) .

[3] يوجد في مكتبة أهل حبت في مدينة شنقيط . انظر السيد ولد أباه(مقال) : دعوة عاجلة لإنقاذ المخطوطات الموريتانية ، نشرته جريدة (الشرق الأوسط) ، العدد(6557) ، يوم الأحد 1996/11/10م ، ص/8 .

[4] مركز التكوين والإعلام بنواكشوط : مجلة (موريتانيا أرض الرجال) ، سنة 1973م ، ص/13-14 .

[5] محفوظات المعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط .

[6] النحوي : المرجع السابق ، ص/239 ، والسيد بن أباه : المرجع السابق ، ص/8 .

- فهرست 24 مكتبة خصوصية من مكتبات المدن القديمة[1] .
- اقتـناء أكـثر مـن عشـرة دواوين من الشعر الشعبي (مثل شعر ولد مكي ، وولد القصري ، وولد أدبّه).
- اقتناء كناش يتناول ثقافة الرعاة المعروفة محلياً بـ (الزرك)بكاف معقودة .
- اقتناء سفر فقهي في أحكام الإبل ومواضيع أخرى طريفة.

وانطلاقـا مـن اهـتمام المعهد الموريتاني بتوثيق الرواية الشفوية فقد تم لحد الآن تسـجيل ألف شريط من القصص والحكايات الشعبية ، والأخبار التاريخية المروية[2] التي تشكل ثروة علمية وأدبية هائلة من موروثنا الثقافي الذي يتناول مجالات المعرفة المختلفة .

ولعـل أول مـبادرة معاصرة لفهرست التراث الوطني هي (دليل المؤلفين) الذي وضـعه المـؤرخ الكبير المختار بن حامد الشنقيطي والباحث الدولي الألماني هيمو فسكي خـلال عامـي 1966/1965م ، وهو يضـم (2054)تصنيفاً لـ (394) مؤلفاً شنقيطياً[3] .

وقـد حقق بعض هذه المخطوطات وتم توثيقها بالتعاون مع جامعة نواكشوط والمعهـد العالي للبحوث والدراسـات الإسلامية ، ونشرت نماذج منهـا بعناية بعض المؤسسـات العربـية كمجمـع بيت الحكمة في تونس ، ومعهد الدراسات الإفريقية في الـرباط ، ومنظمة الآيسيسكو[4] ،وما زال الباقي مغمورا ، مهددا بالاندراس والتلف . يعاني من ضعف في الوسائل وعجز في الإمكانيات .

هـذا ولم نقف على إحصاء إجمالي أو تفصيلي للمكتبات والمخطوطات الشنقيطية في خارج البلاد ، وقد لا يكون موجودا أصلا لأن البحث مازال في بداياته ، وهو موجه

---

(1) تم استيفاء المعلومات السابقة من مقابلة بين الباحث والأستاذ أحمد بن محمد يحيى رئيس قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي في مكتبه بنواكشوط يوم 1997/09/15م .

(2) حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد فال بن عبد الرحمن رئيس قسم الدراسات الاجتماعية بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي في مكتبه بنواكشوط يوم 1997/09/22م .

(3) نشر هذا المعجم في آمستردام بهولندا سنة 1966م .انظر أحمد بن الحسن (مقدمة):حياة موريتانيا (جزء الجغرافيا) للمختار بن حامد ، ص/5 ، والنحوي :المرجع السابق ، ص/239 .

(4) السيد ولد أباه (مقال) :المرجع السابق ، ص/8 .

في الوقت الراهن إلى الداخل أساساً ، إلا أنه تمّ لحد الآن رصد نماذج هامة منها ساهمت في تغذية وإثراء مكتبات دول شقيقة ، وصديقة في المشرق والمغرب والغرب .

وحسبنا أن نذكر على سبيل المثال أنه يوجد في المملكة العربية السعودية مكتبة الشيخ محمد الخضر ابن ما يأبى الشنقيطي ملحقةً بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة[1] ، وهي تابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . ومكتبة القاضي محمد بن محمد الشنقيطي ضمن مكتبة الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة [2] ، وهي تابعة للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ، إضافة إلى مكتبات أسرية أخرى في الحرمين الشريفين وجدة والرياض والقُنفذة .

وفي الجمهورية السودانية توجد مكتبة الشيخ محمد صالح الشنقيطي في جامعة الخرطوم[3] ، ومكتبة الشيخ محمد أحمد الملقب (الداه) الشنقيطي في مدينة الأبيض .

وتوجد في جمهورية مصر العربية مكتبة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي في دار الكتب المصرية في القاهرة[4] .

أما المخطوطات فتوجد في كل من :

- المكتبة الوطنية للجمهورية التونسية[5] .
- الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط [6] ،إضافة إلى زوايا الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل الشنقيطي المنتشرة في مدن المملكة المغربية[7].

---

(1) مكتبة فهد الوطنية بالرياض : مجلة المكتبة ، المجلد الثاني (العدد الأول) سنة 1417هـ/1996م ، ص/72.

(2) المصدر السابق ، ص/63 .

(3) حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز في المدينة المنورة ليلة 08/09/ 1417هـ الموافق 1996/12/19م .

(4) ابن جني: شرح تصريف المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ،292/3 .

(5) راجع : الفهرس العام للمخطوطات في المكتبة الوطنية التونسية لعبد الحفيظ منصور.

(6) انظر: فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط لمحمد العربي الخطابي.

(7) عبد الله بن محمد الأمين :مساهمة في إبراز الأدوار الفكرية والسياسية للشيخ ماء العينين (رسالة مرقونة)، ص/40 والشيخ بونن بن الشيخ الطالب اخيار: تنوير الملوين في معرفة تاريخ شيخنا الشيخ ماء العينين ، تحقيق عبد الله ابن مهارة (رسالة مرقونة) ، ص/48 .

- مكتبة معهد إفريقيا السوداء بداكار منذ 1715م[1].
- دار الوثائق الوطنية للجمهورية السنغالية[2] .
- معهد أحمد بابا التنبكتي في باماكو بجمهورية مالي [3].
- المكتب الوطنية للجمهورية الفرنسية بباريس[4].
- مكتبات جمهورية ألمانيا الغربية [5].

وهذا قليل من كثير ما زال مجهولاً شأنه في ذلك شأن تراث الأمة عامة حيث ورد في أحد التقارير أنه توجد منه أربعة ملايين وثمانمائة ألف مخطوطة مطمورة في مكتبات العالم مازالت تنتظر من ينقذها هي الأخرى[6].

ولا شك أن ثمة جهودا حثيثة تبذلها الأقطار العربية ، وبعض الهيئات العلمية المتخصصة ، والمنظمات الثقافية الدولية في سبيل حماية التراث الإسلامي وإحيائه ، ونشره تستحق التنويه والتقدير، ولكن المهمة عظيمة وتحتاج إلى تعاون الجميع كل من موقعه ، وما هيأ الله تعالى له من أسباب مادية ومعنوية يمكن تسخيرها في هذا الميدان .. والمطلب هنا ملح لا يحتمل التساهل أو التسويف خاصة في أيامنا هذه التي يتعرض فيها الإسلام لهجمة شرسة وحرب ضروس على كافة الجبهات من لدن الشرق والغرب تستهدف اجتثاث جذوره ، وتقويض أركانه ، وذلك بالتشكيك في تعاليمه ، والتلاعب بمفاهيمه تارة ، وبمحاربة الصفوة المخلصين من أهله وتصفيتهم تارة أخرى ..وإن أمتنا المكلومة اليوم وهي تخوض معركة البقاء وتسعى إلى استعادة قيادتها ودورها الحضاري بين الأمم بحاجة ماسة إلى مراجعة ماضيها المجيد لاستلهام دروسه وعبره حتى تتقوى بأسسه وقيمه الأصيلة في حاضرها ، وحتى يكون استشرافها لمستقبلها عن وعي وبصيرة .. وإن أي خسارة في هذا الاتجاه سيربحها الخصوم للطعن في الأمة والنيل من ثقافتها كما نالوا منها

---

(1) محمد يوسف مقلد :شعراء موريتانيا ، ص/159 .

(2) النحوي : بلاد شنقيط ، ص/292 .

(3) المرجع السابق نفسه .

(4) راجع: المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية لهادي حسن حمودي.

(5) النحوي : المرجع السابق ، ص/239 ، نقلا عن الأستاذ أحمد بن عبد القادر .

(6) انظر تقريرا عن (الندوة العالمية للمخطوطات)المنعقدة في القاهرة نشرته مجلة (البلاغ) العدد(1203)، السنة (27)يوم الأحد 1417/03/12هـ ، ص/32 .

أول مـــرة على حين غرة وأشاعوا أنها مرت بعصور من الانحطاط الفكري والأدبي ، ولم يكـــن شيء من ذلك على التحقيق ، ولكنها نقمة سافرة ، ومكابرة مكشوفة ، وعقوق للحضـــارة الإســـلامية الشامخة ، ولأصحابها الميامين الذين أخرجوهم من غياهب القرون الوســـطى إلى نـــور العلم وآفاقه الرحبة ، وهو من باب رمتني بدائها وانسلت .. فمن المعـــروف تاريخياً ، والثابت علميا أن الأمة الإسلامية –جمع الله شملها– قد حافظت على تـــاج المجـــد في الفكـــر والأدب عبر العصور ، وتناوبت حمل مشعله بانتظام في أقطارها المختلفة من المشرق إلى المغرب [1] ،وهو توزيع طبيعي للأدوار الفكرية ، وتكامل معهود بين أبناء الأمة الواحدة، ولا سُبّة في ذلك ولا شنار ، وحسبها دليلا على شموخ حضارتها مـــا عـــدد لها آنفا من تراث عظيم شغل الغرب قرونا ، وأفادهم كثيرا في بناء مدنيتهم الحديثة ..

وقـــد شهد بذلك المنصفون من كتابهم ومفكريهم ، فهذا (سيديلوت) يقول في كـــتابه (تاريخ العرب): (كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوروبة ، فكانوا سببا لنهضـــتها وارتقائهـــا) . ويقول (لينبول) في كتابه (العرب في إسبانيا) : (فكانت أوروبة الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العـــالم). ونقل الأستاذ (غوستاف لوبون) عن الأستاذ (ليبري) قوله: (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون) .

ولله در القائل :

شهد الأنام بفضله حتـــى العـــدا والفضل ما شهدت به الأعداء

هـــذا وإن تمســـك جيلنا المعاصر بتراث أمته ، وتبنيه لقضاياها المختلفة ليدعو إلى الـــتفاؤل باســـتمرارية هـــذا العطاء الفكري المتدفق ، وتطوره إلى ما فيه صالح البشرية جمعاء .. وقد لاحت حتما بشائر النصر والتمكين ، والذي نعتبر آيته الأولى ثمرة هذا الجيل

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع راجع محمد المختار بن أباه : المرجع السابق ، ص/71 ، 72 ، وأحمد القديدي : نحو مشروع حضاري للإسلام ، ص/128-136 ، وطه الحاجري (مقال) : المرجع السابق ،ص/30 وما بعدها ، وعلي عبد الله الدفاع:تاريخ العلوم عند العرب ، ص/110 .

بنفسه ، وتحليه بروح التعاون والتحدي ، وتخليه عن روح التواكل والانهزامية التي جثمت على صدره ردحا من الزمن بغير مبرر وجيه إلا من نفسه .

ويحق له حينئذ أن يردد قول الشاعر :

هذه آثارنـــا تـــدل علينـــا فانظـــروا بعـــدنا إلى الآثـــار

وهـــذا كتاب الله ينطق بيننا بالحق :{يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبن لكم كـــثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم}[1] صدق الله العظيم .

---

[1] المائدة :15-16 .

الفصل الثاني عشر

بلاد شنقيط قلعة للعلم والرِّباط

لقد ذكر الحكماء أن علامة وفاء المرء ودوام عهده حنينه إلى إخوانه ، وشوقه إلى أوطانه ، وبكاءه على ما مضى من زمانه[1] . ولهذا كان العقلاء من الأمم يتمسكون دائما ببلادهم ، ويأنسون بها ، ويحمونها من كل خطر بل ويعملون على الرفع من شأنها ، وازدهارها ، وكان للشناقطة من ذلك حظا وافراً .

وإذا كنا قد علمنا أن بعض الشناقطة قد استقر في الدول التي هاجر إليها فرارا بدينه من الاستعمار ، ورغبة في الانضمام إلى الجماعة الإسلامية لمتابعة الجهاد في سبيل الله أو حرصاً منه على نشر العلم وطباعة مؤلفاته لعدم وجود المطابع في بلده حينئذ إيماناً منه بوحدة دار الإسلام ، فإنه يجب أن لا يغيب عن بالنا تعلق الشنقيطي بأرضه التي ولد فيها وعاش في ربوعها لا لأنها وطن فحسب ، بل باعتبارها ثغرا من ثغور الإسلام أيضاً تجب المرابطة فيه مثل بقية الثغور في العالم الإسلامي، فهو بهذا الاعتبار متعبد لله تعالى بمواطنته ومحتسباً فيها لما رواه فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كل الميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر)[2] .

وقد لاحظ المتابعون للشأن الشنقيطي أن هجراتهم إلى المشرق توقفت بعد استقلال البلاد وانعكست إلى حركة عودة جماعية ، وخاصة في أوساط المثقفين منهم[3] ، رغم أنهم كانوا في بحبوحة من العيش ومقام كريم .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبد الله بن سيدي محمود الحاجي إثر وصوله إلى بلاده قادماً من الحج :

بان الرسول وبانت عن طيبته ‍ ‍ ‍ ‍ إن الأحبة والأوطان أعداء[4]

وأشاد الشيخ محمد المامي الشنقيطي بمكانة بلاده العلمية قائلاً :

---

[1] المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر 346/2 .

[2] البخاري – الفتح (7311) ، ومسلم (156) واللفظ له .

[3] محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا ، ص/100 .

[4] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/361 .

إن لم يكن شنقيط فيه زمزم　　　فلهم في العلم أصل أقدمُ[1]

يعـــني أن الشنقيطي لا يترك بلاده إلا من أجل الحج إلى بيت الله الحرام والزيارة فقط.

وقـــال محمـــدي بن أحمد فال بمناسبة عودته الأخيرة إلى مسقط رأسه قادما من الشرق سنة 1945م :

عليك سلام الله يا مرتع الصبـــا　　　ويا مجمع الأحباب والأهل و الأنس

ويا ثمرة الألباب يا روضة الهنـــا　　　ويا مذهب الآلام في الروح والنفس

ويا موقد الأشواق جئتك ثانيـــا　　　ولكن برق الشيب يبدو على الرأس

ولم تسلني مصر وزهو نعيمهـــا　　　ولم يسلني منها سرير ولا كرســـي

إلى أن يقول :

صبرنا وهاجرنا إلى الشرق تسعة　　　وآبت بنا ذكرى مواضيك بالأمس

فأبنا بحمد الله في بـــارق المـــنى　　　وكنا قُبيْل اليوم في حالك اليـــأس[2]

ويذكرنا هذا الحنين بموقف العلامة الطالب أحمد المصطفى بن اطوير الجنة الحاجي مع سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن عندما رغب في استبقائه لمكانته العلمية وألحّ عليه في ذلـــك .. فاعتذر عنه تلميذه سيدي محمد الصابر قائلا : (يا سيدي لو أعطيته المغرب كلـــه لمـــا أمكنته الإقامة فيه عن وادان)[3] ، إلا أنه لم يرحل إلى بلده حتى فتح زاوية في مـــراكش كانت من أهم قنوات الاتصال الفكري بين القطرين الشقيقين ، شأنها في ذلك شـــأن الـــزوايا التي أقامها من بعد الشيخ ماء العينين القلقمي في مراكش وفاس والطرفاية وغيرهـــا[4] . ومع ذلك فإن الشنقيطي يعتبر الرابطة الإسلامية فوق كل اعتبار ، ويتشبث بها تشبثا يستعلي على كل انتماء ، فهي وطنه الكبير وجنسيته العظمى كسائر المسلمين .

---

[1] الشيخ محمد المامي : منظومة الصداق ، تحقيق وتعليق السيد بن أحمد وبنعمر ابن فتى(رسالة غير منشورة).

[2] إسلم بن محمد الهادي:المرجع السابق 42/1 .

[3] ابن اطوير الجنة :المرجع السابق .

[4] راجع غيث ابن أمّم : إمارة أولاد يحيى بن عثمان (رسالة مرقونة) ، ص/46 ، وعبد الله بن محمد الأمين: مساهمة في إبراز الأدوار الفكرية والسياسية للشيخ ماء العينين (رسالة مرقونة) ، ص/40.

ولله در القائل :

بالشام أهلي وبغداد الهـــوى وأنـــا ... بالرقمتين وبالفسطاط جيرانـــي
ولي بطيبـــــة أوطـــاون مجنحة ... تسمو بروحي فوق العالم الثانـــي
دنيا بناها لنا الهـــادي فأحكمهـــــا ... أعْظِمْ بأحمد من هاد ومن بـــان
ولست أدري سوى الإسلام لي وطننا ... الشام فيه ووادي النيـــل سيـــان
وكلما ذكر اســـــم الله في بلـــــد ... عددتُ أرجاءه من لب أوطانـــي

ومنذ أن توثقت الصلات بين الشناقطة ومراكز العلم والثقافة في المشرق والمغرب صارت بعد ذلك النسبة إلى قطر(شنقيط) في عرف الناس دليل على العلم والدين ومكارم الأخلاق[1] ، ورمز للأمانة والنخوة ، والشهامة والشرف[2] .

وقد أحسن القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حين قال:

يقولـــون لي فـــيك انقـــباض وإنمـــا ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الـــناس من داناهـــم هان عندهم ... ومـــــن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أبتذل في خدمـــة العلـــم مهجتي ... لأخـــدم من لاقيت لكن لأخدمـــا
أأشقـــى بـــه غـــرسا وأجنيـــه ذلـــة ... إذاً فاتـــباع الجهل قد كان أحزمـــا
ولـــم أقض حق العلم إن كان كلمـــا ... بـــدا طمـــع صـــيرته لي ســـلما
إذا قيـــل هذا منهل قلـــت قـــد أرى ... ولكـــن نفس الحر تحتمـــل الظمـــا
ومـــا كـــل بـــرق لاح لي يســـتفزني ... وما كل من لاقيت أرضاه منعمـــا
ولـــو أن أهل العلـــم صانوه صانهـــم ... ولو عظمـــوه في النفـــوس لعظمـــا
ولكن أذلـــوه فهـــان ودنّســـوا ... محيـــاه بالأطمـــاع حتى تجهمـــا

---

(1) معهد البحوث بالقاهرة:المرجع السابق ، ص/216 ، 476 ، 477 ، 488 ، 489 ، وعسيلان :مجتمع الشناقطة في المدينة المنورة (رسالة غير منشورة) ، ص/115 .

(2) عسيلان : المرجع السابق ، ص/101 ، 148 ، وعبد الرحمن بن عبد العزيز السديس:ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ص/199-203 ،والشيخ عطية محمد سالم : المرجع السابق ، ص/36 وما بعدها .

ونتيجة لهذه السمعة الطيبة التي عرف بها القوم نجد من أبناء الأسر الفاضلة في الجزيرة العربية من يتسمى بالشنقيطي تفاؤلا وتيمنا[1] ، ولذلك يرى كثير من مثقفينا ضرورة العودة إلى هذا الاسم الوطني الكبير ، لأنه المترجم الحقيقي عنا ، ولأنه أكثر لصوقاً بتاريخنا وحضارتنا ، ولأنه أخلد وأبقى. ولسوف تبقى الأجيال تردده على مر الزمان ما شيدت منارة للعلم ، ورفع منبر للعلماء إن شاء الله تعالى .

وإذا كان الشناقطة يتفاوتون في العلم والالتزام ويتباينون في الأنساب والأحساب مثل غيرهم من شعوب العالم فثمة قواسم مشتركة تجمعهم وهي تمسكهم بأرضهم ، والبساطة في مظاهر حياتهم، وسلامة فطرهم ، وسرعة انقيادهم إلى الخير وبعدهم عن الفتن وأسبابها ، وإيثارهم للسلم وحسن الجوار. إضافة إلى حنوهم على الغريب ، وإكرامهم للضيف ، وتعصبهم للرابطة الإسلامية على كل حال مع شدة إبائهم ورفضهم للضيم والظلم ، ونصرتهم للمستضعفين ، ووفائهم بالعهود ، سيان في ذلك رئيسهم ومرؤوسهم كما سيظهر بجلاء في الباب الثاني إن شاء الله تعالى .

وقد نوه الشيخ محمد محمود الصواف مبعوث الملك فيصل آل سعود إلى قادة إفريقيا لتعزيز التضامن الإسلامي ، بكرم الرئيس الموريتاني الأسبق الأستاذ المختار بن داداه ، وتواضعه ، حيث دعاه على مأدبة عشاء بنواكشوط إبان زيارته لموريتانيا سنة 1395هـ/1975م ، فاستقبله استقبال الإخوان ، وقال: (كان الرئيس يكرمنا ويقطع بيديه ويقدم لنا)[2] ، وهذه الظاهرة مألوفة في تعامل أهل هذه البلاد فيما بينهم وفي تعاملهم مع الآخرين ، وقد وجد في أحيائهم من يلقب بمحلة أربعين جواداً [3] لتنافس أهلها في الكرم والجود .

ولعل تغلغل هذه السجايا في وجدان المجتمع الشنقيطي هي التي جعلت من بلدهم تلقائيا واحة للأمن والاستقرار والتراحم ، مما كفاهم مؤنة حشد العساكر والشرطة في شوارع المدن ، وأماكنها العامة على مدار الساعة ، وقد شهد بهذا غير واحد ممن زار

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمود عمر الشنقيطي في المدينة المنورة ليلة الإثنين 1418/01/13هـ الموافق 1997/05/19م .

[2] محمد محمود الصواف : رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، ص/69.

[3] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/48 .

موريتانـيا ، أو استقر فيها لفترة ، فهذا الدكتور عبد الله السريع ، سفير الكويت سابقاً يقـول عن استتباب الأمن في العاصمة نواكشوط ، وغيرها من المناطق : (..والذي شد انتباهي أكثر هو أني لم أر خراسة حول مباني البعثات والمنظمات الدبلوماسية .. ولا حتى شـرطة تجـوب الشوارع إلا بعض أفراد عند تقاطع الطرق الرئيسية لمراقبة حركة مرور السيارات .. وقيل إنه في القرى والأرياف لا وجود لرجل أمن أو شرطي نهائياً مما فهمت منه ودون الحاجة إلى سؤال أحد أن البلد آمن وآمن جداً)[1] .

وهـذا دبلوماسـي آخـر من الغرب لدى موريتانيا ، يؤكد هذه الحقيقة للسفير المذكـور في حديـث ثنائي بينهما ، فقال لـه : إنه كان ذات مرة (يقود سيارته ومعه زوجـته .. وعـلى بعد حوالي 300كم من العاصمة نواكشوط توقفت سيارته بسبب عطـل أصاب إحدى العجلات .. حيث إن الطريق الذي يسلكه غير مسفلت ، فأدركه وزوجـته الليل وهما في موقفهما هذا ، فبدآ يشعرا بالقلق ليس خوفا من العطش والجوع فلديهمـا ما يكفي لمدة يومين أو أكثر ولكن خوفا من وحوش أو قطاع طرق يسلبون ما معهما .. وما هي إلا دقائق قليلة حتى توقفت سيارة بقربهم فإذا هي من نوع (بيك آب) تحمـل حـوالي عشرة رجال تقريباً .. فشعرت الزوجة بالخوف وطلبت من زوجها عدم الـنـزول ، إلا أنه وأمام تجمهرهم حول السيارة نزل وتحدث معهم بالفرنسية .. وأشار بـيده إلى العجلـة الفارغ هواؤها ففهم بعضهم قصده .. وأعادوا العجلة إلى مكانها من السيارة بعد ملئها بالهواء .. وركبوا سيارتهم ، وانطلقوا أمام دهشة الرجل وزوجته على هـذه الشهامة الموريتانية التي عبرا عنها بالشكر)[2] . ولعل تلك السجايا هي التي جعلت الشناقطة يرتبطون بوطنهم أكثر ، وهي التي رغبت غيرهم فيهم .

وأذكـر أني لما كنت في مطـار الملـك عبد العزيـز الدولي بجدة في صيف سـنة 1418هـ ، اقترب مني بعض الشباب حين عرفوني بزيي الوطني (الدَّرَّاعـة) ، وسـألوني : لمـاذا تراجع صيت الشناقطة الذي أطبق الآفاق في الأزمان الماضية ؟ ولِمَ لا تـتحدث وسائل الإعلام اليوم عن بلاد شنقيـط إلا لماماً ؟ فقلت : صدقتـم ، لقد أتى

---

(1) عبد الله السريع :موريتانيا الماضي والحاضر ، ص/7-8 .

(2) المرجع السابق ، ص/9-10 .

على الشناقطة حين من الدهر كانوا في الصدارة والمقدمة لأنهم دخلوا التاريخ بالعلم والأخلاق أيام كان الناس يجلون العلم والعلماء ، ويقدرون مكارم الأخلاق . أما في هذا الزمان الذي عمّ فيه الجهل ، وطغت فيه المادة وعبادة الهوى وانتشرت فيه منكرات الأخلاق على مرآى ومسمع من العالم دون نكير ، فقد تغيرت الموازين ، ومُسخت المفاهيم ، واختلطت الأوراق حتى صار الناس لا يعلمون حقا من باطل إلا ما ندر .. وأصبحت قيمة المرء ما في جيبه ورصيده ، وأضحت الكلمة للرويبضة ، وللكع ابن لكع ، وولدت الأمة ربتها ، فلا شك أن هذا أثر في علاقة المسلمين عامة بعلمائهم وذوي الفضل منهم .والشناقطة ليسوا بمعزل عن أمتهم في ذلك ، فقد عانوا منه أيضاً للأسف الشديد ، وهذا ما تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم وحذر منه ، ولكنه وقع في زماننا ، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم لا يدركني زمان لا يُتبع فيه العليم ولا يستحيى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجيم ، وألسنتهم ألسنة العرب)رواه أحمد والحاكم[1] .ولم نجد سببا لهذه الظاهرة سوى غربة الإسلام عن واقع حياة الأمة ، الأمر الذي حكّم لقوى الشر فينا وإنا لله وإنا إله راجعون .

ولقد أحسن الشاعر حين قال:

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثان و ثالث

ورغم هذه التحديات فإن علماء الأمة وفضلاءها بما فيهم علماء الشناقطة لا يزالون صامدين في وجه هذا الإعصار المادي الكاسح أعانهم الله ، فتجدهم يشيدون المساجد ، وينشئون المدارس والمعاهد ، ويقيمون الملاجئ للأيتام والأرامل ، ويواسون الفقراء والمساكين ، ويسعون في حاجاتهم .. ويرشدون ويربون صابرين محتسبين مع ما يواجههم من إحن تنوء بها العصبة من الرجال .

وقد ظهرت بوادر صحوة مباركة منذ أوائل القرن الخامس عشر الهجري ، نرى أنها بداية تصحيح لمسار الأمة ، وتوجيهها إلى مصدر قوتها ، وعزها كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعدما فشلت كافة الأنظمة البشرية ، والقوانين الوضعية .

---

[1] أحمد(22879) وللفظ له ، والحاكم (8622) ، ومجمع الزوائد(861)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأعلنـــت إفلاســـها وخيبتها في إسعاد الإنسان . وعندما نستوعب دروس هذه الصحوة الراشدة في تزكية النفس ، وفي العدالة والحرية ، واستثمار المقدرات فإن ذلك سيعيد الحق إلى نصابه ، ويفتح الباب على مصراعيه للتنافس الشريف بين ذوي الكفاءات والمؤهلات مـــن أبـــناء هذه الأمة المجيدة ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله تعالى . فوافقوني على ما بينت لهم ، وشكرت لهم اهتمامهم بإخوانهم في المعمورة .

الفصل الثالث عشر

شهادات متواترة

لقد أبى بعض زعماء العالم وقادة الفكر إلا أن يشيدوا بمكانة الشناقطة العلمية، ومشاركاتهم الإيجابية في تاريخ الإنسانية، فأعلنوا شهاداتهم تلك أمام الناس في أكثر من مناسبة للتاريخ والأجيال. وشهد بذلك أيضاً أقطاب الإدارة المستعمرة في تقاريرهم التي رفعوها إلى الدولة الفرنسية مؤكدين صعوبة مهمتهم، واستحالة تحقيق أهدافهم الاستعمارية في المجتمع الشنقيطي المحافظ، وقد اخترت من بينها الشهادات التالية:

يقول الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية، في خطابه التاريخي الذي ارتجله أمام الحكومة الموريتانية في نواكشوط إبان زيارته لموريتانيا سنة 1392هـ: (ومما لا شك فيه أن كل من له اطلاع على التاريخ يعلم ما لبلادكم الشقيقة من جهود مشكورة، من أول التاريخ إلى الآن، في سبيل الدعوة الإسلامية، وفي سبيل خدمة الوطن، وفي سبيل تحقيق السلام والأمن والاستقرار في العالم)[1].

ويحدثنا الدكتور محي الدين صابر مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن مكانة الموريتانيين في الأوساط العربية ومحيطهم الإسلامي: (كانت صورة الشناقطة وما تزال في البلاد العربية أنهم الممثلون الأوفياء للثقافة العربية الإسلامية في نقائها وأصالتها، وأنهم سندها في قاصية ديار الإسلام، المرابطون في ثغورها، حفاظاً عليها، ونشراً لها، وإشعاعاً بها)[2].

ومن الصور الحية المعبرة عن شغف هؤلاء الأعلام بالعلم، وولعهم بالبحث والاطلاع، واهتمامهم بالتراث الإسلامي ما ذكره الدكتور طه حسين المصري عميد الأدب العربي الأسبق عن الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، إذْ قال: (كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة، ورواية الحديث سنداً ومتناً عن ظهر قلب .. وكانوا يذكرون أن له مكتبة غنية

---

[1] مجلة المنهل، السنة الثامنة والثلاثون (الجزء12) ذو الحجة 1392هـ/يناير1973م، ص/1236.

[2] من خطاب الدكتور محي الدين صابر الذي ألقاه بمناسبة الحملة الدولية لإنقاذ المدن التاريخية الموريتانية، نشرته جريدة (الشعب) الموريتانية في العدد (1702) بتاريخ 1401/04/13هـ، ص/7-8.

بالمخطوط والمطبوع في مصر وفي أوروبا ، وأنه لا يقنع بهذه المكتبة ، وإنما ينفق أكثر وقته في دار الكتب قارئا أو ناسخا)[1] . فكان كما قال الباجي شارح الموطأ:

إذا كنت أعلم علما يقينا ... بأن جميع حياتي كساعه

فلم لا أكو ضنينا بها ... وأجعلها في صلاح وطاعه

وطلب العلم للعمل به ، وتعليمه ، وتدوينه من أفضل الأعمال الصالحة التي يُتقرب بها إلى الله عز وجل .

و يقول الأديب محمد يوسف مقلد اللبناني عن هذه العناية الخاصة بالتراثين الديني والأدبي التي اشتهر بها الشناقطة : (وقد حافظوا على التراثين الديني والأدبي ، ولهم صبر عجيب على نسخ الكتب الفريدة)[2] .

و يقول الدكتور أحمد مختار انبو مدير منظمة التربية والتعليم والثقافة (اليونسكو)، عن الدور الإسلامي الكبير الذي اضطلعت به المدن التاريخية الشنقيطية التي تأسست على الإيمان والإسلام : (إن مدن وادان ، شنقيط ، ولاته ، تيشيت هي الشواهد الأخيرة على ازدهار منطقة ظلتْ لفترة طويلة بحكم موقعها في ملتقى طرق القوافل الصحراوية الكبرى تربط بين المغرب العربي ومنطقة الساحل.. كما أن وجودها في محور فكري تلتقي فيه الأندلس بأقصى إفريقيا جعلها تفتح أبوابها في آن واحد لتجارة السلع ، ولتبادل المعارف ، كما استطاعت أن تصبح بذاتها مراكز للإبداع والإلهام ، ومصدر إشعاع لحياة دينية غنية ، ولأنشطة علمية وفنية عديدة)[3] .

ويقول الرئيس الفرنسي جاك شيراك في أحد خطاباته عندما زار موريتانيا في جمادى الأولى سنة 1418هـ الموافق سبتمبر 1997م : (إن موريتانيا كذلك أمة من الفاتحين والبناة ، فبالأمس انطلق المرابطون من مشارف الصحراء ليؤسسوا في أقصى شواطئ المتوسط حضارات شامخة ستظل إلى الأبد ماثلة في ذاكرة التاريخ)[4] .

---

[1] طه حسين :الأيام (الأعمال الكاملة) ، 343/1 .

[2] محمد يوسف مقلد : شعراء موريتانيا ، ص/161 .

[3] من خطاب الدكتور أحمد مختار انبو بمناسبة الحملة الدولية لإحياء المدن التاريخية الموريتانية ، نشرته جريدة (الشعب) الموريتانية بتاريخ 1981/02/16م ، ص/5-6 .

[4] انظر جريدة(الشعب) الموريتانية العدد (6032) في 1418/05/04هـ الموافق 1997/09/07م ، ص/10.

ويقول الإداري الفرنسي (بيري Beyries) في تقريـر لـه عن (التطور الثقافي والاجـتماعي)في موريتانيا أيام الاستعمار سنة 1937م : (لقد لاحظت أنه لا يوجد أي مجتمع بدوي يبلغ مبلغ البيضان في العلم بالعقيدة والتاريخ والأدب والفقه وعلوم العربية .. إنهـم يـتحدثون العربـية الفصـحى بطلاقة ويسر أحسن مما يتحدث بها سكان تونس والقاهرة .. ولا يندر أن تجد فيهم راعي إبل من أبسط الرعاة يترنم بالشعر)[1].

ويقـول الحاكم الفرنسي لموريتانيا لغربه في تقرير لـه سنة 1945م عن تمسك الشـناقطة بديـنهم، وغيرتهم على ثقافتهم الإسلامية ، وتشبثهم بمبادئهم الأصيلة : (لقد عالجـنا مشكلة التعليم فور دخولنا موريتانيا ولكنها مشكلة حادة . لقد وجدنا أنفسنا في مستعمرات أخرى في ساحة فارغة أمام شعوب متلهفة إلى محاكاتنا ، أما في موريتانيا فإن المقاومة الإسلامية لنمو نفوذنا عن طريق التعليم الفرنسي بدتْ مقاومة صلبة ..إن البيضان الذيـن أسـلموا مـنذ قرون وكان لهم وما زال فقهاؤهم وعلماؤهم لا يمكن أن يرون حضارتنا بعين الإعجاب التي ينظر إليها بها السود)[2].

وتحدثـت جريدة (الشرق الأوسط)عن دولة موريتانيا قائلة : (إن هذا الجزء من العـالم العـربي الإسـلامي بقـي في منأى عن المؤثرات اللغوية الأجنبية ، وظل محتفظاً بالأصالة ، والسليقة والجزالة العربية)[3].

ولله در القائل :

أولئك آبائي فجئني بمثلهـم	إذا جمعتنا يا جرير المجامـع

و يقول الأستاذ محمد عبدالله بن الحسين منوهاً بمكانة بلاده :

وكم خرجت شنقيط بحراً غطمطماً	يعانـق في الأبـراج نجم الثرية
تخر لـه الأعناق في الشرق جهـرة	وفي الغرب والأقناء أعظم سلطة
إلى أن غدت شنقيط رمز وجـودنا	ونسبتنا القصوى لدى كل أمـة

---

[1] توجد نسخة من هذا التقرير في الوثائق السنغالية ، داكار ، الملف 9G78 .

[2] انظر : الوثائق الوطنية بنواكشوط ، الملف E2/44 ، تقرير إلى الحاكم العام لغرب إفريقيا بتاريخ 1945/01/24م .

[3] انظر جريدة(الشرق الأوسط) العدد (6549)بتاريخ 1996/11/02م .

لهـــا منهج الإسلام أحسن منهج ومن معدن الأخلاق ذات سجية
عصور بذا مضت تباعاً بقطرنـــا وقد يشغل الأبناء مجد الأبـــوة

وبهذه الأوصاف الصادقة والمآثرة الحميدة الناصعة كان الشناقطة دعاة علم وحرّاس عقـــيدة وأمـــناء وحي .وكانت بلادهم قلعة حصينة للإسلام ، وقاعدة للتربية والجهاد ، وجســـر أخـــوة ومودة ، ورحمة بين العالم العربي وإفريقيا الخضراء . وهكذا أنبتت هذه الأرض المـــباركة أجـــيالاً مـــتلاحقة من الأئمة الأعلام ، وأثمرت مجاهدين أفذاذاً نشروا الإســـلام في المناطق المتاخمة لهم ، وفي غرب إفريقيا بصفة عامة ، وامتد إشعاعهم الثقافي إلى الأقطار العربية والإسلامية في آسيا وأوروبا وغيرها .

نعـــم ، لقد تعددت جنسيات الشهود ، وتباينت مراكزهم ، واختلفت عقائدهم وثقافاتهم ولكنهم اتفقوا على علم الشناقطة ، وجهادهم ، ومشاركتهم في بناء الحضارة ليكون ذلك محفزاً لهم على المزيد من العطاء والتألق في إطار أمتهم المجيدة وعلى مستوى العالم أجمع .

الفصل الرابع عشر

العلماء ورثة الأنبياء

لقـــد رفـــع الله تعـــالى مراتب العلماء وأقدارهم من بين سائر الناس ، وضاعف أجورهـــم على غيرهم في كتابه العزيز فقال : {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}[1] ، وقال سبحانه : {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يـــتذكر أولوا الألباب}[2] . وقرن شهادتهم بشهادته جل جلاله وشهادة ملائكته الكرام تعظـــيماً لمكانتهم ، وتفخيماً لشأنهم فقال: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام}[3] .

والعـــلماء هم حراس العقيدة ، وأمناء الشريعة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لحديث (العلماء ورثة الأنبياء) رواه أحمد[4] ، وناهيك به شرفاً وفخرا ، فهم أعلم بالله من الناس ، وأكثرهم له خشية لقوله سبحانه: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}[5] ، وإليهم يرجع العامة لاستكناه أسرار الوحي ، واستبيان حقائق الرسالة لقوله تعالى: { وما أرسلنا قـــبلك إلا رجـــالا نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}[6] . وإن هذه المنـــزلة المنيفة تقتضي بديهة وجوب احترامهم وتوقيرهم، ومعرفة مزيتهم ، وتقديمهم على مـــن سواهم قياماً بحقهم ، واستيفاء للكيل فإن التطفيف في كل شيء، لقوله جل وعلا: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظـــن أولـــئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين}[7] ، والملائكة عليهم السلام إنما أمروا بالسجود لآدم عليه السلام لعلمه ، وكرامته على الله تعالى فافهم ، قـــال سبحانه : {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان

---

[1] المجادلة:11 .

[2] الزمر:9 .

[3] آل عمران :18-19 .

[4] أحمد (21709).

[5] فاطر: 28 .

[6] الأنبياء:7 .

[7] المطففين :1-6 .

مـــن الكافـــرين}[1] . وإن المؤمنين الصادقين هم أولئك الذين يهتدون بالقرآن والسنة ، ويسترشـــدون بأقوال علمائهم العاملين ، ويترحمون على سلف الأمة كما قال سبحانه : {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم}[2] .

ورغـــم هذا فإن العالم غير معصوم ، فلا يؤخذ بهفوته ولا يرد كلامه كله لأجلها فـــإن ذلـــك من الجهل والهوى ، وعدم الإنصاف ، بل يجب أن تغمر زلته في بحر علمه ، وتدفن في جانب عظيم فضله، وهو مأجور على اجتهاده لما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكـــم فاجتهد فأخطأ فله أجر) رواه أحمد وأبو داود[3] . وحسن الظن بجميع المسلمين واجـــب لاســـيما بالعلماء والأخيار ، وكما قال أحد الصلحاء: (لأن أخطئ في تعديل شخص أحب إلي من أن أخطئ في تجريحه) ، وقال آخر : (تشوفك إلى ما بطن فيك من العـــيوب خير لك من تطلعك إلى ما حجب عنك من الغيوب) ، واسمع إلى قول الحافظ الذهـــبي رحمه الله تعالى: (لو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاد في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له ، قمنا عليه وبدعناه ، وهجرناه لما سلم لنا لا ابن نصر ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما).

وحســـب التجربة فإنه لا يهضم حق العلماء والفضلاء عادة إلا في الأوساط التي يعـــبد فيها الدينار والدرهم ، ويتبع فيها الهوى ، ويتحكم فيها الجبابرة والسفهاء . فمن المعـــروف أن الجهل والمال إذا اجتمعا لشخص تولد عنهما الحماقة والطغيان غالباً ، كما قال تعالى:{إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}[4] ، ولهذا تهدده الله من قريب ، وتوعده ووعظـــه فقال في الآية الموالية : {إن إلى ربك الرجعى}[5] . وما ذلك إلا لأنهما يفضيان بصاحبهما إلى الظلم ، والتكبر في الأرض بغير الحق، وليس لذلك جزاء إلا النار لما روى

---

(1) البقرة :34 .

(2) الحشر:10 .

(3) أحمد (17774) ، و(17816) ، وأبو داود (3574) .

(4) العلق : 6-7 .

(5) العلق:8 .

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدة منهما ألقيته في جهنم)رواه مسلم[1] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) رواه البخاري[2] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الظلم ظلمات يوم القيامة)رواه البخاري[3] ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الفئة التي تملكها حب الدنيا حتى آثرت أربابها على أهل العلم والفضل ، وباعت في سبيلها دينها وعقيدتها ، فقال فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش)رواه البخاري[4] .

وعن هذه الظاهرة الخطيرة يقول شيخ الإسلام تقي الدين :

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها	أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم	منازل الوحش في الإهمال عندهم
فما لهم في توقي ضيرنا نظر	ولا لهم في ترقي قدرنا هم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم	مقدارهم عندنا أو لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غِنًى	وعندنا المتعبان العلم و العدم

ولا غرو فمكانة العالم عند الجاهل هي مكانة الجاهل عند العالم ، وشتان بين المنزلتين .

ولقد أحسن القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد	وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن الظلم العظيم الوقيعة في العلماء ، والاستخفاف بشأنهم وتصيد أخطائهم ، وعدم مراعاة حرمتهم كما هو حال المنافقين معهم في كل زمان ومكان ، وتلك داهية كبرى وسم قاتل لما روي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال: (لحوم العلماء مسمومة

---

[1] مسلم (2620) ، وأحمد (8894) ، و(9359) ، و(9508).

[2] البخاري-الفتح (2448) .

[3] البخاري-الفتح (2447) .

[4] البخاري-الفتح (2886) ،و (2887)

مــن شمها مرض ، ومن أكلها مات)[1] ، ونص الفقهاء على كفر من استخف بالعلماء ، أو انتقص أشياءهم كمن قال (هذه عميمة العالم) بالتصغير مثلاً ، فما بالك بمن قارف أكبر من ذلك ؟! .

وعقد الناظم الحكم بقوله :

و ابن هلال في النــوازل نقــل إهان أهل العلم كفــر و لعــل
ذلــك أن الملحديــن في رسل رسله كالملحــدين في الرســل

ويعزى إلى مفيد بن هشام قوله:

وجــاحد مــزية للعــلمــاء على سواهــم قتلــه تحتمــا
لأنه بــذاك كــذب النبــي وخارق إجماع كل مذهــب[2]

ذلــك لأن الــذي يمــس من العلماء إنما يمس من الدين لأنهم هم الذين يمثلونه ، والمترجمون عنه حقيقة وحكماً ، ولهذا ورد في الخبر : (إذا رأيتم من يذكر أبا بكر وعمر فاعــلموا أنــه يريد الإسلام) ، لأن الإسلام إنما يحارب في أشخاص أهله الذين اعتنقوه ، وحملته الذين يرعونه ويحمونه فافهم .

أما ذووا الدين والعقــل فإنهم ما فتئــوا ينــزلون الناس منازلهم ، ولا يجحدون مكانــتهم ، ولا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله إذْ ليس ذلك من شيم المؤمنين ، وأصحاب الفطر السليمة لما جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : (أمرنا رسول الله صــلى الله علــيه وسلم أن ننــزل الناس منازلهم) رواه مسلم[3]، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ولا يــبع أحدكم على بيع أخيه ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذلــه ولا يحقــره ، التقوى هاهنا – وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات – حسب

---

[1] محمد خليل بن علي المرادي :عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، ورياض عبد الحميد مراد ، ص/5 .

[2] محمد محمود بن أحمد تلمود:إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة ، ص/168 .

[3] مقدمة مسلم .

امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) رواه مسلم [1].

وصدق القائل :

وما عبر الإنسان عن فضل نفسه   بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل

وإن أشد النقص أن يرمي الفتى   قذى العين عنه بانتقاص الأفاضل

وكـــان السلف الصالح رضي الله عنهم يراعون حُرمة العلم ، ويعرفون لعلمائهم حقهم ، فقد أخذ ابن عباس رضي الله عنهما ، مع جلالة قدره ، وعلو مرتبته بركاب زيد ابن ثابت رضي الله عنه، وقال : (هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا)، فأخذ زيد بيده وقبلها ، وقال : (هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم) ، وهذا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى كان شديد التواضع للعلماء ، ويقول :

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها   ولن تكرم النفس التي لا تهينها

والأخـبار في هـــذا مستفيضة عن السلف فلتنظـــر في محلها من كتب المناقب والآداب. وقـــد التبس الأمر على البعض في مسألتي التكبر والتواضع مع أن النبي صلى الله عليـه وسـلم بينهما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، فقال عن التكبر : (الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم [2] ، وبطر الحق يعني دفع الحق وعدم الإنقياد له عناداً واستعلاءً كما في قوله تعالى : {ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصـــر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم } الآية . وغمط الناس أي احتقارهم والإســتخفاف بهــم لفضيلة يراها في نفسه ، أو حسداً لهم كما في قوله سبحانه : { أم يحســدون الــناس عــلى ما آتاهم الله من فضله } الآية . والتواضع عكسه وله جناحان أحدهمـــا : قبول الحق والإذعان لـــه سواء كان مصدره ذكراً أو أنثى ، وسواء كان قائله كبيراً أو صغيراً ، حراً أو رقيقاً ، رئيساً أو مرؤوساً . فما من أحد أكبر من أن يسمع الحق وما من أحد أصغر من أن يقول الحق إذا علمه ، ولنا في قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع الهدهد درس وعبرة .

---

[1] مسلم (2564) ، وأحمد (7727) واللفظ له .

[2] مسلم (91).

ولقد صدق الشاعر حين قال :

والحق مقبول ولو مـن جـاهل   فانظر لذات القول لا للقـائل

والآخر : احترام الناس وعدم تبخيس أشيائهم لما روي في الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننـزل الناس منـازلهم) رواه مسـلم . وقد التبس هذان الأمران على البعض في زماننا بسبب الجهل المركـب ، والفهـم السـقيم ، فكل من رأوه لا يأكل الغيبة ولايتنابز بألقاب السوء ، ويتجنب مجالس اللهو والخنا ، ويترفع عن السفاسف والدنايا يقطعونه إن لم يكن ذا مال يطمعـون فيه ، أو لم يكن ذا بأس يحذرونه ويصمونه بالتكبر وتبلد الطبع ، وثقل الظل ، مـع صلاحه البين وتقواه الظاهر ، وما هو في ذلك إلا متبع لا مبتدع ، فكان الأولى بمن قلاه أن يغبطه على حاله ، ويقتدي به شرعاً وإلا كان شاهداً على نفسه بالنفاق. وأما من شـاركهم في مجونهم وغفلتهم من أهل الفسوق فهو عندهم متواضع لبقٌ ، رياضي الروح خفـيف الـدم لا يـزهد في مثله ، بل يقرب ويكرم ، ويرفع في المجالس . وهكذا شاع الضلال والفساد ، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وتلك مصيبة كبرى ، فإنا لله وإنـا لـه راجعون . ومن هنا تكون مقولة (التكبر على المتكبر عبادة) ، لا تعني التكبر المذموم شرعاً وإنما يقصد بها وجوب تمسك أهل الحق بحقهم في مقابل تمسك أهل الباطل بباطـلهم لأن الحق أحقُّ أن يتبع ، وهو يعلو ولا يعلى عليه ، فتكون عزة أولئك بما هم عليه من حق كأنها تكبر معنى على ذلة هؤلاء بماهم عليه من باطل فافهم .

هـذا وقـد شاع في بعض البلاد الإسلامية تسمية الأبناء بأسماء المشايخ تيمناً ، ويسـجلون لدى الدوائر المدنية مع إثبات ألقاب المشيخة لهم على صغر سنهم وجهلهم ، وعدم استحقاقهم لتلك المرتبة العالية لاسيما إذا كبروا ، ولم يرقوا إليها بجدارة . وهذا ما يجـب التحرز منه والتباعد عنه ، وقد توسع العوام في هذا الباب حتى طال الألقاب الدالة عـلى شرف النسب للأسف الشديد ، وإن لم تكن وراءه نية سيئة إلا أنه لا يجوز على كـل حـال لما فيه من مغالطات وشبهات ، فتجد أحدهم يسمي ابنه الشيخ فلان ، أو الشـريف فلان ، أو فلان الهاشمي ، أو مولاي فلان ، مع أنه ليس شيخاً في العلم ، ولا شـريفاً في النسب ، ولا مـن نسـل قريـش كلهـا ، بل وقد لا يكـون منحـدرا

من العرب أصلاً . وقد شاهدنا من ذلك كثيراً وسمعنا عنه أكثر ، وهذا مما يجب إنكاره والتحذير منه لأنه كذب، ومن تحريف الكلم عن بعض مواضعه ، ومن وضع الشيء في غير محله ، وذلك مناف للشرع والذوق السليم ، وألسنة العقلاء -كما يقال- مصونة عن العبث . وقد ورد في الصحيح لعن من انتسب إلى غير أبيه أو مواليه ، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه — وهو يعلمه— إلا كفر) متفق عليه [1] ، وعن عمرو بن خارجة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لعن الله من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، الولد للفراش وللعاهر الحجر) رواه أحمد [2] . وكان الأوائل رحمهم الله يسمون أولادهم بأسماء المشايخ من الأشراف وغيرهم ، ولكنهم لا يعتدون على ألقابهم حاشاهم ، بل يحفظونها لهم كحفظهم لأنسابهم . فالأولى بالآباء والحكام إصلاح هذا الخلل في الأوراق الرسمية ، وذلك بتجريد الأسماء من تلك الألقاب الشريفية والعلمية ، لأنها وضعت لمعاني خاصة ، ولا ينبغي تعريضها للتلاعب والتندر .

ولله در القائل :

ألقاب مملكة في غير موضعها　　　كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وأما إذا قام الدليل على صدق تلك الألقاب ، ومطابقتها للمسمى فذلك أمر آخر وهو الذي نسعى إلى تحقيقه . فيجب التنبه لهذه التجاوزات لما فيها من الدعاوي ، ولئلا يستخدم تلك الألقاب من لا يستحقها ، وحتى لا يغتر بها من لا يعرف حقيقتها ، ولعل هذا ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحذر الصحابة رضوان الله عليهم من التكني بأبي القاسم في حياته على رأي الجمهور تحاشياً للالتباس وسداً للذريعة ، إذْ يوجد من قد يسئ استعمالها بالكذب عليه ، وترك الأدب مع حضرته عليه الصلاة والسلام لما روى أنس رضي الله عنه قال : (نادى رجل فقال : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله لم أعنك ، إنما دعوت فلاناً ، فقال النبي صلى الله عليه

---

[1] البخاري — الفتح (3508) ، ومسلم (61) .

[2] أحمد (17663).

وسلم : (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)متفق عليه[1] . وقد يقول أحدهم : حدثني أبو القاســم بكذا للإيهام ، فيظن السامع أنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وعند التحقيق معه يقول : إنما أقصد فلانا ، فيسبب هذا تضارباً في الأحاديث ، وتناقضاً في الروايات ، فتضيع الحقيقة بين الناس بسبب الألقاب المستعارة ، والكنى المزيفة ، وفي ذلك من الخطورة ما فيه وهذا ما لاحظه الشارع ، وحسمه في وقته .

وقد استوعب المسلمون الدرس ، وتمسكوا بضوابطه عبر تاريخهم الطويل ، فأعطوا لكــل ذي حــق حقه ، وصانوا لكل ذي لقب لقبه ، ولم يصرفوه إلى غيره كقولهم عن ألقاب الخلفاء الأربعة : أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي كــرم الله وجهــه ، فمن المعروف أن كل واحد منهم رضي الله عنهم صديق وفاروق ، وأكــرمهم الله ســبحانه بما آتاهم من الإيمان والهدى، ولكن جرى العرف أن لا يصرف لقــب أحدهم إلى الآخر ، لأنهم إنما نعتوا بها لأسباب خاصة ، كما ورد في كتب السير والتواريخ .

ويقــول يــاقوت الحموي الرومي (ت626هــ) في كتابه (معجم الأدباء) عن مراعاة الناس للألقاب في زمانه : (وذكروا أنه لا يلقب بالغرب (أي في المغرب) بالأستاذ إلا الــنحوي الأديــب)[2] وأمــا في بلاد شنقيط فإنهم لا يلقبون بالشيخ إلا العالم المربي خاصــة ، وأما العالم الذي يلقن العلوم فقط فيلقبونه بالطالب ، أو المرابط ، أو الفقيه ، كما تقدمت الإشارة إليه في الفصل الخامس .

والشــيخ في اللغة الذي استبانت فيه السن ، وظهر عليه الشيب ، كما في اللسان والقاموس، وقال العلامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في فهرسه : (ويطلق الشيخ مجازاً على المعلم ، والأستاذ لكبره وعظمته)[3]. (قلت) : بل إن سلطان العلم أقوى من سلطان السن ، وهو حاكم عليه عند افتراقهما ، ألا ترى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يشرك ابن عباس رضي الله عنهما في مجلس الشورى وهو حدث ، ويقدمه

---

[1] البخاري-الفتح (6187) ، (6188) من حديث جابر ، ومسلم (2131) ، (2133) ، (2134) ، وأحمد (12130) ، (12218) .

[2] ياقوت الحموي الرومي : معجم الأدباء ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، 1402/3 .

[3] عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس والأثبات 1/67-68 .

على الأشياخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال له عبد الرحمن بن عوف : إن لنا أبناءً مثله (أي في سنه)؟! فقال عمر: إنه من حيث تعلم (أي لعلمه ولقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم).

ثم اختبرهم عمر رضي الله عنهم ، فسألهم عن تفسير سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فذكر كل واحد منهم معناها الظاهر إلا ابن عباس رضي الله عنه فقال : أجلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعلمه إياه ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم) رواه البخاري [1].

وصدق القائل :

وكم من صغير لاحظته عناية ... من الله فاحتاجت إليه الأكابر

والمرء بأصغريه قلبه ولسانه أي بعلمه وعقله لا بكبر سنه وضخامة جثته فحسب.

---

[1] البخاري - الصحيح (3627).

الباب الثاني

تراجم أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق

تمهيد :

نسعى في هذا الباب إلى التعريف بأعلام الشناقطة الذين شدوا الرحال عبر القرون إلى الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى في رحلات دينية وعلمية منتظمة ، واللقاءات المباركة التي جمعتهم بإخوانهم المسلمين من العلماء والسلاطين والأعيان في المشرق والمغرب . ونرصد ما حصل في تلك المجالس من فوائد علمية وأدبية هامة ، تجسد العلاقة الحميمة بين الضيوف والمضيفين ، وصدق المحبة بين الأشقاء المغاربة والمشارقة . وتعكس كذلك مكانة القوم العلمية والثقافية الرائدة التي خلّدت ذكرهم في العالمين الإسلامي والغربي .

ولم يكن الشناقطة يهتمون بالترجمة لعلمائهم مخافة من الرياء والإطراء ، وفراراً من الظهور والمباهاة حتى لا تشوب أعمالهم شائبة أو تحوم حولها شبهة . فلهذا لا نكاد نجد لهم ذكراً في دواوين التاريخ ، وسير الأعلام إلا ما ندر مع أنهم ما حلوا بأرض إلا خلفوا فيها علماً وأدباً وذكراً حسناً . وإذا كان هذا المبرر وجيها من تلك الحيثية فلا أراه مقبولاً في باب التاريخ والسير لتوقف كثير من أبواب العلم عليه كالرواية والإسناد والجرح والتعديل والسلوك والمناقب وغيرها . ولو لم نر أهمية هذا الموضوع في بابه لضربنا صفحاً عن طرقه ، ووسعنا ما وسعهم . ولكنا نقول : إنه ينبغي الكتابة عن هذا الجانب الحساس والمفيد ، ونحذر في ذات الوقت من أمراض القلوب جميعها .

ومهما يكن من أمر فثمة بوادر للقوم في هذا المجال بدأت تظهر منذ أوائل القرن الماضي حين ألف الأديب أحمد بن الأمين وسيطه في تراجم أدباء شنقيط ، ونحسب أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا حلقة في تلك السلسلة المباركة ، ولبنة في ذلك المشروع الكبير .

هذا ، وقد رتبت أسماء المشايخ ترتيباً هجائياً ، وربما أطلت في ترجمة واختصرت في أخرى بسبب شحّ المصادر بما يشفي الغليل فيما أرمي إليه . وقد أشير إلى ذرية بعض المترجمين الذين أخلفوهم بخير بشارة للأمة بأن هؤلاء لم يندرس أثرهم و لم تخبأ أنوارهم ،

ولم تـنقطع أخبارهم بل قيض الله تعالى من أصلابهم من حمل الأمانة وواصل الرسالة من بعدهم حتى يسلمها لأبنائه ، ويبلغها لحفدته رغبة منه في الدخول في قوله تعالى : {والذين آمنوا واتبعتهم ذرية بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء}[1] .

وإني ألتمس من السادة النبهاء إفادتي بما فاتني لتفاديه في الطبعة الثانية إن شاء الله تعالى ولهم مني الشكر والدعاء .

ولعـل هذا العمل يكون حافزاً لغيري من إخواني المسلمين في المعمورة فيشاركونا بكتاباتهم عن علمائهم ، ومن هو في جهتهم من علماء الأمة حتى يحصل التكامل الثقافي بمشاركة الجميع ، وينال هذا الموضوع ما يستحقه من الاعتبار والاهتمام فالمرء كما يقال: قليل بنفسه كثير بإخوانه .

وهذا أوان البدء في المقصود ، وبالله تعالى توفيقي وإليه أنيب .

---

[1] الطور :21 .

-1-

إبراهيم بن محمد المصطفى الميجني

ولـد في مدينـة أظـار ببلاد شنقيط ليلة الجمعة منتصف شهر رجب الفرد سنة 1352هـ ، ونشأ مع والديه وأحاطاه برعاية خاصة ، وغرسا فيه حب العلم وأهله ، والتشـبث بمعالي الأمور ،والتعلق بالجهاد . وربياه على حب الصالحين وموالاة آل البيت رضـي الله عـنهم لما رواه سيدنا علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أدبـوا أولادكم على ثلاث خصال : (حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)[1] .

ولمـا قـارب البلوغ اصطحبه والده إلى بئر الربيع في ضواحي بوتلميت ودرسه القـرآن الكـريم ومبادئ الفقه كالمرشد المعين وعلمه الرماية . ثم اتصل بالشيخ عبد الله ابن داداه الأنتشائي ولازمه سنين تلقى عنه فيها الرسم والفقه وآداب العبادة .

وجـود القرآن الكريم على الشيخ محمد عبد الودود بن حمّيه الذي أجازه الشيخ عـبد الفتاح التركزي في القراءات السبع . ثم اشتغل بتعليم القرآن الكريم لمدة ، ولما توفي والـده استأذن أمه في الهجرة عن حكم النصارى ، ويمّم الحجاز سنة 1368هـ فأدى مناسـكه وحج عن والديه وجلس بمكة المكرمة سنة كاملة صحب خلالها الشيخ حسن ابـن سعيد اليماني المدرس بالمسجد الحرام وأجازه في الحديث الشريف ، وحضر بعض الـدروس الفقهية للشيخ السيد علوي عباس المالكي . ثم انتقل إلى المدينة المنورة واختارها دار هجـرة واستقرار .ثم التقى بالشيخ أحمد بن محمد حامد بن آلا الحسني[2] الشنقيطي فقرأ عليه رسالة ابن أبي زيد القيرواني وتفسير ضياء التأويل في معاني التنـزيل للشيخ محمد عـبد الله بن فودي . وله مع هذا التفسير قصة ، وهو أنه اهتم باقتنائه مع ندرته فوجده بـألف ريال ، فلما عزم على شرائه مع ضيق ذات يده تيسر لـه بأقل من ذلك .وتربطه بالسـادة الأشـراف في المدينة المنورة علاقات طيبة ، فكان من قراء صحيح البخاري مع السـيد محمـد المحضار الحسيني الشافعي الحضرمي في الروضة الشريفة في كل رمضان ،

---

[1] كنـز العمال (45409).

[2] الحسني هنا نسبة إلى قبيلة إدابلحسن الشنقيطية المعروفة .

ولبـــث في ذلك أعواماً . وكانت عادتهم قراءته في رجب لا في رمضان .وقد انتفعت به جماعـــة منهم محمد الرفاعي الحاتمي اليماني والسيد أبو بكر آل الكاف الحسيني . وهو من كبار الزهاد القانعين بما آتاهم الله من فضله ، ومن المتصدين للمبتدعين في الدين والمارقين عن منهج أهل السنة والجماعة ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة .

وهو الآن بقيد الحياة في المدينة المنورة حفظه الله تعالى .

- تآليفه :

1-تحقيق المنى بأسماء الله الحسنى .2-رسالة آيات العرش العظيم وما في ذلك من الوصف الكريم . 3-رسالة في تفسير آية الكرسي .4-القول السديد الممدود في نجاة آباء وأمهات صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وآله وسلم .5-فهرست تفسير ضياء التأويل في مائة صفحة [1] .

-2-

إبراهيم بن الصغير التنواجيوي

العالم الجليل ، ذو الأيادي الكريمة ، وُلد في منطقة الحوض ببلاد شنقيط ، وتلقى العلم على يد العلامة أبَّ بن شيخنا في مدينة ولاته ، ثم تفرغ لتدريس كبار الطلبة علوم القرآن والفقه واللغة العربية . وكان يشارك في الزراعة الموسمية فيوفر منها مؤونة محضرته ، ويتصـــدق بالباقي على المساكين والفقراء .وقد هاجر إلى الحجاز عن حكم النصارى في أواخـــر ســـنة 1375هـــ فأدى فريضة الحج وجاور في المدينة المنورة . وجعل من بيته محضرة للعلم والإفادة ، وتولى أمانة مكتبة وقف أحمد مظهر . وقويت رابطته بعلماء المدينة وخاصـــة الشـــيخ محمـــد الحسن ابن سيدي القلقمي.اشتهر بالعلم والعبادة وعلو الهمة ، وحسن التدبير ، ومواساة المعوزين وبذل المعروف للمجاورين .

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ إبراهيم بن محمد المصطفى في المدينة المنورة يوم 1421/05/15هـ .

وتوفي بالمدينة المنورة على إثر حادث سير سنة 1397هـ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى . وله ذرية في موريتانيا [1].

-3-

إبراهيم بن عبد الله الجكني

اشتهر بإتقانه لحفظ القرآن الكريم وتجويده ، وكان يشارك الشيخ محمد الأمين ابن محمد المختار الجكني في إلقاء درسه في التفسير في الحرم المدني في أوائل الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري ، هو يقرأ من حفظه والآخر يفسر من حفظه أيضاً مما لفت الأنظار وأثار إعجاب الناس . ثم درّس في مدرسة التهذيب الأهلية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة ، ثم عين مديراً لمدرسة المهد، ثم قاضياً به بعد الشيخ محمد عبد الله بن آدو الجكني ثم قاضياً ببدر والجموم التابع لوادي فاطمة إلى وفاته سنة 1387هـ في مكة المكرمة بعد وفاة ابن خالته الشيخ عمر السالك بن اسويدات الحاجي بشهرين فقط ، ودفن في المعلاه رحمه الله تعالى [2].

-4-

أبو بكر أحمد بن عمر أقيت الصنهاجي

العالم المتبع ، والصالح المتبتل ، عمّ أحمد بابا التنبكتي ، ولد سنة 932هـ ، وتوفي بالمدينة المنورة سنة 991هـ .

- تآليفه :

-معين الضعفاء في القناعة وغيره [3].

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الدكتور محمد محمود بن سيدي محمد ابن الصغير في المدينة المنورة يوم الخيس 1423/04/23هـ الموافق2002/07/04م.

[2] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد بن إبراهيم بن عبد الله في المدينة المنورة ليلة السبت 1417/08/11هـ الموافق 1996/12/20م.

[3] انظر مخلوف : شجرة النور الزكية ، ص/286 .

-5-

أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة القلاوي

العالم الأفخم ، والقاضي الأجل ولد سنة 1075هـ . تفقه بالحاج عثمان المجاور ، وأخذ المنطق عن الفقيه سيدي محمد بن موسى بن ايجل الزيدي . ثم جلس للتدريس والقضاء والفتيا ، وتخرجت به طائفة منهم الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الخرشي ، والفقيه محمد بن علي الولاتي والقاضي سنبير بن القاضي سيدي الوافي الأرواني ، والفقيه البشير بن الحاج الهادي البيلي وغيرهم . كان يلقب بمالك الصغير لطول باعه في العلم ، وتسديده في أحكامه وحسن جوابه في النوازل . ثم اتصل بالحاج سيدي أحمد بن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي فأخذ عنه ، وصحبه إلى الحج سنة 1121هـ ؛ فكان يقدمه للصلاة . عرف بصلابته في الحق وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم . جاءه يوماً أحد رؤساء القبائل شاهداً على شيء فردَّ شهادته ولم يقبلها . كان شجاعاً جريئاً على الظلمة واللصوص مجاب الدعوة فيهم ، يسمعون له وينقادون لأمره.

وتوفي لخمس خلون من شوال سنة 1146هـ رحمه الله تعالى [1].

-6-

أبو بكر بن الطالب محمد البرتلي

العالم المشارك الفقيه النحوي ، السني المتبع ، نشأ في بيت علم وصلاح . وقرأ بنافع على السيد عمر بن أحمد الإيديلبي وتلقى الرسالة عن الفقيه الطالب الأمين ابن الطالب الحبيب الخرشي ، وألفية ابن مالك عن الشيخ سيدي الخير بن حبيب الله الشمشوي ، ولامية الأفعال عن سيدي محمد بن أبي . رحل إلى الحج سنة 1157هـ وأتى بمكتبة نفيسة أفادت العلماء والطلاب . وحمل عنه جماعة منهم العلامة محمد بن أبي

---

[1] انظر البرتلي :المرجع السابق ، ص/75-76 .

بكـر الصديق البرتلي صاحب فتح الشكور . كان موفقاً في دينه ودنياه ، ذا سمت حسن ووقار ، جيد الفهم والدراية ، مقصوداً في عويصات المسائل .

وتوفي سنة 1179هـ رحمه الله تعالى [1].

-7-

أبو الثناء محمود بن عمر أقيت الصنهاجي

إمـام جلـيل وعالم متمكن ولد ببلاده سنة 865هـ ولما دخل الظالم سنّ علي تنبكـتو في رابع رجب الفرد أو خامسه سنة 873هـ ، وعاث فيها فساداً وتقتيلاً خرج مـع أسـرته وفقهاء سنكري إلى ولاته خوفاً من بطشه . ثم رجع سنة 885هـ ، وأقام والده بولاته حتى توفي فيها . أخذ عن أخيه الحاج أحمد المتقدم وغيره ، ثم قام برحلة إلى المشـرق فأدى فريضة الحج ، ولقي في مصر الشمس والناصر اللقانيان . جمع بين القضاء والتعليم في تنبكتو فوصل الأصاغر بالأكابر ، وتخرج به أفواج من العلماء والأخيار منهم أنجالـه القضـاة محمد وعمر والعاقب والفقيه أحمد والد الفقيه أحمد بابا التنبكتي . كان معظماً في قومه نافذ الكلمة ، قدوة في الحق عادلاً في أحكامه لا تأخذه في الله لومة لائم .

وتوفي سنة 955هـ رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

-تقييد على خليل في سفرين [2].

-8-

الملك أبو عبد الله تاشرت بن تيفاوت اللمتوني

أحـد صـلحاء الملـوك ، ونوادر العقلاء . كان أول من اجتمعت عليه القبائل الصنهاجية الشنقيطية بعد مقتل ملكهم تميم بن يلتان(ت306هـ) ، وتفرق وحدتهم مائة

---

[1] انظر البرتلي : المرجع السابق ، ص /77-78 .

[2] المرجع السابق ، ص/113 ، 177 ، ومخلوف : المرجع السابق ، ص /278.

وعشـــرين سنة . فأحبوه وبايعوه على الجهاد في سبيل الله تعالى . رحل إلى المشرق وأدى فريضـــة الحج ، ثم قفل وتابع نشر الإسلام في الممالك الزنجية الجنوبية ، وأدرك الشهادة وهـــو يطارد الوثنيين في إحدى المعارك حوالي سنة 431هـــ وخلفه على الحكم صهره الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي (ت440هـــ) رحمهما الله تعالى[1].

-9-

أبو العباس أحمد بن أحمد الصنهاجي

الإمـــــام الفهامـــة ، العمـــدة المتفنـــن ، العلامة العامـــل . ولد في فاتح المحرم ســـنة 929هـــــ ، وأخـــذ عن شيوخ وقته كعمه محمود بن عمر ، وعنه نجله أحمد بابا التنبكتي ، ومحمد وأحمد ابنا الفقيه محمود بغيغ . وقد حجّ سنة 956هـــ ولقي الأكابر في مصـــر والحجاز كالناصر اللقاني والتاجوري والأجهوري ، وبركات الحطاب وابن حجر المكي ، وعبد العزيز اللمطي ، وعبد المعطي السخاوي وأجازه بعضهم . ولازم أبا المكارم محمد البكري واستفاد منه . ثم رجع إلى بلاده وحدَّث بالصحيحين أزيد من عشرين سنةً وأسمـــع الموطـــأ والشـــفاء ، فأجاز غير واحد وانتفع به الناس . كان رقيق القلب ، محباً للصـــالحين متواضعاً لهم وافر الجاه ، جريئاً في الحق يهابه الملوك والأمراء ، ولا يردون له مطلـــباً ولا شفاعة . ولما مرض في كاغ في بعض أسفاره كان السلطان أسكيا داود يتردد عليه ، ويسمر عنده حتى شفي تقديراً لشأنه .

وتوفي على حال حسن ليلة الإثنين الموافق 27شعبان 991هـــ رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

1-شـــرح مخمسات العشرينيات الفزارية لابن مهيب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. 2-شرح منظومة المغيلي في المنطق . 3-حاشية على التتائي على خليل . 4-شرح جمل الخونجي. 5-شرح صغرى السنوسي . 6-شرح القرطبية [2].

---

[1] ابن خلدون : العبر 182/6 ، وحسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص/74 وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ، ص/54 .

[2] البرتلي : المرجع السابق ، ص/29-30 ، ومخلوف المرجع السابق ، ص/286 .

-10-

أبو العباس أحمد بن عمر أقيت الصنهاجي

العالم المتفنن ، الصالح الفاضل ، كان ذا مروءة ودين متين . عُرف بالحاج أحمد جد العلامة أحمد بابا التنبكتي الشهير . أخذ عن جده لأمه القاضي اندغمحمد وخاله الفقيه المختار وغيرهما وعنه نجله أحمد وأخوه القاضي محمود . حج سنة 890هـ وزارة المدينة المنورة وحصلت له بها بشارات . ولقي بمصر الإمام السيوطي والشمس والناصر اللقانيان وخالد الأزهري ، وجمع مكتبة تضم حوالي سبعمائة مجلد . كان محباً للنبي صلى الله عليه وسلم مدّاحاً له ، ملازماً لقراءة الشفاء للقاضي عياض ، مجتهداً في تحصيل العلم وتدريسه معرضاً عن غيره . وقد اعتذر عن إمامة جامع تنبكتو لما طُلب لها .

وتوفي ليلة الجمعة في شهر ربيع الآخر سنة 943هـ[1] عن نحو ثمانين سنة رحمه الله تعالى [2].

-11-

أحمد بن أند عبد الله المحجوبي

العالم العامل ، الشيخ المحقق الماجد . تفقه في بلاده ، وانتهت إليه رئاسة القضاء والفتوي بولاته . ثم رحل إلى المشرق للحج ، ولقي في طريقه العلماء فأفاد واستفاد . وجمع خزانة ضخمة بالشراء والاستنساخ ، وجعلها مشاعة بين الناس . كان سخياً لا يرد سائلاً نفّاعاً للمسلمين بعلمه وماله وجاهه. مقداماً في الحق ، لا يداهن في دينه مع همة وشهامة ونخوة . كثير المداراة للأعداء والأحباء ، متحملاً للأذى ، وإلى ذلك يشير بقوله في قصيدة له :

إذا لبس الأصحاب ثوباً من الخنا   لبست لهم ثوباً من الصبر مسدلاً

إلى أن قال :

وأستغفر الرحمن لي و لمن بغى   عليّ من الإخوان مني تفضلاً

---

(1)ذكر مخلوف أنه توفي في ربيع الأول سنة 942هـ ولكني أثبت ما ذكره بلديه البرتلي والعلم عند الله تعالى .

(2) البرتلي : المرجع السابق ، ص/27-28 ، ومخلوف : المرجع السابق ، ص/278 .

وصدق القائل :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وتوفي يوم 9 ربيع الأول سنة 1140هـ رحمه الله تعالى .

● **تآليفه :**

1- نظم في العقيدة .2- نظم في المناسك . 3- نظم فرائض خليل . 4- كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .5- نظم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في دلائل الخيرات[1].

-12-

أحمد بن الأمين العلوي

ولد بمنطقة الترارزة ببلاد شنقيط ، ونشأ فيها مع ذويه بين (العقْل)وبحيرة (الركيز) وهو من عائلة مشهورة بالذكاء والحفظ . وقد طلب العلم مبكراً في قومه مع اهتمام خاص بالشعر وحفظه . ثم اغترب في طلب العلم على شيخ الأساتذة المختار بن ألما ، وأستاذ الشيوخ يحظيه بن عبد الودود فتخرج بهما وبرز في فنون اللغة والنحو والآداب .

وفي سنة 1315هـ بدأ رحلته إلى المشرق عن طريق المغرب فزار الشيخ ماء العينين في مدينة السمارة ، ورآى من علمه وبذله لمريديه وقاصديه وحسن عشرته للناس ما ينقضي منه العجب . واجتمع بعلماء فاس ومكناس ، ثم دخل مكة المكرمة حاجاً سنة 1317هـ ، والتقى بعلماء الحرمين الشريفين وحضر دروسهم .

ثم قام بجولات عديدة زار خلالها سوريا وتركيا وروسيا ، وجالس علماءهم وتعرف على معاهدهم العلمية ، ومكتباهم الإسلامية النفيسة .ومن ثم توجه إلى مصر واستقر في القاهرة سنة 1320هـ ، وتوثقت رابطته بالعلماء الأزهريين ، وكان من خاصته السيد محمد توفيق البكري ، والعلامة أحمد تيمور باشا والكتبي الشهير أمين الخانجي ، والأديب المويلحي صاحب (حديث عيسى بن هشام) ، وقد أهداه كتابه هذا

---

[1] البرتلي: فتح الشكور ، ص/43-44 .

تقديراً لجهوده في إحياء التراث العربي الإسلامي ، وإسهامه البارز في النهضة العربية الحديثة [1] .

واشترك مع السيد أبو بكر لطفي المنفلوطي في شرح لكتاب (صهاريج اللؤلؤ) للبكري نقيب الأشراف المذكور آنفاً ، وتصدّى لاجتهاد ابن التلاميذ في قوله (بصرف عمر).

وكان على صلة دائمة بعلماء بلاده ، وحجاجهم ، فكان يراسلهم بأخبار المسلمين في المشرق ويزودونه بدورهم بأنباء أرض شنقيط .وبقي في مصر مكباً على التأليف والتحقيق والنشر بالتعاون مع مكتبة الخانجي حتى توفي يوم 18 رمضان 1331هـ ، وقد قارب الخمسين[2] ، ودفن بالقاهرة رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

1-الدرر اللوامع شرح همع الهوامع في علوم اللغة العربية . 2-الدرر في منع صرف عمر. 3-طهارة العرب .4-درء النبهاني عن حرم سيدي أحمد التيجاني . 5-الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، وهو أول كتاب يؤلف في موضوعه عن شنقيط وازدهار الأدب العربي فيها .وإن كان قد صرّح أن ما ذكره من شعر القوم مما علق بذاكرته لا يبلغ عُشر المعشار مما قاله هؤلاء ، أو حفظه الناس عنهم. وقد اقتصر فيه على نماذج من علماء وشعراء بعض القبائل في جنوب البلاد وشمالها[3] مع أنه روى أكثر من أربعة آلاف بيت من الشعر ، وحسبه ما ذكره من التعريف ببلاده . 6-شرح المعلقات العشر 7-شرح ديواني طرفة بن العبد والشماخ بن ضرار .8-شرح أمالي الزجاج . 9-شرح (ليس في كلام العرب)لابن خلويه .10-تصحيح كتاب الأغاني لأبي الفرج

---

[1] طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ، ص/680 ، وأحمد بن المفيد : شنقيط ودورها الثقافي (رسالة مرقونة)، ص/38 .

[2] هذا ما رجحه الدكتور محمد المختار بن أباه ، واعتمدت عليه بحكم قرابته من المترجم ، وإدراكه لأحد لداته ، خلافاً لما ذكره المرحوم فؤاد سيد من أنه عاش اثنتين وأربعين سنة فقط.

[3] راجع محمد المختار بن أباه المرجع السابق ، ص/5 .

الأصـــفهاني .11- الإعـــلان بمثلث الكلام لابن مالك .12-تحفة المودود في المقصور والممدود لابن مالك[1] .

-13-

أحمد بن الحاج الأمين الملقب بالتواتى القلاوي

العـــالم العامل ، الصالح الهمام ،ناصر السنـــة وقامع البدعة، والده رائد الأوقاف الشنقيطية فى المدينة المنورة .تعلم ببلاده وحج بيت الله الحرام مرات،وهو شيخ ركب الحج من أرضه حتى يصل إلى إتوات فتكون القيادة لأبى نعامة الكنتى . ومن همته أنه بين مسافة التـــسير في بلـــدة (كنديك) ببلاد شنقيط من جهاتها الأربع ، وبين قصر السلام فأبتدأ بتشييد المسجد ، ثم داراً له ، ثم دار الإمـــام ، ودار التلاميـــذ . كان أمّاراً بالمعروف نهاءً عـــن المـــنكر ، جســـوراً عـــلى الظلمة واللصوص مهاباً عندهم ، معرضاً عن هداياهم وأطعمـــتهم ، وانـــتفع به كثير من المهاجرين التائبين من المغافرة . يذكر أنه ترك عنده بعـــض الظلمة عكتين ، فلما أتاه قال لـــه : أنت يابن الكلب تركت عندى شيئا ؟! إنما تركت عندى مال المساكين والفقراء فدفعته لهم ، فانصرف مهانا .

وتوفي عائداًمن الحجاز بفزان في ليبيا سنة 1157 هــ رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

1-كشـــف الغمـــة في نفـــع الأمة(وهو شرح قيم على نظم ابن سعيد السوسي)[2].

2-شرح الأخضري (كتاب المفيد)[3].

---

[1] للتوسع في ترجمته راجع أحمد بن الأمين: المرجع السابق ،ص/3-10 ، 15-18 .

[2] البرتلى : المرجع السابق ، ص/48 -50 .

[3] مختار بن حامد: المرجع السابق (جزء الثقافة) ، ص/7 .

-14-

أحمد الملقب التجاني بن باب بن أحمد بيب

آل الطالب محم العلوي

وصفه عالم العراق شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي (توفي 1270هـ) فقال: (مولانا ذي التحقيقات الفائقة ، والتدقيقات الرائقة ، الشيخ أحمد المالكي الشنقيطي) .

علامة أريب ، وفهامة مشارك من أسرة علمية جليلة ، ولد ببلاد شنقيط وقرأ على والديه وغيرهما من الأعلام . وبرز في السيرة والفقه والأصول ، والبيان والنحو واللغة والمنطق والعروض والشعر وأيام العرب والأخبار والنوادر . ارتحل إلى المشرق وهو شاب سنة 1257هـ فمر بمراكش وطنجة ومكناس الزيتون ، وأخذ عنه بها جماعة منهم سيدي العربي بن السائح الرباطي الذي شرح نظمه (منية المريد) بكتابه (بغية المستفيد) . ثم اجتاز براً بلاد الواسطة والجريد وتونس ، ثم أقام بالمدينة المنورة والتقى بالعلماء والفضلاء كالشيخ إبراهيم الرياحي ، وصار مرجعاً للمدنيين والآفاقيين في كثير من المسائل الفقهية الدقيقة ، والنوازل العلمية العويصة ، وحظي بعضهم بإجازاته كشيخ الإسلام عارف حكمت صاحب المكتبة الشهيرة في المدينة المنورة حيث أجازه في أرجوزة طويلة يقول في آخرها :

وها أنا الشنقيطي الحقير أَجزت ... وفي العلوم باعه قصير

عارفاً كما أُجزتُ ... مؤرخاً [1] وموعدي أنجزت

وسأله عارف هذا عن كُروية الأرض فقال :

يا بدر مغربه بمشرق فضله ... في الخافقين ذكاه مثل ذُكا[2]

كُروية للأرض من طُرق الحجا ... ثبتت ببرهان لدى الحكماء

فإذا سئلت فكيف رد جوابه ؟ ... أي المواضع أرفع الأجزاء ؟

بين أيا رأس الجحاجح[3] في النهى ... لازلت ممتطيا ذرى العلياء

---

[1] يعني أنه أرَّخ بقوله (أجزت عارفاً كما أُجزت) لتأريخ إجازته للشيخ عارف حكمت بحساب الجُمّلِ .

[2] ذُكا : بضم الذال لغة للشمس .

[3] الجحاجح : جمع جحجح أي السيد السمح الكريم .

فأجابه في غرة شوال سنة 1239هـ بقوله :

يـا من تداول في الصِّبا تحقيقه ... كرة الفنـون تداول الأبنـاء

وعلى الدوام تديرها أفكـاره ... بمضارب الإصغاء والإمـلاء

حتى تساوت في مراكـز حفظه ... أجزاؤها المبسوطة الأضـواء

أضواء علـم للزمـان وأهله ... أجـدى وأهدى من نجوم سماء

من كان مثلك حكمةً إلقـاؤه ... يسِمُ الورى بالعـي والإعيـاء

إني وقـد ألفيـت مـا ألقيـته ... ممـا يـنوء بأكـثر الفطـناء

مـا جال في [illegible] فكري ولا ... واتـت مجالاً من [illegible] إصغائي

لكـن أقـول مجاريـاً لهواكم ... في رده خـبطاً عـلى عشـواء

أم القـرى من تحتها دحي الثرى ... فلـذاك كانـت أرفع الأجزاء

وكـذا أنـت أجدت من قضى ... أعـلى القضاة وأعظم الأحياء

هـذا ولا ردّ المسـائل محكمـاً ... إلا ابن عصمت عارف العرفاء

ذاك الـذي إن ردهـا بمقالـه ... فمقاله من معجـز البلغـاء

أوردهـا بفعالـه فهباتـه ... عنهـا يقصـر هاطـل الأنواء

إلى آخر كلامه ..

كان عابداً ناسكاً ، وعالماً وقوراً آية في الذكاء ومكارم الأخلاق وعلو الهمة .

وتـوفي في المديـنة المنورة بعد الستين ومائتين وألف للهجرة ودفن في بقيع الغرقة رحمه الله تعالى.

- تآليفه :

1-نظـم منية المريد في التصوف . 2-رحلة الحج (ذكر فيها أشياخه ومن لقيهم مـن الأعـلام). 3-نظم في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأبنائه وما لبناته من بنين وبنات ، وشرحه في مجلد . 4-نظم ورقات إمام الحرمين في الأصول[1].

---

[1] انظر أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/34 ، 69 ، 70 ، 71 ، ومحمد الآلوسي : عارف حكمت حياته ومآثره ، تحقيق الدكتور محمد عيد الخطراوي ، ص/161-163 ، 202 .

-15-

أحمد بن حرمه العلوي

زعيم وطني بارز ، وسياسي مجاهد متميز ، ولد سنة 1330هـ /1912م . جمع بين الثقافتين المحضرية والفرنسية ، وجابه الاستعمار بلسانه ، وناضله بمنطقه من أجل تحرير بلاده . فآزره العلماء وناصره الناس ومدحوه كالشيخ محمد عبد الله بن أحمذيه ومحمد محمود بن أحمذيه الذي يقول فيه:

وذكر الكتب من عمل النصارى	وناس صار مشربهم سرابا
إلى ناس شرابهم زلال	فظلوا مستلذين الشرابا
هنات لا تليق بشيب شيخ	جليل طالما قرأ الكتابا
إذا ما معشر حنقوا علينا	لنصرة أحمد ومضوا غضابا
فإنا ناصروه وما صحبنا	وعضدنا على زلل صحابا

ولما وقعت الانتخابات النيابية سنة 1365هـ/1946م فاز على منافسه الفرنسي رازاك ، فمثل موريتانيا في البرلمان الفرنسي . وكانت له مواقف مشهورة داخل البرلمان وخارجه ، وتمكن من إلغاء بعض الإجراءات المجحفة بالمواطنين كالعمل القسري ، وكافح لتوقف فرنسا مساعداتها للكيان الصهيوني .

وقد استاءت السلطات الفرنسية لمواقفه التحررية فعملت على إقصائه في الدورة الانتخابية الموالية . لجأ إلى المغرب في أواسط السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري فواصل جهاده من هنالك. ثم عُين مستشاراً لرابطة العالم الإسلامي في السعودية ، وقويت صلته بالملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، ثم مستشاراً لرئيس الغابون الحاج عمر بونغو بعد إسلامه . وعندما صفا الجو بينه وبين الرئيس المختار بن داداه رجع إلى موريتانيا سنة 1975م واستقر فيها . كان شجاعاً جريئاً في الحق ، لا يجامل أهل المعاصي ، ولا يتقيد بالبروتوكول إذا انتهكت محارم الله تعالى .

وتوفي سنة 1399هـ/1979م ، ودفن في تنبو يعلي في منطقة الترارزة رحمه الله تعالى [1].

---

[1] النحوي : المرجع السابق ، ص/367 ، 504 .

-16-

أحمد الملقب جمال بن محمد عبد الله بن الحسن الديماني

الشاب الأكاديمي الشاعر ، والأستاذ الأديب اللامع .قال عنه الدكتور السيد ولد أبـــاه الأستاذ بجامعة نواكشوط : (لم تكن جهود ولد الحسن محصورة في الدرس الأدبي ، بـــل تجاوزتـــه إلى حقـــول عديدة كان إسهامه فيها بارزاً ، واطلاعه عليها كاملاً مثل الدراســـات الإسلامية ، وتاريخ وسوسيولوجيا المجتمع الموريتاني ، واتجاهات الفكر العربي والعالمي).

ولـــد في بلاد شنقيط حوالي سنة 1379هـــ /1959م وطلب العلم في محاضرها فظهـــرت عليه أمارات النبوغ والذكاء منذ صغره . ونشأ على الفضائل ومعالي الأمور ، فكـــان شـــاباً مكتهلاً في شبابه لما عرف عنه من حكمة وبصيرة وصبر وأناة . وفي سنة 1396هـــــ/19776م التحق بالجامعة التونسية ، وتخرج منها بتفوق أذهل أساتذته ، وفـــاز بالمركـــز الأول في مسابقة التبريز في الآداب . ثم رجع إلى بلاده وكان في طليعة المدرسين بجامعة نواكشوط إبان إنشائها سنة 1401هـــ/1981م . وعكف على تحقيق ونشـــر نفائس التراث الشنقيطي ، ورحل إلى مناطق نائية من إفريقيا الغربية للبحث عن المخطوطات ، ونوادر التراث العربي الإسلامي بغية إحيائه وإظهاره للناس .

ولم يقتصـــر عطـــاؤه العلمي على مستوى موريتانيا فحسب بل قادته مطامحه إلى التعاون مع جامعات دول شقيقة كالمملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة ، حيث رحبت به وبوأته مكانة لائقة بين أساتيذها ، وحملة الفكر فيها .

وقد بذل مجهوداً كبيراً للتعريف بثقافة بلده ، وتراثه العريق ، وعمل على تصحيح صورة الشناقطة في الوطن العربي فأعاد إليها إشراقها العلمي وتألقها الفكري الذي عرفت به عبر العصور .

كـــان شـــاعراً مطبوعاً ، وكاتباً متميزاً ، وعضواً بارزاً في رابطة الأدباء والكتاب الموريتانيين ، ومن مؤسسيها المرموقين .

وتوفي سنة 1422هـ /2001م في حادث سيارة أليم على طريق مطار أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة ، وقد عاش اثنتين وأربعين سنة ، ودفن في مقبرة البتراء في جنوب موريتانيا رحمه الله تعالى.

- **تآليفه :**

1-أسلوب محمد بن الطلبه اليعقوبي ، رسالة أعدها للحصول على شهادة الكفاءة للبحث سنة 1980م . 2-الأساليب في الشعر الشنقيطي خلال القرن الثالث عشر الهجري ، أطروح للحصول على دكتوراة دولة سنة 1986م .3-تحقيق كتاب التكملة في تاريخ الترارزة والبراكنة لمحمد فال بن باب (طُبع سنة 1986م) [1].4-تحقيق كتاب إخبار الأحبار بأخبار الآبار لمحمد بن أحمد يوره .

-17-

الشيخ أحمد بن الشمس الحاجي

ولد ببلاد شنقيط ، ونشأ بها ، وتتلمذ على الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، ويعتبر خليفته في المشرق والمغرب ، وأظهر تلاميذه غير مدافع ولا منازع وقد أجازه بأسانيده كما أجازه الشيخ الشمس محمد بن قاسم القادري والشيخ السيد جعفر بن الطائع الكتاني . فكان عالماً متفننا وشيخاً مربياً ، ظاهر الصلاح والاستقامة ، مقصوداً من الخاصة والعامة ، ذا مروءة وكرم . وكان نافذ الكلمة لدى المخزن المغربي مرعي الجناب ، فسخر وجاهته لقضاء حوائج الناس، وما رد أحداً خائباً قط وخاصة آل البيت منهم وأهل العلم .

قال عنه العلامة عبد الحفيظ الفاسي : (صاحبته وصادقته نحو خمسة عشر سنة فما رأيت مثله في أخلاقه وتحمله وثباته على سيرته).

---

[1] انظر السيد ولد أباه (مقال) : جمال ولد الحسن ، عطاء غزير في عمر قصير ، نشرته جريدة الشرق الأوسط العدد (8216) بتاريخ 1422/03/04هـ الموافق 2001/05/27م ، ص/10 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/505 ، وأضفت إليهما ما ثبت عندي من أخباره التي رواها لي أصدقاؤه .

ولما صارحه ابن شيخه العلامة الشيخ أحمد الهيبة بعزمه على الثورة وعزل السلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1329هـ بسبب رضوخه للاستعمار لم يوافقه فيما أراد ، ورحل عن فاس بأهله وتلاميذه إلى الديار المقدسة ، وجاور بالمدينة المنورة مشتغلاً بالذكر ونشر العلم فكثرت غاشيته، وامتد نفوذه في قبائل الحجاز ، وحصلت له مكانة عظيمة عند الحكومة العثمانية . وحظي بإجازاته طائفة من الفضلاء منهم الشيخ عبد الحفيظ الفاسي والشيخ أحمد بن عبد الله الشامي الشهير بالمخللاتي المتوفى سنة 1362هـ بمكة المكرمة والشيخ محمد عبد الباقي الهندي المدني المتوفى سنة 1364هـ في المدينة المنورة والشيخ محمد الطيب المغربي المراكش المتوفى سنة 1364هـ في مكة المكرمة والشيخ عيدروس بن سالم البار المتوفى سنة 1367هـ في مكة المكرمة والشيخ عمر حمدان المحرسي المتوفى سنة 1368هـ في المدينة المنورة والشيخ أبو بكر بن أحمد الحبشي العلوي الآنف الذكر المتوفى سنة 1374هـ في مكة المكرمة .

وكانت له قافلة مأمونة يسيرها في المواسم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ويلتحق به خلق كثير من حجاج بيت الله الحرام ، ولم يكن الناس ساعتها يستطيعون التنقل بين المدينتين المقدستين إلا في ظل حراسة شديدة من الجيش لكثرة قطاع الطرق. ويروى عنه أنه كان إذا التقى باللصوص في سفره يظن الناس أنه سيداريهم على سنة الركوب ولكنه كان ينقلب عليهم بالتوبيخ والإهانة والتحقير ويقول لهم ما معناه : (بئس القوم أنتم تخيفون المسلمين ، وتقطعون الطريق على المؤمنين ، وتغصبون أموال ضيوف رب العالمين) ، فيقع كلامه عليهم كالصواعق المرسلة ، فلا يكون منهم إلا الانكسار والخضوع ..

ومن إبائه ورفضه للضيم نجاحه في إطلاق سراح جماعة من الشناقطة كان قائد المدينة المنورة التركي عمر فخري باشا قد حجزهم لتسفيرهم مع المدنيين إلى الشام عام (سفر برلك)المشهور سنة 1917م ، وذلك إبان استفحال الثورة العربية على الأتراك كي يحكم قبضته على المدينة المنورة ويتفرغ لمهامه العسكرية . وعن هذه الحادثة يقول الأستاذ علي حافظ : (سفرهم حتى لم يبق إلا من يعد على الأصابع .. وكان عدد سكان

المدينة آخر زمن الأتراك ثمانون ألف نسمة ، ولم يعد منهم سوى خمس عشرة ألف نسمة تقريباً في العهد الهاشمي وبمساعدة منهم)[1] .

وقيل : إن الوالي التركي اتهم سبعة رجال من الشناقطة بموالاة الشريف حسين أمير مكة المكرمة فسجنهم ، وأُشيع بأنه سيقتلهم . وعلى أية حال لما بلغ الخبر الشيخ أحمد بن الشمس توجه إلى القشلة[2] مع بعض تلاميذه فمنعه الحراس من الدخول ، وحدثت جلبة عظيمة عند الباب ، فأطل عليهم القائد عمر فخري باشا من النافذة وقال لجنوده مستهزئا : أبعدوا هؤلاء الدراويش .. فأشار إليه الشيخ أحمد بسبابته مغضباً وأقسم له ليرفعن الظلم أو لينتقمن الله منه ، فاضطرب به القصر وكاد أن يسقط ، وطفق يتعلق بالشبابيك ، ويصيح بالشيخ ويستنجده ، ويقول له بالتركية : (يا خوجا أفندم أفندم) يعني : لبيك أيها العالم ، فاستقر القصر واستقبله في الحال بالاحترام والتوقير ، وخاطبه باللغة العربية رغم تعصبه الشديد للتركية .. ثم اعتذر إليه عما بدر منه واسترضاه ، وأخرج له الرجال في صورة منكرة كأنما بعثوا من القبور .

ومن زهده في الدنيا وإعراضه عنها رغم تدفقها عليه وتمكنه من أسبابها أنه ما كان يدخر شيئاً غير الكتب ، ونقل تليمذه الشيخ محمد المختار بن أوكال الكنتي الذي عاش معه أكثر من عشرين سنة ما بين المغرب والحجاز أن غذاءه منذ عرفه كان لبن شاة وسبع تمرات لا يزيد على ذلك شيئاً .

وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة 1342هـ[3] ، ولم يعقب سوى ابنته الوحيدة خديجة التي كانت توصف بأنها الدرة المكنونة ، والجوهرة المصونة لتقواها وعفافها رحمهما الله تعالى.

---

[1] علي حافظ : فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص/48-49 (بتصرف) .

[2] القشلة : اسم لمركز عسكري بالتركية .

[3] ذكر عبد السلام بن عبد القادر ابن سوده في كتابه (إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر) أنه توفي في الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة 1342هـ ، ولكني أثبت ما ذكره عبد الحفيظ الفاسي لمعاصرته للشيخ أحمد الشمس وتتلمذه عليه ومعرفته بأحواله إلى وفاته والعلم عند الله تعالى .

• تآليفه :

-النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية [1].

-18-

أحمد بن محمد السباعي الشهير بابن الحاج

قدم إلى القاهرة حاجاً في شهر رجب سنة 1192 هـ ، واجتمع بالعلامة مرتضى الزبيدي . فسمع منه حديث الأولية يوم الجمعة الموافق 21 رجب . ثم أدى نسكه ، وعاد إلى الصحراء .

كان حياً في نهاية القرن الثاني عشر الهجري رحمه الله تعالى [2].

-19-

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبي نعامة الكنتي

قال عنه العلامة مرتضى الزبيدى :(أحمد ابن أبي نعامة الملقب بالبكاء التواتي .. الولى الصالح ، صاحب السر والمدد والكرامات .. شاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه مايفوق عن الوصف) .

كان عالماً كبيراً وصالحاً جليلاً ، ولأهله زاوية محترمة في أقبلى من عمالة إتوات ، وقد ورث مشيخة ركب الحج عن أبيه وجده . واشتهر فضله بين الناس ، وعم صيته الأقطار من شنقيط إلى الحجاز ، فراسله العلماء وآخوه ، وطلبوا دعاءه .

كان والده من الرجال الكرام الذين وقّفوا العقارات والبساتين على الشناقطة فى المدينة المنورة. ولما حج سنة 1197 هـ اجتمع بالعلامة مرتضى الزبيدي في القاهرة وقدم له هدايا سنية ، وجدد معه عقد الأخوة والمحبة ، وكتب له الإجازة بأشياء سمعها منه .كان رحمه الله تعالى حياً في أواخر المائة الثانية بعد الألف من الهجرة [3].

---

[1] للتوسع في ترجمته راجع الشيخ أبو بكر بن أحمد الحبشي العلوي : الدليل المشير ، ص/14 ، 42-44 ، 114، 119 ، 311 ، 330 . وعبد الحفيظ الفاسي: معجم الشيوخ ، ص/125-127 ، وأضفت إلى ذلك ما ثبت لدي بالتواتر من أخباره :

[2] الزبيدي : معجم الشيوخ (مخطوط).

[3] المرجع السابق نفسه .

-20-

أحمدُ بن محمد حامد بن آلا الحسني[1]

قال عنه الشيخ محمد أحمد بن عبد القادر القلاوي نزيل المدينة المنورة : (لا أعرف أحداً أعلم بالعربية من الشيخ أحمد بن محمد حامد ، لا في موريتانيا ولا في السعودية).

ولـد سـنة 1332هـ ببلاد شنقيط في بلدة (المسومية) التابعة لمنطقة الترارزة ، وتوفيت أمه وهو صغيرة فتفرد والده بتربيته ورعايته . أخذ القرآن الكريم والمقرأ على يد عمـه الشيخ أحمد وأجازه ، ثم لازم والده وتخرج به في العلوم المحضرية المتداولة ، فبرز في اللغـة والمـنطق مع طول باعه في التفسير والشريعة . وبقي إلى جانب والده يساعده في تدريس الطلاب ، وإدارة شؤون محضرته ، وفيه يقول حين تركه ذات مرة مع تلاميذه :

أسـتودع الله أحـبابا تكـرتهم عند الصُّفيرا لا أبغي بهم بدلا
ما بين حبر ببث العلم مشتغـل و من تـراه بنيل العلم مشتغلا

ولـما توفي والده سنة 1378هـ قام بأعباء المحضرة مع أخيه الشيخ محمد أحسن قـيام ، وظـلا يدرسان فيها إلى أن غادر صاحب الترجمة البلاد إلى الحجاز ، واستقر في المديـنة المنورة سنة 1402هـ. وعُرض عليه التعليم في الجامعات السعودية ولكنه اعتذر واكتفى بالتدريس في بيته حيث يتردد عليه طلاب العلم من السعودية ودول المغرب العربي ومصر والشام والسودان وأفغانستان وباكستان وغيرهم .

وقـد اشـتهر بالزهد والكرم ومجاهدة النفس والعبادة ، وهو الآن بقيد الحياة في المدينة المنورة حفظه الله تعالى.

- **تآليفه :**

-لـه أنظـام كثيرة في مختلف فروع الثقافة الإسلامية من فقه وتفسير ونحو ولغة ومنطق بحيث لو جمعت لحصل منها عدة أسفار [1].

---

[1] الحسني هنا نسبة إلى قبيلة إدابلحسن الشنقيطية المعروفة .

-21-

أحمد بن محمد الراظي

المدعو محمدٌ بن أحمد محمد الحاجي

كـــان زاهداً في الدنيا صارماً في الحق ، ناصراً للسنة وقامعاً للبدعة ، حريصاً على نشر الخير وإصلاح ذات البين .

ولـــد في بلاد شنقيط بمنطقة (الرقيبة) سنة 1330هـــ ومات أبواه وهو صغير لا يعقل وتركا له أموالاً وموالي فكفله أخوه لأبيه سيدي محمود .. ولما شبّ اغترب لطلب العلم وتنقل بين محاضر الأقلال وأهل السنهوري التندغيين وأهل اطوير الجنة الحاجيين .ثم عـــزم على الحج والهجرة عن حكم النصارى وتحقق له ذلك بعد مشقة سنة 1365هـــ فمـــر بدولة السودان وجلس فيها مدة من الزمن ، ثم دخل إلى السعودية أيام الملك عبد العزيز آل سعود فأدى نسكه وجاور في المدينة المنورة .وقضى فترة يتردد على حِلق العلم بالمسجد النبوي الشريف ، واستفاد كثيراً من الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني.

ولـــا اهـــتم بـــالعمل واجهته مشكلة الشهادات فالتحق بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة ، ثم انتظم في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض إلى أن تخـــرج مـــنها ، فرشح للتدريس ولكن الشيخ عبد الله بن احميد توّسم فيه أنه للقضاء أصـــلح ، فارتآى على الجهات المعنية توجيهه إليه . وعين ملازم قضاء في المحكمة الكبرى بمكـــة المكرمة ، ثم عين قاضياً لمحكمة وادي الفرع التابع للمدينة المنورة سنة 1380هـــ ولبث فيها عشرين سنة . كان يدقق في مختلف القضايا ، ويتحرى فيها الحق ، وكثيراً ما كـــان يلجئ إلى الصلح ويستعين برؤساء القبائل وأعيانها في ذلك . وقد استطاع أن يحل القضـــايا الشـــائكة الـــتي أحيلت عليه وكان بعضها متوترة قبله منذ خمسة وثلاثين عاماً كقضـــية وادي النقيع التي استعصت على غيره فتمكن من إنهائها في مدة وجيزة ، وحكم فيها بأحكام مصدقة من هيئة التمييز للأحكام الشرعية في المنطقة الغربية .

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ إسحاق بن حامد في مكة المكرمة يوم 25 رمضان 1422هـــ .

وعندما اشتهر أمره وطار ذكره في الدوائر القضائية طلب منه رئيس المحكمة الكبرى في المدينة المنورة الشيخ عبد العزيز بن صالح أن يعمل معه ثم عدل عن طلبه حين عرف مزيته لمنطقة الوادي ، ومعرفته بأحوال أهلها . ولما بلغ الستين من العمر سنة 1390هـ أحيل إلى التقاعد فمدد له عمله عشر سنوات أخرى لحاجة الناس إليه .

وكان أهل القرى يستفتونه ويستفيدون من علمه ، وقد أسلم على يديه بعض الآسيويين المسيحيين من كوريا والفلبيين ، وكان يزودهم بالمراجع الإسلامية باللغة الإنجليزية بالتعاون مع مكتب الدعوة والإرشاد في المدينة المنورة .

ولم يكن يحضر الولائم ، وإذا اقتضت المصلحة شهوده لبعضها فإنه يقتصر منها على شرب القهوة أو الشاي . وقد أحبه أمراء القرى ، ورؤساء القبائل ، وأشادوا بعدالته وأمانته وديانته ، وأثنوا عليه خيراً وخاصة الشيخ امريبد بن حامد بن عنود الحربي رئيس قبيلة وقرى الريان والشيخ خصوي الحمادي العمري وهما من رجال الملك عبد العزيز آل سعود ، والشيخ سعد بن عوض الله البحيثي رئيس قبيلة بني جابر والشيخ مرزوق راشد السحيمي أمير الصويدرة والشيخ رشيد بن مبارك بن زيد أمير قبيلة العلوات في الهندية والشيخ مبارك بن حمود البلادي العمري رئيس قبائل البلادية في قرية أم العيال[1] .

ولما بلغ السبعين من عمره وأحيل على التقاعد تحول إلى المدينة المنورة وجاور بها ، وله فيها أصحاب وأصدقاء من أعيانهم الشيخ عبد العزيز بن صالح والشيخ عبد العزيز السزاحم والشيخ التويجري والشيخ عبد المحسن حسن خاشقجي والشيخ راجح الراجح وغيرهم .وكانت له رحلة سنوية إلى موريتانيا بقصد التعرف على قرابته وصلة أرحامهم فزارهم في ولايات العصابة وآدرار والترارزة ، فواسى المحتاجين منهم وأعانهم على بناء دور للسكنى وتشييد سدود للزراعة وغير ذلك من أعمال البر .

وتوفي بالمدينة المنورة يوم 08 شعبان 1415هـ على إثر إصابته بجلطة في الدماغ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى ، وله عقب في السعودية[2] .

---

[1] عندي نسخة من شهاداتهم له بالخير وثنائهم عليه وشكرهم له مؤرخة بتاريخ 1403/07/24هـ زودني بها نجله الأستاذ المصطفى ولد الشيخ أحمد محمد .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ المصطفى بن الشيخ أحمد محمد في المدينة المنورة مساء الخميس 1421/11/14هـ الموافق 2001/02/08م .

-22-

أحمد بن محمذ بن يياه الإدواجي

أحـد الفقهاء الأجلاء ، والدته مريم بن المختار الجكنية ، ولد بمنطقة الترارزة في بـلاد شنقيط سنة 1355هـ /1914م . ونشأ محباً للعلم ومجالس الذكر ، فقرأ القرآن على خاله ومحمد عبد الله بن مرابط التلاميذ ، ثم أخذ العلوم الشرعية واللغوية عن الفقيه بـن أحمد باب وعبد الرحمن بن أمغر ومحمد سالم بن ألما اليدالي. ثم رجع إلى أهله وافتتح محضـرة ظلت مورداً للناشئة وقبلة للطلاب إلى أن هاجر إلى الحجاز سنة 1372هـ ، حيث أدى نسكه وجاور في المدينة المنورة منشداً من إنشائه :

مديـنة خير الخلق خير مدينة   تنحط بها الآثام عن كل آثم
على أنها والله يعلـم جنـة   ولكنهـا محفوفة بالمكـاره

وتوفي سنة 1390هـ /1970م ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-عـون المسـلم ، وهـو رجـز في ألف بيت نظم فيه أبواباً من كتاب (فتح الحـق)لـلمرابط محمذ فال بن متالي .2-نظم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم 3-رحلة الحج (منظومة)[1].

-23-

أحمد ابن المنجى الإديجبي

المدعو أحمد المغربي

ولـد في غرة القرن الرابع عشر الهجري في ضواحي مدينة ألاك بمنطقة البراكنة في بلاد شنقيط، وتربى في كنف والديه فأحسنا رعايته وتأديبه . ثم أقبل على طلب العلم بهمة

---

[1] أحمد ابن يياه : رحلة الحج (مخطوط) ، ومحمذ بن أحمد بن المحبوبي :أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (رسالة مرقونة) ، ص/66 .

وشـــغف ، فتتلمذ على خاله الشيخ محمد محمود بن الشيخ محمد القاضي وعلى غيره من علماء الكحلاء والصفــراء والفرع المشهـــورة . وكان يقـــول : (ما سمعـــت نصاً إلا حفظته) ، فحصل له المقصود وبلغ في العلم شأواً بعيداً .

وفي سنة 1338هــ توجه إلى المشرق بقصد الحج والجوار فمر بإمارة أهل سيدي محمـــود في (الرقيبة) فطلب منه أميرها محمد محمود بن سيدي المختار البقاء معه للتدريس والقضاء فلبث معه مدة، وتخلص منه بعد مكابدة ، ودخل منطقة اتوات الجزائرية مع ولده عـــبد الله فرغبوه في السكنى معهم وزوجوه منهم . ولكنه ارتحل وحلّ بالحجاز في أواخر عهـــد الشريف حسين بن علي سنة 1341هــ ، فأدى مناسكه وجاور بمكة المكرمة ، وتولى التدريس والإفتاء على المذهب المالكي في حرمها الشريف .

ولمـــا آل الحكم في الحجاز إلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود استدعاه واتخـــذه إماماً له لمدة سبع سنوات واصطحبه معه إلى الرياض ، فتوطدت علاقته بالأسرة المالكـــة ، وكـــانوا يتعاهدونه بالرعاية ولا يردون لـــه طلباً . وقد منحه الملك خالد أمراً بالجنســـية لأحد أقاربه تكريماً وتقديراً .وفي سنة 1380هــ عاد إلى مكة المكرمة وباشر الإمامـــة والخطابـــة في مسجد عبد الرحمن الطبيشي (ناظر الخاصة الملكية) في جرول ، ثم انـــتقل إلى الطـــائف وقام بالإفتاء والتدريس والإمامة في مسجد مسلم بن عقيل في حي أســـفل ، ولبـــث فيه أعواماً ثم أحيل على التقاعد طبقاً للنظام المعمول به أنذاك في وزارة الحـــج والأوقاف ، فلما علم بذلك الملك فيصل عاتب الوزير وأمره بإعادته إلى إمامته ، وبتعويضه عما نقص من راتبه ، ومن ثم ألغي تقاعد أئمة المساجد في السعودية حتى الآن. وكـــان يتردد عليه في حلقته كثير من الطلاب النجديين والحجازيين الذين كانوا يتابعون دراســـتهم في دار التوحـــيد في الطائف وعلى رأسهم وزير التعليم العالي الأسبق الشيخ حســـن بن عبد الله آل الشيخ (ت 1407هــ) الذي بقي على صلة به بعد التوظيف بل كان يوقره ويقدره . ويروى أنه جاءه مرة يريد تحويل ولده من مكة إلى الطائف فأسف ، وقال له : (أنت شيخنا ، فإذا كانت لك حاجة عندنا فارسل لنا نأتيك في محلك ونقضي لك ما أردت) .

كـــان راقياً مستجاباً يقصده الناس للدعاء والتداوي ، ويعتقدون صلاحه . ومن عجيب ما يحكى عنه تحريمه للأبواق وللتصوير مطلقاً ، فلم يرض أبداً بتركيب الأبواق في

مسجده ، ولم يقبل البتة بالتصوير لأجل الجنسية فأعفاه الملك فيصل من الصور ، وسُلمت له التابعية من وزارة الداخلية على عهد سمو الأمير عبد الله الفيصل آل سعود . وقد حرم الأبواق في المساجد قياساً لها على النواقيس والأجراس في البيع والكنائس ، وصدق الفقهاء حين قالوا : الحكم على الشيء فرع عن تصوره . وهذه الأبواق في حقيقتها إنما تكبّر الصوت ، وتسمع البعيد كما تقوي النظارة (الطبية) البصر وتعين على القراءة ورؤية الأشياء . والذي به الفتوى أنها سلاح ذو حدين فإن استخدمت في الصلوات وتعليم الناس وإرشادهم فهي جائزة بل قد تجب لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وإن استخدمت في سماع المزامير والأصوات المنكرة شرعاً فهي حرام . وأما الصور فقد نص الشارع على تحريمها كالتماثيل لما روى ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) متفق عليه [1] ، ويستثنى منها لعب الأطفال (العرائس والدُّمى) وتصوير الأشجار وما لا روح فيه لما روى سعيد بن أبي الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : (إني إنسان ، إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : (من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً) فربا الرجل ربوة شديدة (أي فزع) ، واصفرّ وجهه . فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح) رواه البخاري[2]. وأما التصوير الفوتوغرافي فيشمله التحريم إلا ما توجبه الضرورة وتقتضيه المصلحة كصور البطاقات الشخصية ونحوها لكونها تدخل في القاعدة العامة التي تقول : (الضرورات تبيح المحظورات)[3] والله تعالى أعلم .

وتوفي في الطائف سنة 1400هـ وقد ناهز المائة عام ، ودفن في مقابرها رحمه الله تعالى[4] .

---

[1] البخاري-الفتح (321-322) ، ومسلم (2109) .

[2] البخاري-الفتح (2225) ، وطرفاه في (5963 ، 7042) .

[3] عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام ، 902/2 .

[4] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ سيدي ابن المنجى في مكة المكرمة مساء الخميس 1417/07/10هـ الموافق 1996/11/21م .

-24-

أحمد بن عبد العزيز التاشدبيتي

ولد في بلاد شنقيط سنة 1349هـ عند بئر سعيد في منطقة الترارزة ، وتربى في بلدة الخوارة بين أبناء عمه وأخواله . ودرس في محاضرهم القرآن الكريم ومبادئ اللغة ودواوين الشعر المعتمدة ، ثم تنقل بين محاضر محمد علي بن النعمة المجلسي وعبد الله ابن بليل ومحمدن بن حبيب الله ومحمد عبد الرحمن بن أحمد أمغر التندغيين .

ثم سافر إلى دكار في السنغال إبان انتهاء الحرب الكونية الثانية سنة 1945م ، واشتغل بالتجارة لمدة ثم اهتم بالحج ، وتحصل على أوراقه المدنية من الحكومة الفرنسية في مدينة اندر بتسهيل من الترجمان آنذاك محمد رمظان وبواسطة من مولاي بن الشيخ السباعي .

وفي سنة 1366هـ ركب القطار من داكار إلى باماكو بمالي ثم توجه إلى المشرق براً ومر بالنيجر ونيجيريا والكمرون وتشاد . ودخل السودان وتجول في مناطقه ، واتصل بالمعهد العلمي في وادي مدني ، وشارك طلابه دروسهم وأنشطتهم العلمية . ثم قدم على مكة المكرمة في شوال سنة 1367هـ متمتعاً بعمرة إلى الحج ، ولم تأخذ منه الحكومة السعودية رسوماً ولا ضرائب . وكان الملك عبد العزيز آل سعود قد أعفى حجاج الشناقطة من رسوم الحج مراعاة للاستعمار وبعد الدار. ثم رجع إلى السودان بعد أدائه لفريضة الحج ، واشتغل فيها بالتجارة في بلدتي الحمراء وأم بادر في منطقة الكبابيش ، فكان يتاجر بينها وبين مصر . والتقى في القاهرة بالشيخ محمد عبد الله بن المختار فال البوصادي رئيس رواق المغاربة بالأزهر وقتئذ . ثم زار معالم مصر العلمية والسياحية مثل مكتبة مصطفى بابي الحلبي ، ومكتبة محمود علي صبيح والأهرامات وغيرها.

وعندما أعلنت الحرب على مصر عند تأميمها لشركة القنال سنة 1956م تقدم إلى مكتب المتطوعين للدفاع عن أرض الكنانة ، وسجل اسمه ضمن أول دفعة ولكن الحرب وضعت أوزارها قبل مواجهته الميدان . وقد انتسب إلى نادي الرماية في الخرطوم وكان يضم ضباطاً سودانيين وإنجليز ، وحصل منه على جوائز عدة تسلمها من قائد الجيش العام في السودان اللواء محي الدين سعد ، وبحضور اللواء المتقاعد موسى أبو ذقن .

ولـــمـــا قرر التجار المصريون سنة 1384هـــ أن تكون قيمة المواشي السودانية مقايضـــة بالسلع المصرية قرر التجار الشناقطة تحويل وجهتهم إلى ليبيا ، ولكنهم لم يجدوا إلـــيها ســـبيلاً معـــروفا فخاضوا مغامرة مشهورة لشق الطريق إليها من السودان مباشرة فانطلقت رحلتهم الأولى في السنة المذكورة وعانى أصحابها كثيراً من المشاق مما حال دون إتمامها ، وكانت تضم كلاً من المحفوظ بن محمد أبات وابنه محمد سالم السباكيان ومحمد الأمين بن حُمَّد اليعقوبي وأحمد فال بن الحاج المختار السملالي. أما القافلة الثانية فكانت أكثر انضباطاً ، وأحكم ترتيباً ، واستفاد أصحابها من رحلة سابقيهم وهي تضم كلاً من صـــاحب الترجمة والشيخ محمد الإمام بن أحمد عمُّ القلقمي ومحمد محمود بن عبد الرحمن القـــلاوي وأربعة رعاة ، وقد صرّحت لهم وزارة التجارة في الخرطوم بتصدير مائة رأس مـــن الإبـــل . فتزودوا بثمان جبال يحملون الماء ، واصطحبوا معهم بندقيتان ومنظار ، وبوصلة ، وخريطة جغرافية ، وعقاقير طبية وأكفان تحسباً للطوارئ . ثم انطلقوا من جبل الميدوب شمال محافظة دارفور ، وقطعوا صحراء قاحلة وموحشة يقدرونها بألفي كيلومتر ، يصدق عليها قول الشاعر :

يسير فيها القوم حتى يبرحوا   كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وكـــانوا يهـــتدون في اللـــيل بالنجوم وفي النهار بالبوصلة حتى وصلوا إلى جبل العويـــنات على الحدود الليبية ، فوجدوا عنده خمسة جنود من قبيلة القرعان ، وأخبروهم أن أول مديـــنة ليبية بعدهم هي واحة الكفرا وأنها تبعد عنهم حوالي 360كم . ولما علم الملـــك محمد إدريس السنوسي بمقدمهم أمر بتسهيل مهمتهم ، وعدم مطالبتهم بأوراق أو أيـــة إجراءات أخرى . ثم إن صاحب الترجمة جاء بتقرير عن الرحلة وإيجابياتها وسلمه إلى وزارة الحكومـــة المحلية في الخرطوم . واعتماداً على هذا التقرير بعثت الحكومة السودانية حينـــئذ وفداً تجارياً إلى ليبيا وعقدوا معها معاهدة تجارية كان لها بالغ الأثر على المستوى التجاري ، وتبادل المنافع والعمالة .

وفي سنة 1385هـــ جاور بالمدينة المنورة ، واهتم بإنشاء مكتبة تكون وقفاً على طلـــبة العـــلم في بـــلاد شنقيط لما تركها عليه من ندرة المراجع وانعدام المطابع وصعوبة

الاستنســـاخ . فزار لهذا الغرض العراق والكويت وليبيا وسوريا والتقى في دمشق بالشيخ عبد الكريم الرفاعي والشيخ حسن حبنّكه والشيخ الملاّ رمضان البوطي .

وفي ســـنة 1392هـــــ حلّ في الإمارات العربية المتحدة واجتمع بوزير الأوقاف ورئيس دائرة التراث والتاريخ في أبو ظبي الشيخ محمد بن حسن الخزرجي فهيأ لـــه للقاء رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان .. فأبدى لـــه الرئيس حرصه على اكتتاب قضـــاة مـــن الشناقطة ، فأحال القضية إلى سفير موريتانيا آنذاك يحظيه بن سيدي أحمد آل بارك الله فلبى الرغبة ، وحقق الأمنية[1] .

وفي سنة 1413هـــ قام بتأسيس مكتبة العرفان بالعاصمة نواكشوط ، وحصلت عـــلى ترخـــيـــص من وزارة الثقافة والتوجيـــه الإسلامي برقم (226)في ربيـــع الآخر 1415هـــــ الموافق 1994/09/19م ، وحول إليها الدفعة الأولى من الكتب ، وهي تضـــم (4366) عنواناً في جميع العلوم الإسلامية والمعارف الإنسانية المختلفة . ولا يزال يزودها تباعاً بالكتب والمطبوعات الجديدة ، وقد تمكن من فتح فرع لها في مدينة القوارب سنة 1420هـــ [2].

وهو الآن بقيد الحياة مجاور في المدينة المنورة حفظه الله تعالى .

-25-

الحاج أحمد بن الفاضل بن أبي أجود الحسني[3]

حـــج بيت الله الحرام ، وأقام في القاهرة ، وتزوج سيدةً مصريةً ولدت لـــه ابنه ســـيدي محمـــد . ثم عـــاد إلى بلاده وبحوزته 314 كتاباً ، وألتحق به من بعد ابنه وأمه مصطحباً كتباً كثيراً . لم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى[4].

---

[1] كانت أول دفعة من القضاة الشناقطة إلى أبو ظبي تضم: الشيخ الطالب اخيار بن بونه القلقمي ومحمد الأمين ابن سيدنا القلاوي وبـــيَّ ولد السالك المسومي ومحمد عبد الله بن الصديق الجكني والشيباني بن محمد أحمد انجامري

[2] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز في المدينة المنورة ليلة 1417/08/09هـــ الموافق 1996/12/19م .

[3] نسبة إلى قبيلة إدابلحسن .

[4] النحوي :المرجع السابق ، ص/274 .

-26-

أحمد الحبيب بن المختار العلوي

أحد الأدباء الفضلاء ،وصفه الشيخ المرتضى الزبيدي بأنه : (شاب صالح مجذوب له حافظة ولديه نوادر وذكاء مفرط ، وذهن جيد) .

قدم إلى مصر حاجاً سنة 1193 هـ ، وصحب العلامة مرتضى الزبيدي ، فسمع منه الأولية وأبواباً من البخارى ، وحصل بينهما تجانس ومحبة . وتبادلا الفوائد فأنشده الزبيدي بيتين لغيره :

رأيت بدراً على كثيب ... يخجل البدر و الهلالا

فقلت ما اسمك قال لولو ... فقلت لي لي فقال لا لا

فرد عليه مادحاً إياه إرتجالاً على الروى السابق :

إن بالقرب من سويقة لالا ... سيد ألبس الدنيا جمالا

أنشد الحال في مساعيه منيت ... هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقد جاور مدة بالحرمين الشريفين ، وكان رحمه الله تعالى حياً في نهاية القرن الثاني عشر الهجري[1] .

-27-

أحمد خيرات الشنقيطي

العالم الأديب المذكور ، كان مجاوراً بالحرمين الشريفين . إلتقى به الإمام الجزائرى محمد البشير الإبراهيمي إبان رحلته العلمية في المشرق ، فقويت صلته به ، وذاكره في اللغة والشعر الجاهلي سنين عديدة .

كان حياً سنة 1335 هـ / 1917 م ،ولم نعثر له على أثر رحمه الله تعالى[2].

---

[1] الزبيدي : المرجع السابق .

[2] أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 276/5 .

-28-

أحمد خونا بن خطار الجكني

قـــال عـــنه الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: (اسم الشيخ أحمد خونا اقترن بإيصال المنافع للمسلمين) .

وُلــــد سنة 1335هـــ بمقاطعة باركيول في بلاد شنقيط ، وتوفيت والدته وله من العمر سنة فربته جدته فاطمة بنت البشير زوج العالم الشهير أحمد الأفرم بن التار الجكني . نشـــأ في بيت علم يرتاده الطلاب من جميع الأنحاء ، فحفظ القرآن الكريم صغيراً ثم سافر إلى مـــنطقة مقطـــع الأحجـــار ، وتفقه على المرابط أحمد بن مود وشيخنا بن الصديق الجكنـــيان ، وأخذ عن الشيخ أحمد أبو المعالي التاقاطي ، ثم تابع تحصيله العلمي في محضرة أهـــل الطالب إبراهيم التاقاطي ، ولبث فيها مدة إلى أن علم بعزم والده على الحج فقرر مرافقـــته . وأدركه في منطقة آفطوط ولكنه توفي قبيل السفر . ثم رحل إلى المشرق وزار الشيخ التراد بن العباس القلمقي في قرية آكوينت بالحوض الشرقي فأمضى معه ثمانية أيام حصلت له فيها بشارات . ثم أجازه وألبسه العمامة وأمره بالتوجه إلى الحرمين الشرفين . فدخـــل مكـــة المكرمة معتمراً بداية سنة 1363هـــ ، وزار المدينة المنورة ولزم الحلقة المنتظمة في منزل الشيخ محمد الخضر بن مايأبى الجكني حيث درس فيها الصحيحين وكتب الســـنن والفقه والنحو وأخذ تفسير القرآن الكريم عن محمد الأمين الجكني صاحب أضواء البـــيان ، وجالس الشيخ محمد علي المالكي محشي الفروق للقرافي . وكان يراسل الشيخ محمد حبيب الله ابن ما يأبى في مصر وطلب منه زيارته ولكنه جاءه نعيه حين وصوله إلى بورت سودان .

ومن أعظم كراماته في طريق حجه أنه كان حريصاً على تأدية الصلوات في وقتها رغـــم إصـــابته بمرض الجدري ، ويَعِدُ السائقين المتساهلين بتعطُّل سياراتهم إن لم يتوقفوا لتأديتها فيحدث لهم ما توقعه ، فينتهز الركاب فرصة تعطلها للصلاة .

وفي ســـنة 1367هـــــ عُين مديراً لمدرسة بدر ومكث فيها ثلاث سنوات فكان لإشـــرافه عليها أثراً طيباً في نفوس أهلها لاسيما الأشراف الذين لا تزال تربطهم بأبنائه صلة الأخوة والمودة والمحبة في الله تعالى . ثم عُين أميناً من أمناء مكتبة عارف حكمت لمدة

عشـــرين ســـنة إلى أن أحيل على التقاعد بكامل راتبه بتعميم أمر سامي من الملك فيصل ابن عبد العزيز آل سعود .

وكان جهده منصباً على تفقيه العوام وتبصيرهم بأمور الدين ، ويلقنهم مختصرات الأخضـــري وابن عاشر وأسهل المسالك في مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى مع سعيه الدؤوب على فعل الخير، ومواساة الفقراء والمساكين ، والتوسط بينهم وبين الأغنياء لسدّ خلتهم .

وقد توثّقت صلته بمشايخ الحجاز كالسيد علوي عباس المالكي والشيخ محمد نور ســـيف والشـــيخ حسن المشاط والسيد أمين كُتبي وغيرهم . وتوّطدت علاقته بأسرة آل مبارك المشهورة في الأحساء كالشيخ محمد بن إبراهيم آل مبارك صاحب التعليق الحاوي لما أغفله الشيخ الصاوي في الشرح الصغير على أقرب المسالك ، والشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك رئيس قضاة أبو ظبي عبد الرحمن بن علي آل مبارك . واتصل عن طريقهم بأهل الإمـــارات العربية المتحدة وبخاصة رئيس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ عمير بن يوسف والشيخ عبد الجليل آل فهيم والشيخ أحمد السويدي والشيخ عبد الرحيم آل فهيم ، فكان يتعاون معهم لإيصال المنافع إلى المجاورين المحتاجين في الحرمين الشريفين.

وتـــوفي يـــوم 16رجب 1414هـــ ، ودفن في بقيع الغرقد ، وقد أوصى أبناءه بالعلم وخدمة المسلمين رحمه الله تعالى [1].

-29-

أحمد فال بن سيدي المختار الكنتي

كان حريناً في الحق ، كريم النفس مضيافاً ، وصفه صديقه الفقيه عابدين بن أحمد المسوفي بعد وفاته بقوله : (مات العالم السني الواصل).

وُلد بمنطقة تكانت في بلاد شنقيط ، ونشأ بها تحت رعاية والده فاجتهد في تربيته وتأديبه فحفظه القرآن الكريم ، وفقهه في الدين وروّاه الشعر . ولما شبّ عن الطوق علمه الفروســـية والرماية حتى برز في ذلك واشتهر به . ثم اشتغل بالفلاحة في بلدة المبروك ،

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد خالد أحمد خونا في المدينة المنورة مساء الجمعة 2000/11/18م.

فكان يعيش من ريعها وينفق منها على الفقراء والمحتاجين . ولما توفي والده قرر الهجرة إلى الحجـــاز فأعتق مواليه وقسّم ممتلكاته ثلاثة أقسام : جزء تركه لورثته ، وجزء وقفّه على موالـــيه ، وجزء تصدق به . وقد وصل إلى مكة المكرمة حوالي سنة 1366هـــ فأدى فريضة الحج ثم زار المدينة المنورة واستقر فيها لطلب العلم . ثم اتصل بالملك عبد العزيز آل ســعود وبابنه الملك سعود فأحسنا وفادته وقويت علاقته بهما ، فكان يشارك في سباق الخيل الذي يحضرانه في مدينة الطائف . وأعجبتهما مهارته في الرماية من جهة القفا حيث كـــان أوحد أهل زمانه في ذلك . وعندما أمضى عشر حجج في الديار المقدسة سافر إلى صـــحراء (أزواد) فاستقرّ بها واشترى بها أنعاماً ، واتخذ منها ساحة لدعوته .ولبث فيها عشـــرين حولاً يعلم الناس في البدو والحضر ، ويرشدهم إلى الخير ، ويحذرهم من البدع والمـــنكرات . وكان يدرس تلاميذه القرآن الكريم والحديث الشريف والكتب المعتمدة في الفقه المالكي كرسالة بن أبي زيد القيرواني ومختصر الشيخ خليل المصري .

ويـــروى أنـــه لما كُفّ بصره في أواخر حياته عرض نفسه على طبيب فرنسي في مستشـــفى باماكو بجمهورية مالي فقنّطه من الشفاء وقال له : إن هذا العمى لا دواء له . ولكـــن الشـــيخ أحمد فال لم تنقطع أسبابه ، ولم تنته آماله بل توجه إلى ربه جلّ شأنه في مساء ذلك اليوم ، وبات يدعوه ويناجه بقصيدته (نيل المقاصد) ، فأصبح مبصراً بإذن الله تعالى وصدق الله العظيم القائل : {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[1] .

والقصيدة المذكورة تزيد على مائة بيت ومطلعها :

بسم الإله الواحد المنفـــرد   به ابتدائي لنيل مقصدي

وبيتها :

فما سواك من طبيب عاجز   والحق أنت ربنا لا تعجز

وتـــوفي في انـــيامي عاصـــمة النيجر على إثر مرض ألمّ به ودفن في مقابرها سنة 1395هـــ وقد أناف على السبعين من العمر رحمه الله تعالى .

---

[1] البقرة :186 .

* تآليفه :

-ريحانة القلوب في التوحيد ، إضافة إلى مجموعة من الرسائل والفتاوى المهمة [1].

-30-

أحمد سالم بن الحسن الديماني

العالم الجليل النسابة المشارك ، ولد وتعلم في بلاد شنقيط ثم ارتحل للحج والتقى به الشيخ محمد الأمين فال الخير الشنقيطي في الحرمين الشريفين فسمع منه منظومتي البدوي في أنســاب العرب والمغازي وجانباً كبيراً من كتاب أقرب المسالك في الفقه المالكي وقد أُصيب بمرض خطير أيام جواره فتولى تلميذه المذكور تمريضه وخدمته ، وانتقل معه إلى مكــة المكرمة فنــزلا عند الشريف زيد بن فواز وكان يجل أهل العلم ، فهيأ لهما وسائل العلاج والراحة ، وأحضر لهما ما يحتاجانه من كتب ولوازم . فكان غذاء الشيخ مقتصراً على لبن النوق والطعام الخفيف حتى تماثل للشفاء ، ثم زار المدينة المنورة والطائف وانتقل إلى منى وفيها توفي سنة 1325هـ/1907م رحمه الله تعالى[2] .

-31-

الحاج ألمين بن المختار القلاوي

الملقــــب التواتــــي

العلامة الهمام ، كان أول من وقّف من الشناقطة بالمدينة المنورة وأكثرهم أحباساً . وله عقب في بلاد شنقيط لعلّ أشهرهم نجله الطالب أحمد دفين فزّان في ليبيا الذي ترجم له صاحب فتح الشكور .

وتُــوفي في المديــنة المــنورة ، وهو من أهل القرن الثاني عشر الهجري رحمه الله تعالى [3].

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ عبد الوهاب أحمد فال في الرياض يوم 2002/06/16م .

[2] الدليشي : المرجع السابق ، ص/80-81 ، 272 .

[3] محفوظات إدارة أوقاف الشناقطة بالمدينة المنورة ، والبرتلي : المرجع السابق ، ص/48 ومابعدها.

-32-

أم الخيرات بنت أحمد المختار الجكنية

كانت مشاركة في كثير من الفنون ، وقد وصلت إلى الحجاز حوالي سنة 1375هـ وجاورت بالحرمين الشريفين . وجلست بالمسجد النبوي للتعليم والإرشاد احتساباً . قال عنها الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة : (إلتقيت بها وقد عرضت علي سؤالاً في قوله تعالى : {الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها}[1] ، فهل الضمير راجع إلى عمد أم إلى السموات في مناقشة طريفة . وأطلعتني على كراسة فيها نظم للسيرة النبوية ، وطلبت مني مراجعتها وإبداء رأيي فيها ، فوجدتها فوق ما يمكن لمثلي أن يعلق عليها ، فرددتها إليها). وقال إنه : كثيراً ما كان يسمع من شيخه العلامة محمد الأمين الجكني الثناء عليها . وقد ذكر في رحلة حجه أنها سألته عن مسألتين تعدان من أصعب المباحث المنطقية وأغمضها (الأولى) ما يحيك في النفس من عدم الفرق بين علم الجنس واسم الجنس و(الأخرى)قول المتكلمين أن الصفة النفسية لا يدرك بدونها الموصوف ، فأجابها في ست صفحات تقريباً .

وتوفيت في المدينة المنورة سنة 1391هـ ، ودفنت في البقيع رحمها الله تعالى .

- **تآليفها :**

1-نظم في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف وثلاثمائة وستين بيتاً ، وقد شرحه ابن أخيها الشيخ أحمد بن أحمد الشنقيطي . 2-نظم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في مائة وعشرين بيتاً [2].

---

[1] الرعد : 2 .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد بن أحمد المختار في المدينة المنورة ليلة الخميس 1417/04/30هـ الموافق 1996/09/12م ، والشيخ عطية محمد سالم : مقدمة رحلة الحج إلى بيت الحرام للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ص/7 ، 41 ، 47 .

-33-

البشير بن مباركي اليدمسي الشمشوي

العالم المشارك ،الأديب اللبيب ،ولد في منطقة إكيدي باترارزة في بلاد شنقيط سنة 1286هـ. وبدأ قراءة القرآن على والده ولكنه لم يلبث طويلاً حتى إخترمه المنون ، فكفله خاله أحمد بن حنبل وباشر تعليمه ،وأولاه الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل القلقمي عناية ورعاية ،فتزكى به وتحقق . وأخذ عن محمد بن محنض باب ،ومحمد فال ابن محمذ بن أحمد العاقل . وعكف على تحصيل العلم وتقييد الشوارد مستفيداً من مكتبته التى ورثها عن أبيه ، ومحيطه الثقافي الذى نشأ فيه .

ولما بلغ العشرين من عمره خرج حاجاً يوم 10 من شهر ربيع الأخر من سنة 1306 هـ ، فأستأنف رحلته من (دمان) بأرض (إنشيري) ، واجتاز بالساقية الحمراء مع رفقته وحطوا رحالهم بساحة الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي فاحتفى بهم وأوسعهم إحساناً . ثم أوفد معهم أحد مريديه يرشدهم ، ويهديهم السبيل .وأمدهم برسائل إلى أعيان الحواضر و القرى المغربية ،يوصيهم فيها بإكرامهم.. وانتهى بهم المسير إلى السلطان مولاى الحسن الأول في فاس ،فحقق بغيتهم وأمر بإركابهم بحراً من طنجة إلى جدة .ودخل الحرمين الشريفين مع الركب المغربي ، وكان قوياً تخافه لصوص الأعراب في الحجاز ، وإلى ذالك يشير صاحب الترجمة بقوله :

وكان دون طيبة أرض النبي ... بطرق الناس لصوص العرب
ويحبسون الناس كي يدداروا ... كما تواترت لي الأخبار
لأنني في ركب أهل المغرب ... وذا تخافه لصوص العرب

ثم أدوا مناسكهم وزاروا ، وركبو البحر من الينبوع في منتصف شهر المحرم من سنة 1307هـ ، وتوجهوا إلى المغرب ،واستغرقو في الطريق عشرين ليلة . وحل ببلاده بعد غياب دام سنة ونيفاً ، فاشتغل بالتدريس والتأليف .وكان من المكثرين من الأنظام التعليمية ، متفاعلاً مع وسطه الثقافي ، سالكاً الوسطية في الصراع القائم بين الفروعيين المقلدين والأصوليين المتبصرين ، داعياً إلى التمسك بمذهب الأمام مالك رحمه الله تعالى ، وعدم التعرض لأهل الأصول والاجتهاد ،محذراً من الانكار على العلماء وسوء الظن بهم.

وتوطـدت علاقـته بأكابر علماء المنطقة كشيخه الشيخ سعد أبيه ، والشيخ سيدي باب ابن الشيخ سيدي الأبيري .وكان يؤيد رأيهما في التعمل مع المستعمر الفرنسي إبان دخوله في البـلاد ، حقـناً لدمـاء المسلمين ،وحفاظاً على الأعراض والأموال إرتكاباً لأخف الضـررين ، ومادام قد تعهد بأن لايتدخل للناس في دينهـم . وهو إجتهاد أستثنائى لم يستصوبه الجماهير من علماء الشناقطة الذين أفتوا بتعين الجهاد ، بل أنهم عبأوا الشعب ، وقادوه إلى ساحة المعركة ، وحرضوه على القتال ، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً .ومن هؤلاء على سبيل المثال لاالحصر الشيخ ماء العينين[1] والشيخ محمد الأمين بن زين[2] القلقميان ، والشـيخ محمـد الخضـر والشـيخ محمـد العاقب والشيخ محمد حبيب الله آل مايأبى الجكنيون[3]، والشيخ محمد عبد الله بن أحمذي الحسني[4] ، والشيخ سيدي محمد الصغير ابن حبت[5]، والشيخ أحمد بن محمد بن البشير القلاويان[6] .

ومن أنظامه التعليمية :

أربعـة قد جمـعوا القرآنـا	في مصـحف بالأمر من عثمانا
زيـد بن ثابـت ونجل العاص	سعيد المشهـور في الأعيـاص
وابـن الـزبير أمـه أسماء	إلـى أبـى بكر لـه إنتمـاء
وعابد الرحمن ذو المجد الهمـام	المنتمى لحارث نـجل هشـام

ومنها أيضاً :

و في الحديث خمسة تستلـزم	خمساً على نقض العهود يلـزم
ظهور الأعداء و حكم الباطل	يفشـو به الفقر لشؤم الفـاعل
و إن بدا الزنا فشى الممـات	والجور في الكيل بـه النبـات

---

[1] محمد المختار السوسي :المعسول ، ص/ 96 ومابعدها .

[2] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد عبد الله بن بيه في جدة يوم1421/06/13هـ الموافق 2000/09/11م .

[3] محمد المصطفى بن أبوه :نشر الطرف فيما طوى الجهل من أحكام الشرف (رسالة مرقونة) ، ص/26 وما بعدها.

[4] محمد بن عبد الله : دراسة لشخصية محمد عبد الله بن أحمذي (رسالة مرقونة) ، ص/10.

[5] سيدي محمد بن بناهي : نماذج من تاريخ أسرة آل حبت (رسالة مرقونة) ، ص/61 .

[6] محمد الصوفي بن محمد الأمين : المحاضر الموريتانية (رسالة مرقونة) ، ص/128 .

يمنع والزكاة منعها إشتهر به على الأنام منع للمطر

وتوفي سنة 1354هـ رحمه الله تعالى .

- تآليفه:

1- كشف الأسرار في علوم القرآن .2-تقريب المسالك إلى معرفة المناسك. 3-معين الضعاف على ما أشار إليه خليل من الخلاف .4-نصيحة المقلد أن لايسيء الظن بالمجتهد .5-الصارم القوى في تعريف الشيخ والكرامة والولى .6-مائدة النفوس على علوم القاموس .7- شرح مختصر على الخلاصة لابن مالك .8-شرح على المقصور والممدود لابن مالك .9-موضح السبل لذكر بعض مآثر الرسل .10-مزيل اللبس في مشتبهات الخزرج والأوس .11-رحلة الحج منظومة .12-منظومة في التوجيه الإجتماعي والإرشاد الديني .13- ديوان في الشعر[1].

-34-

البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي

مادح النبى صلى الله عليه وسلم المشتاق والمحب الصادق ، الخبير بضروب القصائد العشرينيات وتخميسها ، والهمزية وغيرها . أخذ الشفاء للقاضي عياض عن الفقيه المحدث محمد الأمين بن الطالب سيدى أحمد السوقي وأجازه ، وأخذ علم السير عن الفقيه عمر بن مود حمد غع الفلانى . سافر إلى الحج سنة 1204 هـ مع الركب التواتى ، فأدى مناسكه وزار ، واجتمع بالعلماء الفضلاء كالشيخ مرتضى الزبيدى وحصل منه على إجازة . كان يحضر مجالس البخارى والشفاء ، ويهتز طرباً لذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، ملازماً لقراءة المدائح مكثراًمنها حتى لقب بالمداح .

وتوفي في الثلث الأخير من ليلة الخميس 11 رمضان سنة 1214 هـ .

---

[1] انظر حياة موريتانيا للمختار بن حامد (مخطوط) ، محمد فاضل بن أحمد (تحقيق):ديوان البشير بن مباركي (رسالة مرقونة) ، ومحمد مبارك بن عبد الرحمن (تحقيق) : رحلة البشير بن مباركي (رسالة مرقونة).

- **تآليفه :**

-رحلــة الحج : ذكــر فيها مراحل طريق الحج مــن بلاد اتــوات إلى الحرمين الشريفين[1].

-35-

الحاج البشير بن عبد الحي البربوشى الرقيبى وطنا

عالم جليل ، وقاض شهير ، تصدر على العلامة محنض باب بن أعبيد الديماني . ثم رحل إلى الحج ، ولقى السلطان العثماني فأكرمه ، ثم عاد إلى المغرب .

وتوفي بمراكش في أواخر القرن الثالث عشر الهجرى رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-تفسير القرآن الكريم . 2-شرح ألفية ابن مالك وغيرهما [2] .

-36-

الشيخ التراد بن العباس القلقمي

آل اجيه المختار

وُلد في ضواحي النعمة ببلاد شنقيط في منتصف السنة الرابعة من القرن الرابع عشر الهجري. وهو من بيت علم ومشيخة وفضل ، ولعائلته اعتبار خاص ومكانة سامقة لدى شعوب المنطقة . وقد تربى مع أخواله أهل امباله ونهل من علومهم حتى بلغ مبتغاه ، وباشر تعليمه خاله محمد المختار بن امباله التيشيتي فأقرأه القرآن الكريم والفقه والسنة والأصول والعلوم العربية .

ولما شبّ عن الطوق قام بزيارة لبعض دول غرب إفريقيا ، وصادف مجيئه إلى غنيا حــدث اغتيال أحد المستعمرين ، فتذرعت السلطات الفرنسية بذلك لاعتقاله ونفته إلى مديــنة انــدر بالسنغال ضمن خطة محكمة لمضايقة الفقهاء والدعاة ، وتحجيم دورهم .

---

[1] البرتلي ، ص/83-84 .

[2] النحوي : المرجع السابق ، ص/281 ، وسيدي محمد بن محمد عبد الله : معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي ، ص/26 .

واتصل هناك بعمه العلامة المربي الشيخ سعدُ أبيه بن الشيخ محمد فاضل فبايعه ولازمه ثلاث سنين كاملة عكف خلالها على العبادة والمجاهدة وتلقين العلم للمريدين وحصلت له مواهب وفتوحات ، ثم أجازه ، ومنحه لقب المشيخة فعاد إلى وطنه واستأنف رسالة آبائه في الإصلاح والتعليم . وقد توقف في طريقه بمنطقة (الرقيبة) مدة من الزمن وانتفع به القوم أيما انتفاع ، ولاقى فيها نفحات وعنايات . وبنى أول مسجد له في بلدة (مميل)في الحوض الشرقي وفيه دفن والده العباس بن الشيخ الحضرمي ، وأسس زاويته أخيراً في موضع أكثر اعتدالاً يسمى (آكوينيت) يقع على بعد 30كم شمال مدينة النعمة بالتعاون مع تلميذه الشيخ محمد أحيد بن عمِّ التركزي حيث أشرف على استصلاح الأرض وتشييد سد للزراعة لتأمين المواد الأساسية للحضرة . وأعرض عن بعض المسائل الخلافية سداً للذريعة فانتشر فضله بين الناس ، وانجذب إليه الخاصة والعامة ، وعمّ صيته الآفاق . ودعا جاهداً إلى مشاركته فيما تفضل الله عليه به فقال :

تعالوا إلى كأسٍ سقاني بها سعد ... وليس لها ساق قُبيلُ ولا بعد
هي الأمن من كل المكاره و البلى ... إذا ما وعيد الله أُنجز و الوعد

ويقول للذي ينقم عليه ذكره لربه :

أديم ذكري للذي في فضله طمعي ... فإنما ذكره أمني لدى جزعي
إن كان ذاكر ذا الإجلال ذا بدع ... فإنما الذكر حظنا من البدع

ويقول ناصحاً بصحبة المشايخ ومحبتهم :

ووال في الإله أهل الله ... ودِنْ بحبهم بلا تناهي
وسَلْهُ أن يعيد منهم عليك ... بركة عظمى يفيضها إليك
فكم بهم من ذي ضلال اهتدى ... وذي سفاهة أبان الرشدا
فإنما المحروم مَنْ منهم حُرم ... و الضدّ بالضدّ و ذا حق عُلم

إلى أن قال في التأدب معهم :

فلازماً صحبتهم بالخدمة ... وباتباعهم وحفظ الحرمة
وحسّن الظنّ بهم معتقداً ... فضلهم وإرثهم محمدا
فإنهم نوابه في دعوته ... وقائمون في انتصار ملته

فعامـلاً شيخـك بالآداب ... معهُ كما روي عـن الأصحـاب

ويحذر التلاميذ من المغالاة فيهم فيقول :

ولا تغال فـيهم بكـالحلف ... بهم وبالخوض من غير ما عـرف

كمثـل إن شيخنـا قـد تُرزقُ ... بـه العباد وهـو غـوثٌ مطلقُ

وربّ قائلٍ بأن الغـوث لـم ... يوجد ولا الوتد و الوقـف أتم!؟

ويقول في حكم الاستغاثة بهم :

ولا تقـل في شـدة وكـربه ... يـا سـيدي وشـيخنا وحـزبه

مبـتهلاً وداعـياً غـير الإلـه ... مستغرقاً عن الإلـه في سـواه

تقـول قـد غفـلَ عـني أبي ... والشيخ حيث لم تفـز بالأرب

وحيثـما فـزت بنيل ما تريـد ... شرعت في الثناء على غير المجيد

فبعضهم بـذا المقـال كفـرا ... وبعضـهم بنحـو ذا ما أنكرا

وقل يا ربِّ خمس مـرات تنـل ... جميـع ما أملتـه كما نُقـل

ويقول في أدب زيارة الأموات :

فـلا تقل يا سيدي جئت إليك ... أريـد حـاجي واتكالي عليـك

حاشـاك أن تردني صفر اليدين ... وأنت ذو التمكين غوث الثقلـين

وإنمـا يسـأل ربنـا الكـريم ... مجيب من دعاه ذو الفضل العميم

ولمسـك القبر ونقلك التـراب ... مـنه فدع عنك هديت للصواب

والضرب بالدفـوف والمـدافع ... لديهم خُلـف سبيل الشـافع

إذْهـم محـل الاعتبار والأدب ... لا الانبساط بالملاهي والطـرب

ولا تسـقْ إلـيهم بـالذبح ... شـاة وغيرهـا فهـاك نصـح

حـرّم ذا أئمـة كالـنووي ... والأكـل منه منعه عنـه روي

وجعلك الأستار فـوق القبـر ... ضـياعة لـلمال دون نكـر

ورمي الأموال لدى القبر بـلا ... تعـيين مالك لهـا من البـلا

ولا عليهم في البناء من حـاج ... وذمّه في مدخـل ابن الـحاج

وكـم بـه من آفة مذكـوره ... فانظـر إذا مـا شئتها مسطوره

وأوصى أبناءه أن لا يبنوا على قبره ، وأن يتحروا السنة في ذلك فقال :

وإنـــي أوصيكم أبنائي لا تجعلوا علي من بنـــاء

فإنني إلى الدعاء أحـــوج وفي الدعاء مغفرة وفرج

نسأله عند المماة حسنى خاتمة و رحمـــــة وأمنا

ولعـــل أبرز تلاميذه نجلاه الشيخ سعد أبيه والشيخ المحفوظ والشيخ سيدي أبات ابن الطالب السيد الطلابي والشيخ سيدي أحمد الحبيب القلاوي والشيخ الحسين بن آدّو الجكني والشيخ محمد السخاوي العلوي والشيخ محمد عبد الله بن آدّه البوصادي والشيخ محمد الأمين بن حمّادي التركزي والشيخ سيدي محمد التاكنيتي والشيخ عبد الله بن داداه الأبيري والشيخ محمد محمود بن حمادي الناصري .

وقد اعتنى به الفرنسيون لما رأوا مكانته في البلاد وعرفوا قدره عند العباد فخطبوا ودّه ، وعملوا على إكرامه واستعطافه ، ونظموا لــه رحلة إلى الديار المقدسة صحبة إمام مســـجد دكـــار وقتئذ وسلطان من النيجر يدعى (جرمكي). فاستضافه في المدينة المنورة الشيخ محمد عبد الله بن آدّو الجكني والشيخ محمد المجتبى بن خطري البوصادي ، واجتمع بـــه العـــلماء والتمسوا دعواته الصالحة . وتذاكروا معه في العلم فأعجبوا بمعارفه وسرعة بديهـــته ، وأشـــادوا بأخلاقه وفصاحته ، وتعلقوا به و لم يصبروا على فراقه . وتوقف في رجوعـــه في مديـــنة دكار عاصمة السنغال فانهارت صحته فجأة وتوفي فجر يوم السبت 17محرم سنة 1365هـــ وقد عاش ستين سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً ، ودُفن في مقبرة داكار الرئيسية على ساحل المحيط الأطلسي رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

1-إدخـــال السرور وانشراح الصدور .2-إزالة الرين عن معنى البيتين .3-دقائق الحقائق وحقائق الدقائق . 4-مشارب الأرواح بكاسات الراح .5-تنبيه المريدين على ما نحـــن علـــيه من الدين . 6-الكنوز الخفية في التوقف في العلوم الكشفية .7-خصائص الشـــيوخ .8-إرشـــاد الخلـــف على معتقد السلف .9-رسالة في المعية .10-رسالة في الاحـــتفال بـــالمولد النبوي الشريف .11- رسالة في الجمعة .12-رسالة في التخلص . 13-كف العذل واللوم عن مسائل القوم .14-ديوان جامع للحكم والمواعظ والدعوات

والمدائـــح النـــبوية وغيرهـــا .15-حكـــم الهجرة عن البلاد المحتلة . 16-ذم البدع . 17-نسب آل احّيه المختار .18-تلبية المريدين وغيرها [1].

-37-

حامد بن أحمدُ بن آلاّ الحسني[2]

وُلد في منطقة بو تلميت ببلاد شنقيط سنة 1337هـــ ، ونشأ مع والديه فأحسنا تربيته وتوجيهه . وقرأ القرآن الكريم على حبيب الله بن يكبر وأجازه برواية نافع . ثم أخذ عن أحمد سالم بن آغْيَوْيِيتْ ديوان الشعراء الستة ، ومثلث ابن مالك في اللغة . وتلقى عن الشيخ محمد حامد بن آلاّ ديوان غيلان ولامية الأفعال ، وألفية ابن مالك ، وعمود النسب للـــبدوي . وقرأ مختصر الشيخ خليل وإضاءة الدجنة على الشيخ احمد بن محمذ فال . ثم تفرغ للتعليم في تِنْجَقْمَاجِكْ وبو الغربان ، ونواكشوط على التوالي . وقد انتقل أخيراً إلى الحجاز وجاور بالحرمين الشريفين . عُرف بدماثة خلقه ، وطيب معشره ، فكان لا يواجه أحداً بما يكره . مشتغلاً بنفسه ، معرضاً عن ما لا يعنيه ، كثير الصمت .

وتـــوفي بمكـــة المكرمة يوم 08رمضان 1416هــ عن عمر يناهز تسعة وسبعين سنة ، ودفن في مقبرة المعلاه رحمه الله تعالى [3].

-38-

الحسن بن آغبد الزيدي الداودي

العلامـــة الألمعي ، الإمام اللوذعي المشهور ولد سنة 1065 هـــ . نشأ محباً للعلم مجـــتهداً في تحصيله ، فأخذ عن أئمة عصره كالفقيه أحمد الولي . وانتهت إليه رئاسة الفقه

---

[1] ديوان الشيخ التراد (مخطوط) ، ومحمد الملقب (بدن) بن احمدناه : ترجمة الشيخ التراد نواكشوط 1984م ، ومعلومات حصلت عليها في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد عبد الله بن آدُّ في المدينة المنورة يوم الجمعة 1417/08/10هـ .

[2] نسبة إلى قبيلة إدابلحسن .

[3] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ إسحاق بن حامد في جدة في شهر شوال سنة 1422هـ .

في البلاد غير مدافع ولا منازع . قائماً بتدريس ، مرجعاً في الفتوى ، كان قدوة في الدين ، أماماً في الحديث مشاركاً في بقية الفنون .

رحل إلى المشرق برسم الحج فلقى أعلاماً منهم الخرشي شارح خليل ، فاستدرك عليه أربعين مسألةً في شرحه ردها عليه . وقد برز من تلاميذه الشريفان محمد وأحمد ابنا فاضل الشريف ، والفقيه محمد بن باب والطالب أحمد بن محمد بن الطالب صديق الجماني وغيرهم من الفضلاء . جمع خزانة ضخمة غنية بالمخطوطات ، يسر تداولها والانتفاع بها . وتوفي ليلة الأحد 12 رمضان سنة 1123 هـ .

- تآليفه :

1-تحفة الصبيان في التوحيد .2-نظم أم البراهين . 3-روضة الأزهار (وهو نظم لنخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر) . 4- قرة الأبصار في شرح روضة الأزهار .5-نظم المشتبه من رجال الصحيحين. 6-الرد على الإمام الخرشي في أربعين مسألةً. 7-مجموعة فتاوى في مواضيع شتى[1].

-39-

حسن محمد محمود آل عبد الحميد العلوي

ولد في المدينة المنورة سنة 1331هـ وتوفي والده وهو ابن خمس سنين . وقد نشأ أبياً طموحاً وانتظم في المدارس حتى حصل على شهادة السنة الرابعة الابتدائية ، وهي أعلى شهادة متوفرة في ذلك الوقت ، فتكونت لديه ثقافة واسعة . وعين مرشدا دينياً وواعظاً في القرى والبوادي التابعة للمدينة المنورة ، ثم انتقل إلى الرياض وعُين أستاذاً في المدرسة العزيزية إبان تأسيسها ، وقام بفتح أول مكتبة تجارية في مدينة الرياض حوالي سنة 1368هـ عُرفت بمكتبة الشقنيطي للطبع والنشر ، ساهمت في تعزيز وإثراء النهضة الأدبية التي عرفتها منطقة نجد في السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري . ومن ثم توظف في أمانة مدينة الرياض ، وتدرج في مناصبها حتى أصبح مديراً لبلديتها .

---

[1] البرتلي : المرجع السابق ، ص/47 ، 87 ، 88 . والنحوي : المرجع السابق ، ص/274 .

ولما أنشأت الأمانة أول مكتبة عامة في حي الملز بأمر من الملك سعود بن عبد العزيز سنة 1378هـ /1958م عُين أول مدير لها إلى أن سُلمتْ لوزارة المعارف ، فتحول إلى نفس الوزارة وعمل في قسم الإحصاء والبحوث إلى أن استقال منها سنة 1384هـ تقريباً وتفرغ للأعمال الحرة في المدينة المنورة .

وقد أصيب بوعكة صحية في أواخر حياته انتقل على إثرها إلى المنطقة الشرقية حيث يقطن نجله الأستاذ سهيل الذي بقي إلى جواره حتى وفاته يوم 13 رمضان سنة 1412هـ ، ودفن في مقابر مدينة الدمام رحمه الله تعالى .

وقد ترك ذرية في السعودية منهم جامعيون وأطباء ، وأما الأستاذ سهيل فيعمل حالياً مديراً إداريا لمعاهد ومراكز ومدارس الحصان الأهلية في الدمام ، وهو قريب من جماعته ، وله صلة دائمة بموريتانيا لرعاية تراث آبائه وأجداده .

- **تآليفه :**

1-رؤوس القوارير . 2-أثر النهضة التعليمية في قلب الجزيرة العربية . 3- النهضة الأدبية في نجد. 4-دعاء ختم القرآن الكريم[1].

-40-

الحسن المسوفي

هاجر إلى الحجاز واستقر بالمدينة المنورة حتى مات ودُفن بالبقيع . وكان جواره لها في عشر الستين وتسعمائة للهجرة . وكان معتبراً ذا نعمة محبا في الصالحين والعلماء ، واقتنى شيئاً من كتب العلم[2] .

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ سهيل حسن عبد الحميد في الدمام ليلة 1422/03/09هـ.

[2] حماه الله بن السالم : بلاد شنقيط والمشرق العربي خلال القرن الثاني عشر (رسالة مرقونة)، ص/69 .

-41-

خناثة بنت الأمير بكار المغفرية

أميرة شنقيطية مذكورة بالخير والفضل ، تزوجها السلطان المغربي مولاي إسماعيل ابن محمد العلوي إبان زيارته للصحراء سنة 1089هـ تقريباً ، ونالت عنده حظوة عظيمةً فكان يستشيرها ويركن إلى رأيها . وهي أديبة مشاركة كانت تحاور العلماء ، ولها نصيب وافر من الفقه والسيرة . وقد كافحت لعقد الولاية لابنها عبد الله بعد وفاة زوجها سنة 1139هـ فآذاها أخواه لأبيه أبو الحسن والمستضيء وضايقاها في مالها فتحملتهما بحكمة وعاملتهما بحلم وأناة حتى تمت البيعة لولدها وتحقق لها مرادها . وفي سنة 1142 هـ توجهت إلى الحجاز في موكب حافل[1] ، فأدت مناسك الحج واختصها شريف مكة بفتح الكعبة المشرفة لها بالليل ، وشملت الناس بخيراتها ، وأغدقت على العلماء والفضلاء . وآثـرت أشراف ينبع النخيل بالهدايا السنية الفاخرة ، والمبالغ الذهبية الباهظة ، واشترت عقـاراً بمكـة المكرمة بقيمة ألف مثقال ذهب مطبوعة ووقفته على جماعة من المقرئين والطلـبة ، وحبست آخر في القدس الشريف بفلسطين . وقيل إنها أنفقت في حجها مائة ألـف ديـنار . وكانت تستقبل بالتجلة والتقدير في كل بلد تحل به ، وحياها إمام الحرم المكي المؤرخ الشيخ محمد بن علي الطبري بالقصيدة التالية :

غـنى على عود السعـود هزاري ... وشـدى عـلي بالأوتـار

والأنـس طاب لنا بأوقات الهنـا ... بسـلامة الحجـاج والـزوار

لاسيمـا بسـلامة السِّت التي ... حظيت ببيت الله والأستـار

فلها المنى بوصال من قد جاورت ... والأكرمون يرون حق الـجار

ماجـت بها أرجاء مـكة رغبة ... ومحـبة مـن سـائر الأدوار

وهـي الحقيقة بالجلالة في الورى ... وجلالـة الأضياف ليس بـعار

والله قـد ألقـى علـيها دائمـاً ... حسـن القبول كشيمة الأخيار

وهـي الحلـيمة والكريمة مـالها ... في الجود ثان مثل غيث جـار

---

[1] وقد دون رحلتها الأستاذ عبد القادر الجيلاني المعروف بالإسحاقي بعد رجوعه من الحج سنة 1180هـ ولا زالت مخطوطة في خزانة القرويين حتى الآن .

ولها كمال وافي مع عفة ولها حياء فاق في المقدار

فالله يحملها بحسن رعاية منه إلى مكناس بالأوطار

ويحفها بسعادة وسيادة من كل سوء ماضي أو طار

وعلى النبي وآله وصحابه صلى وسلم ذو الجلال الباري

ما غرّدت ورِقُ الرياض بدوحها وترنمت في سائر الأسحار

وتوفيت بفاس الجديدة سنة 1155هـ /1742م رحمها الله تعالى .

- **تآليفها :**

-تقييد على الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر[1].

-42-

الطالب أحمد المصطفى ولد اطوير الجنة الحاجي

عرف بنفسه فقال :

أبي من مخزوم إن كنت سائلي وأمي من هاشم خير القبائل

وُلد حوالي سنة 1145هـ في آدرار ببلاد شنقيط ، ونشأ في وادان مع أسرته . حفظ القرآن الكريم على أبيه وجده من أمه سيدي الهادي ، ثم تتلمذ على علماء وادان مثل السالك بن الإمام وأخوه أحمد سالم وناجم بن محمد المصطفى فأخذ عنهم أربعين متناً قبل أن ينضم إلى محضرة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي حيث لازمه اثنتين وعشرين سنة تلقى عنه خلالها علوم الشريعة واللغة والآداب وعلم السلوك والتربية.

وفي يوم الخميس 07جمادى الأولى من سنة 1245هـ خرج من مدينة تيشيت برسم الحج ، واتصل بسلطان المغرب مولاي عبد الرحمن فسُرّ به ، وأجلّه ، وأمر بإركابه مع تلاميذته في سفينة الإسكندرية . وكان ذلك إبان احتلال فرنسا للجزائر في أوائل سنة 1246هـ . ثم مرّ بالقاهرة وحمله قائدها إلى جُدة فابتدأ بالمدينة المنورة وزار مآثرها الإسلامية ، وذكر في جملة مَنْ لقي فيها مفتي الحنفية الشيخ عبد الرحمن الأنصاري ، وقال : (لعمري ما رأيت أحسن سيرة وخُلقاً وأقنع وأكثر معروفاً من أهل المدينة المنورة)

[1] الزركلي : الأعلام 324/2 ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/290 ، ومجلة المنهل السعودية العدد(499) ، ص/211-212 .

ثم توجه إلى مكة المكرمة وأدّى فريضة الحج ورجع راشداً . فدخل الإسكندرية واستضافه السيد أحمد العربي ، وزاره علماؤها وكان من بينهم شيخ كبير أتاه مستنداً يدعى سيدي خليل الحنفي ، وقدّم إليه نزيله هدايا سنية وجمالاً . ثم ارتحل براً إلى ليبيا وحطّ رحاله في طرابلس الغرب فتلقاه سلطانها يوسف باشا بالبشر والتقدير ، وأنزله في ضيافته الخاصة ، وتردد عليه علماؤها وقاضيها التغازي الحنفي . وطلبوا منه الرد على بعض المعتزلة فحرر لهم رسالته (فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان)، ونسخوا منها عدة نسخ لتعميمها على الحواضر والجهات المعنية . ثم استأذن الحاج أحمد المقلوب الطرابلسي السلطان أن يسمح له بحمل الشيخ الشنقيطي في سفينته إلى حيث يريد فأذن له وزود الشيخ بأنواع الزاد المختلفة وأمر له بصلة عظيمة ، وودعه بمثل ما استقبله به من حفاوة واحترام . ولما رست السفينة في صفاقس بتونس قال صاحبها المذكور :(أشهد من حضر من المسلمين أني أعطيت هذه السفينة للطالب أحمد المصطفى بن اطوير الجنة الواداني إن شاء باعها وأخذ ثمنها ، وإن شاء تركها باقية على ملكه) ، فقال الشنقيطي : (أشهد من حضر من المسلمين أني قبلتها منه لكن رددتها يستغلها هو وأولاده خلفاً عن سلف ما بقيت الدنيا) ، فقال الطرابلسي : (هذه سفينتك بيدي ، فكل من جاء من ناحيتكم من الوادانيين أو من أهل إقليمكم كلهم يركبونها بلا كراء ، وبلا منٍّ ، وبلا أقلّ عطاء ، وهكذا خلفاً عن سلف قرناً بعد قرن إلى آخر الأبد). ثم أنزله باي تونس في دار الضيافة وأكرمه ، وأعزه ، وزاره علماؤها وطلاب العلم فأفادهم واستفاد منهم . وكان من بينهم مفتي الحنفية الشيخ بيرم باشا ، وأهدوه أكثر من مائة كتاب، ومالاً جزيلاً مع الزاد الوفير ثم سافر إلى الجزائر بحراً مع جماعة وطائفة من أهل فاس ومكناس وطنجة والرباط . فلما استوت سفينتهم على ميناء الجزائر استدعاه خفر السواحل الفرنسي واستجوبوه ، ورفع الوالي بذلك تقريراً إلى سلطان فرنسا. فأمرهم بإكرامه وتوفير له كل ما يحتاجه.. ثم هيأوا له سفينة عسكرية ، وملأوها بالمؤونة ، ومنعوها على غيره . فشكا إليه المغاربة من بقائهم في بلاد النصارى فكتب إلى الوالي الفرنسي : (إني لا أرضى أن أركب وأترك إخواني المغاربة هنا ، فإما أن تسمحوا لهم بالسفر معنا وإما أن نكتري سفينة لأنفسنا) . فأجابه بالقبول ، واصطحبهم معه إلى طنجة . ومرّ في طريقه بجبل طارق واستقبله كبير الإنجليز

هــناك ، وأطلقت المدفعية عشرين طلقة تحية له واحتفالاً به . وأُعلن أن الأيام الثلاثة التي سيقضيها معهم الشيخ الشنقيطي عطلة لا بيع فيها ، ولا شراء تكريماً له .

ولمــا سمــع مولاي عبد الرحمن بمعاملة الفرنسيين للشيخ ورفقته أعفاهم في ذلك الوقــت مــن الضرائب التي تؤخذ عادة على بضاعتهم التي تمر بالموانئ المغربية في تطوان والعــرائش مكافأة لهم على حسن صنيعهم . ثم أمر باستنساخ رسالة الشنقيطي وتوزيعها على المدن ، وأوصى بقراءتها في جامع القرويين وغيره من الجوامع والمساجد لمحاربة البدعة ومحقهــا .. وعندما أراد الشيخ الشنقيطي الرحيل إلى بلاده تعلق به السلطان وألــحّ عليه في البقاء معه فاعتذر له . وفتح زاوية في مراكش بالاتفاق والتعاون معه لضمان استمرارية التواصل بين أبناء البلدين الشقيقين . ثم ودعه السلطان على مضض ، وأتحفه بمكتبة نفيسة وأعطــاه مالاً كثيراً وأحد عشر حملا من المؤونة . وأهداه إخوانه من المغاربة ما يقارب ثلاثــين رأساً من الإبل حباً وكرامة .ووصل إلى وادان يوم 27 شعبان من سنة 1250 هــ واستأنف تعليمه وإرشاده .

وتوفي سنة 1265هــ عن مائة وعشرين سنة تقريباً ، ودفن في مقابر وادان رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-رحلــة الحــج. 2-فــيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان .3-وفيات الأعيان في التاريخ[1].

-43-

الطالب اعمر بن أحمد بن صنب العلوي

أحد الصالحين الكبار والعباد الأخيار، من أهل الإمام فخذ الشيخ سيدى عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوى . أخذ عن الشيخ بن أحمد بن عثمان التنواجيوي وتزكى به ، ثم حج وأدرك الشيخ السمان في المدينة المنورة فلازمه مدةً وترقى به . ثم أنتقل إلى طرابلس الغرب ، وتوفى بها ، ولم نقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى[2].

---

[1] ابن اطوير الجنة : رحلة المنى والمنة (مخطوط) ، واسلم بن محمد الهادي:موريتانيا عبر العصور ، ص/123 .

[2] ابن اطوير الجنة : نفس المرجع السابق .

-44-

الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي

آل اجيه المختار

قـــال عنه تلميذه الشيخ السيد أحمد بن محمد العباسي السناري المدرس بالحرمين الشـــريفين سابقاً : (جُلتُ في بلاد المشرق يمنها وهندها وعراقها وحرمها ، وما وجدت شـــيخ التربـــية قبل الشيخ ماء العينين. إنما أجد من يعطي الأوراد ، وقد وجدت الأولياء السادات وتبركت منهم ولله الحمد)[1].

وُلـــد في الحوض الشرقي ببلاد شنقيط يوم الثلاثاء 27 شعبان سنة 1246هـــ ، وتربى في حجر والده الذي انتهت إليه رئاسة العلم والمشيخة في زمانه . وقد ظهرت عليه أمـــارات الذكاء والنجابة منذ طفولته ، وأخذ مقرأ الإمام نافع بن أبي رويم بروايتي ورش وقـــالون عن شيخه عبد الباقي بن أحمد بن اعلي مولود المسمومي ، وتخرج بأبيه الشيخ محمـــد فاضل (ت1286هـــ)عالماً متمكناً ، متنوع العلوم والمواهب ، وشيخا مربياً من الطراز الأول والشيء من معدنه لا يستغرب ، فقد تسلسل العلم والصلاح في آبائه الكرام قرونا مديدة ، واشتهروا بذلك في المشرق والمغرب . وصدق فيه قول الشيخ سيدي محمد الكـــنتي : (إني ســـبرت العرب والعجم ، فلم أجد كالشيخ ماء العينين في ثبات الجنان ، وفصاحة اللسان ، واستحضار الجواب). ولما بلغ الشيخ الثامنة والعشرين من عمره وجهه والـــده إلى مـــنطقة آدرار للتربية والإرشاد إلا أنه غلب عليه الاشتياق بالحرمين الشريفين فبادر إلى تأدية الحج ، وخرج يوم الخميس 12 جمادى الأولى 1274هـــ فمر بشنقيط ، ووواد نون والصوْيرة فمراكش حيث ولي العهد مولاي سيدي.محمد فلاقاه وأحسن إليه . ثم قدم على السلطان مولاي عبد الرحمن في مكناس ، واجتمع به يوم 27 رمضان فرحب به وأكرمه ، ثم سأله عن الذي منعه من الركوب من الصويرة ؟ فبين له أنه لم يستطع لقاء نائـــبه بها ، فقال له : رؤية وجهك غنيمة حرمه الله منها . ثم أطرق وقال : أعرض عنك أعـــرض الله عنه ، وكررها مستنكراً . ثم أردف : لا بأس ، أتحب أن تمكث معنا إلى أن

---

[1] الشيخ أحمد الشمس : النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية ، ص/67 .

تُفطر ؟! فقال الشيخ : أحب المكث معكم ، وعدم البُطء عن بيت ربكم ، وزيارة قبر جدكم . فأعجب السلطان جوابه وقال له : لا يكون إلا ما تحب إن شاء الله تعالى .

وفي اليوم التالي ودعه وزوده بكتاب بخطه إلى عامله بطنجة جاء فيه : (ليكن في كريم علمك أن هؤلاء هم الحجاج حقاً ولكبيرهم هذا بركةً فاقتنص منها ما شئت ولمثل هذا فاليعمل العاملون ، ولأجل فضله خدمته بيدي). ثم ركب السفينة من طنجة يوم 04 شوال ووصل إلى الإسكندرية يوم 14 منه ثم اجتاز البحر الأحمر إلى جدة ، وأحرم من ميقات رابغ وأدى عمرته يوم الأحد 22 ذي القعدة . وأقام بمكة المكرمة حتى أهلّ بالحج واجتمع في هذه الفترة بأكابر العلماء والمشايخ من المكيين والآفاقيين ، مثل الشيخ عبد الرحمن أفندي الذي تلقاه بالترحيب والتبجيل ، وسأله عن أبيه الشيخ محمد فاضل وحدثه بأنه كان يعرف مكانته بل أعطاه أوصاف جسمه كأنه عاشره . وطلب منه بعض العلوم فعلمه إياها ثم إن الشيخ عبد الرحمن أتاه بهدايا نفيسة منها اثني عشر ذراعاً من لباس الكعبة الشريفة ، وحلي ثلاث نسوة من الذهب والفضة والجواهر الثمينة . ولما كان يوم الخميس 18 من ذي الحجة ودَّع وخرج إلى المدينة المنورة فدخلها ضحى يوم الأحد 05 محرم 1275هـ وحصلت له بها بشارات جليلة . وقد اهتم بمعرفة أبعاد الحرمين الشريفين ، وقدّر ذلك كله وقاسه بالذراع والقدم لعلو همته وتعظيمه لشعائر الله سبحانه ، وقيد تفاصيل ذلك في رحلته المشهورة . ثم عجل بالأوبة بعد حصول المراد ، وغادر المدينة المنورة يوم 08 محرم إلى مصر فأصابه الجدري بالإسكندرية، ومكث فيها خمسة أشهر ونيفا حتى تحسنت صحته فغادرها إلى المغرب يوم 18 شعبان 1275هـ ، والتقى بالسلطان مولاي عبد الرحمن وخليفته مولاي سيدي محمد ثانية واستبشرا بعودته ، وأحسنا وفادته . ثم استأنف سفره قاصداً بلاد شنقيط يوم الاثنين 08 ذي القعدة سنة 1275هـ ، ومر في طريقه بالقبائل الصحراوية فرحبوا به وأكرموه ، وطلبوا منه الإقامة بين ظهرانيهم ، فشكر لهم سعيهم ثم دخل آدرار واستضافه ابن عمه الشيخ محمد فاضل ابن محمد بن اعبيدي ، والتقى برؤساء أبناء يحيى بن عثمان ، وطلب منه الأمير أحمد ابن عيدة البقاء في منطقة الساحل لحاجة الناس إليه . وخلال تردده على إخوانه من المحبين والتلاميذ في شمال البلاد وجنوب المغرب استضافه الشيخ محمد المختار بن بلعمش الجكني

في تيندوف والشيخ سيدي محمد الكنتي في بئر أم قرين ، وتذاكر معهم في العلم وقدموه للصلاة تقديراً منهم لمكانته العلمية والدينية كما هي سنة العلماء مع ضيوفهم من العلماء . وهكذا بقي متنقلاً في تلك الربوع يعلم ويربي ويصلح ذات البين ، ويحمي القوافل ، ويحفر الآبار فتعلقت به القبائل ، وكثر أتباعه وعلا نجمه ، وأجرى الله على يديه خيراً كثيراً للبلاد والعباد . ولعل أبرز تلاميذه الشيخ أحمد بن الشمس الحاجي والشيخ عبد الرحمن أفندي الحجازي والشيخ محمد العاقب والشيخ محمد حبيب الله ابنا ما يأبى الجكنيان .

ولما آل الحكم في المغرب إلى السلطان مولاي الحسن استدعاه من تيرس في بلاد شنقيط لتكريمه سنة 1304هـ فالتقى به في مراكش ، وقال له الشيخ ماء العينين : إني أتيت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني ابنا وزرت أباك مولاي سيدي محمد فجعلني أخاً . فقال السلطان : أما أنا فقد جعلتك أبا ، ووصله وأمر بتنفيذ مطالبه . وعندما انتصر تلاميذ الشيخ على الإسبان الغزاة في معركتين حاسمتين في الداخلة والطرفاية عهد إليه السلطان بالنيابة عنه في تلك الثغور فقام بتأسيس زاويته في اكريزيم في الساقية الحمراء أولاً ثم تحول عنها إلى السمارة فيما بعد . وقد ازدادت علاقة الشيخ بالعرش العلوي متانة وازدهارها أيام السلطان مولاي عبد العزيز حيث وجه إليه دعوة رسمية لزيارته في مراكش ، واستقبله فيها مع وزيره أحمد بن موسى والأشراف والعلماء والوزراء والأعيان والعساكر وعامة الشعب وكان يوماً حافلاً فأخذ عنه ، وشفّعه في الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني والفقيه السباعي . وأهداه زاوية بمراكش مع أوقافها ، ونفذ له تنافيذ بلغت جملتها مليون درهم . كما وفد الشيخ على السلطان مولاي عبد الحفيظ سنة 1325هـ بعد تربعه على العرش فسُر به وأقرَّ له ما كان، ونفذ له تنافيذ أخرى .

ولما بدأت طلائع الاستعمار تنتشر في البلاد في هذا العام اجتمع العلماء والأمراء والأعيان وقرروا توحيد صفوفهم تحت قيادة واحدة يصدرون عنها ولا يقطعون أمراً دونها . فتوجهوا إلى الشيخ ماء العينين في السمارة وبايعوه على الجهاد في سبيل الله تعالى ، وتعهد لهم السلطان مولاي عبد الحفيظ بالدعم والمؤازرة ، وزودهم بما أرادوا حينئذ . فأعطاهم ذلك دفعاً قوياً ، وتحركت الكتائب في أرجاء البلاد ، وانتشرت السرايا في

الأودية والسهول ، وسُجلتْ انتصارات خالدة لا تزال الأجيال تستنير بها ، وتسترشد بدروسها حتى اليوم كغزوتي دامان وبو درس .

وكان السلاطين العلويون من آل مولاي إسماعيل الذين عاصروه يتعاهدونه بإرسال المؤونة على مدار السنة ، ويأتيه معظمها من الطرفاية واكليميم ومن الحنيكات بالمغرب ومن آدرار بشنقيط ومن اندرْ بالسنغال على حد قول الأديب أحمد بن الأمين الشنقيطي. وذكر في وسيطه أنه تحير عندما زار الشيخ ماء العينين في طريقه إلى الحج حيث قدر من معه في واد السمارة بعشرة آلاف نسمة ما بين أرملة ومزمن وصحيح البنية وكل أصناف الناس . وهو ينفق عليهم جميعاً ، يزوج رجالهم ويجهز نسائهم مع حسن المعاشرة ، لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه . هذا فضلاً عن تعليمه وتربيته لهم ، وتأليفه للكتب وقيادته للجهاد ضد الكفر والاستعمار .

وكان لزاويته دويٌّ بالذكر يسمع من بعيد حتى يظن السامع أن الأشجار والنبات والحيوان يذكرون معهم ، وكثيراً ما يسترشد الناس به في الليالي الظلماء كما يستدلون بالنجوم في صفحة السماء .ومن حكمته أنه لما رأى تنافر أتباع الطرق وتفاخر بعضهم على بعض حاول جاهدا أن يمزج بينها ويؤاخي بين أصحابها ، فكان يلقن الأذكار كلها ولا يقتصر على ورد دون ورد .

ولما أفشل المجاهدون الشناقطة محاولات فرنسا في ربط مستعمراتها جنوب الصحراء بمراكزها شمال الصحراء جندت حملة عسكرية بقيادة الكولونيل (مورييه) لاحتلال قاعدة المجاهدين في السمارة، فتصدت لها المقاومة في افديرك بقيادة الشيخ الولي بن الشيخ ماء العينين فجرت بينهما معارك ضارية تمكن الغزاة أثناءها من فتح الطريق إلى السمارة . وخلال تلك الأيام قدم على الشيخ ماء العينين ابنه الشيخ أحمد الهيبة من قِبل السلطان عبد الحفيظ وأبلغه حرصه على تغيير موقعه فامتثل، وانحاز بمن معه إلى تيزنيت في ربيع الأول سنة 1328هـ واتخذها قاعدة جديدة ، ورابط بها إلى أن توفي حين قيامه للتهجد ليلة الثلاثاء 21 شوال سنة 1328هـ الموافق 11 أكتوبر 1909م رحمه الله تعالى. وبايع الناس بعده نجله الشيخ أحمد الهيبة الملقب بالسلطان الأخضر بإشارة منه إذْ لم يكن أسنّ إخوته. واستمر الجهاد المسلح بعده أكثر من عقدين ونصف من الزمن حتى قضى الله أمرًا

كان مفعولاً ، وقد جمع نجله الشيخ النعمة مدائح بعض تلاميذه لــه في مجلدين . ويوجد عقــبه الــيوم في المملكــة المغربــية ولهم فيها مكانة واعتبار خاص لدى الأسرة المالكة والشعب .

* **تآليفه** : بلغت أربعمائة كتاب في شتى العلوم ، نذكر منها :

1-دليل الرفاق على شمس الاتفاق في الفقه على المذاهب الأربعة .2-منظومة في مخارج الحروف وصفاهما في التجويد .3-منظومة في السيرة النبوية . 4-منظومة في الطب 5-تبــيين أنــواع المطالع في الفلك .6-نظم في معرفة دخول شهور العرب في الفلك . 7-ياقوتــة البلدان وشرحها في البيان. 8-نظم الوافق وشرحه في الأصول .9-منتخب التصوف وشرحه .10-نعت البدايات وتوصيف النهايات في التصوف [1].

-45-

محمد بن آبو الحسني[2]

أحــد العلماء الفضلاء ، والمربين النبلاء ، ولد سنة 1302هــ ببلاد شنقيط ، وترعــرع في حضن والده ، فحفظ القرآن الكريم صغيراً ثم تدرج في قراءة المتون المحضرية المعهــودة . وعــندما بلغ التاسع عشرة من العمر إنتظم في محضرة الكحلاء والصفراء في أرض الــبراكنة ، ثم رحل إلى الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل في منطقة الساقية الحمراء ، فأقام بزاويته أربع سنين دارساً وباحثاً ، وناسخاً للكتب . ولما توفي الشيخ جلس مــع أبنائه سبع سنين ، يعلم الفقه واللغة إلى أن خرج حاجاً مع الشيخ الحسن فأوقفتهما الســلطات الفرنسية في المغرب ، وضربت عليهما إقامة جبرية إنتهت بوفاة صاحبه . فما كــان مــنه إلا أن بعــث إلى الشــيخ ســعد أبــيه بن الشيخ محمد فاضل مستصرخاً مستنصراً ..وكان ذا وجاهة ومكانة عند المستعمر ، فهرع إلى تخليصه ، وأرسل إليه سفينةً حملته من المغرب إلى السنغال ، ومنها دخل إلى أرض شنقيط ..وقام بجولة في أرجاء البلاد

---

(1) للتوسع في ترجمة الشيخ ماء العينين راجع المختار السوسي : المرجع السابق ، ص/96-99 ، والشيخ بو نه ابن الشيخ [illegible] : [illegible] في معرفة تاريخ شيخنا الشيخ ماء العينين تحقيق عبد الله بن ميارة (رسالة مرقونة) ، والشيخ ماء العينين : نعت البدايات وتوصيف النهايات ، ص/199.

(2) الحسني نسبة إلى قبيلة [illegible]

لقـــى فيها الأكابر كالشيخ سيدي باب الأبيري ،والشيخ أحمد أبي المعالى التاقاطى، وبقى علـــى صلته بـــآل الشيخ ماء العينين . وفي سنة 1375 هـــ عاد إلى المغرب بنية الحج وأجتمع بزعيم حزب الاستقلال المغربي علال الفاسي فقويت الألفة بينهما ، وأعانه في أمر الحج . فامتدحه بقصيدة نجتزئ منها قوله :

هـــذا زعـيم الغرب علال الهدى … نمالـــــه فياضـــــه المفضـــال

ونقـــــيه ووفـــــيه وحفـــــيه … ونقيـــــبه ونمـــــيره السلســـال

ولاج كتيـــــبة خـــــراجها … خريـــــت بريـــــتها الجـــوال

قـــدام كـــل كتيبـــة جأواء في … وهـــج الـــوغى ولمثلهـــا فلال

فاشرب هنيئاً راح عـــزك ضاحيـــاً … وانـــهـــل وعل من العلى عـــلال

قد كنت خادم عز دين محـــمـــد … فلك الفخـــار بـــذاك والإجـــلال

وعين بعد رجوعه من المشرق أستاذاً بجامعة يوسف بن تاشفين في المغرب ، ولبث فـــيها سنين إلى أن استقلت بلاده .. فعينه الرئيـــس المختـــار بـــن داداه أستاذاً في معهد بوتلميـــت ، فقضى فيه عشر سنوات من العطاء المتواصل ، فتربت به الناشئة ، وأزدهرت بوجوده الساحة الثقافية .

وتوفي سنة 1402هـــ /1982م رحمه الله تعالى.

- **تآليفه :**

1-ديوان شعر . 2-مجموعة الدروس المفيدة والفتاوى . 3-الرحلتان[1] .

---

[1] إبراهيم بن أحمد : جمع وتحقيق ديوان محمد بن آبو (رسالة مرقونة) ، ومحمد بن آبو: رحلة من السنغال إلى مالي ورحلة من الزمور إلى آدرار (مخطوطتان) .

-46-

محمد الملقب بـ (الداه) بن أحمد التنكودي

قال عنه الدكتور بدوي عبد الصمد الطاهر الباحث بدار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي في الإمارات العربية المتحدة: (الشيخ محمد بن أحمد الداه الشنقيطي .. عرفه الناس بالعلم الغزير والزهد والعزوف عن التوسع في الخلطة)[1] .

وُلد في منطقة أمرج بالحوض الشرقي في بلاد شنقيط وتوفي والده وهو صغير فسهرت أمه على تربيته ، فنشأ مؤدبا محبا للعلم وأهله ، وحفظ القرآن الكريم وجوده على الفقيه محمد عبد الله بن فضيلي القلاوي وأجازه وسمع منه الفقه والنحو ، ثم أكمل تحصيله في محاضر ولاته وتنبدغة حتى حاز قصب السبقِ في الشريعة واللغة .

وفي سنة 1944م هاجر عن حكم النصارى إلى الحرمين الشريفين فمرّ بالسودان وعقد دروساً في مدينة الفاشر ، ثم أدى فريضة الحج ورجع إلى السودان حيث أسندت إليه الإمامة والخطابة في أحد مساجد الأُبيض وعكف فيه على التعليم والتأليف والدعوة إلى الله تعالى نحو أربعين سنة . فكان يدرس ما بين صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، ويخصص الفترة الصباحية لقراءة القرآن الكريم والمطالعة والتأليف ، والقيام بحاجاته الخاصة . وقد أتى في دروسه على كتب كثيرة في فنون عديدة منها تآليفه الآتي ذكرها وأخرى في تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف والموطأ ومختصر خليل في الفقه وألفية ابن مالك في النحو .وبرز من تلاميذه القاضي محمد الأمين القُرشي . وقد توطد علاقته بطائفة الختمية ، وساهم معها في نشر الإسلام في جبال النوبة سنة 1372هـ /1952م وكان يستقبل حجاج الشناقطة ويأويهم في بيته ويكرمهم ، واشتهر بصدق اللهجة والزهد في الدنيا وكثرة الإنفاق . ولم يخلف مالاً ولا عقاراً ، ولم يستفد من عائدات تآليفه رغم نفاستها بل تنازل عن حقوق نشرها لمطبعتين في مصر ولبنان .

وقد تزوج من سيدة سودانية من أصل تركي من بيت آل مراد وهي أم أبنائه ، وكان يوصي أهله بتقوى الله تعالى ، ويأمرهم بتلاوة القرآن الكريم ، وبالأخلاق الفاضلة والزهد في الدنيا .

---

[1] الدكتور بدوي عبد الصمد طاهر صالح : الإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف ، ص/89-90 .

وقـد كرمـته الحكومة السودانية بعد وفاته سنة 1999م في حفل خاص ضمن العـلماء الذيـن أسهموا في نشر العلم والثقافة في منطقة الأُبيضْ وأعطت الولاية شهادة تقديريةً لأبنائه بهذه المناسبة.

وتـوفي عـن ثلاث وستين سنة ليلة الخميس بعد العشاء الآخرة بتاريخ 09 محرم 1404هـ الموافق 16 أكتوبر 1983م ، ودفن في مقبرة الأبيض الرئيسية المعروفة بمقبرة الشيخ دليل رحمهما الله تعالى .

وقد ترك مكتبة كبيرة تضم أمهات الكتب الإسلامية والعربية وهي بحوزة أبنائه في مدينة الأُبيض في السودان.

- تآليفه :

1-الفـتح الـرباني في شـرح رسـالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي . 2-فتح الرحيم في الفقه وأدلته .3،4-فيض الغفـار وشرحـه فتـح الإله في أحاديث الأحكـام.5-فـتح الوهاب شرح بلوغ المرام (جزءان).6-فتح الإله وهو مختصر لسنن البيهقي في خمسة مجلدات.7-الآيات المحكمات[1] .

-47-

محمد الملقب بـ (المجيدري) بن حبيب الله اليعقوبي

وصـفه صاحب الوسيط بقوله : هو العالم الوحيد الذي ماله من نديد . ولد في بلاد شنقيط سنة 1165هـ ، وتوفي والداه وهو صغير فكفله خاله محمد آبَّ بن المختار فأحسـن تربيته وتأديبه ولقنه القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة ثم لازم العلامة المختار ابن بونا الجكني وتخرج به في سائر العلوم المتداولة ، وفاق فيها حتى قيل إنه أحد أربعة لم يعاصرهم مثلهم في العلم من الشناقطة وهم : ابن رازكة ، ومحمد سعيد اليدالي ، وسيدي عـبد الله بـن الحـاج إبراهـيم . وقـد انتسب إلى زاوية الفغ الخطاط وأخذ عن ابنه أحمـد محمود ، ودخل المغرب ونال حُظوة عند سلطانه مولاي سيدي محمد بن مولاي

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد الحسن بن محمد أحمد في الرياض ليلة الإثنين بتاريخ 2001/06/04م ، ومقابلة أخرى مع الأستاذ محمد بن محمد البشير في مكة المكرمة ليلة 10/07/ 2001م.

عبد الله ، وارتبط بالشيخ عبد الوهاب التازي وصفا الود بينهما[1] ، ثم هبط بأرض مصر وأكـرمه أميرهـا وقويت علاقته بالشيخ مرتضى الزبيدي وقد استعان به في تنقيح بعض المسـائل اللغويـة في معجمـه تاج العروس ، ثم انتقل إلى الحجاز وأدى مناسكه ، والتقى بالعلماء والفضلاء من آل جمل الليل وغيرهم فعرفوا علمه ومكانته . وكان المحدث الكبير صـالح الفـلاني المـدرس بالمسجد النبوي يقول : (ورد علينا من المغرب حافظان محمد المحـيدري اليعقوبي ، والسباعي الجيلالي بن المختار ، أحدهما يبقي ما في حفظه ستة أشهر والآخر يبقي ما في حفظه عاماً)[2] .

ثم رجع بخير كثير ، وعكف على التدريس والتأليف والدعوة إلى الكتاب والسنة .

وممـن تتـلمذ علـيه الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي جدُّ أمراء الأدارسة في منطقة عسير بالجزيـرة العربية، والمأمون بن محمد اليعقوبي ، ومولود بن أحمد الجواد اليعقوبي . وخرج عـلى قـول الأشـاعرة في المتشابه رافضاً للتأويل ، ونابذا لعلم الكلام ، وتمسك بظاهر النصوص الشرعية في ذلك مما جعله يصطدم ببعض العلماء وبخاصة شيخه المختار بن بونا وجرت بينهما مناظرات ساخنة ساهمت في إثراء الساحة العلمية إلا أنها زادت تعصب كل فريق لنـزعته .وقد ورد ذكر طائفة من العلماء الذين تصدوا لـه في كتابي فتح الشكور للبرتلي ، والوسيط لابن الأمين فلينظر هناك .

ومن شعره :

آي الكـتاب وأخـبار الـنبي ومـا … جاء الثقاة به عن صالح السلف نهج
ما اعتاض عنها سوى أعمى البصيرة عن … الحنيفـية البيضـاء ذو جـنف
ريـن على القلب يكسوه السواد كمـا … يكسو المداد سوادا أبيض الصحف
فالمصـطفى حثـنا عـند اخـتلافهم … على التمسك بالقرآن ذي الشرف
وبـالذي سـنّ أو سـنتْ صـحابته … طرّاً وحذرنا من بدعة الخلـف
مـرجمات ظـنون غـير مجديـة … شيئاً عن الحق بل تفضي إلى التلف
فالحـق إيـاك أن تعـدل سـواه بـه … لا يعـدل اللؤلؤة المكنون بالخزف

---

[1] أمين الريحاني : ملوك العرب ، ص/294 ، والنحوي : المرجع السابق ص /124 .

[2] الشيخ عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس ، ص/298 نقلاً عن هامش الإتحاف .

وتـــوفي بموضـــع يقال لـــه (بئر أيكن) سنة 1204هـــ ، وقبره معروف بمدينة أكجوجت رحمه الله تعالى.

- **تآليفه :**

1-مبين الصراط المستقيم في أصول الفقه .2-السراج الوهاج في تبين المنهاج في العقـــيدة . 3-رســـالة الأسئلة في العقيدة .4-الجواهر المكنونة في الفرائض .5-الجواهر المنظومة في ذكر ما حذف من المرسوم في رسم القرآن الكريم .6-رسالة في علوم القرآن الكريم .7-نظم في اللغة العربية [1].

-48-

محمد بن سيدي محمد العلوي

قـــال عنه صاحب الوسيط : (بلغ صيته في قطره مبلغاً لم يبلغه أحد ممن عاصره ، فإذا قيل ابن محمد خضعت له رقاب الأدباء وفطاحل البلغاء).

وُلـــد في مـــنطقة الترارزة من بلاد شنقيط ، وبها تعلم ونبغ في العربية والفقه منذ عنفوانه ، وغلب عليه القريض حتى غطّى على علومه . وكان في بداياته يعرض شعره على العلامـــة باب بن أحمد بيب العلوي فيأمره بستره إلى أن أنشده قصيدته التي رثى بها محمد الدَّنْبَجَ التندغي فتحرك استحساناً لها ، وهي التي يقول فيها معزياً لقومه ، وكانوا يلقبون بمحلة أربعين جواداً لكرمهم:

يا أربعـــين جـــوادا إن حسبكـــم ... لطف المهيمن فلترضوا بما فعلا

ولتذكروا الرزء لا ضاعت أجوركم ... بخاتم الرسل تنسوا خاتم الفضلا

وبعدئـــذ أظهر شعره للناس فسار به الركبان ، وسلّم به الأكابر كالشيخ سيدي الأبيري واللغوي المفوه محمد بن الطلبه اليعقوبي .

ولما تاقت نفسه للحج أنشأ قائلاً :

تجلـــد جهـــد نفســـك للفراق ... وكفكـــف غرب سافحة المآق

---

[1] راجع عن المجيدري وآثاره العلمية المصادر والمراجع التالية :المختار بن حامد : حياة موريتانيا(مخطوط) ، ومحمد يوسف مقلد : شعراء موريتانيا ، ص/465، 466 ، وأحمد بن الأمين :الوسيط ، ص/214 ، 215 ، ومحمد الأمجد بن محمد الأمين السالم : كمال الدين محمد المجيدري اليعقوبي حياته وآثاره (رسالة مرقونة) نواكشوط 1990م .

وجـرد مـن عزيمك ما يـوازي ... مُـسْـتَرّاتُ المهـندة الـرقاق
ونكـب عـن مقال أخي الهوينـا ... وعنها فهي خاسرة الصفـاق
وعـن بـاكٍ وباكـيةٍ أراقـا ... دموع ليس واكفها بـراق
إلى البيـت العتيق بنصّ إحـدى ... عتاق الكوم أو أحـد العتاق
بـنصٍّ شِـملّة تعـدو بعـالي ... قراها عدو منفـرد لهـاق[1]
أجادت خلـف غاربها بنـاء ... يـدا صفـو المراتـع والمساق
تُبـاري الريـح جافلـة وتطـوي ... عريضات الفلا طيّ البطـاق
لو أرسلهـا وقد لحقـت كُـلاها ... على خرجاء أيقـن باللحـاق
فلا تبرح تـروح بها وتغـدو ... وتدلج لا تنـاخ سـوى فَواق
إلى أن تسـتحيل عـلى حـنايا ... فقـار الظهر لاصقة الصفـاق
وتحسـبها إذا بغمـت لغوبـا ... مـن الإدلاج ثاغيـة العنـاق
وعاشـر كـل منـتدب ليرقـى ... من أبنية العلا صعـب المراق
بـه حملـت مفـزعة نـوار ... على الإحكام من حُبُكِ النطاق
أ أحـبائي أعـاد الله مـني ... ومنكم بعـد فُرْقـتنا التلاق
إلى أرض الحجـاز أحلـت عنكم ... صفيحة وجه وجدي واشتياقي
سـلـوت أحبتي واشتـاق قلبي ... بتلك الأرض لا نُجْلِ الحـداق
ولا بـيض الترائـب والثـنايا ... مديـرات الجُمان على التراقي
بزمـزم غلـتي تغـلي فمـن لي ... بكأس من مـدامتهـا دهاق
صـفا نفسي الصفا ومنى مناهـا ... وبالجمرات قلبي ذو احتـراق
ألا يا ركب حقـق ما رجـوتم ... على حسن التلاطف والوفـاق
ثقوا بالله واعتصمـوا وسيـروا ... خفافاً فالمهيمـن خيـر واق
فـلا الإقدام يجلـب ما كفينـا ... ولا الإحجام يصرف ما نلاقي
وشدوا الميس من قود النـواجي ... بجـنبي كـل يَعْمُلـة دفـاق
وذوا السـهد فوق ذرى المطـايا ... لذيـذا والكـرى مرّ المـذاق

---

[1] القرا :الظهر . واللهاق : الثور الوحشي الأبيض

وشجوا البيد عازفة النواحـــــي ... وجنح الليل منسدل الـــرواق

وخوضـــوا في الهواجـــر كــل آل ... طمى والشمس لافظة البصاق

وإن عـــرض العـــباب فمنشـــآت ... مواخر لا تزال على اختـــراق

هوابـــط من جبـــال الموج طـــورا ... وطورا فـــي بـــواذخـــه رواق

إذا جاشـــت ذواخـــنها تناهـــت ... صواعدها إلى السبع الطبـــاق

نجائـــب لا تعـــرس في مبيـــت ... ولا ترعى ولست لها بســـاق

إلى حيث النجاح وحيث يغـــدو ... أسير الذنب مفكوك الوثـــاق

وحيث تنيـــخ حامـــدة سُـــراها ... لدى الإصباح مدلجة الرفـــاق

وحيث نطـــوف سبعاً ثم نسعـــى ... ونسرع للمواقف في استبـــاق

ونشـــعر بعـــد وقفتـــنا ونـــرمي ... ونـــأوي لـــلمحلق للحـــلاق

ونـــرجع للطـــواف وقـــد أرقـــنا ... دماء المشعـــرات من النيـــاق

ونمضـــي يومـــنا بمـــنى فنقضـــي ... بلا عجـــل ليالينـــا البـــواقي

فـــإن طبـــنا بطيبتـــنا نفوســـا ... تناديـــنا لطيـــبة بـــانطـــلاق

فوافيـــــنا الحبيـــــب وذاك أوفى ... وأوفر ما نؤمـــل من خـــلاق

ودرنـــا بالقـــباب كمـــا أردنـــا ... ودرنـــا بالنخـــيل وبالـــزقاق

ألا يـــا نعـــم طيـــبة والعـــوالي ... وحـــيطان الحدائق والســـواق

هـــي الدار التي شرُفـــتْ وتاهـــت ... على شام المواطـــن والعـــراق

عـــلى من صاغ منصبـــه جلاهـــا ... وســـاق لها العلا كل المســـاق

صـــــلاة الله مـــــا لبى حجيج ... وما حـــمّ اللقا عقـــب الفراق

ثم ســـافر إلى الحجاز عن طريق المغرب ورافقه ابن عمه وصديقه سيدي أحمد بن حرمه بن الصبار العلوي وأضافهما في مراكش محمد الأمين بن أبي ستة ، وكان من خاصة الســـلطان مولاي عبد الرحمن فتوسط لهما لمقابلته ومدحه بقصديتين نالتا رضاه يقول في إحداهما:

هـــل في بكا نازح الأوطان من باس ... أم هل لداء رهين الشوق من آس ليل

أم هل معـــين يعين المستهـــام على ... ليلٍ كواكـــبه شـــدتْ بأمـــراس

آه لمغتـــرب بالغـــرب ليـــس لـــه ... جـــنس وإن كان محفوفاً بأجنـــاس

عـــلّ الإمـــام بفضـــل الله يمـــنحه ... رحمـــى فيكشـــف غم الآسف الآس

أقـــول والركب محزون بوحشتنـــا ... صـــبراً فكم وحشة أفضت لإينـــاس

إذا وضعنا بأرض الغـــرب أرحلنـــا ... راح الرجـــاء علينا طـــارد اليـــاس

إني كفـــيل بنيل السؤل لي ولكـــم ... إمـــا بمراكـــش المحـــروس أو فـــاس

أمامـــنـــا في كلا المصرين نورهـــما ... إمامنا المستمـــاح المطعـــم الكـــاس

خليفـــة المصطفى وهو ابن بضعتـــه ... ثوبـــا من المجد لم يعلق بإدنـــاس

[illegible] رت النـــاس قلدهـــا ... يقظـــان لا غافل عنها ولا نـــاس

عَمّرت عُمِّرت من عهد الشريعة ما ... بـــاض النعـــام بـــدور منه أدراس

داركتها بعدما مالت دعائمهـــا ... فاســـتحكمت واطمأنت فوق آساس

وافـــاك ركب تعاطوا من نعاسهـــم ... على متون المطايا قـــهوة الكـــاس

حـــثوا جلاس المهاري لا يرون على ... مـــنابر المـــيس منها غـــير جـُلاس

حتى يرى السير منهم كالقداح ومنـــ ... ـــها كالقسي حنتها كف قـــواس

فواسنـــا بلقـــا ما اعتيـــد منك وما ... فضـــل المقالـــة إلا قولـــنا واس

وحقـــق الظن أنا ســـوف تحملنـــا ... عـــلى مجوفـــة الحـــيزوم كالـــراس

لهـــا دخان حريق الغـــاب أزعجـــه ... أنـــف الجـــنوب بأنفـــاس فأنفاس

واسمـــح لنـــا بدعـــاء منك صالحه ... بيمنـــه يسهل المستصعـــب القاس

ونجتزئ من خطابه لابن أبي ستة قوله :

أثـــار مـــن تذكـــر حـــين زارا ... خـــيال مـــن أمـــيمة مـــا أثـــارا

ســـرى بعد الهدو فمـــا أعيرت ... قلـــوب العاشـــقين كمـــا أعـــارا

وكـــم بعث الخيال لذي انتزاح ... نـــزوعاً للأحـــبة وادكـــارا

ألا أهـــلاً بهـــا ولو استحالـــت ... عـــلى قُـــرب زيارتهـــا ازورارا

لئـــن أنآى أميـــمة مـــا اعتسفنا ... رواحـــاً بالنـــجائب وابتكـــارا

إلى أن قال :

إلى مثـــل ابن أحمـــد فليسافر ... أخـــو العزمات أو يدع السفـــارا

همام سل صارمه ليحمي ... من الحق الحقيقة والذمارا

أبي نور الهداية من يديه ... لمحيار الضلالة أن يحارا

وشيد للحقيقة من زوايا ... تعاطي الذكر أرفعها منارا

له خُلقٌ يدير مدى الليالي ... عليها من معارفه عُقارا

سرى لمحمد في الأرض حمد ... يسير به المسافر أين سارا

حكمنا فيه بالخير امتداحاً ... إلى أن أصبح الخير اختيارا

فأبصرنا شواهد ما سمعنا ... كمفتوق الصباح إذا استطارا

وقد احتفى بهما السلطان وأمر بتحقيق رغبتهما ، فركبا الباخرة مع جماعة من الحجاج من بينهم القائد السباعي ابن أبي الشيكر (بكاف معقودة) .

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

هاج التفرق فاعذليني أو دعي ... شوقاً أصم عن العواذل مسمعي

لا تنكري مني الشحوب فهكذا ... فعل الفراق بكل صب مولع

إن الأحبة أوْدعوا إذا ودّعوا ... في القلب شجواً لم يكن بمودع

كيف السلو خلافهم أم كيف لي ... بالكف بعد تواهم من مدمعي

بانوا فبت بليلة لم تنكشف ... من بعدهم وبمقلة لم تهجع

بانت ببينهم الرباب وخلفتْ ... بين الجوانح غُلة لم تنقع

دار الرباب أربّ فيك على الربى ... ينهل مرتجس الركام الممرعي

حي الإله زمانا إذْ لم يرع ... فيك الصدود ولا نعيب الأبقع

دهر مضى جمعت لنا أيامه ... شمل السرور فهل له من مرجع

أم هل تقربها النجائب إن ترح ... عِوجاً سواهم جائلات الأنسع

من كل مجفرة لها بعد الونى ... عدو الهجف أو الأتان الململع

يا نفس قد ولّى الشباب وأنت عن ... غيّ البطالة والصبا لم تنزع

قد تعلمين مصير أمرك فارعوي ... فالعلم محض الجهل إن لم ينفع

والموت منتظر اللقاء وذو الحجا ... متأهب للقائه المتوقع

مالي أشاهد كل حين عبرة ... وعن الغواية سادراً لم أقلع

وارحمتا لأسير ذنب تاه في ظلم الضلالة عن قويم المهيع
إني فزعت وفكرتي جعلت إلى خير البرية مشتكاي ومفزعي
إنسان عين الكون غُرة وجهه حاوي التفرد بالمقام الأرفع
ذو الرتبة العليا التي ما للورى من مطمع في نيلها من مطعم
باب الإله ومصطفاه لسره وسراج حجته الذي لم يقشع
من خصه بحلي الكمال إلهه والكون واقع أمره لم يوقع
وإلى اسمه ضمّ اسمه شرفاً له من قبل حيْعَلةِ المنادي المسمع
وبه توسل الأنبياء إلى الذي حازوه من سر النبوة أجمع
أسرى الإله به وأودع صدره في ستر جنح الليل أشرف مودع
يا مولد الهادي لشهرك نفحة أرج الزمان بنشرها المتضوع
أكرم بمولد ذي الختام بيومه وبشهره وبعامه والموضع
حلي الزمان به كما حلي الربى بالروض إثر الساريات الهمع
الله أكمل خلقه وخليقة منحا لصفوة هاشم ومجمع
بحر إذا ورد العفاة وإن بدا فالبدر ماضي عشره والأربع
يغشى الهياج إذا التظى متبسماً والبيض تلمع والفوارس تدع
والخيل ثائر نقعها من نسجه وجه الغزالة مدرج في برقع

إلى أن قال :

لا تأل مدحاً للنبي وبله ما تدري النصارى في المسيح وتدعي

ثم ختمها بقوله :

صلى الإله عليك ما صدحت على فنن مطوقة الحمام السجع

وقال في صاحب الينبوع إبراهيم القاضي حين أكرمهم :

يا قاصدا بطحاء مكة يرتجي نيل الطواف ببيتها المرفوع
لا تخش من ينبوع حاجك غورة ما دام إبراهيم بالينبوع

وتوفي على إثر الحج بين مكة وجدة بعد الخمسين والمائتين والألف للهجرة رحمه الله تعالى[1].

-49-

محمد أحمد بن عبد القادر القلاوي

وُلد بمنطقة تامشكط بالحوض الغربي من بلاد شنقيط ، وتربى فيها مع والديه . قرأ القـرآن الكـريم على سيدي إبراهيم بن أحمد المختار القلاوي وتلقى عنه بعض المتون في الفقه والنحو . ثم طلب العلم على عدة شيوخ في منطقتي العصابة والترارزة منهم العلامتان الجليلان يحيظيه بن عبد الودود ومحمد سالم بن ألمـّـا اليدالي .

وهاجـر إلى الحجـاز سنة 1385هـ وجاور بالمدينة المنورة . وقد شارك في التدريس في الحرم النبوي لمدة ، ثم اقتصر على التعليم في بيته . كان حافظاً للحديث عالماً بـرجاله ، نحويـاً فقيهاً متمسكاً بالمهذب المالكي وراسل في هذا الشأن الشيخ زايد ابن سـلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة وكبير قضاته الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك . وشكرهم على نصرتهم للمذهب ورعايتهم لعلمائه .

وعـرض علـيه الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني التدريس في الجامعة الإسلامية ذات مرة ورغّبه فيه فاعتذر له . وكانت له علاقة خاصة بالشيخ عبد العزيز بن باز مفتي الديار السعودية. وقام بجولات دعوية وتعليمية استمرت سنين طويلة زار خلالها الـرياض والأحسـاء والدمام والظهران ومناطق خليجية أخرى . وتخرج به طائفة منهم الأستاذ عبد الرحمن الصاعدي المدني والأستاذ عادل الأحمدي المدني ، والقاضي عبد الباقي الأحسـائي . كـان زاهداً في الدنيا متقللا منها يتعاهد الفقراء بالمودة كلما توفرت لـه الإمكانيات وتهيأت له الأسباب .

وكانـت لـه خزانة كبيرة وقّفها على مكتبة المسجد النبوي الشريف ، وتوفي يـوم 17ذي القعدة سنة 1418هـ عن ثمانين سنة ونيفاً ، وغسّله ابن عمه محمد سالم

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/47-69 .

ابـــن عبد الله وتلميذه عبد الرحمن الصاعدي بوصية منه ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى .

● تآليفه :

1-رســـالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق(طبعتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .2-رسالة سلوك الأدب في التمسك بالمذهب المالكي. 3-رسالة في الرد على أحد التيجانيين [1].

-50-

محمد الإمام بن أحمد عمُّ القلقمي

وُلد سنة 1353هـ في منطقة تامشكط من بلاد شنقيط ، ونشأ بها وتتلمذ على الشيخ محمد المجتبى بن خطري البوصادي وانتفع به كثيراً .

وقــد هاجــر إلى الحجاز عن حكم النصارى ، ووصل إلى السودان إبان الحرب العالمية الثانية ولبث فيها ثلاث سنين يدعو إلى الله تعالى ، ويزاول التجارة . وقد تمكن مع رفقة من التجار الشناقطة من اختراق الصحراء الموحشة التي تربط بين السودان وليبيا لأول مرة ، وهي أشبه بقول الشاعر :

زار الخـــيال ودون الزائـــر الـــبُعد   مَـــرْتٌ رَهاءٌ وتيهٌ ما بها أحدٌ
ترى القطا الكُدر فيها عن جوازلها   تضِلُّ لم تدر لا سهل ولا جَلَدُ

فقطوعهـــا في ثلاثـــة وعشرين يوماً ما بين جبل الميدوب شمال محافظة دارفور إلى واحة الكفرا ، ومهدوا بذلك طريقاً تجارية جديدة بين الدولتين الجارتين ، وفتحوا سبيلاً مباشـــرا للتواصـــل بين الشعبين الشقيقين الليبي والسوداني . ثم دخل إلى السعودية وحج البيـــت الحرام وأقام مع شيخه أربع سنين في جوار الحرمين الشريفين ، ثم استأذن لعلاج أخـــيه في السودان . وافتتح محضرة قرآنية في أم درمان على غرار محاضر الشناقطة المنتشرة هـــناك ، وجلس فيها للتدريس والوعظ زمنا طويلاً . وتوطّدت علاقته بآل الشيخ على

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد سالم بن عبد الله بالمدينة المنورة ليلة السبت 1419/01/11هـ .

الستوم الكباشي وخاصة الشيخ محمد المُـرْ وأخواه إبراهيم وفضل الله ، فكانت لـه بهم صداقة وتعصب ومواساة بالمال . كما هي عادتهم مع إخوانهم من الشناقطة . وهم الذين يقول فيهم الأستاذ أحمد عباس الولاتي :

أولـئك أبـناء الكبابـيش إنهم ... إذا حـاربوا أسد وإن سئلوا أنواءْ

تغربتُ فيهـم ما شعرتُ بغربـة ... ولا مسني ضيمٌ ولا بزّني ألـواءْ

وقـد شاء الله سبحانه أن لا يعود إلى الحجاز إلا بعد وفاة شيخه رحمه الله تعالى ، وهو الآن مجاور بالمدينة المنورة حفظه الله تعالى[1] .

-51-

محمد البيضاوي الجكني

والدتـه العالمـة خديجة بنت البيضاوي ، تجول فى المشرق ، ثم استقر في المغرب مستفرغاً للتدريس في طنجة وتطوان . وتقلد مناصب في العدالة والترجمة ، وعين محرراً في جريدة (السعادة) بالرباط . ثم عين في مجلس الاستئناف وكان في النهاية باشا تارو دانت وقـد نشط في مجال الأدب والشعر ، وكانت لـه مساجلات مع معاصريه من الشعراء المغاربة أمثال عبد الله القباج ، ومحمد بو جندار وأحمد البلغيثى .

وتوفي بتارودانت سنة 1374 هـ /1954 م رحمه الله تعالى[2] .

-52-

محمد الأمين بن أيدا الجكني

قال عنه الشيخ الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي إمام المسجد النبوي الشريف ورئـيس اللجـنة العلمية لمراجعة مصحف المدينة النبوية : (الشيخ الفاضل محمد الأمين ابن أيدا .. من علماء القرآن حفظاً ورسماً وضبطاً) .

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد الإمام بن أحمد عمُّ في المدينة المنورة يوم 1420/07/22هـ الموافق 1999/10/31م .

[2] النحوي : المرجع السابق ، ص/281 .

وُلد بمنطقة كيفهْ في بلاد شنقيط سنة 1348هـ ، ونشأ في كنف والده . وتتلمذ على علماء أجلاء وتصدر في القرآن الكريم وسبق فيه أقرانه حتى لُقب بقالون لجودة حفظه ، ودقة ضبطه . وممن أجازه برواية نافع سيدي محمد بن ميتار وعمر بن محم بوب الجكنيان والشيخ محمد المصطفى بن سيدي يحيى المسومي ، وقد استفاد كثيراً من الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني صاحب أضواء البيان ، وكان يقول فيه بعدما اجتمعا في الحرمين الشريفين : (لم يأتِ من بلادنا أتقن للقرآن ولا للقراءة والرسم من ابن أيدا) .

وفي أواخر السبعنات من القرن الرابع عشر الهجري توجه إلى المشرق براً ، ومرّ بصحراء أزوادْ ولبث فيها فترة للتجارة والتقى فيها بالشيخ بادي بن حمادي الكُنتي وتذاكر مع فقهاء محلّته ، وطلبوا منه أن يصلي بهم التروايح ليلة سبعة وعشرين من رمضان فختم لهم القرآن الكريم من الفاتحة إلى سورة الناس بتسليمة واحدة . ثم دخل إلى السودان واستضافه التاجر الكريم علي اثْـنَـيْ في بورت السودان ، وتتلمذ عليه أبناؤه وغيرهم ومنعوه من الذهاب إلى الحج لحاجتهم إليه ،ثم تخلص منهم بعدما عاهدهم بالعودة ووفّى لهم .ثم عاد إلى المدينة المنورة ثانية عندما عَلِمَ بوفاة والده في موريتانيا ،وجاور بها واتصل بعلمائها وأجازه الشيخان حسن الشاعر وعبد الفتاح قارئ في القراءات. ثم اشتغل بالتعليم إلى أن افتتحت الجامعة الإسلامية سنة 1381هـ فالتحق بها للحصول على شهادتها ، وأثناء تحضيره للسنة الأخيرة سمحت له الجامعة بإكمالها بالانتساب ، وابتعثته للتدريس في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالرياض مع مجموعة من زملائه المبرزين تضُمُّ الأساتذة التمليد ابن محمود الجكني ومحمد الأمين بن الحسين الجكني وغالي بن آفا الدليمي والمحفوظ ابن سيدات الجكني وإبراهيم بن عثمان اللمتوني ومحمد بن أحمد مولود الجكني . وفي سنة 1392هـ رجع إلى المدينة المنورة ودرّس في متوسطة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعهد إعداد المعلمين ثم عُين في مدينة بدر سنة 1393هـ ، وجمع فيها بين التعليم في متوسطة الحباب بن المنذر رضي الله عنه وجامع العريش . وبقي فيها إلى سنة 1405هـ حيث أُنشئ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة فتوظف فيه مساعداً لمدير مراقبة النّص وعضواً في اللجنة العلمية لمراجعة مُصحف المدينة النبوية .

وخلال السنوات الأخيرة من حياته تقدم لدى إدارة المجمع بعدة طلبات لإعفائه من العمل ولم تستجب له إلا بعد إلحاح وعزم ، وتم له ما أراد سنة 1420هـ . وقد عانى من مرض السكر أعواما مديدة ، وكُفّ بصره تدريجياً بعدما تخلى عن العمل على إثر عمليتين جراحيتين . وعُرف عنه اهتمامه بأمور المسلمين ومسايرته لأحداث العالم وتفاعله معها . وكانت له طرافة ودعابة مع طلابه وذويه مع حبه لسماع الشعر وحرصه على تقويمه ، وربما أنشأ أبيات في مناسبات خاصة . ولعل أشهر تلاميذه الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الفتاح قارئ ، عميد كلية القرآن بالجامعة الإسلامية ورئيس لجنة مصحف المدينة النبوية سابقاً ، والشيخ احميد بن احمود آل نامي الشريف ، إمام جامع العريش ببدر وأحد كبار أعيانها ، والشيخ السيد عبد العزيز عبد الرحيم محمد سالم الرديني ، إمام جامع بدر وموظف بمحكمتها الشرعية . وكان يحب الخير ويفعله ، ويوصي أبناءه بالصلاة والتقوى ، ويحذرهم من البدع وأكل الحرام .

وتوفي ليلة الأحد 17 رمضان سنة 1422هـ ، ودفن صباحاً في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى . وقد ترك مكتبة نفيسة يقوم على حفظها وصيانتها أبناؤه وفقهم الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-الجوهر المكنون في شرح ضبط قالون .2-البيان الجامع لما خالف فيه الدوري حفصاً ووافق فيه نافعاً . 3-تحقيق كتاب الفارق بين روايتي حفص وورش للشيخ عمر بن محم بوب الجكني[1].

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع ابني صاحب الترجمة محمد والطيب والأستاذ محمد محمود بن الإمام الجكني في المدينة المنورة ليلة الإثنين 1422/10/23هـ الموافق 2002/01/07م .

-53-

الشيخ محمد الأمين بن زين القلقمي
الشهير بـــ (تَطْلِــي[1]) عند الأتراك

علامـــة جلـــيل ، ومجاهد كبير . ولد في منطقة الحوض الشرقي ببلاد شنقيط ، وطلـــب العلم على فقهائها وتصدر على يد الشيخ غالي بن آفا الدليمي ثم اشتغل بالتعليم والتوجـــيه وقد هاجر إبان احتلال البلاد على رأس ستمائة رجل وعائلاتهم سنة 1322 هـــ الموافـــق1904م وحطّوا رحالهم بمدينة أوباري في منطقة فزان بليبيا ، ففرح بهم الليبـــيون وأكرموهم وأقبلوا على الاستفادة من معارفهم إلى أن أُعلِنتْ الحرب بينهم وبين الإيطالـــيين فجاهد معهم الشناقطة في خندق واحد ، واستشهدت طائفة منهم . ثم اتجه الشـــيخ القلقمـــي بالبقـــية إلى الأردن واســـتقر في بلدة (أم جوزة) التي أسماها فيما بعد (الرشـــادية) . وأنشأ بها زاوية كان لها دور كبير في إعادة نشر الإسلام وبث روحه بين قبائل المنطقة . ولما أحسّ بضعف الخلافة العثمانية ، وأنها على وشك الانهيار استنفر أتباعه وقاتل مع الأتراك ضدّ الإنجليز وحلفائهم من الفرنسيين والروس . ومن ثَمّ هيأ له السلطان عبد الحميد الثاني السكنى في أنطاليا شمال تركيا ، ففرح به الناس وتتلمذوا عليه .وبعدئذ تحول بجماعته إلى مدينة قوزان في ولاية أدنة الجنوبية على عهد كمال أتاترك . واقتطعت لهـــم الحكومة أراضٍ شاسعة للفلاحة عُرفت وسُجلت رسمياً باسم (محلّ سي قُزُفْ) أي محلـــة القُطْفْ . وأصبحوا يستثمرونها ويستفيدون منها في معاشهم ، يحرثونها ثلاث مرات عـــلى مدار السنة ، وينتجون منها القمح والسمسم والقطن على التوالي . وقد اندمجوا في المجتمع التركي ، واشتغل كثير منهم بالتجارة ، وبلغوا فيها شأواً بعيداً . والتحق بعضهم بالوظائف الحكومية ، وترقى أحدهم إلى عضوية البرلمان التركي نائباً عن ولاية أدنة وهو الأستاذ محمد بن محمد الأمين البوصادي المعروف عندهم بـــ (محمد كَيْمَكْ) .

وتوجد أسرٌ شنقيطية متفرقة في المدن التركية المختلفة ، وهم يطمحون إلى التعرف على قومهم وقرابتهم ، ولكن ألقابهم الجديدة وهيمنة اللغة التركية عليهم باتت عائقاً كبيراً أمـــام تحقـــيق رغباتهم . ذكر الشيخ أحمد بن محمد السالك العطاي الشنقيطي أنه حينما

---

[1] تطلي : تعني الحلوُ بالتركية .

أُصـيب بمرض القلب أثناء إقامته في مدينة قوزان سنة 1382هـ /1962م زار عيادة متخصصة في أنقرة يديرها طبيب يدعى محمد عبد الباقي التندكي (بكاف معقودة) . فلما قابلـه عرف أنه شنقيطي فسأله الدكتور : هل توجد في بلادكم قبيلة تسمى (تندكي)؟ فقال : نعم ، توجد فينا قبيلة قريبة من هذا اللقب تدعى (تندغة الحميرية) . فقال : لعلني منها ، وأمي تركية وبودي لو وجدت سبيلاً لزيارة أهلي ، ولكني لا أعرف إلا التركية والفرنسية !.ثم أخرج له نسخة مخطوطة من كتاب (دليل الخيرات) مكتوبة بالمداد الأسود ومشـكلة بـالمداد الأحمـر ، وقال له :هذا ما لدي من تراث أبي . ثم أكرمه وأجرى له الفحوصـات اللازمة مجاناً . فهون له الشيخ أحمد الأمر وشجعه على صلة رحمه وبيّن له الطريق . وكان آخر عهده به أنه دخل المعترك السياسي في التسعينات الهجرية وعُين سفيراً لتركيا لدى اليابان .وأخبرني أحد التندغيين أن ذاك أخو الطبيب وليس هو . ومهما تكن صحة هذا أو ذاك فإن جماعة الشيخ القلقمي لما علموا بذلك أعلنوا في الجرائد عن عنوانهم فتقاطر عليهم أفراد من أطراف تركيا منهم رجل من أولاد الناصر قدِمَ من الحدود التركية الألبانية ، وآخر من الرقيبات جاءهم من الحدود التركية العراقية.

وقـد تمكـن نجل المترجم زين العابدين من العودة إلى بلاد شنقيط أثناء الحرب الكونـية الثانية واهتمّ باستنهاض الهمم والتحريض على الجهاد وتحرير البلاد ، فوشى به أحـد المـنافقين لدى الفرنسيين في مدينة النعمة فسجنوه ونفوه إلى مالي فقضى نحبه فيها رحمه الله تعالى . ولعل أشهر تلاميذه ابن عمه وخليفته الشيخ محمد عبد الله بن زين المدعو (بحلّه) وقاضي النعمة مولاي الحسن الملقب باب حسن (ت 1348هـ) ، والشيخ عايش ابن رجاء الحويان شيخ قبيلة الحويان في المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة .

وتوفي الشيخ القلقمي حوالي سنة 1389هـ ، ودُفن في مقبرة قوزان وبجانبه قبر صـهره الأسـتاذ محمد الأمين بن محمد المختار البوصادي ، وقبر حفيده الأستاذ محمد كيمك (ت1420هـ) رحمهم الله تعالى[1].

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلتين أجريتهما مع الأستاذ أحمد الملقب (أدّو) بن أحمد باب في المدينة المنورة يوم 1421/11/12هـ والشيخ عبد الله بن بيه في جده يوم1421/06/13هـ الموافق 2000/09/11م .

-54-

محمد الأمين بن محمد أحمد التنواجيوي
المعـــــروف بــــ (ولد أبَّ جدُّ)

وُلِـد في منطقة الحوض في بلاد شنقيط ، وتربى فيها وترعرع ، ثم تغرب لطلب العـلم في ريعان شبابه ، وأقام مدة في ولاته ملازماً للعلامة أبّ بن شيخنا وبرز في العلوم اللغوية والنحوية . ثم ارتحل إلى المشرق وجلس فترة في السودان مشتغلاً بالتعليم والدعوة . ثم دخـل السـعودية وأدّى مناسك الحج والزيارة وجاور بمكة المكرمة . فعُين أستاذاً في مدرسة الفلاح وانتقل منها إلى معهد الحرم المكي عند تأسيسه سنة 1384هـ ، وأمضى فـيه عشرين سنة يدرس القرآن الكريم والنحو والصرف والبلاغة إلى أن استقال منه سنة 1404هـ .ومن أبرز تلاميذه الدكتور حسن الحجاجي والأستاذ محمد بن أحمد مولود الجكـني . وكانـت تُخصص لـه حلقة في المسجد الحرام للتعليم والإرشاد أيام المواسم بإشـراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، ويُنتدب للإفتاء والتوجيه في المشاعر المقدسـة أيـام الحج الأكبر .وتولى الإمام والخِطابة في مسجد حي الطندباوي لفترة، ثم أُسندتْ إليه الإمامة والخطابة في مسجد الأميرة جوهرة في حي الهنداوية بمكة المكرمة .

كـان جواداً مضيافاً ، ذا مروؤة وهمة ، فكان يستقبل حجاج الشناقطة في جدة ويأوي منهم من لم يكن له عريفاً ، ويبالغ في إكرامهم حتى يقضوا مناسكهم ، ويودعهم بمثل ما استقبلهم به من حفاوة .

وتـوفي في مكـة المكرمة غُرة شهر محرم من سنة 1416هـ ، ودُفن في المعلاه الجنوبية رحمه الله تعالى [1].

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد أحمد ابن أبّجدُّ في مكة المكرمة في شهر رمضان سنة 1419 هـ .

-55-

محمد الأمين بن محمد الخضر

آل ما يأبى الجكني

شخصية علمية وسياسية بارزة ، كان من المقربين للأسرة الهاشمية المالكة في الأردن، ومحلّ ثقة وأمانة عندهم . فكان الملك عبد الله الأول بن الشريف حسين يجِلّهُ ، ويقدمه في الصلاة ويستشيره في المهمات ، وينتدبه لتمثيله في كثير من المناسبات ، واستشهد وهو بجواره في المسجد الأقصى يوم 20 يوليو سنة 1951م فاعتُبر الشاهد الرئيسي في المحاكم. وما شارعي الشنقيطيين في مدينة عمان إلا تقديراً لمكانته ومكانة والده ، وتخليداً لذكراهما. وقد ولد في بلده شنقيط سنة 1322هـ /1905م وهاجر صغيراً مع والده إلى الحجاز سنة 1330هـ ، ونشأ في المدينة المنورة أيام الأشراف ، وتضلّع من المعارف الإسلامية والعربية على أيدي أبيه وأعمامه وغيرهم من علماء الحرمين الشريفين ، وحصل منهم على إجازات في علوم الحديث والشريعة كما انتظم في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة وفي الأزهر الشريف في القاهرة . ثم سافر شاباً إلى الأردن مع والده وعُين كاتباً في المحكمة الشرعية في عمان سنة 1929م ثم قاضياً للسُلَطْ وقاضياً لمعان وقاضياً لأربد على التوالي في الفترة ما بين سنة 1938م وبداية سنة 1945م حيث تقلّد إفتاء إمارة شرق الأردن . وابتداءً من سنة 1947م عُين قاضياً للقضاة ووزيراً للمعارف حتى استقال منهما نهائياً يوم 28 يونيو سنة 1961م . وفي سنة 1963م اختاره الملك حسين بن طلال سفيراً له لدى المملكة العربية السعودية ، وصار عميداً للسلك الدبلوماسي في جدة إلى تقاعده سنة 1977م فاستأذن القيادة الأردنية في المجاورة بالحرمين الشريفين . فكان على صلة طيبة بالملوك والأمراء السعوديين وبخاصة الملك فيصل والملك خالد والملك فهد أبناء الملك عبد العزيز آل سعود .

وقد حظي برئاسة وعضوية هيئات ولجان ومجالس علمية وسياسية حساسة فكان رئيساً لهيئة العلماء في المملكة الأردنية الهاشمية ، ورئيساً للّجنة البرلمانية التي درست حالة الملك طلال الصحية ، وأوصت بنقل الملك إلى نجله الملك حُسين ، ثم عضواً في لجنة الوصاية على العرش إبان سفر الملك حسين إلى الخارج ، ورئيسا للجنة إعمار قبة

الصـــخرة المشرفة إضافة إلى عضويته في مجلس النواب ومجلس الأعيان ، ومجلس الوزراء على فترات متفاوتة . ويعد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المؤسس الحقيقي لدائرة القضاء الشـــرعي في الأردن ، ومشارك بوضع القوانين والأنظمة ، كما ساهم في وضع الدستور واعتماده كقاض للقضاة في عهد الملك طلال بن عبد الله الأول .

وفي سنة 1966م زار موريتانيا لصلة رحمه ، وأوصى بثلث ماله للفقراء ، وتُوفي في المدينة المنورة ودفن بالبقيع الطاهر سنة 1410هـــ/1990م رحمه الله تعالى .

وقد حصل على أوسمة عديدة من بعض زعماء العالم تكريماً وعرفاناً وهي [1]:

م	نوع الوسام	الدرجة	التاريخ	الجهة المانحة
1	وسام النهضة	الدرجة الثالثة	1943م	الأمير عبد الله بن الحسين (إمارة شرق الأردن)
2	وسام الاستقلال	الدرجة الثانية	1946م	الأمير عبد الله بن الحسين (إمارة شرق الأردن)
3	وسام الرافدين	النوع المدني	1946م	الملك فيصل الثاني (المملكة العراقية)
4	وسام النهضة	الدرجة الأولى	1947م	الملك عبد الله بن الحسين(المملكة الأردنية الهاشمية)
5	وسام الكوكب الأردني	الدرجة الأولى	1948م	الملك عبد الله بن الحسين (المملكة الأردنية الهاشمية)
6	الوسام العلوي	الدرجة الأولى	1960م	الملك محمد الخامس(المملكة المغربية)
7	الوسام الإيراني	الدرجة الأولى	1960م	الشاه محمد رضا بهلوي(إمبراطورية إيران)
8	الوسام الصيني	الدرجة الأولى	1961م	الرئيس تشاء كان تشيك (جمهورية الصين)
9	وسام النهضة المرصع	العالي الشأن	1967م	الملك الحسين بن طلال(المملكة الأردنية الهاشمية)
10	وسام التربية	الممتاز	1971م	الملك الحسين بن طلال(المملكة الأردنية الهاشمية)
11	وسام الملك عبد العزيز	الدرجة الأولى	1975م	الملك فيصل بن عبد العزيز(المملكة العربية السعودية)

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع المهندس حبيب بن محمد الأمين آل ما يأبى في الرياض يوم 2001/07/22م .

-56-

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني

المدعو آبَّ بن اخطور

مـــن أكابر المفسرين في القرن الرابع عشر الهجري ، ومن أبرز العلماء في المملكة العربية السعودية. قال عنه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ : (إنه مليئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه[1] .

وُلد في بلاد شنقيط سنة 1305هـــ عند موضع يسمى (تنبه) تابع لمنطقة (كيفه) وكان وحيد والديه فعاش مبجلاً في رعاية خاصة ، وعناية فائقة من لدن والديه وأخواله . ولمـــا بلغ سنّ الكُتاب انتسب إلى محضرة خاله عبد الله ، وحفِظَ القرآن الكريم وعمره لم يتجاوز العاشرة ، ثم تتلمذ على ابن خاله سيدي محمد بن أحمد بن محمد المختار في رسم المصـــحف العـــثماني والتجويد ، وأجازه في مقرأ نافع برواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق ، وقالون من رواية أبي نشيط وعمره إذْ ذاك ست عشرة سنة . وهكذا تدرج في العلـــوم الأخرى فكتب مختصرات في فقه الإمام مالك وأخذ عن زوج خاله مبادئ النحو ودروســـاً في أيـــام العـــرب ، وكتابي الغزوات وعمود النسب لأحمد البدوي الشنقيطي وشـــرحهما لابـــن أخت المؤلف المعروف بحماد . ثم رحل لطلب العلم ، وجهّزته والدته بجملـــين وبقـــرات وخادم ، وانتسب إلى عدة محاضر وتخرج على مجموعة من العلماء في التفســـير والحديث وفي الأصول والفقه ، واللغة وغيرها ، منهم : الشيخ محمد بن صالح المشـــهور بـــابن أحمد الأفرم والشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار والشيخ أحمد بن عمر والشـــيخ محمـــد النعمة بن زيدان والشيخ أحمد بن امّود والشيخ أحمد فال بن آدّو . وقد تلقـــى عنهم سائر الفنون إلا المنطق وآداب البحث والمناظرة فقد حصّلهما بالمطالعة . ثم تفـــرغ بعـــد هذه المسيرة العلمية الحافلة للإفادة والتدريس ، واشتهر بالقضاء وبالفراسة الصائبة وسلّم له المشايخ وانقاد له الحكام ، وأذعن الناس لما يقضي به لهم أو عليهم . ولما سنحت لـــه الفرصة للحج ودّع أهله وعشيرته وخرج مع بعض تلامذته يوم 07جمادى الآخـــرة ســـنة 1367هــــــ وتوجهوا إلى المشرق ، فمرّوا بكيفه وتامشكط والعيون ،

---

[1] عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس : ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ص/223 .

وتنــبدغه ثم باعوا إبلهم في النعمة وركبوا سيارة إلى باماكوا بمالي ومنه إلى إنيامي بالنيجر واستضافهم فيها الحاج الكيدي توره وأحسن إليهم . ثم انتقل إلى كَنُو بنيجيريا ومنها إلى بـــلاد السودان وزار الأُبيض والخرطوم ثم توجه إلى أم درمان استجابة لدعوة خاصة من معهدها الديني واستقبله المشايخ والأعيان والتقى فيها بالشيخ عبد الرحمن المهدي والشيخ محمـــد صـــالح الشنقيطي ، والقاضي الشيخ يوسف النور والنحوي الكبير الشيخ إبراهيم يعقوب . ثم سافر إلى سواكن حيث أقلعت به السفينة مع الحجاج إلى جدة وهم محرمين ملـــبين ونزل بدار جمجوم كالعادة في أواخر ذي القعدة من سنة 1367هـــ . ولم يقم الشيخ في مدينة أو قرية في طريقه إلا اجتمع حوله العلماء وطلاب العلم لسؤاله والتباحث معـــه في مخـــتلف العلوم مع كامل الاحترام والتقدير . ولم يزال ذلك دأبه حتى دخل إلى الـــبلاد السعودية التي كان لـــه فيها شأن آخر أفخم وأشرف . ثم أدى نسكه ، وخلال تواجـــده في مكة المكرمة دعاه الشيخ السيد علوي عباس المالكي المدرس بالمسجد الحرام للغداء عنده في يومين متفرقين، وحصلت بينهما محبة ومؤانسة . وقد راودته فكرة الجوار بعـــد اجـــتماعه يوم عرفة بالأميرين الكريمين تركي السديري وخالد السديري أميري أبها وتـــبوك آنـــذاك ، وكـــان لقاؤه بهما على سبيل المصادفة حين استظلّ بخيمتهما ، فآووه وأكرموه وتذاكروا معه في الأدب . ثم توجه إلى المدينة المنورة للزيارة ونزل عند ابن عمه الشـــيخ محمـــد عبد الله بن آدّو فتلقاه بالبشر والتكريم ، واجتمع بإمامي المسجد النبوي الشـــيخ عبد الله الزاحم والشيخ عبد العزيز بن صالح فرحبا به ، وفرحا بمقدمه وصفا الودُّ بينهم . ثم خُصصتْ له حلقة بالمسجد النبوي الشريف بأمر من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى جانب تدريسه بدار العلوم بالمدينة المنورة خلال عامي 1369هـــ و 1370 هـــ . واختير ضمن نخبة من العلماء للتدريس في معهد الرياض العلمي وكليتي الشريعة واللغة سنة 1371هـــ ، وأسندت إليه مادتا التفسير والأصول. فقضى في المنطقة الوسطى عشـــر ســـنوات دراسية متنقلا بين حلقاته العلمية في مسجد الشيخ محمد وفي بيته وفي الكلـــيات النظامـــية . ويمضي إجازاته الصيفية في التعليم في المدينة المنورة ، فكان لتلك الحركة العلمية الرائدة مشاركة فعالة في قيام النهضة التعليمية الحديثة التي قادها وتولى أول وزارة لهـــا أنذاك الملك فهد بن عبد العزيز سنة 1373هـــ . وكان الشيخ موضع تقدير

خاصٍ من الملك عبد العزيز والأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود ، وأصحاب الفضيلة آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد العزيز بن صالح ، وغيرهم من المسؤولين . وقد منحه الملك عبد العزيز أمراً بالجنسية له ولمن ينتمي إليه ثقة به وإكراما له واشتهر بالحكمة والرشاد ، وبعد النظر في الأمور ،وحسن التدبر للعواقب ، وحرصه على جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفهم ونبذ أسباب الفُرقة والشحناء بينهم . نذكر له في هذا الصدد موقفين عظيمين أحدهما عندما اجتمع العلماء في الرياض للتباحث في موضوع الإمامة وقرروا إلغاء بيعة الملك سعود ومبايعة أخيه الملك فيصل إيثاراً للمصلحة العامة أنابوا عنهم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لإبلاغ قرارهم الملك سعود فقام بالمهمة خير قيام ، وكان لكلمته الحكيمة أثراً طيباً في نفسه عقّب عليها بإعلانه ثقته التامة بنصيحة العلماء ، وخضوعه لمقرراتهم .والآخر عندما تقدم مندوب دولة إيران لدى رابطة العالم الإسلامي بطلب لاعترافها بالمذهب الجعفري ، ومعه وثيقة من بعض الجهات العلمية الإسلامية المعتبرة تؤيده فيما يريد. كاد ذلك أن يؤدي بمجتمعها أو يحدث فيها تصدعاً . فاقترحوا أن يتولى الأمر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، فلما انعقد المجلس قال: (لقد اجتمعنا للعمل على جمع شمل المسلمين والتأليف بينهم وترابطهم أمام خطر عدوهم . ونحن الآن مجتمعون مع الشيعة في أصول هي : الإسلام دين الجميع والرسول محمد صلى الله عليه وسلم رسول الجميع ، والقرآن كتاب الله ، والكعبة قبلة الجميع والصلوات الخمس وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . ومجتمعون على تحريم المحرمات من قتل وشرب خمر وزنا وسرقة ونحو ذلك . وهذا القدر كاف للاجتماع والترابط ، وهناك أمور نعلم جميعاً أننا نختلف فيها وليس هذا مثار بحثها . فإن رغب العضو الإيراني بحثها واتباع الحق فيها فليختر من علمائهم جماعة ونختار لهم جماعة ويبحثون ما اختلفنا فيه ويعلنُ الحق ويلزم به . أو يسحب طلبه الآن) ، فأقرّ الجميع قوله وسحب العضو طلبه. ولما زار الملك محمد الخامس ملك المغرب الرياض استأذن في صحبة الشيخ إلى المدينة المنورة فرافقه حبا وكرامة ، وألقى بحضرته في المسجد النبوي الشريف محاضرة بعنوان : {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}[1] . ثم باشر التدريس في

---

[1] المائدة : 3 .

الجامعة الإسلامية عند افتتاحها سنة 1381هـ واستمر فيها اثني عشر عاماً بالإضافة إلى مهامه الأخرى حيث كان عضواً في مجلس الجامعة وعضو هيئة كبار العلماء السعوديين ، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي . قال عنه تلميذه الشيخ عطية محمد سالم[1] : (ولا يغالي من يقول : إن كُلّ من تخرج أو يتخرج فهو إما تلميذ له أو لتلاميذه فهم بمثابة أبنائه وأحفاده وكفى) . وفي سنة 1385هـ قام برحلات علمية ودعوية في إفريقيا بالتعاون مع الجامعة الإسلامية ابتدأها بالسودان واختتمها بموريتانيا ، وكان موضع حفاوة بالغة من حُكام تلك الدول وعلمائها . كان زهداً في الدنيا غير مكترث بأشيائها ، فمن ذلك أن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود أهداه قصراً في الطائف فردّه إليه شاكراً ولم يقبله ، فروجع في ذلك ؟ فقال : (الذي بناه يحتاجه لنفسه ، أما أنا فلم أبنه ولا أحتاجه ، وعندي بيت في المدينة يكفيني) ، وكان يقول : (لقد جئت معي من البلاد (شنقيط) بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة وأخشى عليه الضياع) فسئل : ما هو ؟ قال : (القناعة) . وقال عنه الشيخ عطية أيضاً : (ما مات إلا بعد أن أصبح له في كل دائرة من دوائر الحكومة في أنحاء البلاد ابن من أبنائه ، وفي كل قطر بعثة من البعثات).
ولعل أشهر العلماء السعوديين الذين عاصروه وأخذوا عنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[2] والشيخ عبد العزيز بن صالح[3] والشيخ حماد الأنصاري[4] . ومن أبرز تلاميذه في السعودية الشيخ صالح بن محمد اللحيدان[5] والشيخ محمد بن صالح العثيمين[6] الشيخ عبد الله بن غديان[7] والشيخ عبد المحسن العباد[8] والشيخ الدكتور بكر

---

[1] الشيخ عطية محمد سالم: المدرس في المسجد النبوي الشريف والقاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة.

[2] مفتي الديار السعودية وكبير علمائها أخذ عنه شرح سلم الأخضري في المنطق وسمع منه التفسير .

[3] إمام المسجد النبوي ، أخذ عنه الصرف والبيان .

[4] سمع منه التفسير وتلقى عنه أجوبته في التفسير والمنطق .

[5] عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية .

[6] عضو هيئة كبار العلماء وأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (فرع القصيم).

[7] عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

[8] رئيس الجامعة الإسلامية سابقاً .

ابـــن عـــبد الله أبو زيد[1] والشيخ الدكتور عبد العزيز القارئ[2] الشيخ الدكتور عبد الله ابن أحمد قادري[3] وابناه الشيخ الدكتور عبد الله والشيخ الدكتور محمد مختار عضوا هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية وغيرهم من الشناقطة ومختلف الجنسيات .

وقـــد ختم الله له بحجة توفي على إثرها في مكة المكرمة يوم الخميس ضحوة 17 ذي الحجـــة سنة 1393هـــ فغسّله تلميذه الشيخ أحمد بن أحمد المختار الجكني ، وصلى علـــيه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الحرم المكي ، كما صلى عليه أيضاً الشيخ عبد العزيـــز بن صالح صلاة الغائب في المسجد النبوي الشريف ، ودُفن في مقبرة المعلاه بمكة المكرمة رحمه الله تعالى .

- **تآليفه** :نذكر منها :

1-أضـــواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، يقع في تسعة أجزاء ، وقد وصل في تفسيره هذا إلى نهاية سورة (قد سمع) عند قوله تعالى:{أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون}، ووفق الله تلميذه الشيخ عطية محمد سالم لإتمامه في جزئين استجابة لطلب من الشيخ عبد العزيز بن باز أيام كان رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فكمُل على أحسن حال ولله الحمد.2-نثر الورود على مراقي السعود في الأصول ، وبقي خمسُ نظم المتن لم يشرح فقيض الله له تلميذه الشيخ الدكتور محمد بن سيدي بن الحبيب الجكني[4] فأكمله ، وحقق ما شرحه شيخه وأضاف إليه إضافات مفيدة. 3-مذكرة الأصول ، جمع في شـــرحها أصول الحنابلة والمالكية والشافعية.4-رجز في فروع مذهب الإمام مالك . 5-مـــنع جواز المجاز في المنـــزل للتعبد والإعجاز ، يبطل فيه إجراء المجاز في آيات الأسماء والصفات 6-دفع إيهام الاضطراب في آي الكتاب.7-آداب البحث والمناظرة .8-رحلة

---

(1) تفرد بأخذه علم الأنساب عن الشيخ في جزيرة العرب .

(2) الأستاذ المشارك بقسم الفقه بالجامعة الإسلامية ، وعميد كلية القرآن سابقاً .

(3) رئيس شعبة الفقه بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية .

(4) عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة .

الحـــج . هذا فضلاً عن محاضرات متعددة في مواضيع مستقلة مثل آيات الصفات وحكمة التشريع والمُثُل العليا والمصالح المرسلة [1].

-57-

محمد الأمين بن محمد عبد الله البوصادي

شخصية علمية فذة ، وزعيم سياسي متألق في منطقة المخلاف السليماني واليمن . وُلد في بلاد شنقيط حوالي سنة 1314هـــ ، ونشأ في حجر والده فأحسن تربيته وتلقى عـــنه القرآن الكريم والفقه والنحو ، وهاجر معه إلى الحجاز وله من العمر تسع سنوات . طلـــب العلم على أبناء ما يأبى الجكنيين في الحرمين الشريفين وصحبهم في رحلتهم الأولى إلى الشـــام ، وألقـــى دروساً في البلاغة وعلوم العربية هناك وهو حدثاً. ثم وفد مع والده وأخيه على أمير عسير آنذاك الإمام محمد بن علي الإدريسي فأكرمهم وقدمهم في مجالسهم العلمية ، وأُعجب العلماء بعلمهم وحفظهم .

وقـــد لاحظ الكاتب العربي أمين الريحاني إبان زيارته للإمارة سنة 1341هـــ أن عـــلماء الشناقطة اجتمعوا بوفد سعودي خلال زيارته للإدريسي ، وناقشوهم في التوحيد والأولياء [2] .

كـــان الشيخ محمد الأمين شاعراً مفلقاً وسياسياً محنكاً تغلب على حياته الفروسية وحمل السلاح ، وقد عهد إليه الإمام محمد بتأديب ابنه الإمام علي وعيّنه قاضياً في محكمته الشـــرعية . وعندما وقع النـــزاع على السلطة بين ولي العهد الإمام علي وبين عمه الإمام الحســـن استاء الشناقطة لذلك وتوسطوا بينهما مع وجهاء المنطقة لإصلاح ذات البين ، كما قام الملك عبد العزيز آل سعود والمجاهد أحمد الشريف السنوسي بمساعي حميدة لرأب الصـــدع ولكنها توقفت كلها لتأزم الموقف واحتكام الطرفين إلى منطق القوة . ولما تولى

---

[1] للتوسع في ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي راجع :الشيخ عطية محمد سالم: (مقدمة) رحلة الحج للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ص / 5-38 ، ومحمد المجذوب : علماء ومفكرون عرفتهم ، 1/180-186 ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس : ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

[2] أمين الريحاني : ملوك العرب 1/364 .

الحكم الإمام الحسن بعد ابن أخيه سنة 1344هـ اتخذ الشيخ الشنقيطي مستشاراً سياسياً لـه ، وانتدبه سنة 1347هـ إلى الحكومة السعودية في الطائف ضمن وفد يضم الشيخ محمد يحيى باصهي والشيخ علي إبراهيم بن عطيف لتأكيد معاهدة الصداقة والحماية التي أبرمت بين إمامي البلدين بحضرة الزعيم السنوسي المذكور سنة 1345هـ . كما شارك في مختلف الأحداث السياسية التي شهدتها جنوب الجزيرة العربية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري والتي كان لها تأثير مباشر على تشكل الخريطة السياسية والجغرافية للمنطقة . وكان معه الشيخ محمد غالي الشنقيطي والشيخ محمد فال الشنقيطي. ولما ضُمتْ إمارة عسير إلى الدولة السعودية خرج مع الأدارسة إلى المملكة اليمنية المتوكلية ونزلوا في ضيافة ملكها الإمام يحيى بن حميد الدين في شهر رمضان من سنة 1351هـ . وهكـذا استقر في اليمن فأحسن إليه إمامها وأجلّه ، وأسند إليه بعض المهام وصاهر أسرة يمنية من بيت المكي ، وولد لـه وتولى القضاء في بلاد عبس إلى وفاته سنة 1393هـ رحمه الله تعالى .

أمـا ابنه الأكبر الشيخ أحمد الشنقيطي فهو شخصية دبلوماسية مرموقة ، كان من الممثلين للجمهورية اليمنية في تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي . كما تقلد مناصب عُليا في الخارجـية فكان سفيراً لليمن لدى دولة قطر ثم سفيراً لدى دولة رومانيا وهو الآن عضو فاعل في نفس الوزارة وفقه الله تعالى[1].

-58-

محمد الأمين بن عبدي فال الخير الحسني[2]

علامـة في اللغة والأدب ، حافظ للمتون واسع الاطلاع كثير الترحال . ولد سنة 1293هـ بمنطقة(العقل) في الترارزة[3] ببلاد شقنيط . وتوفيت أمه وهو صغير لا يدرك

---

[1] محمد عقيل : تاريخ المخلاف السليماني 2/760-994 ، إضافة إلى معلومات أخرى حصلت عليها في مقابلة أجريتها مع الأستاذ عبد الرحمن محمود مختار في جدة ليلة 10 /1421/11هـ الموافق 2001/02/04م

[2] نسبة إلى قبيلة إدابلحسن الشنقيطية.

[3] ذكر الأستاذ عدنان بن سالم بن محمد الرومي أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي وُلد في قرية تنبكتو سنة 1292 هـ أو 1293هـ. و(العقل) التي وُلد فيها الشيخ في أقصى الجنوب الغربي للبلاد وتنبكتو في أقصى الشرق=

فتفرد والده بتربيته . ونشأ بين العلماء والأدباء فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ وطلب العلم على عدة مشايخ منهم خاله الشيخ محمد بن عبيد الله . والشيخ محمد بن بنيامين والشيخ عبد الله بن حمّين والشيخ المختار بن المعلىّ والشيخ عبد القادر المجلسي . وقد أخذ من كل فنٍ بطرف وتوسع في اللغة والأدب خاصة . ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ابتدأ رحلته العلمية في أوائل سنة 1318هـ وتوجه إلى المغرب بنية الدراسة في فاس ولكنه أراد الحج أولاً فزار الصويرة ومراكش والدار البيضاء والرباط وطنجة ، ولقي بعض علماء الشناقطة وأدبائهم هناك . وراسل الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي ومدحه بقصيدتين . وقد أقعده الجدري عن الحج في هذه السنة ، ثم وصل مصر مع رفيقيه في أواخر ذي الحجة سنة 1318هـ واجتمعوا فيها بالشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركزي والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فأكرموهم وتكفل الأخير بحملهم إلى جدة عن طريق الحكومة المصرية . ودخلوا مكة المكرمة معتمرين في آخر المحرم من سنة 1319هـ ثم زاروا وأدوا مناسكهم قابلاً . قضى ثمان سنين متنقلاً بين الحرمين الشريفين تتلمذ خلالها على جملة من العلماء منهم الشيخ علي ظاهر الوتري البغدادي والشيخ شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المراكشي والشيخ عبد الجليل برادة المغربي ، والشيخ أحمد سالم بن الحسن الديماني الشنقيطي . وكان يريد العودة إلى بلاده إلا أنه لما علم باحتلال فرنسا لأجزاء هامة من أرضه وتأكد أن خطرها يتفاقم ، وأن نفوذها يزداد يوماً بعد يوم عدل عن قصده واعتذر إلى قومه مع شدة شوقه وحنينه إليهم . وعندما تولى ملك الحجاز الشريف حسين بن علي إمارة مكة المكرمة خلفاً لعمه الشريف عون بن محمد سنة 1326هـ هنأه بهذه المناسبة ، ومدحه بقصيدة نالت إعجابه . وشارك في التدريس بالحرم المكي وقويت علاقته بالشريف زيد بن فواز الذي كان يجل العلم والعلماء . ثم سافر إلى الهند وعُمان والبحرين والأحساء حيث نزل في مدرسة الشيخ أبو بكر بن عمر الملا الحنفي لبرهة يحضر دروس الشيخ عيسى بن عكّاس والشيخ عبد العزيز بن مبارك التميمي وتوثقت صلته بالمصلح البحريني الشيخ عبد الوهاب الزياني

=وتوجد اليوم في أرض مالي ، والصحيح ما ذكرناه .انظر كتاب الرومي : علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون) ، ص/689 .

وشـيخ أدبائهـا الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة [1]. وفي سنة 1327هـ قصد العراق واستقر بمدينـة الـزبير من أعمال البصرة موافقة لرغبة الأهالي . واستضافه فيها علي ابـن عـبد الله البسـام وإخوته ، ثم تواصلت دروسه بها ، وتتابعت مواعظه في أرجائها فتسـابق الـناس إلـيه ، وازدحم المسجد بسامعيه ، وتردد صداه في جزيرة العرب من الكويت إلى نجد إلى الحجاز إلى بقية الإمارات الخليجية . وقد أشار عليه أنصاره بالزواج محـبة فـيه ، وحرصا على بقائه معهم . فتزوج منهم وأنجب أبناء وأعجبه المقام في تلك الـربوع بين أهله وإخوانه . وقد عارض خطته التجديدية وبرنامجه الإصلاحي بعض أئمة المسـاجد ، وسـعوا بـه إلى مدير الحكومة لإبعاده عن أرضهم فدافع عنه الشيخ محمد ابن عوجان إمام مسجد الباطن ، وقال للمدير: (إن هذا الرجل لا يقصد إلا الخير ، ونحن نعـرفه جيداً ، وقد حصل منه نفع كثير للبلد) فغض الطرف عنه و لم يتخذ إجراء بحقه . وكذلـك يفعل العقلاء والحكماء الذين يتصفون بالرزانة وبُعد النظر ، ويتحفظون من أن يكونوا أداة للبطش في أيدي الحساد والمتربصين بالدعاة والمصلحين .

وقد سُئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (أيهما خير للمرء أن يُفتن أو يُمكّن له ؟ فقال : الحق إن المرء لا يُمكّن له حتى يُفتن) . وهذه سنة الله في الأولين والآخرين إذْ قال سبحانه :{ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبـلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين}[2] ، إن الله تعالى يعلم الصادق من الكاذب ولكن ليظهر ذلك للناس .

وقـد زار الشـيخ الكويت مراراً أيام الأمراء الشيخ مبارك الصباح والشيخ جابر المبارك والشيخ سالم المبارك الصباح ، وتوطدت علاقته بالأمير الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي رافقه من القصيم إلى الحج قبل توليه الإمارة . وصادقه العلماء والأدباء مثل الأديب مرزوق الداود من آل بدر والمؤرخ الشيخ عبد العزيز بن أحمد الرشيد ، وشارك في تأسيس المدرسة المباركية في الكويت .

---

[1] الشيخة مي محمد الخليفة : شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة ، ص/195 .

[2] العنكبوت : 1- 3 .

قال أبو إسحاق الشيرازي :

سألت الناس عن خلٍّ وفـــيٍّ   فقالوا ما إلى هذا سبيــــل

تمسك إن ظفرت بودِّ حـــر   فإن الحر في الدنيا قليـــل

وفي ســـنة 1329هـــ بلغته أخبار اعتداء إيطاليا على ليبيا فهب للدفاع عنها ، ولحـــق بإخوانـــه الطرابلسيين وانضوى تحت قيادة زعيمهم عمر المختار رحمه الله تعالى ، واشترك معهم في الوقائع التي أدركها ، وقد استماتوا في جهادهم ولكن الحرب كانت غير متكافئة فالإيطاليون يملكون الأسلحة المتطورة ، وتمكنوا في النهاية من بسط سيطرهم على ليبيا . فعاد الشيخ الشنقيطي إلى مصر والتقى بالسيد رجب النقيب فرجع معه إلى الزبير .

وفي سنة 1331هــ دعاه رئيس الجمعية الخيرية في الكويت السيد فرحان الفهد الخـــالد للـــتدريس والإرشاد فيها وباشر عمله بها إلى أن اندلعت الشرارة الأولى للحرب العالمـــية الأولى سنة 1914م فعاد إلى الزبير وبدأ يدعو إلى الجهاد في سبيل الله ، فحمل الســـلاح مـــع الجيوش العثمانية وحرض المجاهدين لإنقاذ الخلافة الإسلامية ، وشارك في معـــركة(الشعيبة) المشهورة ضد الإنجليز يوم 18 جمادى الآخرة سنة 1333هـــ ، وقيل إنه شارك في معركة (كوت الزين) قبل هذه . ولما انهزمت الجيوش العثمانية نصحه القائد العـــثماني الشيخ عجمي السعدون بالانتقال إلى بغداد خوفا عليه من الأعداء والجواسيس لشهرته وزيه العلمي . فنـــزل على التاجر الكريم صالح العسّافي ، وزاره العلماء بها وكان أكـــثرهم تردداً عليه السيد محمود شكري الآلوسي (ت1343هــ) حفيد العلامة محمود ابـــن عـــبد الله الآلوسي(ت1270هــ)صاحب تفسير روح المعاني . وعندما أصبحت الجيوش البريطانية على مشارف بغداد غادرها إلى نجد وحطّ رحاله بحائل في ضيافة تلميذه الشيخ صالح القاضي فرحب به وبالغ في إكرامه . وتوافد عليه العلماء وطلاب العلم وعقد دروساً للراغبين . ثم تحول إلى عنيزة واستقبله قاضيها زميله الشيخ صالح العثمان وهيأ له ســـكنا خاصـــاً . وانتشر خبر وصوله في القصيم كلها فجاءه المشايخ والطلاب ورجال الأعمال . وكان من أبرز تلاميذه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي انتهت إليه الفتـــيا والـــتدريس في عنيزة فيما بعد . وبينما كان في هذه المدينة إذ قدم عليه الملك عبد العزيز آل سعود في زيارة تفقدية فاجتمع به في دار التاجر الوجيه محمد السليمان الشبيلي

وهو من خواص الشنقيطي وأقربهم إليه . فرحب به الملك وأثنى على علمه وتقواه وأمّنه ، فشكر له الشنقيطي شهامته العربية ، وأكد له أنه لا يريد لبلاده إلا الخير . ثم تفرغ لكتابة مذكراته[1] ، واستأذنه السادة عبد الله عبد الرحمن وسليمان صالح من آل بسام وعبد الله محمد المنصور في استنساخها بنجد سنة 1336 هـ فأذن لهم ، ولما قضى أزيد من أربع سنوات في منطقة القصيم قفل راجعاً إلى الزبير وأضافه الشيخ إبراهيم بن عبد الله الراشد شيخ الزبير حينئذ فآواه ونصره . ثم توّج جهوده المباركة بتأسيس جمعية النجاة ومدرستها بالتعاون مع جماعة من أفاضلها سنة 1339هـ منهم السيد عبد الوهاب الطباطبائي والشيخ محمد العوجان والشيخ محمد عبد الرحمن السند والحاج محمد السليمان العقيل والحاج إبراهيم العبد الله البسام والحاج عبد المحسن إبراهيم المهيدب وداود سليمان البريكان والشيخ محمد حمد العسافِي وسليمان إبراهيم السويدان والشيخ ناصر إبراهيم الأحمد والشيخ عبد الرزاق محمد الدايل وأحمد التركي وعبد الرحمن المنصور الفريح وناصر العلي الصانع وأحمد بن راشد الشايجي . وأيد هذا العمل وزير الأوقاف معالي عبد اللطيف المنديل ، فأدخل (النجاة) ضمن المدارس الأهلية التي خصصت لها الدولة المساعدات السنوية . وقد ازدهرت هذه الجمعية وتطورت مدرستها من قسم واحد إلى ثلاث مراحل تضم ابتدائية ومتوسطة وثانوية ، وكانت أول مدرسة أهلية في الزبير جمعت في مقرراتها بين العلوم الشرعية واللغوية وبين العلوم الحسابية والهندسية والجغرافيا والتاريخ . وفي شهر رمضان من سنة 1343هـ وُجهت إليه دعوة من النادي الأدبي بالكويت لتكريمه على جهوده العلمية ، وليشهد أفراحهم بنهضتهم الدينية والأدبية التي شاركهم في غرس بذرتها الأولى . فلبّى الدعوة واستقبلوه بالودِّ والاحترام ، وأُلقيت بين يديه الخُطب والقصائد المفعمة بعبارات الإعجاب والتقدير . وكان من بين المحتفين به الشاعر سليمان العدساني والشاعر عبد اللطيف بن إبراهيم آل نصف . ثم عاد إلى الزبير وأقبل على نشر العلم

---

[1] ذكر الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الحازمي أن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي طلب العلم في عنيزة ، والصواب أنه هاجر إلى عنيزة بعدما تضلع من العلم وصار في مرحلة العطاء فاشتغل فيها بالتدريس والإرشاد وتربية الأجيال إلى أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها فعاد إلى منبره في العراق . للتأكد راجع مذكرات الشيخ الشنقيطي التي تعرض فيها لرحلاته وطلبه للعلم .وانظر كلام الحازمي في كتابه (من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر) ، ص/71 .

وخدمته ، واستأنف تعليمه وتوجيهه ، فربى أجيالاً متلاحقة كانوا قمة في الثقافة والفكر ورواداً في العلم والأدب شغلوا مناصب سامية في كل من العراق والأردن والسعودية ودول خليجية أخرى . ورحل إليه الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المغربي فأخذ عنه وصاهره وشارك في التدريس في مدرسته .

كان مالكي المذهب ويميل في كثير من آرائه إلى الأخذ بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .عُرف عنه الزهد في الدنيا والإعراض عن حظوظها، كريماً جواداً بما يملك ، شجاعاً لا تأخذه في الله لومة لائم رحب الصدر صبوراً حليماً ، يعالج جميع القضايا ويسمع من كل أحد .

وتوفي في مدينة الزبير متأثراً بقرحة في فخذه ضحوة يوم الجمعة 14 جمادى الآخرة سنة 1351هـ الموافق 13/تشرين أول 1932م ودفن في مقبرة الحسن البصري رحمهما الله تعالى ، وخلفه على إدارة المدرسة الشيخ ناصر الأحمد .

ومما يعكس تعلق أشقائنا العراقيين بالشيخ وحفظهم لعهده في وقت تألب فيه العدو وعزّ فيه الصديق ما يروى عن سجن الإنجليز للأديب العراقي الشهير محمد صالح بحر العلوم لمدة سبعة أشهر بسبب رثائه لشيخه الشنقيطي وحزنه على فراقه لما في ذلك من النضال ومناهضة الاستعمار[1]. ولم يصل إلينا من تأليفه رغم غزارة علمه ، وسعة اطلاعه سوى مذكرات لخصها الأستاذ الجليل عبد اللطيف أحمد الدليشي الخالدي وألحقها بكتابه القيم الذي أفرده لهذا الجهبذ وجهوده . وذكر فيه أن أصلها يقع في سبعين صفحة تقريباً من القطع المتوسطة[2] . ولعل كثرة أسفاره واشتغاله بالتدريس والدعوة والجهاد ، وتكوين الرجال ، والظروف الساخنة التي عاشها وحياته القصيرة ، الطويلة بجلائل الأعمال حال

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ أحمد بن عبد القادر في الرياض مساء الثلاثاء 1419/11/01هـ الموافق 1999/02/17م ، نقلاً عن الأديب بحر العلوم عندما اجتمع به في مدينة الزبير إبان حضوره لمؤتمر أدبي في بغداد سنة 1405هـ /1985م .

[2] للتوسع في ترجمته راجع : عبد اللطيف الدليشي : الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينة العراقية ، وعبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي : إمارة الزبير بين هجرتين3/ 146 وما بعدها .

كل ذلك دون إيجاد وقت للتأليف . ويكفيه فخراً أنه خلف جمعية مباركة ، ومدرسة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

ومـــن الذين تخرجوا من هذه المدرسة على سبيل المثال لا الحصر الدكاترة عبد الله وعبد العزيز[1] وعبد الرحمن أبناء إبراهيم آل بسام والأستاذ المحامي عبد الرزاق الحمود[2] والأستاذ عـبد الله الشبل والشيخ محمد العساقي والأستاذ أحمد الحمد الصالح . ومعالي الدكـــتور سليمان العبد الله السليم[3] وعبد الرحمن العبد الله أبا الخيل وعبد العزيز إبراهيم العقيل ، والأستاذ صالح ناصر الصالح وغيرهم كثير .

ومـمـا يجـدر ذكــره أن الأستاذ صالح الصالح لما تخرج فتح مدرسة في عنيزة سنة 1347هـــ[4] على غرار مدرسة شيخه الشنقيطي ، فكان يفد إليه الطلاب من المجمعة والــزلفي والرّس[5] بالمملكة العربية السعودية . ويصف الأستاذ المربي عثمان الصالح هذه المؤسســة التعليمـية التي كان من أوائل روادها بأنها: (تلك المدرسة التي سبقت عصرها وزمانهـــا بفترة طويلة) . ولما زار الملك عبد العزيز عُنيزة سُرّ بهذه المدرسة وباركها وقال مغتـــبطاً: (أريد ما رأيته هنا أن أراه عندي في الرياض) . وحين تخرج عثمان الصالح سنة 1352هــ غادرة عُنيزة وأنشأ بدوره مدرسة في المجمعة استجابة لطلب من الشيخ عبد الله العنقري وآخرين من أهل البلدة . وعلّم فيها إلى أوائل سنة 1356هـــ حيث افتتحت أول مدرسة حكومية فألحق بها طلابه وعمل فيها مساعداً لمديرها[6] .

---

[1] الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم آل بسام : انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة 1963م ثم أسندت إليه عمادة كلية التربية في بغداد سنة 1964م ثم اختير ممثلاً للعراق في اليونسكو سنة 1965م . هذا بالإضافة إلى عضويته في الجمعية البريطانية لعلم النفس .انظر صحيفة (مجمع اللغة العربية العراقي) (4-9)سنة 1385هـــ الموافق 1965م ، ص/16 .

[2] الأستاذ عبد الرزاق الحمود : كان نائباً في البرلمان العراقي ثم مشاورا حقوقياً في المملكة العربية السعودية.

[3] الدكتور سليمان العبد الله السليم :شغل منصبا وزارياً في السعودية .

[4] ذكر الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الحازمي أنه افتتحها سنة 1348هـــ ، وقد رجحت تاريخ عثمان الصالح لقرابته من صالح الصالح ، ولصلته العلمية بالمدرسة المذكورة . انظر من أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر للحازمي ،ص/71 .

[5] مذكرات عثمان الصالح : مجلة (المعرفة السعودية) العدد (16) ، رجب 1417هـــ ، ص/93 .

[6] المصدر السابق نفسه ، العدد (17) ، شعبان 1417هـــ ، ص /109-111 .

تلــك هــي مدرسة النجاة الخالدة ، وهذه بعض ثمارها اليانعة الطيبة وصدق الله العظــيم :{وكذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}[1] .

-59 -

الشيخ محمد الحافظ بن المختار العلوي

العالم المحقق ، الشيخ العامل ، تلقى العلم على يد الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهــيم ثم رحل من تكانت إلى الحجاز . وأقام في المدينة المنورة فترة لقي خلالها العلماء والفضــلاء ، ولازم الشيخ صالح الفلاني في الصحيحين ،والسنن الأربعة ، وموطأ الإمام مــالك والشفاء للقاضي عياض . فكتب لــه إجازة حافلةً بذلك . ومر في طريق عودته بالمغرب فاتصل بالشيخ سيدي أحمد التيجاني (ت1230 هــ) في فاس فأخذ عنه ، وأقام في زاويــته ثــلاث ســنين .ثم رجع إلى بلاده سنة 1220 هــ وعكف على نشر العلم والإرشاد ، ويرتبط بإسناده كثير من الأتباع في موريتانيا وفي أصقاع واسعة من أفريقيا.

وتوفي سنة 1247 هــ/1830 م وقبره مشهور عند (إنــفــي) على بعد نحو 60 كلم من بوتلميت رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1- شــرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث . 2- شرح النصف الأخير من خليل . 3-الرسالة التيشيتية . 4-ديوان شعر[2].

---

[1] الرعد: 16 .

[2] محمد بن سيدينا الملقب بدي:نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ(مخطوط)، والمختار بن حامد: حياة موريتانيا (مخطوط)؛ والنحوي : المرجع السابق ، ص/112 ، 123 ، 517 .

-60 -

محمد حبيب الله ابن ما يأبى الجكني

عـالم نحريـر ومحـدث مشهور ، كانت لـه اليد الطولى في القراءات وفي الفقه وأصـوله ، وصـفه تلميذه الأستاذ السيد محمد بن علي الأهدل اليماني بقوله : (المحدث الكـبير ، الحافظ الحجـة والعلامـة المتفنـن)[1]. ولـد في قرية (تكبه) ببلاد شنقيط سنة 1300هـ ، وكان والده الشيخ سيدي عبد الله صاحب السلطة فيها بعدما أحياها وأعاد إليها نشاطها ، وقد حرص على تربيته فنشأ تنشئة حسنة وحفظ ما تيسر لـه من المتون ، ثم اغترب لطلب العلم في منطقتي (الرقيبة) والساحل ، ولازم الشيخ محمد الأمين ابن محمود بن الحبيب حتى برع في فن التجويد وأجازه في قراءة الإمام نافع ثم تخرج على الشيخ أحمد بن أحمد بن الهادي في فقه الإمام مالك وفي غيره من الفنون وانتفع به كثيرا . ولمـا تضـلع من العلوم جلس للتدريس ، وشارك في الجهاد في بلاده ، وكان من أوائل المهاجـرين إلى الحرمين الشريفين إبان الاحتلال الفرنسي للبلاد . وعندما مر بالمغرب في طريقه إلى الحجاز استضافه الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل في السمارة مع إخوته وأبناء عمومته كالشيخ محمد الخضر والشيخ محمد العاقب والشيخ محمد تقي الله والشيخ باب بن آدو وغيرهم من الشناقطة الذين ترجح لديهم وجوب الهجرة عن حكم النصارى وأفتوا بها . فأكرمهم وقربهم وأنزلهم مكاناً لائقاً ، ثم التقى بالسلطان مولاي عبد الحفيظ وأسـكنه معه.في طنجة يأخذ عنه العلم إلا أنه تخلّص منه بعد جهد فأتم هجرته وجاور بالمدينة المنورة مدرساً وواعظاً بالمسجد النبوي الشريف . ولبث فيها أربع سنين وانتفع به الأصاغر والأكابر ، ولما قدم سلطان المغرب إلى الحجاز سنة 1331هـ اعتكف معه في الروضـة الشـريفة حتى ختم القرآن الكريم بين يديه ثم حج معه ، وصحبه إلى فلسطين تقديـراً واحـتراماً فـزار مدينتي القدس والخليل ودرس فيهما . وفي طريق عودته استقر بدمشـق الشـام لمدة واجتمع بعلمائها فأفاد واستفاد ، ثم عاد إلى الحجاز واتخذ من مكة المكرمة سكناً لـه ، ومكث بها ثمانية أعوام مفتياً ومدرساً في حرمها الشريف وفي المدرسة

---

[1] محمد بن علي الأهدل : نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون ، ص /140 .

الصولتية[1] إلى أن انتقل أخيراً إلى القاهرة على إثر خلاف بينه وبين المشايخ النجديين حول مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقد التقى في رحلاته بأعيان العلماء والصلحاء من مختلف الأقطار الإسلامية ، وأجازه بعضهم مثل الشيخ ماء العينين القلقمي المتقدم والشيخ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الفاسي وتدبج معه ، وقد ألف كتابه الجامع لأثباته المعروف بـ (فهرس الفهارس) بناء على طلبه ، والشيخ أحمد بن السيد محمد السنوسي ومفتي المالكية الشيخ عابد بن حسين المالكي والشيخ عبد الله بن محمد غازي الهندي المكي وتدبج معه ، والشيخ عبد المجيد الشرنوبي المصري والشيخ عمر بركات البقاعي الشامي ثم المكي والشيخ محمد كامل الهبراوي الحلبي والشيخ محمد بن جعفر الكتاني والشيخ يوسف ابن إسماعيل النبهاني[2] وغيرهم رحمهم الله تعالى . ولعل أشهر تلاميذه في المملكة العربية السعودية الشيخ أبو بكر بن أحمد الحبشي العلوي المتوفى بمكة المكرمة سنة 1374هـ[3] والشيخ يحيى أمان الحنفي المتوفى بمكة المكرمة سنة 1389هـ والشيخ علوي بن عباس المالكي المتوفى بمكة المكرمة سنة 1391هـ[4] والشيخ حسن بن محمد المشاط المتوفى سنة 1399هـ [5] والشيخ إبراهيم بن داود الفطاني المتوفى بمكة المكرمة سنة 1414هـ[6].

ولما حلّ بمصر احتفى به علماء الأزهر الشريف ، وعُين أستاذا للحديث بكلية أصول الدين ، واعتنى بالتدريس والإفتاء في مسجد الحسين وفي منزله ، مع اشتغاله بالتأليف واهتمامه بأمور المسلمين لاسيما القضية الفلسطينية .

---

[1] المدرسة الصولتية : افتتحها الشيخ علي زينل سنة 1293هـ وكانت من أوائل المدارس الأهلية في مكة المكرمة، ويروى عن الملك عبد العزيز آل سعود أنه قال : (أعتبر هذه المدرسة الأزهر عندنا) انظر الحازمي : المرجع السابق ، ص/153 .

[2] أبو بكر بن أحمد الحبشي العلوي : الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وسلم، ص/73 .

[3] المصدر السابق نفسه ، ص / 76 .

[4] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد عبد الله بن آدو في المدينة المنورة يوم الجمعة 10/08/1417هـ ، الموافق 1996/12/20م .

[5] الشيخ حسن محمد المشاط : رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعت الأنوار ، ص / 21 .

[6] إبراهيم بن عبد الله الحازمي :المرجع السابق ، ص/9 .

كـــان شجاعاً في الحق لا يداهن في دينه ولا يساوم في قناعاته ، ولا تأخذه في الله لومـــة لائـــم ، وعُـــرف بمحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ولأهل بيته رضي الله عنهم ، وحرصه على مجاورته والموت في مدينته المنورة .

وتوفي صباح يوم الخميس 07 صفر سنة 1363هـــ ، وتولى غسله تلميذه الشيخ محمـــد عبد الله بن آدو الجكني ودفن بجوار الشيخ محمد الجنبيهي بمقابر الإمام الشافعي في القاهرة رحمه الله تعالى.

- **تآليفه** : ترك 34 تأليفاً من أبرزها :

1،2-زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم وشرحه فتح المنعم. 3،4-دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك وشرحه تبيين المدارك لنظم دليل السالك[1] .

-61-

محمد الحسن بن محمد مبارك بن سيدي القلقمي

عـــلم من أعلام الشناقطة في الحجاز ، وفقيه من فقهاء المالكية المعدودين في هذه الديار. ولد سنة 1339هـــ في بلدة (ادويرارة) بالحوض الغربي في بلاد شنقيط ، وانتسب في ســـن مبكرة إلى محاضر عديدة منها محضرة باهيم بن جد أم ومحضرة ابن محمد يحظيه ومحضرة محمد محمود بن عبد القادر فحفظ القرآن الكريم وتفقه وأجاد في النحو . وبرز في عـــلم الفـــرائض حتى لُقب بالفرضِي ، وعُرف عنه خبرته بعلمي الحساب والآثار النبوية بالديـــار المقدسة . ولقد حجّ مرتين قبل مجاورته بالمدينة المنورة رجع بعد الأولى إلى بلاده واســـتقر بعد الثانية في السودان للتعليم والإرشاد ، وفي سنة 1365هـــ تحول إلى المدينة المنورة وأسند إليه التدريس في بعض مدارسها القديمة كمدرسة دار الأيتام ومدرسة العلوم الشـــرعية التابعـــتان لرعاية السيد حبيب الهندي . وكان بيته قبلة لطلاب العلم ومقصداً لـــذوي الحاجـــات ومأوى للضعفاء ، ولا يستكثر هذا على مثله من الشناقطة فكرمهم وحسن وفادتهم للقاصي والداني أشهر من نار على علم . ومن تلاميذه في السودان الشيخ

---

[1] للتوسع في ترجمته راجع الزركلي : المرجع السابق 307/6 ، ومحمد حبيب الله ابن ما يأبى : فتح المنعم على زاد المسلم 248/2 ، 334/3 ، 540/5 ، 549 وما بعدها ، وأبو بكر بن أحمد الحبشي :المرجع السابق ، ص/73.

محمد حسن فقيه والشيخ علي وجه محمد وفي السعودية الشيخ عبد الرحمن مضاي الجهني وهو شيخ الشافعية المدرس في الحرم المدني والشيخ عبد الرحمن أبو العلا . وقد صحب أهله ذات مرة لصلة أرحامهم من الشناقطة في اليمن والشام وتركيا . وكان تكسبه من التجارة واقتصر منها على الكفاف ، ولم يترك بعده عقاراً ولا مالاً في وقت كان التملك متاحاً له .

وتوفي يوم الإثنين من ربيع الأول 1398هـ ، ودفن بالبقيع الطاهر بعد صلاة العصر رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-أقرب المناسك في فقه الإمام أحمد بن حنبل وهو نظم يضم (448بيتاً) وشرحه 2-مرشد الناسك على أوضح المناسك في مذهب الإمام مالك وهو شرح لنظمه الذي يضم (405)بيتاً 3-النيل النائض على نظم مفتاح الفرائض .4-بغية الطلاب على نظم قواعد الحساب .5-مجموعة أنظام في ذكر الآثار النبوية والمساجد والبقاع في المدينة المنورة بلغت (184)بيتاً. وقد طبع هذه الكتب تلميذه الشيخ علي وجه المذكور ، ولحفيد المؤلف من ابنته الأستاذ عبد الرحمن بن محمود مختار الشنقيطي عناية بحصر بقية تآليفه وتحقيقها ونشرها[1] .

-62-

محمد الخضر ابن ما يأبى[2] الجكني

ولد في بلاد شنقيط ببلدة (تكبه) الواقعة على بعد 40 كم شمالي مدينة تامشكط سنة1290هـ/1874م . وترعرع في بيت علم وصلاح أنجب علماء فضلاء يعرفون بأبناء ما يأبى ذاع صيتهم في المجامع المشرقية والمغربية ، وشهد الشناقطة لهم ولقبيلهم بالحفظ والتحقيق حتى قالوا : (العلم جكني) وكفى بها شهادة . بدأ المترجم دراسته في بيت والده ثم قاده طموحه إلى منطقة (الرقيبة) وتتلمذ على الفقيه المقرئ محمد الأمين

---

[1] الأستاذ عبد الرحمن بن محمود مختار : المقابلة السابقة بتاريخ 1421/11/10هـ .

[2] اشتهر جده بلقب (ما يأبى) لسخائه ، فكان لا يرد سائلاً كما هو معلوم عند أهل بلاده .

ابـــن محمود في فن القرآن الكريم وأجازه ، ثم رافق شقيقه الشيخ محمد العاقب إلى محاضر تـــيرس وآدرار ، والتحق بمحضرة أهل محمد سالم المجلسي بينما انتسب أخاه إلى محضرة أهـــل حـــامني القـــلاوي في مدينة شنقيط . ولما تخرج وظهرت كفاءته للقاصي والداني وأضـــحى حجـــة في مذهـــب الإمام مالك رحمه الله تعالى ولاه الأمير عثمان بن بكار الإدوعيشـــي قضاء إمارته في تكانت ، وتوثقتْ بينهما أواصر المحبة فزوجه الأمير ابنته أم محمـــد الأمين . وعندما بدأت الجيوش الفرنسية تتقدم للسيطرة على البلاد مطلع القرن العشرين الميلادي حمل السلاح ودعا للجهاد ، وخاض الحرب بشجاعة وإقدام طيلة أربع ســـنوات ، وتعتـــبر موقعة (انيملان) سنة 1905م من أشهر المعارك التي شارك فيها مع أخويـــه الشـــيخ محمد العاقب (ت1327هـــ) دفين فاس والشيخ محمد حبيب الله دفين القاهرة وغيرهم من المجاهدين الشناقطة ، وقد كبدوا العدو فيها خسائر جسيمة . ولما تبين لـــه رجحان الكفة العسكرية لصالح الغزاة هاجـــر إلى المغـــرب ضمـــن وفد كبير يضم شخصـــيات علمـــية وسياسية واجتماعية هامة ، وحطوا رحالهم عند الشيخ ماء العينين القلقمـــي في مدينة السمارة فأكرمهم ، وأقاموا معه مدة ثم توجهوا إلى السلطان مولاي عـــبد الحفـــيظ بن مولاي الحسن الأول في مراكش سنة 1906م فأحسن وفادتهم واتخذ الشـــيخ محمـــد الخضـــر أستاذا لمجلسه العلمي لمدة خمس سنوات ، وتواصلوا مع العلماء وازدهـــرت الســـاحة الثقافية بوجودهم حيوية ونشاطاً إلى أن أعلنت فرنسا حمايتها على المغـــرب فقرر مواصلة هجرته فحمله السلطان بحراً إلى الحجاز ، ودخلها مع جماعة سنة 1330هــــ /1912م فـــأدى فريضة الحج واستقر في المدينة المنورة وتقلد إفتاء المالكية والتدريس في الحرم النبوي الشريف . وقويت علاقته بالأسرة الهاشمية المالكة في الحجاز ، وكـــان بيته مأوى للضيوف والغرباء ومركزاً للمطالعة ومدارسة العلوم ومعالجة القضايا العامة . وفي سنة 1340هـــ/1920م سافر مع الملك عبد الله الأول بن الشريف حسين إلى الأردن فكـــان يقدمـــه لإمامـــته في الصلاة ، وعينه وزيرا له في أول وزارة ، وقاضياً للقضاة غرة سنة 1921م ثم مستشاراً في الأمور الشرعية وعضواً في مجلس المشاورين إلى أن استقال في نوفمبر من نفس العام . كان جريئاً في الحق حاضر الحجة ، شديد التمسك بالمذهب المالكي حتى قال : (لقد حفظت مختصر خليل وشروحه وحواشيه كما حفظت

كتب الصحاح بما فيهم الموطأ وأعتقد أنني وصلت درجة الاجتهاد ، ولكن كلما ازددت علماً ازددت تمسكاً بمذهب الإمام مالك ، إذْ أني أجد فهمه وعلمه أمامي في كل درجة أصل إليها).

وقد قام برحلات علمية وتعليمية مكثفة إلى دول العالم الإسلامي ابتداء من سنة 1922م حتى سنة 1929م زار خلاله العراق ومصر والسعودية وتركيا وسوريا وإمارات الخليج العربي والهند ، ونفع العامة والخاصة ، وترك تلامذة في تلك الأصقاع أصبحوا فيما بعد قادة في العلم والدين . ثم عاد إلى الأردن واشتغل بالتعليم والإرشاد في مسجد عمان الكبير إلى قبيل وفاته حيث انتقل إلى المدينة المنورة وتوفي بها سنة 1353هـ /1935م ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى .

وقد خلف مكتبة نفيسة أهداها نجله الشيخ محمد الأمين المتقدم لمكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالمدينة المنورة واشترط على القائمين عليها أن تبقى مستقلة في جناح خاص فكان له ما أراد.

- **تآليفه :**

1-كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري .2-إيضاح مختصر خليل بمذاهب الأربعة وأصح الدليل .3-قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن في تقليد أئمة الاجتهاد .4-رسالة السيف والموسى في الذب عن البهتان على عيسى عليه السلام . 5-رسالة لزوم الطلاق الثلاث دفعةْ بمالا يستطيع العالم دفعهْ .6-الرسالة الحاوية لأحكام الخلافة والباغية .7-سلم الأرواح والأشباح إلى نيل السعادة والفلاح .8-الفتوحات الربانية (جملة رسائل للمؤلف).9-رسالة في زكاة الأوراق البنكية.10-رسالة في الطعن على التيجانية. 11-إبرام النقض في مسألة القبض .12-استحالة المعية بالذات. 13-القول القاضي بمبانيه .14-تصوف السعادة والنجاح في الرد على متصوفة الرقص والصياح .15-كتاب المشتهى في الرد على التيجاني [1].

---

[1] للتوسع في ترجمته راجع : الشيخ محمد الأمين بن محمد الخضر :مقدمة كوثر المعاني الدراري للشيخ محمد الخضر 1/7-10 ، محمد المصطفى بن أبوه : المرجع السابق ، ص/26 وما بعدها ، والزركلي : المرجع السابق ، 347/6 والمهندس حبيب بن محمد الأمين آل ما يأبى ، المقابلة السابقة في الرياض يوم 2001/07/22م .

-63 -

محمد الطيب بن أحمد ابن حمتي الدليمي

علامة نسابة حافظ للمتون ومؤرخ جغرافي ، ولد في الحوض الغربي في بلاد شنقيط سنة 1337هـ تقريباً . وتوفي والده في الليلة التي أكمل فيها خمس سنين فرحلت به والدته فاطمة بنت القاسم إلى قومها من طلبة أولاد الناصر فحفظ القرآن عندهم وتفقه على علمائهم في الأخضري وابن عاشر والرسالة ومختصر خليل . ثم انتقل إلى محضرة الفقيه ولد بوخريص الطلابي وقرأ عليه الرسم والتجويد وأجازه ، ثم اتجه إلى الحوض الشرقي واستقر بولاته لمدة ثلاثة أشهر ونيف درس خلالها إضاءة الدجنة ولامية الأفعال على الفقيهين أبّ بن شيخنا الداودي وسيدي محمد بن عابدين الكنتي والتقى فيها بالدّاس ابن محمد ومحمد الأمين بن أبّجد التنواجيويان أيام دراستهما هنالك . ثم تحول إلى محضرة في النعمة قرأ فيها أبوابا من مختصر خليل طيلة تسعة أشهر قبل أن يعود أخيراً إلى أبناء عمه في منطقة (عيون العتروس) . ولما تهيأت له الأسباب حمل أمه على الإبل برسم الحج سنة 1365هـ ومرّ بتنبكتو ثم باع الإبل في النيجر وركب السيارات إلى السودان وأقام في الأبيض شهرين درس فيهما الموطأ وصلى التراويح بالناس ثم انتقل إلى الخرطوم وسواكن حيث سافر بحراً إلى جدة ، ونزل بدار جمجوم العامرة . وقد استغرقت هذه الرحلة عاما وأربعة أشهر منها سبعة أشهر على ظهور الإبل . ثم أدى نسكه وزار المدينة المنورة وجاور في مكة المكرمة إلى أن قدم عليه الشريف عبد الله السعدون من العراق فرافقه في زيارة خاصة إلى الرياض سنة 1367هـ . وقد اختير الشيخ مع مجموعة من العلماء والأساتذة للتدريس في معهد إمام الدعوة في الرياض سنة 1373هـ ، ورشحه الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ في صيف هذا العام ليكون قاضياً في الباحة ولكنه اعتذر طلباً للسلامة . ثم عين مدرسا في المسجد الحرام ، واستقال منه لتمريض والدته إذْ لم يكن لها من الأبناء غيره فأسندت إليه إمامة مسجد (طُلبه البخاري) بحي السادة في جرول ، وتكاثر عليه طلاب العلم من مختلف أقطار المغرب والمشرق وتلقوا عنه جميع العلوم من تفسير وحديث وأصول فقه ولغة وغيرها إلا المنطق فإنه كان لا يحبه ولا يعرج عليه ولو استطراداً . وتخرج به جماعة منهم في السعودية الدكتور عدنان بن محمد الوزان والشيخ

عبد العزيز بن علي الكفراوي الصعيدي والأستاذ محمد منير الوذيناني العتيبي والأستاذ علي باروم الحضرمي والأستاذ محمد محمود بن سيدي إبراهيم الشنقيطي والأستاذ سيدي محمد ابن يسلم الشنقيطي وغيرهم كثير . وقد توثقت المحبة بينه وبين بعض الأمراء من آل جلوي الكرام فكانوا يبعثون إليه بصلات خاصة ، كما قويت علاقته بالشيخ عبد العزيز بن باز كبير علماء السعودية والشيخ عبد الله بن احميد والشيخ محمد بن اسبيل إمام الحرم المكي وغيرهم .

وعرف عنه حرصه على أعمال الخير ونفع المسلمين ، فقد بنى مسجدين في موريتانيا واليمن مع كل منهما مسكن للإمام والطلاب ، وأوصى ببناء مسجد له في مكة المكرمة ، وأوقف بها عمارة في المنداوية على أهل القرآن ، هذا مع تعاهده للأرامل واليتامى والمساكين بالهدايا العينية ، ويقرضهم قروضا طويلة الأجل حسب الحاجة ويزكي ديونه . وكان محل ثقة وأمانة لجميع معارفه فيتوسط في الزيجات ويسند إليه بعض الأغنياء مهمة توزيع زكواتهم وأضاحيهم ، وبكلمة واحدة فهو من أكثر علماء الشناقطة انفتاحا على مجتمعه السعودي .ويعتبر الشيخ قدوة في الزهد فكان يتورع عن راتب الإمامة ويتصدق به ، ويخدم نفسه بنفسه مع تمكنه من أسباب الراحة إن أراد وهذا نادر في زماننا.

أما برنامج تعليمه اليومي فقد قسمه إلى ثلاث مراحل :المرحلة الأولى تتم في البيت وتبدأ من بعد طلوع الشمس إلى الزوال ، والمرحلة الثانية تنعقد في المسجد من بعد الظهر إلى العصر ثم يستقبل زواره ، ويتبادل معهم الأخبار وهو واسع الباع ، طويل النفس يناقش ويحاور لإظهار الحق ، وينظر ما تيسر له من الجرائد والصحف ، ويتابع ما يقع فيها من مناظرات ومعالجات لقضايا العصر ، ثم يبدأ المرحلة الثالثة من تدريسه بعد صلاة المغرب إلى العشاء فيصلي ويلج بيته مع خواصه . أما ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس فكان يخصصه للأوراد ولا يجتمع فيه بأحد .وهكذا كانت سيرته حتى وافاه

الحمـــام مســـاء اليوم الثاني من رجب سنة 1420هـــ في مكة المكرمة ودفن في مقابر المعلاه رحمه الله تعالى و لم يخلف ولداً ولا بنتا[1] .

ولله درُّ ابن عبد البر حين قال :

يقولـــون ذكـــر المرء يحيى بنسله ولـــيس لـــه ذكر إذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمـــتي فإن فاتنا نســـل فإنّـــا بـــها نسلو

-64-

الشيخ محمد المجتبى بن خطري البوصادي

وُلد سنة 1307هـــ في موضع يسمى (تكوة) بمقاطعة تامشكط في بلاد شنقيط ، وتـــوفي والده وهو في سن التمييز فتربى مع والدته ، ودرس في محاضر قومه القرآن الكريم ومبادئ الفقه ثم أكمل تحصيله الشرعي واللغوي في محضرتي أهل لبات في تكانت وأهل الشريف سيدي الهادي السملالي في الحوض .

ولما دخل الفرنسيون في منطقة الحوضين جاهدهم مع إخوانه من الشناقطة ثم شدّ الرحال إلى أمير الجهاد الأكبر الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي في مدينة تيزنيت المغربية وعرج في طريقه على أخيه الشيخ سعد أبيه في مدينة النمحاط الذي كانت لـــه صلة وعهد مع الفرسيين فحصل لـــه منهم على تسريح ، وقد ذكر في رحلته أنه مر بآوكـــار في أفلّ وتكانت وآدرار وتيرس وآكشار وبئر أم قرين والزمور . فلما وصل إلى آيدار بلغه نعي الشيخ ماء العينين فعزم على الرجوع ، فرآى فيما يرى النائم أنه التقى به وقال له : (تركت لك ابني الشيخ النعمة) ، فاستأنس بذلك وتابع مسيره حتى بلغ مبتغاه فوجد الناس قد بايعوا الشيخ أحمد الهيبه الملقب بالسلطان الأخضر ، و لم يكن أكبر إخوته فـــبايعه بإيعـــاز مـــن الشيخ النعمة . وقد وقعت أحداث عظيمة خلال تلك الفترة بين المجـــاهدين والفرنســـيين توفي على إثرها الشيخ أحمد الهيبة سنة 1337هـــ بعدما بويع بالسلطنة في مدينة مراكش لأسباب يطول سردها أساسها تمسك الناس بعقيدتهم الإسلامية

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد محمود بن سيدي إبراهيم في مكة المكرمة ليلة الإثنين 1420/11/08هـــ الموافق 2000/02/14م .

وتشبثهم بأرضهم ، وبغضهم للاحتلال الأجنبي إلا أن حركته لم يكتب لها النجاح لكثرة الخونة[1] . وقد لبث في خلافة أبيه سبع سنين ونيف ومن ثم جدد المترجم البيعة على الشيخ النعمة وخاض معه حروبا شرسة ضد المستعمرين في الصحراء وفي جبال وجّان بالمغرب الأقصى ، ولازمه ثمان سنين حتى تخرج به في المعارف الإسلامية ثم رجع إلى أهله وعكف على نشر العلوم والتربية وإحياء الأرض بالزراعة وحفر العيون سيما في موضعي (المرفق) و(المأمون). وفي سنة 1343هـ شدّ الرحال إلى الحجاز أيام الحكم الهاشمي وزار وحصلت له بالمدينة المنورة بشارات خير ، واجتمع بشريف مكة المكرمة الملك حسين ثم قفل راجعاً إلى موريتانيا . وقد استطاع للمرة الثانية إقناع السلطات الفرنسية بالسماح له بالسفر إلى نيجيريا لحاجة ملحة تقتضي حضوره ، واشترطوا عليه عدم تجاوزها بالتنسيق مع حكومتها الفرنسية طبقاً لنظام المضايقة الخاص بمعاملة العلماء والمجاهدين آنذاك . فاصطحب معه مائة أسرة وأقام بنيجيريا شهراً وتتلمذ عليه من أهلها جماعة من أشهرهم الشيخ محمد الناصر الكبيري الخوساوي ثم خف للدخول إلى السودان أيام الإنجليز وبايعته فيها طائفة منهم الشيخ حسن الفاتح ، ثم دخل الحجاز سنة 1358هـ ونجاه الله تعالى من ملاحقة الأعداء فأنشأ قائلاً :

إن طال حزني ودام الهم والسهر	والحزم والعزم والإدلاج والبِكر
وكان ماكان مما لست أذكره	قبل المسير وفيه العجر والبُجر
فالحمد لله زال الحزن والكدر	وجاءني البشر والإفراج والظفر
فهذه أربعُ الحجاز قد برزت	كأنها الشمس ليست دونها ستر
تزينها القبة الخضراء مشرقة	للعين ما معها نوم ولا عور
فيها حبيب النهى محي مراقمهم	وصاحباه أبو بكر ويّا عمرُ
هذا العتيق وذا سلع وذا أحد	وذي قباء وطاب اللهو والسمرُ
وهذه مكة البيت العتيق بها	يزينه ركنه الملم،وس والحجر
هذه الحجون وذي الصفا ومروتنا	وزمزم بعده المقام والحُجر

[1] راجع عبد السلام بن عبد القادر ابن سوده : إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، تحقيق محمد حجي 422/2 .

هذا حـــراء وذا ثـــور وخندمنـــا والأخشـــبان أبو قبس وذا عمـــر

يا نفس أهذا الذي تبغي بلا بـــدل وطال ما كان فيه الفكر والذّكر

فلتشكري من مضى بوصله هبـــة ما مثلها عسجد كـــلا ولا درر

فالحمـــد لله لا حُشْرٌ ولا عُشـــرٌ ولا نداء ولا كُتـــب ولا سُفـــر

والحمـــد لله لا أحصي محامـــده تم المـــراد وتم الســـير والســـفر

كـــان الإلـــه لنا ومن لنا كـــرماً وساعد الدهر والقضاء والقـــدر

يا رب صلّ وسلـــم دائمـــاً أبداً على بشيـــر بدا مـــا مثلـــه بشر

وقد أهداه الشيخ عباس القطان أمين العاصمة المقدسة حينئذ قصرا وبستاناً يعرف بالســـبيل بجوار سقيفة بني ساعدة التي بويع فيها سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه في المدينة المنورة فاتخذه سكنا له فترة من الزمن ثم انتقل إلى مكة المكرمة واستقر بحي جرول في حوش التيسير مع جماعته . واشتغل بالتعليم والإرشاد وأقبل عليه الناس بالمحبة والتبجيل وحضـــروا دروســـه في التفسير وفي الصحيحين وفي الأم للشافعي في الأصول وفي دليل الـــرفاق عـــلى المذاهـــب الأربعة للشيخ ماء العينين ومختصر الشيخ خليل في الفقه وألفية ابـــن مالك في النحو ، وأعجب به العلماء أيما إعجاب .ولما وصلت أخباره إلى الملك عبد العزيـــز آل ســـعود رحب به واستدعاه إلى الطائف فأكرمه وأسداه هدايا سنية ، وخوله مـــزايا كثيرة فأذن لـــه بإجراء عقود الأنكحة لجماعته وأعطاه بذلك (مأذونية شرعية) ، وعـــين له راتباً شهرياً قدره تسعمائة وعشرة ريال من الفضة البيضاء وهو ما يعادل الآن عشرة آلاف ريال سعودي ، ولا يزال جارياً على عقبه حتى اليوم . وقد تردد عليه أعيان الحجاز ، وكانوا يجتمعون عنده لمدارسة العلم من بعد عصر كل جمعة إلى العشاء الآخرة إلا في شـــهر رمضان فيجتمعون من بعد العشاء إلى ما شاء الله ومن هؤلاء السيد علوي عباس المالكي والسيد أمين كتبي والسيد حسن المشاط والسيد أحمد الخياري والسيد أحمد عبد الجواد والشيخ عبد العزيز الدباغ والسيد المحضار والسيد إسحاق عزوز وغيرهم كثير رحمهـــم الله تعـــالى . وكانـــت مجالسه عامرة بالقاطنين والحجاج والعمار يطالبون علمه ويلتمسون دعاءه الصالح ، وتتلمذ عليه كثير منهم ، وقويت علاقته بأهل الشام وبالشيخ محمد الحافظ التجاني المصري .

ويذكر من مناقبه أنه كان يجل آل البيت رضي الله عنهم ويوقرهم ، وإذا قدم عليه أحدهم يقوم إليه ويرحب به ويصدره في مجلسه لا فرق عنده بين كبيرهم وصغيرهم ، ومن قوله فيهم :

أسادتنا الكرام من نسل هَاشِمٍ	محمدنا والآل مع نسل فاطمِ
فلا تتركوا اللهفان يجري مَطَافَكُمْ	تُبين له الأيام أية صارمِ
ملاذا به المولى يخصُّ جَنابكمْ	لواذاً بكم أبغي عن آيَةِ عَالَمِ

وتوفي يوم الإثنين زوالاً بتاريخ 26ذي الحجة سنة 1379هـ في مكة المكرمة بعدما حجّ ، ودفن في مقابر أعيان المالكية بجوار أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في المعلاه رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-ديوان كبير جامع للعلوم .2-رحلة منظومة بالشعر الحساني [1].

-65 -

محمد محمود بن أحمد ناجم التنواجيوي

ولد حوالي سنة 1349هـ بمنطقة الحوض ببلاد شنقيط ، وتوفي عنه والده صغيراً فسهرت أمه على تربيته وتعليمه . وقرأ القرآن الكريم على ابن عمه الشيخ بن الباب ثم تفرغ للتدريس في قبائل مشظوف بمقاطعة تنبدغة . وفي سنة 1374هـ حجّ مع والدته وعائلته عن طريق البر وجاور في المدينة المنورة . وطلب العلم على أرباب الحِلق في المسجد النبوي كالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني والشيخ عمر فلاته والشيخ صالح الفارابلسي والشيخ أحمد الخياري في القراءات . ثم انتظم في دار الحديث والجامعة الإسلامية وحصل على الإجازة في الشريعة الإسلامية فعُين مدرسا لأول مرة في قرية ساجر بالوشم في ضواحي الرياض سنة 1388هـ ، ثم في متوسطة ابن خلدون بمكة

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلتين أجريتهما مع الشيخ محمد الإمام بن أحمد عمُّ في المدينة المنورة يوم 1420/07/22هـ الموافق 1999/10/31م والشيخ خطري بن الشيخ المختى في المدينة المنورة يوم 1422/05/08هـ الموافق 2001/07/29م .

المكرمة ثم في مدارس الجموم وأملج . وتحول إلى المدينة المنورة فدرّس في متوسطتي عثمان ابـــن عفـــان وسعد بن الربيع رضي الله عنهما وثانوية طيبة إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة 1406هـــ . وقـــد اشتهر بمحاسن الأخلاق وكرم الضيافة ، وكان يواسي المجاورين ويسعى في مصالحهم ويعاشرهم بالجميل وكثيراً ما كان يتحمل عن ضيوفه مؤونة حجهم ويشيعهم إلى جدة .

وتـــوفي في المدينة المنورة يوم 29جمادى الآخرة سنة 1417هـــ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى [1].

-66-

محمد محمود بن التلاميد التركزي

العالم الزاهد ، وحيد زمانه في الحديث والسير ، وفريد عصره في اللغة والأنساب ، وصـــفه الأستاذ محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار بأنه: (العلامة المحدث الذي انتهت إليه رئاسة علوم اللغة والحديث في هذه الديار –مصر-)[2] .

وُلد في بلاد شنقيط بمنطقة أشرم سنة 1242هـــ ، ونشأ في وسط ثقافي مزدهري فتلقى العلم عن أبويه وأخيه وخاله . ثم التحق بمحاضر آفطوط والساحل فأخذ عن اجدود ابـــن اكتوشن العلوي ، ومحمد المختار بن بلعمش والمختار بن بونا الجكنيان . ورحل إلى المشرق في أواخر القرن الثالث عشر الهجري فمرّ بمصر وزار الأزهر الشريف ثم دخل مكة المكرمة سنة 1283هـــ فحجّ واجتمع بالأمير الشريف عبد الله بن محمد بن عون وكان من أهل العلم فأعجبه وأكرمه ، وقدّمه في مجالسه العلمية التي يحضرها علماء مكة وغيرهم من أهل الآفاق ، واعتبره مرجعاً فيما يحصل بينهم من بحوث ومناظرات . ثم دخل المدينة المـــنورة في فـــاتح محرم سنة 1284هـــ فتلقاه علماؤها بالفرح والسرور لاسيما أديب الحجـــاز عـــبد الجليل براده وإبراهيم الأسكوبي والشيخ أمين بن حسن الحلواني فلازموه وأخذوا عنه .

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد بن أحمد ناجم في المدينة المنورة في شوال سنة 1421هـــ .

[2] محمد رشيد رضا : مجلة المنار ، المجلد الأول سنة 1315هـــ ، ص/465 .

قال فيه شاعر سوريا وأديبها إبراهيم أفندي كرامه :

من أُفقِ شنقيط في أعلى فروق بدَا — بدرٌ سنا فضله في الكون مشهود

فعالــه وسجايــاه وسيرتــه — ووصفــه واسمه في الناس محمودُ

وشــهد لــه أيضاً شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم بك بتعدد المعارف والمواهب فقــال: (إنه كتبخانة[1] متنقلة)[2] . وقد حصلت بينه وبين علماء الحجاز جفوة لاسيما المدنيون منهم مثل الشيخ الدراج المغربي والسيد علي ظاهر الوتري والسيد أحمد البرزنجي. فأمــا الأول فقد نازعه في رئاسته للمالكية بحجة أنه أعلم منه ، وخطّــأ الثاني في تدريسه للــبخاري على رؤوس الأشهاد ، وأما الثالث فقد ردّ عليه في بعض المسائل .وظلّ يراوح بــين الحرمين الشريفين حتى استدعاه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1304هـــ وانتدبه إلى الأندلس وباريس ولندن للاطلاع على ما في خزائنها من الكتب النادرة التي لا توجــد في القســطنطينية ، فطلــب منه الشيخ محمد محمود رفع أيدي الظلمة عن وقف الشناقطة في المدينة المنورة فوعده ومنّاه .ثم إنه زوده بمؤذن وخادم وسفينة خاصة ، وكلّف أحد العلماء التونسيين بمرافقته . فكان يستقبل استقبال السفراء في كل بلد يحل به . فأنجز المهمــة ، ولكن المشروع ألغي بعد عودته لعدم وفاء السلطان له بإيعاز من علماء المدينة . وفي ســنة 1306هـــ وصلت رسالة إلى السلطان العثماني من ملك السويد والنرويج (أوسكار الثاني) يرجوه فيها أن يوفد إليه الشيخ الشنقيطي لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم . وفي تلك الأثناء جاء سفير السويد لدى مصر آنذاك (الكونت كارلو دي لندبرج)إلى الأستانة لمتابعة أمر الرحلة ، فقابل الشنقيطي بالبهجة والفرح وبيّن له قصد الملك من التنصيص على اسمه خاصة دون غيره من علماء الدول والممالك الذين وجهــت إلــيهم دعوات عامة . وطلب منه أن يقوم بإنشاء قصيدة على أسلوب العرب العــرباء لا على أسلوب الشعراء في ذلك الوقت على أن يتناول فيها مواضيع عددها له. فقبل الشنقيطي هذه الدعوة بشروط منها : أن يكون توجهه بصفة ترفع الإسلام وأهله ،

---

[1] كتبخانة : كلمة تركية تعني المكتبة .

[2] ابن جني : شرح تصريف المازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين 291/3 .

وبأن ينتخب ثلاثة أو أربعة من أهل العلم بالعربية ، ويستصحب مؤذنا وطهاة مسلمين . ثم أنشأ القصيدة المطلوبة التي تزيد على مائتي بيت ، يقول فيها مخاطبا ملك السويد :

دعا الجفلي كل الأنـام معممـاً   وبالـنقري كنت المخصَّصُ بالإسمِ

عـن العرب العرباء آتيك نائبـاً   وعـن أمة الإسلام في العلم والفهمِ

وفي اللغة الفصحى القريشية التي   بها أثبت القرآن في الصُّحفِ بالرسم

ولم أعتمد إلا علـى الله وحـده   وأبرأ ممن خاض في الغيب بالرجـم

ولكـن الرحلة لم تتم على الأرجح لعدم استيفاء شروط الشنقيطي وطلباته . وأما السـفير فقد عاد إلى استكهولم ، وأنشأ خطبة عربية نيابة عن الملك أوسكار الثاني صرّح فـيها بحضـور الشـيخ الشنقيطي[1] وقال مثنياً على السلطان العثماني : (لقد أرسل إلى مجتمعـنا هذا رجلاً عربياً قحاً من أهل المدينة المنورة هو الشيخ محمد محمود الشنقيطي) ، وقـال في موضع آخر منها : (هذه أول مرة أُرسل فيها من قِبل الحضرة السلطانية العالية لأجل لغة القرآن الكريم رجل من صميم العرب لغة وعادة ومنشأ ومسكنا).

ولمـا تأزم الوضع بينه وبين علماء المدينة سافر إلى القاهرة وألقى بها عصا الترحال سـنة 1307هـ ، والتقى بكبار علماء الأزهر الشريف وناظرهم في مسائل كان من أبرزها مسألة سنية لبس الخف الأسود التي أنكروها عليه ، وقوله بصرف (عمر) بحجة أنه علم منقول عن جمع نكرة (عُمرةٌ) وليس معدولا عن عامر ، وما كان كذلك يجب صرفه اتباعاً لأصله حسب اجتهاده ، فخطأ بذلك سلفه النحوي من سيبويه والفراء إلى أيامه . وقـد ناقشه في الأولى شيخ المالكية الأستاذ سليم البشري ، وتصدى له في الأخرى بلديه الشـيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي ولكنه ظهر على الجميع. يقول الدكتور طه الحاجري إنه : (استطاع بهذه المعركة أن يثير جو الحياة الأدبية في مصر)[2] ، ويصف الشيخ أحمد حسن الزيات شيخه الشنقيطي في مواجهته لمناوئيه بأنه كان : (شموس الطبع ، حاد البادرة قـوي العارضة ، يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر ، والدليل المفحم ، واللسان السليط)،

---

[1] حضر هذا المؤتمر 646عضواً ذُكر من بينهم الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو قول مرجوح راجع : معالم التطور الحديث في اللغة العربية وآدابها لمحمد خلف الله أحمد وإرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا لمحمد أمين فكري بك.

[2] الدكتور طه الحاجري (مقال) : مجلة العربي الكويتية العدد (107) ، ص /31 .

و(كـــان لا يـــنفك يتحدى رجال اللغة بالمسائل الدقيقة والنوادر الغريبة ، مستعيناً على جهــلهم بعــلمه ، وعلى نسيانهم بحفظه حتى هابوا جنابه ، وكرهوا لقاءه)[1] .وهكذا أضحت مناوراته حديث المجالس وموضوع الساعة ، وشغل الناس حيناً من الدهر .

ولمـــا أدخـــل الشيـــخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، سابقاً اللغة والأدب في الدراسة الحرة بعد إهمالهما من مناهج الأزهر الشريف لفترة من الزمن أسند تدريس اللغة إلى الشيـــخ الشـــنقيطي . وسُـــئل في الأزهر : ما خير كتاب في علم الصرف ؟ فقال : (الشـــافية لابـــن الحاجب وخير منها شرح ابن جني على تصريف المازني ، ولا يوجد إلا عـــندي). يقـــول الأستاذان الفاضلان إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين في تحقيقهما لهذا الكـــتاب : (فلم يكن في البلاد المصرية كلها مع ما كان فيها من أنفس الكتب نسخة من هذا الكتاب إلى أن هبط مصر الإمام الشنقيطي المذكور في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ومعه نسخة منه)[2] .وعكف في مصر على التدريس وتحقيق ذخائر التراث العـــربي والإســـلامي ونشـــرها فحرر القاموس[3] وصحح المفضليات والأصمعيات[4] ، وكتاب الأغاني[5] ، والمخصص لابن سيده وعلق عليه تعليقات بديعة[6] .

وتـــوفي بالقاهرة قُبيل الغروب من يوم الجمعة 23شوال سنة 1322هـــ ، وقد ناهز الثمانين عاماً. فقام بتجهيزه ودفنه صديقه الشيخ محمد عبده المفتي المذكور .

وخلّـــف مكتـــبة كـــبيرة تضـــم ألفي كتاب[7] نُقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية ، وتعتبر مرجعاً أساسياً للمؤلفين والباحثين في اللغة العربية وآدابها.

---

(1) أحمد حسن الزيات : من وحي الرسالة ، ص /248 ، 250 ، 251 .

(2) ابن جني : المرجع السابق 291/3 .

(3) الفيروز آبادي : القاموس المحيط 1/1 .

(4) الأصمعي :الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ص /5 .

(5) الزركلي : الأعلام 7/311-312 .

(6) اليازجي :الضياء ، السنة السابعة ، ص/212 .

(7) انظر رسالة أحمد بن الأمين العلوي إلى القاضي السالك بن باب عن أخبار المشرق العربي في بداية العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري . نشرتها لأول مرة مجلة (الموكب الثقافي) التي تصدرها اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم في نواكشوط ، (العدد 9-10) .يناير و فبراير 1997م .

وقد رثى الشيخ نفسه في حياته فقال :

سيبكيني التفسير والنحو قبله بكاء اللغات والرواة الأولى أُنمي

سيبكي حديث المصطفى ورجاله أولوا الجرح والتعديل ملعرب والعجم

إلى أن قال :

سيبكي عليّ العلم والكتب بعدما أُغيبُ في رمسي فيندبني باسمي

• **تآليفه :**

1-إحقاق الحق على شرح لامية العرب لعكاش اليمني . 2-الحماسة السنية في الرحلة العلمية. 3-أدلة صرف عمر[1] .

-67-

محمد محمود بن الشيخ بن زيدان البوصادي

أحد أئمة الدين الغيورين على الملة ، ولد في منطقة تجكجة في بلاد شنقيط سنة 1343هـ ، ونشأ بها ، وطلب العلم في محاضرها على عدة شيوخ منهم ابن عمه مصطفى بن سيدي أحمد ، ومصطفى بن ديَّ ومصطفى بن امُّود الأبيريان . وتصدر في بلدته للتدريس والفُتيا والقضاء وانتفع به تلاميذه وقاصدوه . وهو من بيت علم وصلاح اشتهر بالكرم وفعل المبرّات العظيمة ، فجده الثاني العلامة غالي بن المختار فال كان مقدماً في العلوم ، مبرزاً في فنون السيرة والعربية والشعر . وشهد له بذلك معاصروه . قال فيه العلامة الأديب حرمة الله بن عبد الجليل العلوي :

لله درك ما أغلاك من غالي يا ذا البوصادي وما أعلاك من عالي

لله درك في علم وفي أدب لله درك في قول وأفعال

وقال فيه العلامة صالح بن عبد الوهاب الناصري حين رثاه مشيداً بعلمه وبمكانته السامقة :

وإن لم أكن أجزع لفقدان هالك فإني على فقدان غال لجازع

---

[1] للتوسع في ترجمة الشيخ محمد محمود التركزي راجع رحلته العلمية السنية وأحمد بن الأمين : المرجع السابق، ص 381 وما بعدها ، والزركلي : المرجع السابق 7/311-312 .

ومـدّكـر أيـام غالـي وأنسـه   وتعليمه ما عشت والموت واقـع

إلى أن قال :

لقد كان مـن أعيـان أبنـاء مالـك   وهم معشر شمٌ كـرام مصـانعُ

وكان جده الرابع الشيخ أحمد تلمود عالي الرتبة ، مجلياً في العلوم ، فعّالا للخيرات وإلى ذلك أشار العلامة محمد اليدالي الديماني في مرثيته له بقوله :

فـالغوث أحمدنـا حانـت منيـته   وذي منصـته أودت بـودّاد

و هـذه بكـرات القعـوِ تندبـه   وأحبـلُ سانية و ساقِي الصادي

وقد ارتحل المترجم إلى المشرق في أواخر سنة 1394هـ فأدى مناسكه وجاور في المدينة المنورة متفرغاً للتعليم والعبادة . وكان وقت درسه في المسجد النبوي الشريف يبدأ من صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، ومن صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، وما فضل من الوقـت يصرفه في المطالعة والتأليف ، وتأدية الحقوق الأخرى. كان فاضلاً خيراً ، محارباً للبدع ومناوئا للدساتير الوضعية ، والقوانين الخارجة عن تعاليم الإسلام الثابتة .

وتـوفي أثناء التدريس في روضة الجنة قُبيل الإشراق بعدما صلى الصبح قائماً يوم 22صفر سنة 1414هـ ، ودفن في بقيع الغرقد بالمدينة المنورة رحمه الله تعالى .

- تآليفه :

1-إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة . 2-رسالة في الرد على القائل بجريان الربا في كاغد العملة .3-فتاوى في مواضيع متعددة [1].

- 68 -

محمد محمود بن عبد الوهاب

آل عبد الحميد العلوي

قال العلامة سيدي أحمد بن أينُ العلوي حين عرض عليه أهل مدينة شنقيط القضاء بعـد هجـرة المترجم إلى الحجاز : (ورد عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع نجله الأستاذ محمد بن محمد محمود في المدينة المنورة يوم 1421/06/05هـ الموافق 2000/09/03م .

وسلم قال: (القضاة ثلاثة واحد في الجنة) ، أحسبه محمد محمود ابن عبد الحميد[1] (واثنان في النار) لن أكون أحدهما). وبقية الحديث : (فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) رواه أبو داود [2] .

ولد في منطقة الحوض ببلاد شقنيط وتوفي والده وهو صغيراً فنشأ في حجر والدته وقد سافرت به صغيراً إلى أبناء عمومته في بلدتي النّباغية وبارينه في منطقة القِبلة . وتتلمذ على علمائهم حتى تبحر في العلوم نقليها وعقليها . ولما توفيت والدته توجه إلى مدينة شنقيط وهو في ريعان شبابه واجتمع بعلمائها وفقهائها . فلما عرف قاضي الوقت بها الشيخ بن حامّني القلاوي عدالته وعلو كعبه في العلم وفطنته وحدة ذكائه تنازل له عن القضاء فرفضه ، ثم ألزمه له بالحجة . وأقبل عليه طلاب العلم واستفادوا من معارفه وانتفع به الأهالي غاية . وعندما دخل الفرنسيون البلاد انضم إلى كتائب الجهاد وشهد وقائع تكانت ، وقيل إنه حضر يوم انيملان المشهود . ومن ثم خرج مهاجراً إلى الحرمين الشريفين ، وترك عياله وماله . فمر بالمغرب والتقى بأفاضله وعلمائه ، وتزوج بسيدة من قبيلة تفلالت هي أم ولده الأستاذ الحسن الشنقيطي صاحب أول مكتبة تجارية في الرياض بالسعودية. ثم دخل مكة المكرمة وأدى حجة الإسلام ثم جاور بالمدينة المنورة ، وباشر التدريس في حرمها الشريف .

واشتهر بالزهد في الدنيا وإعراضه عنها حتى قيل له ذات مرة : إن بعض رفاقك صارت لهم دورا وأملاكا في المدينة المنورة فما بالك لا تكون مثلهم ؟ فقال: إني أريد قصوراً في الجنة ولا أريدها في الدنيا .

وتوفي سنة 1336هـ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى ، وقد خلف مكتبة نفيسة في مدينة شنقيط . ولحفيده الأستاذ سهيل بن الحسن اهتمام بصيانتها ورعايتها[3] .

---

[1] أي يحسب أنه من ثُلث القضاة الناجين لما عرف من عدالته وتحريه للحق .

[2] أبو داود (3573) .

[3] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ سهيل حسن عبد الحميد بتاريخ 1422/03/09هـ وأضفت إلى ترجمته ما ثبت لدي من أخباره .

- 69 -

الشيخ محمد محمود التندغي

فقيه طبن ، وعلامة في الحديث وعلومه . قال عنه الشيخ محمد الأمين فال الخير الشنقيطي : (كان عالماً ، ورعاً نبيهاً ، حافظاً واسع النظر في كل شيء) .

جاور في مكة المكرمة على عهد الأشراف ، وتولى إفتاء المالكية فيها مدة من الزمن . ثم سافر إلى العراق سنة 1343هـ ونزل في ضيافة الملك فيصل الأول ابن الشريف الحسين فأكرمه وبوأه مكاناً لائقاً ، وأجرى عليه وعلى ولده . وتولى التدريس والإرشاد في جامع الفضل ببغداد ، فكان ابنه يقرأ النص في الكتاب ثم يأخذ هو في الشرح فيفيض كالبحر الزاخر لا يردد عبارة ولا يكرر لفظاً، وكأنه يتلو عدة أسفار ، والناس من حوله آذان مصغية كأن على رؤوسهم الطير . وشهد له كل من عاصره من علماء العراق أنه كان آية في الحفظ والذكاء ، وسرد الحديث ومعرفة رجاله بإتقان. وذكر الشيخ عبد الوهاب عبد القادر إمام جامع حسن بك في الأعظمية أن الملك أراد أن يسند إليه جهة الإفتاء إلا أن بعض المنتفعين عارضوا ذلك، وتمنوا إزاحته لأنه غطى عليهم ، وأصبحوا وكأنهم طلاب في حلقة درسه ، كما قال الشاعر :

حسدوا الفتى إذْ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغضاً إنه لدميم

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال : (سمعت أبي يقول : كان العلماء فيما مضى إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم يقول : هذا يوم غنيمة ، وإذا لقي مثله ذاكره ، وإذا لقي من دونه لم يزه عليه . واليوم يعيب الرجل من فوقه ابتغاء أن يُنقطع عنه حتى يري الناس أنه ليس بهم حاجة إليه ، ولا يذاكر مثله ، ويزهو على من هو دونه فهلك الناس). قال المناوي معلقاً على كلام الراوي : (هذا في ذاك الزمان فما بالك بالناس الآن وما انطووا عليه من جحد الفضائل مع قيام الدلائل ، وحب الرئاسة والتعظيم ، والتسارع إلى نبذ من تلوح عليه شواهد العلم بالقصور ، ويلتمسون بكثرة الانتقاد العثرات ، ويسترون رسوم الحسنات ببعض السقطات)[1].

---

[1] المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير 369/6 .

ثم رحل الشيخ الشنقيطي إلى الأردن فرحب به الملك عبد الله بن الشريف حسين واستقبله بالتجلة والإعظام ، وظل هناك حتى توفي في عمان رحمه الله تعالى و لم نقف على تاريخ وفاته[1].

-70-

الشيخ محمد المختار بن أوكال الكنتي

ولـد في بلاد شنقيط سنة 1302 هـ ، ولما شب ألتحق بآل الشيخ ماء العينين القلقمـي في الصـحراء الغربية ،والتقى بالشيخ أحمد الشمس الحاجى فتتلمذ عليه وأقام بزاويـته في فاس .ثم رحل معه إلى الحجاز سنة 1329 هـ أيام الأتراك، فأدوا مناسكهم وجاوروا في المدينة المنورة . ولازم شيخه ينهل من علمه ويستفيد من سلوكه وشمائله أكثر مـن عشـرين سـنةً إلى أن توفى رحمه الله تعالى . ثم اتصل بعلماء المدينة المنورة في عهد الأشراف ، وسمع منهم ما تيسر له من المعارف ، وبرع في القرآن الكريم والعلوم الشرعية وعـندما ضمت الدولة السعودية إقليم الحجاز اجتمع بعلمائها ، فأعجبهم علمه وسجاياه الطيبة . وأسندت إليه الإمامة والتدريس في مسجد قباء،وقضى بقية حياته في محرابه يدرس الحديـث والفقـه ويرشد الناس إلى الخير مع تمسكه بعهد شيخه الذي تملكه حبه . وظل يستأنس بمناقبه ، ويرويها للأجيال بكل فخر واعتزاز إظهاراً للحق ، وإنصافاً لأهل الفضل إلى أن فاضت روحه إلى بارئها سنة 1382 هـ في المدينة المنورة،ودفن ببقيع الغرقد رحمه الله تعالى[2] .

---

[1] الدليشي : المرجع السابق ، ص/31-32 .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ مأمون محمد أحمد في المدينة المنورة ليلة الثلاثاء 02 /1999/11م .

-71-

محمد المختار بن محمد سيدي الأمين الجكني

الشهير بابن أحمد مزيد

قـال عـنه تلميذه الدكتور نايف هاشم الدعيس الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بالسـعودية: (الشيخ محمد المختار الشنقيطي .. قد ضرب في كل فن من الفنون بسهم ، فـإذا اسـتعرض معاني كتاب الله قلت المفسر الذي لا يبارى ، وإذا حدّث قلت المحدث الجهبذ الفريد . وإذا تكلم في العربية وغيرها قلت الخطيب المفوه والعالم النحرير).

وُلد في بلاد شنقيط سنة 1337هـ في موضع قريب من الرشيد يسمى (الشُّقيق) كان مزرعة لأهله، وهو من بيت علم معروف فكان والده رئيسا لآل مزيد وشيخاً لهم ، وكان جده المختار عالم زمانه . وقد تربى الفتى محبا للعلم فابتدأ بحفظ القرآن الكريم على يـد والدته ولكنها توفيت قبل تمامه فأكمله على يد والده ،وأخذ علومه عن الشيخ محمد سالم بن عبد الجليل والشيخ محمد بن محمود بن الحبيب ، وتلقى عن الشيخ أحمد بن مود علوم النحو والصرف والفقه والأصول وانتفع به كثيرا . وفي سنة 1356هـ خرج من مسـقط رأسـه مهاجـراً عن حكم الفرنسيين ، وألقى عصى الترحال في الحجاز فأدى مناسكه وجاور في المدينة المنورة . واتصل بحلق العلم هناك فتتلمذ على الشنقيطيين الشيخ عمر السالك ابن اسويدات الحاجي والشيخ محمد الحسن بن سيدي القلقمي ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة سنة 1359هـ وسمع من الشيخ محمد العربي التباني موطأ الإمام مالك وسنن النسائي وأبي داود، وجالس الشيخ حسن المشاط وأجازه في الصحيحين والسنن ، ثم دخل مديـنة الـرياض وصحب الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ واستفاد منه . وهكذا جمع علوماً كثيرة ومعارف جمة فبرز في التفسير والحديث والفقه وفي السيرة والتاريخ والأنساب وفي سنة 1366هـ باشر التعليم في مدارس الفلاح الأهلية في جدة بتطلب من القائمين عليها ، وخصص لطلبة العلم دروسا عامة بين العشاءين في مسجد عكاشة الواقع في وسط جدة القديمة . وفي سنة 1371هـ اختير ضمن نخبة من العلماء للتعليم في المعهد العلمي في الـرياض إبان افتتاحه إلى سنة 1378هـ حيث عُين مدرساً بدار الحديث في المدينة

المنورة ، ثم أستاذا في الجامعة الإسلامية لاحقاً سنة 1382هـ إلى أن تقاعد بطلب منه سنة 1403هـ .

وكانت له حلقة غاصة بالطلاب في المسجد النبوي الشريف يعقدها في ثلاث أوقات متفواتة بعد الصبح والظهر والمغرب ويدرس فيها تفسير القرآن الكريم والصحيحين والموطأ وسنن النسائي وجامع الترمذي ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي ، ومغني المحتاج في الفقه الشافعي ، والسيرة النبوية لابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير في التاريخ . وقد خصص يومي الإثنين والخميس للتدريس في مسجد قباء ، وتولى فيه الإمامة والخطابة لبعض الوقت . ولعل أبرز تلاميذه في السعودية الشيخ الدكتور نايف هاشم الدعيس ، والشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ راشد بن خنين ، والشيخ عبد الله الزاحم ، والشيخ علي مشرف ، والشيخ عطية محمد سالم، والشيخ عبد المحسن آل الشيخ ، والدكتور محي الدين كيال ، وفي قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، والدكتور أبو عبد الملك بن ناصر البر وابنيه الدكتور عبد الله والأستاذ محمد ، وغيرهم كثير من سائر الأقطار . وكان المستحق لوقف مفتي المالكية بالمدينة المنورة بلا منازع ، واشتهر بتعلقه بالكتب واقتنائها ، فكان لا يرى كتاباً يعزى له إلا سعى إلى تحصيله ، ومطالعته ، حتى اجتمعت له مكتبة عظيمة ملأت بيته وسترت جدرانه ولم يبق منه إلا محل جلوس الضيوف والزوار . وقد أنشأ مزرعة في طريق المطار كان يتعاهدها ويشرف على استصلاحها ، ولم يزل معمراً أوقاته بالتعليم والإرشاد وسائر الطاعات حتى فاضت روحه إلى بارئها مساء الثلاثاء الموافق 29جمادى الأولى من سنة 1405هـ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى وترك أبناء فضلاء برز منهم الشيخ محمد وهو شخصية علمية نادرة ، وداعية إسلامي مؤثر ، يعمل حالياً عضوا في هيئة التدريس بالجماعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومدرساً في المسجد النبوي الشريف وخطيبا في مسجد قباء . وله محاضرات أسبوعية في مكة المكرمة ، وجدة ، ومناطق أخرى من المملكة العربية السعودية حفظه الله تعالى ووفقه ونفع بعلمه .

● تآليفه :

1-الجـواب الواضـح المبين في حكم التضحية عن الغير من الأحياء والأموات .

2-شـرح سنن النسائي ، وقد وصل في شرحه إلى باب الوضوء ولكن الأجل حال دون ختـامه وبلغـني أن نجلـه الشـيخ محمـد المذكور آنفاً يتحين الفرصة لإتمامه إن شاء الله تعالى [1].

-72-

محمد المختار بن يوسف التنواجيوي

وُلد سنة 1315هـ في بلاد شنقيط بمنطقة الحوض الغربي وتفقه على يدي والده وتأدب به وتزكى . ومن ثم كلّفه بتعليم إخوته القرآن الكريم والعلوم الشرعية فتفرغ لهذه المهمة حتى غلب عليـه الاشتياق إلى الحرمين الشريفين فاستأذن والـده في الحـج سنة 1352هـ . ولما دخل جدة نزل في دار جمجوم العامرة ، وهو عريف الشناقطة بها ، وتوطدت علاقته بالتاجر السيد أحمد باعشن فأكرمه وأهداه مالا كثيرا ، ثم أدى مناسكه وزار وقفـل راجعاً . واستغرقت رحلته أربع سنوات ، وتوفي والده بعد مقدمه بسنتين . فجلس مع إخوته ثمان سنين حتى حصل لهم المطلوب ، وامتحن علمهم وحفظهم وأشهد عليهم كبار الحي من أبناء عمومته خروجاً من عهدة الوصية .وفي سنة 1366هـ ارتحل إلى الديار المقدسة مهاجرا عن حكم النصارى وجاور في المدينة المنورة ، وباشر التدريس في الحـرم النـبوي ثم اقتصر على التعليم في مسجده ومنـزله . وكان ممن قرأ عليه فيها التاجر المعروف حسين أبو العلا وجماعة من الطلاب الشاميين ، وقد سجلوا دروسه على أشـرطة الكاسيت . وكان يتردد على دولة السودان وترك فيها طائفة من تلاميذه منهم الأسـتاذان عـبد الله وعبد الوهاب أبناء عبد الخير في بورت السودان ، والقاضي محمد القرشـي في عطبرة . وقد لحق به إخوته وجاوروا معه في الحرمين الشريفين ، ولهم فيهما جهود علمية واجتماعية مشكورة .

---

[1] للتوسع في ترجمته انظر : محمد المجذوب : علماء ومفكرون عرفتهم ، ص/171-258 ، وأنس يعقوب الكتبي: أعلام من أرض النبوة ، ص/173-178 والشيخ أحمد الملقب أدو بن أحمد بابا : المقابلة السابقة مساء الثلاثاء 1421/11/12هـ الموافق 2001/02/06هـ

وتوفي في شهر رجب الفرد سنة 1400هـ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى [1].

-73-

محمد مكي بن أحمد الهادي اللمتوني

قال عنه العلامة السيد إسماعيل بن مهدي الغرباني اليمني : (العلامة المحدث الشهير أحد رؤوس أعلام السادات المالكية السيد محمد المكي الشنقيطي)[2].

كان مجاوراً في المدينة المنورة سنة 1330هـ ، وطلب العلم على علمائها وأجازه الشيخ محمد حبيب الله ابن ما يأبى بجميع مروياته ، وحصل على شهادات علمية وقضائية من الأزهر الشريف في القاهرة ، ومدرسة (نيشان طاش) في اسطنبول على عهد الدولة العثمانية . ثم اتصل بالشريف حسين في مكة المكرمة أيام ثورته سنة 1916م فقلّده الإفتاء والقضاء في ثغر الوجه والعقبة على التوالي ثم مدرسا في المدرسة الهاشمية في جدة . وفي سنة 1343هـ رحل إلى اليمن عن طريق السودان فنزل على الدباغيين في حضرموت فأكرموه ، وعلم في مدرستهم (الفلاح) ، ثم دخل عدن وأسندت إليه الإمامة والتدريس في أحد مساجدها وفي المدرسة التابعة له في حافة حسين وقد اشتهرا باسمه فيما بعد . ثم عينه أمير لواء حجه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى مفتشاً للمعارف ، ومديراً لمدارسها . وفي سنة 1357هـ تحول إلى لواء الحديدة فاحتفى به أميرها السيد عبد الله ابن أحمد الوزير ، وكان يحب الشناقطة ويقدرهم ، فأنزله مكاناً لائقاً وعينه مديراً لمدارسها حتى سنة 1361هـ حيث تولى إمارتها سيف الإسلام عبد الله بن الإمام يحيى فعاد المترجم إلى ولي العهد سيف الإسلام أحمد أمير لواء تعز ثانية فأحسن إليه وأسند إليه التدريس في مسجدها الكبير المعروف بجامع المظفر ، فكان يحدث المصلين وطلبة العلم ما بين العشاءين ، وانتفعوا به غاية . ولما دخلت اليمن تحت الحماية الأجنبية صدر أمر المعتمدة البريطانية لمحمية عدة الغربية بتعيين الشيخ الشنقيطي قاضياً للسلطنة الفضلية في

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ عبيدة ابن يوسف في المدينة المنورة ليلة الجمعة 10 شعبان 1417هـ الموافق 1996/12/20م .

[2] السيد إسماعيل بن مهدي الغرباني : نفس الرحمن فيما لأحباب الله من علو الشان ، ، ص /204 .

أبـين، ثم عينته قاضياً في الضالع . وحينما أصدر الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربـية السعودية نداءه إلى المهاجرين بالعودة إلى بلادهم[1] ليسهموا في بنائها ونهضتها استجاب له ، وانضم إلى قافلة العائدين فنقل مع عائلته جواً من مدينة تعز إلى مدينة جُدة على حساب الخزينة العامة السعودية سنة 1375هـ . وصدر قرار بإعطائه مخصص ذاتي إلى حـين توظـيفه ، وقد استمر في هذه الوضعية حتى أقعده المرض . وكان يحب الخير ويـتوخى العدل في أحكامه ، ويرفض الهدايا بكافة أشكالها لمكانته ، وعرف بمحبته للنبي صـلى الله عليه وسلم ولأهل بيته رضي الله عنهم . ومن أنظامه التعليمية قوله في أعمامه عليه الصلاة والسلام :

أعمامـه عشـرة شـجعان ... وفـيهم يختلف الأقـران

حمـزةٌ عـباسٌ غـيداق غُـثمُ ... والحارثُ الزبيرُ والمقـوِّمُ

أبو طـالب ضـرارٌ أبـو لـهبْ ... والمسلمان الأولان والعجـم

إلى أن يقول في أبي طالب :

رأي الجمهـور ما روى البخاري ... من كفـره وأنـه في النـار

ورأي غيرهـم خلاف مـا رووا ... وفسقـوا المـروي عنه ونفوا

فحـالهم كمـا تـرى وحـالهْ ... فمـا لهـُمْ وما لَنا وما لَـهْ

فربـك العليـم بالعبـاد ... لا ذا مكفـرٌ و لا ذا هـادي

وقـد سافر في أواخر حياته إلى مدينة الظهران للاستشفاء بمياهها الصحية المعروفة بعـين نجمة فقضى نحبه فيها سنة 1398هـ ، وقد طعن في المائة سنة ، ونُقل إلى مكة المكـرمة وصُـلي عليه في حرمها الشريف بعد العشاء الآخرة ، ودفن في المعلاه رحمه الله تعالى .

وقـد خلـف خزانة هامة تحتوي على مخطوطات نفيسة ، ولا يزال ابنه الأستاذ هاشم يرعاها ويضيف إليها من المراجع ، وقد بلغت الآن عشرُ خزانات كبيرة .

---

[1] لعل هذا النداء الثاني بعد نداء الملك عبد العزيز آل سعود الأول إلى المهاجرين بالعودة إلى وطنهم سنة 1354 هـ ، انظر محمد علي مغربي : المرجع السابق 106/1 .

- **تآليفه :**

1-إكليل التفسير الذهبي في آية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
2-الجدول الرائض في علم الفرائض . 3-رجز في السيرة النبوية .4-رسالة في الموازين .
5-أسنى المظاهر في تاريخ بني ظاهر(من الدول التي حكمت في اليمن) . 6-منظومات أخرى في ترتيب سور القرآن الكريم وفي الفرائض .

ولنجله الأستاذ هاشم المذكور مشاركة أدبية وعلمية متميزة منها :
1-معجم أعضاء جسم الإنسان .2-موسوعة دول العالم .3-كشكول هاشم[1].

-74-

محمد المصطفى بن الإمام العلوي

قال عنه شيخه الشيخ صالح الملقب نجم الدين بن الفضيل الرزقي التونسي المدرس في الحرم النبوي الشريف سابقاً: (لم يصحبني مثل الشيخ محمد المصطفى الشنقيطي ذكاء وكرماً وسخاءً ومروءة وعفة ، وقناعة ونصحاً وتواضعاً لمشايخه ولأهل الفضل ، وللفقراء والأرامل وأهل الحاجات. وتباعداً عن أهل الدنيا ومناصبها ، وقلة مبالاته بهم ، وعزة نفسه بالقناعة عما في أيديهم ، وعدم التعرف بهم).

وُلد في رمضان من سنة 1315هـ بمدينة تجكجة ببلاد شنقيط ، وتوفي والده وهو ابن ثلاث سنين لا يتخيله فربته والدته خديجة بنت سيدي آل الشيخ سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي، فنشأ معها على أحسن حال مع إخوته وعشيرته . وتلقى عنها مبادئ التوحيد والفقه والنحو ، ودرس على صديقتها أم الفضل بنت محمد أشياء ، وحفظ القرآن الكريم على الشيخ محمد محمود بن محمد الشيخ . وكانت والدته تحضره عند شيخها المعمر الشيخ محمد البناني بن أحمد جدُّ فيضع يده على رأسه ، ويدعو له ، ويقول : (أنبتك الله نباتاً حسناً وعلمك الكتاب والحكمة وجعلك باراً بوالديك).
ثم تعمق في علوم الفقه والنحو والصرف والعروض وأشعار العرب وطلبها على عدة مشايخ منهم خالاه الشيخ سيدي محمد والإمام الحضرمي ، وأخواه محمد محمود ومحمد

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ هاشم مكي في جدة ليلة الجمعة 1422/05/27 هـ ا الموافق 2001/08/17م .

والشيخ محمد الشيخ بن المختار والشيخ سيدي جعفر بن سيدي علي والشيخ محمد الأمين ابن أحمد آل الحاج المختار . ثم اشتغل بالتجارة وتنقل بين مختلف مناطق شنقيط . واجتمع بكثير من أجلاء العلويين كالشيخ محمد فال باب بن أحمد بيب والشيخ محمد الأمين ابن أحمد بدّي والشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، والشيخ عبد الله بن الحاج ، ولقي أيضاً الشيخ سيدي محمد بن داداه الأبيري وغيره من فضلاء القبائل.

ولما توفيت والدته خرج من بلده حاجاً آخر يوم من شعبان سنة 1347هـ فوصل إلى بيروت وحصلت له بها كرامة جليلة وذلك أنه ضاعت دراهمه بها قبل أن يدفع أجرة السفينة إلى جدة فطلب من أهلها أن يحملوه ويأخذوا الأجرة من دراهمه المؤمنة عند الحكومة الفرنسية فامتنعوا .واشتغلوا بتسفير الحجاج ، وكان الموسم قد اقترب ، ففوض الأمر إلى من له الخلق والأمر سبحانه. وبينما هو في الكرنتينة إذْ قدم نصراني برتبة الكندار فحياه وسأله عن خبره ، فذكر له طرفاً منه ، فاستشاط غضباً وصاح بالموظفين ، وأمرهم بتقديم أوراقه وإتمام إجراءات سفره . ثم التفت إليه وقال : أرح خاطرك فلن يركب أحد السفينة قبلك وودعه وانصرف ، فصار أمره عجباً بين الركاب . ورست السفينة في ميناء جدة ضحوة يوم الجمعة أول يوم من ذي الحجة سنة 1347هـ ، ودخل مكة المكرمة بعد صلاة عصر يوم الأحد ثالث الشهر ، ثم أدى فريضة الحج وتوجه إلى المدينة المنورة ودخلها في فاتح سفر من سنة 1348هـ فأقام بها ، وأكب على طلب العلم متجنبا مخالطة الناس لما صادفه من الاضطرابات الدينية الناتجة عن تباين المشارب ، وعضّ بنواجذه على ما تلقاه من علماء بلده من الكتاب والسنة ، واقتصر على خاصة نفسه . وكان يتعاهد الحلق في الحرمين الشريفين ، ويتفقد مشايخها لعله يصادف من يطمئن إليه حتى تحققت بغيته ، وتتلمذ على سبعة أعلام أجازوه بجميع مروياتهم ومسموعاتهم ، وهم على التوالي : الشيخ محمد عبد الله بن زيدان الشنقيطي المتوفي في القاهرة سنة 1353هـ ، والشيخ عمر بن حمدان المحرسي التونسي المتوفى بالمدينة المنورة سنة 1368هـ والشيخ صالح نجم الدين بن الفضيل الرزقي الكافي التونسي المتوفى في المدينة المنورة سنة 1376 هـ والشيخ عيد القادر بن توفيق الشلبي الطرابلسي الشامي المتوفى في المدينة المنورة سنة 1369هـ والشيخ السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المغربي

والشيخ محمد عبد الباقي بن ملا محمد الأنصاري اللكنوي المتوفي في المدينة المنورة سنة 1364هـ والشيخ محمد علي بن الشيخ حسين الأزهري المالكي المتوفى في الطائف سنة 1367هـ . وقد أثنى عليه مشايخه وأعجبوا به وقدموه للقراءة بين أيديهم ، وكان بعضهم يستخلفه في درسه إذا حصل له مانع ، ويحيل عليه في كثير من المسائل المشكلة فيشفي فيها الغليل .

ومن عجيب ما اتفق له مع الشيخ صالح التونسي أنه كان في بداية انتسابه إليه يجلس وراء ظهره متخفياً في عباءته . يسمع ولا يتكلم والشيخ لا يعرفه وكان هذا العلامة لا نظير له في حسن التقرير ، وضبط مسائل الدروس ، وربط آخرها بأولها . وكان يختبر الطلبة بما ألقى عليهم في الدروس الماضية فلا يجد عندهم من الضبط ما يرضيه ، فقال لهم ذات يوم : (إني ليحزنني أنكم لا تستطيعون أن تردوا علي ما أمليت عليكم في هذا الأسبوع ، ولو أن كل واحد منكم يأتي بمسألة واحدة حتى تلفقوه لكان ذلك يسرني وينشطني ، فكيف لو وجدت فيكم من يحفظ الدروس كلها كما فعل الإمام الشافعي مع الإمام مالك رحمهما الله تعالى لكان في ذلك نهاية سروري وزيادة نشاطي). فعند ذلك كلمه الشنقيطي قائلاً : (يا سيدي أبشر فإنه قد ورد عذب زلالكم من يرد عليكم كلّ ما اغترف من فيض بحركم في هذه الأيام التي تشرف فيها بحضرتكم) ، فالتفت إليه الشيخ فرآه غير متظاهر بزينة ، ولا متقدما لرتبة ، فقال : إن في الزوايا خبايا ، هات ما عندك . فقال : يا سيدي كان أول حضوري يوم كذا وقررتم كذا وكذا ، وتتبع له دروس الأيام التي حضرها درساً درسا ، فأعجب به ، وفرح فرحاً شديداً . ثم ختم الدرس وأخذه معه إلى بيته وأطال المذاكرة معه فازداد محبة فيه ، وقدمه في صدر مجلسه . وصار ينيبه في درسه في الحرم النبوي ، فأحبه الطلبة واستفادوا منه كثيرا ، وأقبل الناس إليه ولهجوا بالثناء عليه. وكان يقول : (ما دخلت دائرة أهل العلم إلا بواسطة ما استفدته من بحر شيخي الشيخ صالح التونسي ، فاستفادتي من جميع مشايخي لم تبلغ استفادتي منه).

ومما يروى عن قناعته وعفته وصبره على لأواء المدينة المنورة أنه أمضى ثلاثة أيام بلياليها لم يذق فيها غير الماء ، ولم يعلم بحاله غير خالقه سبحانه ، وفي صبيحة اليوم الرابع جلس في رحبة المسجد الشريف يكرر دروسه فرآى رفيقاً له من الشناقطة خارجاً إلى بيته

فخطــر في باله أنه يتعرض له ليدعوه للطعام ، فرد على نفسه ذلك الخاطر في الحين ، و لم يتحرك من محله ، وأنشأ ارتجالاً:

رويدكِ يا نفسي فلست مطاوعاً هواكِ المؤدي للخنا والمذلة

لموتك ضيعـــةً وأنتِ عفيفــة أحبُّ إليّ من حياة دنيّــة

ثم صلى الضحى والتحق بحلقته ، فلم تمض ساعة حتى ساق الله تعالى له رزقاً من حيــث لا يحتسب ، و لم ير ضيقاً بعد ذلك. وفي شهر ذي القعدة سنة 1363هــ توجه إلى الحج بعائلته وأصهاره وبعدما أتمّ مناسكه تعلق به صديقه الكريم الشيخ محمد بن جعفر ابــن جمـــال لبني المكي ، وترجاه أن يقيم معه في مكة ولو مؤقتاً ، وأشار عليه بالتكسب حــين رآه مجانباً للحكام ، ولأهل الدنيا فوافقه وفتح له دكانه الذي كان يبيع فيه الكتب بين الصفا والمروة ، وقال له : (بعْ واشترِ في الكتب فهي أوفق تجارة بمقامك) .

وقــد اشتهر بإبائه وشهامته و كان يقول : الكبر على المتكبرين عبادة ، والمؤمن لا يذل نفسه. و كان مع هذا قدوة في التواضع ونكران الذات ، ويعترف على نفسه بالجهل والتقصير و كثيراً ما يقول لتلاميذه ، يا إخواني أنا لست أهلاً للتدريس :

ولكن البلاد إذا اقشعــرتْ وصوّح نبتها رعي الهشيم

فأنا وأمثالي إنما سوّغ لنا التدريس فقد العلم والعلماء ، وإلا فنحن أحق أن نتعلم ونسأل الله الكريم أن يهِب لنا من لدنه علماً .

و كان ينشد :

تواضعْ لمَنْ إذا تواضعتَ لهُ يرى ذلك للفضل لا للبله

ورغم انطوائه على نفسه فلم يستطع الانفكاك من الناس ، بل كانوا يرجعون إليه في الأحكام والفتيا . وقد رفعوا إليه معضلةً سنة 1368هــ أفتى فيها العلماء بعدم لحوق نسب ولد لأبيه ، كان أبوه قد طلق أمه وهي حامل ثم ركد الجنين في بطنها فلم تلده إلا بعــد خمس سنين وتسعة أشهر من طلاقها ، فأفتى هو بلحوق نسبه بأبيه. وحرر في ذلك رســالة قــيمة صرّح فيها بإجماع المذاهب الأربعة على أن الحمل المحقق لا حدّ لأقصاه ، فأذعن له الجميع .

وقـد تزوج بخديجة بنت الشيخ أحمد الشمس الحاجي ، وتوفيت عنده وهو راض عنها سنة 1362هـ فغسلها بيده ، وكفّنها ودفنها عند ظهر أبيها في بقيع الغرقد رحمها الله تعالى . وقد ولدت له ، وعاش له منها ابنة تدعى فاطمة الزهراء تزوجت هي الأخرى وأنجبت . ثم تزوج بآمنة بنت الأخضر المغربي الجزائري الطولفي وهي أم أبنائه من بعد .

وكـان أصدقاؤه يعدون على رؤوس الأصابع لشدة تحرزه وتحريه للأخيار منهم الشيخ محمد العربي التباني والشيخ محمد أمين كُتبي والشيخ السيد علوي بن عباس المالكي الحسني ، وكان من أخصهم به معاشرة الشيخ حسن بن محمد المشاط . وقد استمر على علاقته به بعد توليه القضاء ، ولم يصرمه كعادته مع موظفي الحكومة ، فلما سئل عن ذلك قال : (إن أساس مصادقتنا في الله تعالى ، والرابطة العلمية الدينية ، وإن وظيفته لم تؤثر في ديانته بل زادته تواضعاً لله سبحانه ولعباده . ومراقبته لنفسه بتذكار وقوفه بين يدي ربه فأنى لنا بأمثاله ؟ !) .

وقـد اجتمع بكثير من علماء الأمصار وصلحائها الواردين على الحرمين الشريفين كالشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف سالم التجاني المصري والشيخ الحاج علي بن دمب سيس السالمي الجاملي السنغالي .

وتـوفي قُبيل فجر يوم الأربعاء 16 ذي الحجة سنة 1388هـ في مكة المكرمة ودفن في مقابر المعلاه رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-تـنوير قلوب المسلمين بتاريخ أمهات المؤمنين .2-القول الحق في أمر الحمل المحقـق ، وتحريـر الكتابة في الفرق بين محققة الحمل والمرتابة .3-روضة الريحان والورد والـورس في إثبات مشروعية الدعاء بعد ختم الدرس .4-إظهار الحق لأهل الإنصاف بثـبوت حق الغائبين في غلة الأوقاف . 5-الكتابات المقنعة في مسائل متنوعة . 6-شرح منظومة آداب الجماع .7-تصريح القرآن وأحاديث المصطفى بتفضيل الصدقة على الفقراء عـلى بناء مستشفى .8-الجواب الموضح المحرض بلعن المغيرات خلقة الشعر . 9-التعليق المفصّل على كتاب طرد الضوال والهمل [1].

---

[1] راجع زبدة أسانيدي لمحمد المصطفى بن الإمام ، وترجمته لتلميذه عبد القادر بن سعيد .

- 75 -

المصطفى بن محمد بن الفغ البوصادي

ولد في بلاد شنقيط بمنطقة الترارزة، وتلقى العلم عن مشايخ عصره مثل محمد عثمان ابن اغشممت المجلسي والشيخ التراد بن العباس القلقمي، وبرز في القرآن الكريم والفقه. ثم حج وجاور في مكة المكرمة معلماً ومرشداً إلى أن توفي سنة 1366هـ ودفن في المعلاه رحمه الله تعالى.[1]

-76-

محمد المصطفى بن زين العابدين التندغي
المعروف بـ (ابن بوري[2])

وُلد حوالي سنة 1297هـ ببلدة (علْبْ آدرسْ)في منطقة الترارزة من بلاد شنقيط وهي محلة أربعين جواداً المشهورين بالعلم والكرم والمروءة .وقد نشأ المترجم في هذا المجتمع العلمي المحافظ الذي كان يمثل كل بيت فيه جامعة علمية متكاملة ، وتلقى معارفه الأولى عن والديه ثم تفقّه بالمرابط يحيى بن أحمدُ فال صاحب نظم خليل ، وتأدب بالشيخ محمد عبد الرحمن بن محمد سالم التندغيان .وحين بدأت طلائع الاستعمار الفرنسي تجتاح البلاد دعا قومه إلى التصدي لها ، وشارك في الجهاد في منطقة آدرار وأبلى فيه بلاء حسناً . وعندما تغلب الغزاة الأجانب على تلك الجهة هاجر إلى الحجاز سنة 1357هـ ، واصطحب معه نجله الشيخ محمد محمود الملقب أبو شامة ، فباع إبله في منطقة أزواد واشترى سيارة من مدينة (كاو) بجمهورية مالي ، ورافقته جماعة من حجاج الشناقطة من بينهم الشيخ سيداتي بن أحمد الأسود ، فدخل السودان واستقر في مدينة النهود العلمية ، فأكرمه أهلها غاية وعقد فيها دروساً حضرها العلماء والطلاب كالشيخ عباس الفقيه علي

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد إبراهيم بن محمد عمران في المدينة المنورة يوم 1422/05/18هـ الموافق 2002/08/08م.

[2] عُرف جاده بـ (بُوري) عند الأفارقة الذين كانت لهم به صلة ، ويعني هذا اللقب عندهم الشيخ أو الرئيس.

وسلطان النهود الناظر منعم منصور ، ثم حلّ في الخرطوم وزار أم درمان ، وتتلمذ عليه بها طائفة منهم الشيخ إسماعيل آبوه وجماعة الشيخ إسماعيل الأزهري رئيس السودان الأسبق . ثم تحـول إلى بورت السودان فاستقبله أعيانه واحتفوا به سيما التاجر محمد البربري حيث كـان يحب الشـناقطة ويقدر هم وينـزلهم منـزلة خاصة . ثم انتقل إلى مدينة جدة واستضـافه فيها الشيخ محمد صالح جمجوم ، فأحسن إليه كعادته مع قومه ومن ثم جاور بالحـرمين الشريفين ، وقضى فيهما بقية عمره مشتغلاً بالعبادة والإرشاد إلى الخير . كان سخياً شهماً شجاعاً مجاب الدعاء ، وللناس فيه اعتقاد حسنٌ يأثره تلاميذه عنه .

وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1393هـ ، ودفن في بقيع الغرقد بين أمهات المؤمنين وبنات النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهنّ أجمعين .

أمـا ولده الشيخ أبو شامة المذكور فقد أكمل دراسته في السودان ، وعَمل فيها قاضـياً ومديراً للشؤون الدينية ، وعضواً في البرلمان السوداني بعد الاستقلال إلى أن انتقل إلى موريتانـيا في أواخـر عهد الرئيس الأسبق الأستاذ المختار بن داداه سنة 1398هـ الموافـق 1978م فعُين قاضياً ثم مستشاراً لوزير العدل إلى أن تعاقد مع جامعة الملك عبد العزيـز في جدة سنة 1401هـ /1981م كأستاذ محاضر على عهد مديرها الشيخ عبد الله عمـر نصيـف . ثم عين مستشاراً أولاً بالسفارة الموريتانية في جدة حتى استقالته سنة 1416هـ . وهـو الآن بقيد الحياة مجاور بمكة المكرمة ، وله مشاركات علمية وأدبية متميزة منها: 1-الأجوبة الشافية في مصادر الشريعة الإسلامية .2-القول الواضح المبين في حكم التبرك والتوسل بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.3-ديوان شعر .4-رسائل في العروض[1].

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد محمود أبو شامة في مكة المكرمة يوم 1422/03/20هـ .

- 77 -

محمد صالح بن محمد البوحجاري

أحد السياسين البارزين ، والإصلاحيين المرموقين في دولة السودان .

ترجم له الأستاذ باشري محجوب في كتابه (رواد الفكر السوداني)،فقال: (هاجر أسلافه من شنقيط (موريتانيا) ، ولجده الأكبر الشيخ زين العابدين قبة ومزار في بربره ، ووالـــده ولد في السودان وجدته لأبيه سودانية . نشأ الشيخ محمد صالح الشنقيطي في أم درمـــان وتلقى تعليمه الأول والأوسط فيها . وكان زميلاً للطيب السراج ،والتحق بقسم القضاة الشرعي ولكنه عندما تخرج ألحق بمكتب السكرتير القضائي في قسم الفتوى في سنة 1918م.ولبـــث فترة قصيرة ثم أختير ليكون نائب المأمور فعمل في مري وبورت سودان وبعـــض المدن . وبدأنشاطه الثقافي منذ عمر باكر ، فاهتم بتاريخ السودان وتاريخ القبائل العربـــية فيه.وتوثقت علاقته مع السيد محمد على شوقي و إبراهيم يوسف بدري. وصار يعمـــل في الحقـــل الأجتماعي بدءا من نادي الخريجين في أم درمان إلى ملجأ القرش إلى الاهتمام بتعليم البنات . وفي الثلاثينيات الميلادية اختير ليعمل قاضياً مدنياً ، وكان أغلب القضـــاة من الإنجليز مع بعض السوريين الذين عملوا في التسجيلات . وعرف الشنقيطي كقاض باللجوء إلى العرف السوداني مراعاة إلى الأحوال والظروف فلم يكن بالمتشدد ولم يعرف بتساهل . وقد عمل في بعض مناطق السودان النائية ، فكتب عنها بعض الدراسات واهتم بتصنيف الطباع والسلوك وعلاقة ذلك بالقانون والعدالة . ولما رجع إلى العاصمة في الأربعينـــيات أشترك في تشجيع التعليم الأهلي وأشرف على قيامة مدرسة حي العرب . واجتمع حوله نفر من الشبان كيحي الفضلي ومحمود الفضلي وأحمد مختار وعثمان أحمد عمـــر . وحتى عام 1942 م لم يكن هناك فواصل حزبية أو مداخل طائفية . وإن كان الشـــنقيطي وقف في جانب الاستقلال من غير الانضمام لرأى حزب استقلالي ونقل إلى بـــورت سودان في عام 1944 م . فهب بالدعوة لتعليم البنات إذ كانت هناك مدرسة أولية واحدة ، كما شجع تعليم التدريب المنـــزلي ، والأعمال اليدوية ، فقام مركز لها في ديم المديـــنة . وأشرف على الأسواق الخيرية ، وجمع التبرعات لمدارس البنات . وفي تلك الفترة كانت حركة الرفض للحكم الثنائي ، والدعوة للحرية والاستقلال تطغى على كل

ماعداهــا والشــنقيطي يقف في طريق مختلف ، فنقل مساعداً للسكرتير القضائي في عام 1947م ، وقامــت الجمعــية التشــريعية ودستورها ، وكان الشنقيطي رئيساً للجمعية التشــريعية ، ولكــن علاقاته مع كل الاتجاهات كانت متبادلة، فكان يغشى دار الثقافة والــندوات الفكرية والأدبية ويشارك فيها . ولما تحقق الإستقلال أنصرف الشنقيطي إلى الــزراعة فــترة ثم عاد مرة أخرى وتبوأ مركز رئيس مجلس النواب في عام 1957م ، وانتهى دوره السياسي باستيلاء الحكم العسكري على النظام .. ولكن قيمة الشنقيطي في الــثقافة الســودانية هي مألوفة مفتوحة لكل الاتجاهات ، ولقاءات للمثقفين السودانيين والإنكلــيز ،فقــد كان صديقاً لكثير منهم ، وتميز بالفكر البارد الموضوعي، فهو لاينفعل ولايتحسس ، بل يخطط خطوةً خطوةً ، ولا يفقد علاقاته الشخصية مع الذين يخالفونه في الرأي ولا يستعرض معلوماته . مع أنه كان محيطاً بكثير من الأسرار السياسية السودانية . كمــا أنه كان عف اللسان لا يتصيد مثالب البشر ، وهفواتهم في الدفاع عن آرائه . وقد توفرت له ثقافة واسعة عن السودان وعن وسائل الحكم فيه ، كما أنه كان مرجعاً في كثير مــن الكــتابات الحديثة سواء باللغة الإنجليزية أو العربية . وكان يتحدث عن موضوعاته حديــث الثقة .. وقد عقد الشنقيطي كثيراً من الصلات الحميمة مع رؤساء القبائل وقد اســتفاد مــن ذلك في علاقاته السياسية . وقد يختلف معاصرو الشنقيطي معه في أتجاهاته السياســية ، ولكنهم كانو يقدرون آراءه الفكرية ، ونظراته في إصلاح المجتمع ، وتعميم التعلــيم ..وقــد كــان الشــنقيطي عضواً بارزاً في صالون (نيوبولد) ، وقد عمد منذ الأربعينــيات على تقديم المذكرات في سودنة الوظائف ، وترشيح الشبان السودانين لملء هــذه الوظائف ، وقد استمع لتوصياته .فهذه حسنة من حسنات أعماله ، كما أنه عنى باتجاهات الرأي العام بالرغم من أنه وقف مع الحركة الاستقلالية وعمل على إنجاح اتفاقية الســودان في عــام1953م . ونشط على الإسراع بالمناداة بالاستقلال من داخل البرلمان وعدم الاعتماد على استفتاء شعبي . امتاز الشنقيطي كرئيس لمجلس النواب بأنه كان يعطي الكلمة لمؤيدي الحكومة ولمعارضيها بالرغم من أن الحكومة والأغلبية المؤتلفة هي التي بوأته هذا المركز في مجلس النواب آنذاك[1] .

---

[1] باشري محمود عمر :رواد الفكر السوداني ص /324 -327 .

وقد ترأس مجالس إدارية لأكثر من عشر شركات مثل شركة الهواء السائل وشركة شاشين الزراعية وغيرها . وكان يملك مكتبة ضخمة قيل إنها من أكبر المكتبات الخاصة في المشـرق ، وأغـناها بذخائر التراث الإسلامي وبالمعارف الإنسانية العالمية . وقد أهداها لجامعـة الخـرطوم ، ومـن ثم أطلقـت الدولة أسمه على الشارع المؤدي إلى منـزله في أم درمـان تقديراً لمكانته العلمية ، ولجهوده الإصلاحية ومواقفه السياسية المشرفة . كما منحـته جامعة الخرطوم شهادة الدكتوراه الفخرية في القانون عرفاناً وتكريماً . كان شهماً أبـياً مذكوراً بالخير والفضل ، موصوفاً بالرزانة والحكمة والخلق النادر ،وترك مذكرات قيمة لم تجمع ولم تنشر لحد الآن .

وقد ختم الله تعالى له بعمرة حضر على أثرها لغسل الكعبة المشرفة مع الملك فيصل آل سعود فسقط على بلاط الحرم وحمل مريضاً إلى السودان . ولم يزل متأثراً بإصابته حتى توفي حوالي سنة 1388هـ/1968م ودفن في مقابر الخرطوم رحمه الله تعالى[1].

-78-

محمد عبد الله بن زيدان البوصادي

قـال فـيه تلميذه الشيخ محمد المصطفى بن الإمام العلوي الشنقيطي : (شيخنا العلامة حافظ زمانه وفريد أقرانه محمد عبد الله بن زيدان الشنقيطي)[2].

ولـد في بـلاد شنقيط وقرأ على علمائها كالشيخ محمد عبد الله بن الشيخ أحمد الجكـني ، وبرع في علوم الحديث والفقه واللغة . وظهرت عليه أمارات النبوغ والذكاء منذ صغره فكان يستظهر النصوص من سماع واحد ، كما حفظ الصحاح الستة بأسانيدها من غير تغيير بين صيغ السماع كحدثنا وأنبأنا وأخبرنا . وحفظ مختصر الشيخ خليل من قـراءة واحدة ، فألقت إليه العلوم أزمتها وفتح الله له فيها فتحاً عجيباً . وقد صدق فيه

---

(1) حصلت على المعلومات السابقة في مقابلات أجريتها مع كل من الشيخ أحمد بن عبد العزيز في المدينة المنورة ليلة الخميس 1417/08/09 هـ ، الموافق 1996/12/19م ، والدكتور الشيخ الطاهر حسين والدكتور السيد أحمد أبو شامة في الرياض يوم الخميس 1420/03/03 هـ ،الموافق 1999/06/17م.

(2) محمد المصطفى بن الإمام : المرجع السابق ، ص/4 .

وصف تلميذه الإمام محمد البشير الإبراهيمي الجزائري حين قال: (هو أعجوبة الزمان في حفظ اللغة العربية ، وأنساب العرب ، وحوادث السير)[1].

وفي سنة 1323هـ قَدِم إلى الحجاز مهاجراً عن حكم الفرنسيين فحج وزار وجاور بمكة المكرمة . ولازم حرمها للتدريس والإفتاء على عهد الأشراف . ثم رحل إلى الشام مع أبناء ما يأبى الجكنيين إبان الثورة العربية ، ووفد مع ابنيه على أمير عسير الإمام محمد بن علي الإدريسي فأكرمهم وقرّبهم ، وطاب لولده الشيخ محمد الأمين المقام معه وتُوفي ابنه الآخر في صبيا. ثم زار السودان والحبشة وعاد إلى الحرمين الشريفين . وأخذت عنه جماعة من أشهرهم الشيخ محمد حسن المشاط والشيخ السيد علوي عباس المالكي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري والشيخ محمد متولي الشعراوي المصري وغيرهم كثير . ولما ضُمّ إقليم الحجاز إلى الدولة السعودية واستتبت الأوضاع طلب الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ مقابلته بحضرة الملك عبد العزيز ، فحاوره في مسألتي المجاز في القرآن الكريم والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يتفقا . وخرج إلى مصر فتلقاه علماؤها بالبشر والتقدير ونزل في المحلة الكبرى في القاهرة ، وباشر تدريس اللغة العربية والفقه المالكي في الأزهر الشريف ، وألقى فيه عدة محاضرات في مواضيع شتى . واجتمع ذات مرة بطائفة من العلماء في مصر ، وبعدما عرّف كل واحد منهم بنفسه سألوه عن حفظ الشناقطة وجودة شعرهم وتبحرهم في اللغة ؟ ، فأجابهم بقوله : أما حفظهم فأبسط دليل عليه أني أستطيع إعادة ذكر أسمائكم أجمعين أكتعين ولا تستطيعون ذلك ، ثم سردها لهم من غير تبديل أو تحريف فيها ، ثم أنشأ لهم قصيدة مديحية من ستة وخمسين بيتاً متحدياً لهم بفهمها ، يقول في مطلعها :

بطيبة أطلال عفون دوارسُ ... تلايَلَها بيضٌ وسودٌ حنادسُ

إلى أن يقول :

وخيّم فَضْفَاضُ الرداءِ مرزّأُ ... ورَضْرَضَ رَضْراضُ الحصا متشاوس

---

[1] الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي : المرجع السابق 276/5 .

وختمها بقوله :

وهيهاتَ هيهاتُ المدى من مُداهم وشتانَ شتـان الأضَا والقمامـسُ

كـان زاهـداً في الدنيا ، يقول الحق ولا يخشى إلا الله سبحانه ، وكان أُسوة في استـثمار الوقت فلم يكن نومه يتجاوز أربع ساعات في اليوم كله ، ساعتين بعد الضحى وسـاعتين أول الليل بعد العشاء الآخرة ، وغير ذلك يقسمه بين التدريس والعبادة المحضة والحقـوق الأخـرى وهكذا يكون أهل العلم والقرآن فقد رُوي عن عبد الله بن مسعود رضـي الله عنه قال : (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبحزنه إذا النـاس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون عليماً ، حكيماً ، ليناً ، مستكيناً)[1].

ولله در القائل :

تمـتعْ بالرقادِ على شِمالٍ فسوف يطول نومك باليمين

ومتعْ من يُحبكَ من تلاقٍ فأنت من الفراقِ على يقينِ

وتـوفي سنة 1353هـ في القاهرة ، ودفن في مقبرة الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه ، وقد أناف على الستين عاماً رحمه الله تعالى [2].

-79-

محمد عبد الله بن مختار فال البوصادي

كان مرافقاً لخاله الشيخ محمد عبد الله بن زيدان البوصادي في جولاته في الحجاز والشام واليمن وإفريقيا ، واستقر معه في مصر حيث تولى رئاسة رواق المغاربة في الأزهر الشريف لبرهة من الزمن شملت سنة 1368هـ . كان حياً قريباً من سنة 1372هـ ، ولم يعقب ذرية رحمه الله تعالى[3].

---

[1] ابن قتيبة : عيون الأخبار 133/5 .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ عبد الرحمن محمود مختار الشنقيطي في جدة ليلة 1421/11/10هـ/الموافق 2001/02/04هـ .

[3] الأستاذ أحمد عبد العزيز : المقابلة السابقة بتاريخ 1417/08/09هـ .

- 80 -

الشيخ محمد عبد الله بن الطالب بن محمد فال البوصادي

الشهير بـ (ابن آدّه)

كان الشيخ محمد بن ابلول المدني أحد صلحاء المدينة المنورة إذا لقيه في الطريق مع تلاميذه يسلم عليه ، ويصافحه ويقول : (يا أبنائي ، يا أبنائي ، ألحقوا ، ألحقوا لا تغرب الشمس عليكم –يعني الشيخ محمد عبد الله) .

وُلـد في منطقة الحوض الغربي ببلاد شنقيط ، وتُوفي والده وهو في سن التمييز ، وكـان أصـغر إخوته . قيل إنه لما فرغ الناس من دفن أبيه وانقلبوا عنه وقف على قبره وقال : ربِّ إني يتيم ما لليتيم سواك يا كريم .

وقـد نشأ في رعاية أخيه الأكبر وأمه ، وظهرت عليه أمارات النبوغ والصلاح في صغره ، فكان العلامة الطالب بن خليل الملقب بآكه البوصادي يقدمه على أقرانه ويكرمه ويمسح على رأسه، ويقول لجماعته ما معناه : (إن عاش هذا سيكون له شأن عظيم) .

ولمـا شـبّ سافر إلى الشيخ التراد بن العباس القلقمي في محلة آكوينت بالحوض الشـرقي فأقـام بحضرته متأدباً به حتى ناداه يوماً وقال لـه : إذهب إلى التلوب فاسقها وتذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : (فوالله لأن يهـدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمرِ النَّعم [1])متفق عليه [2]. ثم عاد إلى قومه واسـتوطن بمنطقة تكانت بموضع يسمى (أبو امديد) سنة 1352هـ، فأحياه وأنشأ به زاوية للتعليم ، وحفر فيها عيوناً كثيرة وبنى بها خمسة سدود للزراعة أحدها سد (أكرج) الذي يعتبر ثاني أكبر سد في البلاد بعد سد (ادياما) في منطقة الترارزة . ويزرع فيها الذرة والقمـح والشعير واللوبيا والحناء وغيرها . وكان الفرنسيون يقدرون منـزلته ويدعونه لحضـور المؤتمـرات السياسية مع غيره من علماء البلد ومشايخ العشائر ونقباء القبائل . وحينما خُير الشعب بين الاستقلال وبين التبعية لفرنسا عام استفتاء (نعم) أو (لا) المشهور سنة 1958م صوّت لاستقلال البلاد.

---

[1] حمر النعم : أنفس أموال العرب .

[2] البخاري – الفتح (3701) ، ومسلم (2406) واللفظ له من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

وقد حجّ أربع حجج جواً عن طريق داكار بالسنغال كانت أولاها سنة 1375هـ وجاور بعد الرابعة في المدينة المنورة مع طائفة من خاصته وتلاميذه تقدر بثمانين شخصاً سنة 1380هـ ، وقد نقلهم على نفقته الخاصة وتكفل بمؤونتهم أجمعين.

وكان يفتي بالصلاة في الطائرة ، وهي نازلة زلت فيها أقدام البعض ، ومن عجيب فهمه للقرآن الكريم أنه كان يقول : (لا أريد أن أكون مفسراً ولو أردت لفعلت ، ولا أريد أن أكون محدثاً ولو أردت لفعلت ، ولا أريد أن أكون فقيهاً ولو أردتُ لفعلت ، ولكن خذوا عني تفسير هذه الآية: {فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون}[1] ، فالمفسرون يقولون: إن الماعون هو متاع البيت الذي يتعاطاه الناس بينهم على وجه الإعارة كالفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك فلا يمنع عن الجار ، ولكني أقول : إن لكل شيء ماعوناً وماعون معرفة الله عز وجل هو القلب فإذا منع المرء قلبه من معرفة الله عز وجل كان غافلاً ساهياً عن هذه المعرفة فلذلك توعد الله عز وجل صاحبه بالويل والعياذ بالله تعالى . كان صواماً قواماً فعالاً للخيرات ، ومحارباً للمنكرات ، حريصاً على حضور الجماعات في المسجد النبوي ، ويأتي إليها من حي المصانع راجلاً، وينتظرها في روضة الجنة عند اسطوانة السرير . وكان إذا أراد العمرة أو الحج يخرج إليهما بعد صلاتي العشاء أو الصبح لألا تفوته الصلاة الموالية في المسجد الحرام وكذا يفعل في إيابه .

وقد نُقلت عنه أحوال سنية وكرامات جليلة ، ويُذكر من زهده أنه أهديت له بقرة حلوباً مع ولدها فأمر بنحرها لتلاميذه ، فلما رآى ذلك أحدهم أهدى له ناقتين بفصيليهما ، وقال للتلاميذ: قولوا له إنهما منيحتان لعلهما تسلمان من النحر .

ومن غريب سخائه أنه أهدى ولد شيخه الشيخ سعد أبيه تسعة وأربعين بقرة وثوراً وتسعة وأربعين ناقة وجملاً دُفعة واحدة ، ووجه إليه دعوة بعدما استقر بالسعودية فأعطاه ستمائة ألف ريال سعودي أي ما يعادل اثني عشر مليوناً أوقية ، وقد التقى ذات مرة بالشيخ يربان بن الشيخ الطالب اخيار آل الشيخ سيدي عيسى القلقمي والد المؤلف فأهداه قطيعاً من البقر وفرساً ، فقبل الفرس وردّ عليه البقر شاكراً . وكان العلماء

---

[1] الماعون : 4-7 .

والأعيان يزورونه ويجتمعون به في الروضة الشريفة وبخاصة الشيخ السيد علوي المالكي ، والشيخ حسن المشاط والشيخ أحمد عبد الجواد والشيخ حمزة عجاج والمشايخ من آل جمجوم كيوسف وزكرياء وشيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود وغيرهم .

قال بعد جواره :

حمدتك يا رب إذْ جاورتني للنبي

وهذا هو مطلبي كما تعلم من قلبي

وعلى الدنيا العفى فيما بدا و ما خفي

وهذه الأبيات من قصيدته الرجزية الموسومة بالمواهب في الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم التي تتألف من ألفي بيت .

وتوفي يوم 27 رمضان سنة 1404هـ عن تسع وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

-ديوان جامع لعلوم شتى [1].

- 81 -

محمد عبد الله بن محمد بن آدُو الجكني

وُلد في بلاد شنقيط سنة 1318هـ بمنطقة الحسينية ، ونشأ بها ، وهو من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح والضيافة ، وقد درس على العلامتين اللمتونيين أبّاه بن محمد الأمين ومحمد محمود بن أحمد الهادي بمنطقة آفطوط ، ثم توجه إلى المشرق في عنفوان شبابه بقصد الحج فأدى مناسكه ، ودخل مصر فصحب فيها ابن عمه الشيخ محمد حبيب الله ابن ما يأبى الجكني ثلاث سنوات يطلب عليه العلم إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وقد أجازه إجازة عامة بجميع مروياته . وفي سنة 1363هـ انتقل إلى الحجاز ولازم حلقة

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذين محمد المختار بن الطالب آل نوح البوصادي يوم 1418/03/08هـ الموافق 1997/07/12م ، و ودُّونَ بن الشيخ سعد أبيه في المدينة المنورة ، في شهر ذي القعدة سنة 1421هـ .

- 82 -

محمد عبد الرحمن بن الشيباني الشمسدي

شخصية سياسية واجتماعية مرموقة في المملكة العربية السعودية ، وُلد ببلاد شنقيط سنة 1333هـ ، وقدم مع والده إلى المدينة المنورة وعمره أحد عشر عاماً . التحق بمدرسة العلوم الشرعية الأهلية في المدينة المنورة ، وكانت إذْ ذاك بمثابة جامعة لقوة مقرراتها ، ووسع ثقافتها فتخرج منها وعلّم في دار الأيتام لفترة من الزمن ثم توظف في البريد وتركه للعمل في فرع وزارة المالية في الدمام بالمنطقة الشرقية ، ثم انتقل إلى ديوان الإمارة ، واختاره الأمير سعود بن جلوي مديراً لديوانه ، فكان هو المنفذ لأوامره ، ويعتمد عليه في كثير من القضايا . وفي هذه الحقبة كانت الحياة قاسية وفرص العمل نادرة ولا يجد الناس متنفسا إلا في مدينتي جدة والدمام .فكان أهل المدينة المنورة عامة يقصدونه في أمورهم كلها ، وينزلون به حاجاتهم فيتجاوب معهم حباً وكرامة ، ويحتضنهم في قلبه الكبير رغم كثرة مشاغله وعوائقه .ويسعى معهم إلى الجهات المعنية حتى يوفر لهم طلباتهم ، وليوصل إليهم ما استطاع من خير . وتكرر منه ذلك على مستويات عدة ، وفي مراحل مختلفة ، واشتهر به في المجالس والأندية حتى لُقّب (أبو المدنيين) تنويهاً بفضله الكبير عليهم ، وتكريماً لأياديه البيضاء التي غمرتهم خلال (السنين)الطويلة وبعدها . ولو لم تكن له إلا هذه المنقبة لكفته . وأما الشناقطة فهو عندهم بمكانة سامقة لا يعربها اللسان ولا يترجمها البيان . وفي سنة 1376هـ عُين مديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية في المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بناءً على طلب من مديرها العام معالي الشيخ عبد الله بلخير ، ولما تطورت المديرية إلى وزارة على يد وزيرها معالي جميل الحجيلان رشّح الشيخ الشنقيطي بمرسوم ملكي ليكون وكيلاً لها بالمرتبة الخامس عشرة ، وهي قمة الترقي في السلم الإداري في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود . وقد حضر مؤتمرات عدة في الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وكان ينيبه الوزير تارة في بعض المؤتمرات مثل مؤتمر الإعلام العربي ، ومؤتمر الإعلام الإسلامي ، وزار لهذا الغرض عدة دول منها مصر وتونس والجزائر .

وكانت له اليد الطولى في توجيه الشباب وتشجيعهم على التعليم ، وتنمية الروح الإرادية والإدارية فيهم . وقد أطّر الشباب الذين عملوا معه في الإعلام وأحاطهم بعناية خاصة حتى حققوا مطامحهم ، وأدركوا أسمى المراتب لحسن نيته ، وإخلاصه وأمانته ولحرصه على مصلحتهم ومستقبل بلاده وأمته . وكان مع هذا قدوة في نكران الذات فلا يرضى أن تذكر أعماله ، أو تنشر أخباره ، أو ينسب إليه شيء من ذلك كله ، بل كان يثني على كل واحد منهم بما تجشم من جهد ، وبما حقق من نتائج تحفيزاً لهم على المزيد ، وهذا ديدن المخلصين كثرهم الله وبارك فيهم .

وقد أحيل على التقاعد المبكر بطلب منه ، وأكرمه الملك فيصل بالتقاعد مع كامل راتبه تقديراً لجهوده ومكانته ، وطلب منه البقاء في الرياض لعل الحكومة تحتاج إليه و لم يغادرها إلا بعد وفاته بزمان رحمه الله تعالى . وهو الآن بقيد الحياة مجاور في مكة المكرمة حفظه الله تعالى .

- **تآليفه :**

-له بحوث فقهية واجتماعية عديدة [1].

- 83 -

محمد العطاي الملقب (باباه) بن الشيخ محمد السالك آل العطاي الحاج الغُربي

أحد كبار العلماء المصلحين في المملكة الأردنية الهاشمية ، وُلد في ليبيا حوالي سنة 1305هـ ونشأ بها في رعاية أبويه ، وتلقى عن والده ما تيسر له من العلوم . ثم انتقل مع أسرته إلى الحجاز إبان الاحتلال الإيطالي فتوفي والده في بلدة في الأردن تسمى الرشادية . واصطحبهم بعدئذ الشيخ محمد الأمين بن زين القلقمي إلى تركيا في أواخر

---

[1] حسن محمد محمود الشنقيطي :النهضة الأدبية في نجد ، ص/166 ، ومعلومات أخرى حصلت عليها في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد سعيد بن الشيباني في المدينة المنورة ليلة 1417/05/02هـ الموافق 1996/09/14م ، ومقابلة الأستاذ أحمد الملقب (أدو) بن أحمد باب السابقة في المدينة المنورة يوم 1421/11/12هـ .

عهـــد السلطان عبد الحميد الثاني ، وأقاموا معه مدة في مدينة أنطاليا وعندما أعلن كمال مصـــطفى أتاتـــرك عن ثورته وإسقاطه للخلافة الإسلامية خرج إلى المدينة المنورة ولازم الشـــيخ أحمد بن الشمس الحاجي الشنقيطي فتأدب به وصار مقدماً عنده . ثم زار مدينة القدس ودخل إلى تركيا ثانية ومكث فيها قرابة اثنتي عشرة سنة قبل أن يغادرها مع عائلته إلى المديـــنة المنورة ثانية سنة 1356هـــ حيث جاور بها سنة ثم ارتحل إلى الأردن واستقر في عمان ، فعُين مأذوناً شرعياً في وزارة الأوقاف . وكان يعقد دروسا منتظمة في الجامع الحسيني في وسط العاصمة ، ويكلف بصلاة الاستسقاء عند انقطاع الأمطار ، كما ينتدب في الصـــلح بـــين القـــبائل أيضاً لما عرف عنه من الحكمة والورع والتقوى . وهو أحد الشـــناقطة الستة[1] الذين قربهم الملك المؤسس عبد الله الأول بن الشريف حسين وقدّرهم لعلمهم وصلاحهم ، وقلّدهم مناصب سامية في الدولة الهاشمية . ويذكر أنه لم يدخل أبناءه في المـــدارس النظامية ، وعلمهم على طريقة المحاضر الشنقيطية في حفظ المتون . فلما أراد ولده الشيخ أحمد العلم تعذر عليه ، فذهب به إلى مصر وأحضره للأزهر الشريف فأجري له اختباراً رُشح على إثره للدراسة في كلية الشريعة . وتخرج منها بامتياز سنة 1375هـــ وكا[illegible] من دعاة الإصلاح الاجتماعي ، وتكتب في الجرائد باسم أم بلال ، وهي أول من دعت إلى العودة لحجاب المرأة وأحدثت جلباباً ساتراً نال استحسان النساء.

وقـــد اشتهر الشيخ محمد العطاي بالصدق والأمانة والنصح للمسلمين ، وكان مأوى للضعفاء وذوي الحاجات .

وتوفي في شهر رمضان سنة 1420هـــ ، ودفن في مقابر عمان رحمه الله تعالى[2].

---

[1] الشناقطة المعنيون هم : الشيخ محمد الخضر ابن ما يأبى الجكني وابنه الشيخ محمد الأمين والشيخ محمد العطاي الملقب (باباه)،والشيخ عثمان المباركي والشيخ محمد فال بن سيدي محمد البيضاوي والشيخ المختار بن أحمد محمود الجكني .

[2] الشيخ أحمد الملقب (أدو) بن أحمد بابا : المقابلة السابقة يوم 1421/11/12هـــ ، ومقابلة أجريتها مع الدكتور منير السالك آل العطاي في الرياض يوم 2001/07/20م .

- 84 -

محمد غالي بن محمد الأمين الدليمي

المدعو غالي بن آفا

وُلـــد في بـــلاد شنقيط في منطقة الحوض الشرقي سنة 1355هـــ ، وتربى فيها وترعـــرع مع والديه . طلب العلم في محضرة الشيخ المحفوظ بن بيه المسومي ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية سنة 1377هـــ فأدى مناسكه ، وانتسب إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري .وتلقى العلم فيها على أيدي علماء أجلاء كالشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي والشيخ شيبة الحمـــد المصري والشيخ عبد اللطيف الهلالي المغربي والشيخ أبو بكر جابر الجزائري . ولما أجـيز الـــتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وتخرج منها بشهادة الماجستير . وتدبجـــة مـــع الدكتور محمد الخضر ضيف الله الجكني فدرس عليه كتاب آداب البحث والمناظرة في المنطق وتلقى الآخر عنه ألفية ابن مالك في النحو مع شرحها المعروف باحمرار ابن بونا الشنقيطي . وعُين أستاذا في معهد إعداد المعلمين الثانوي بالمدينة المنورة ، ثم رقي إلى التوجـيه التربوي بإدارة التعليم . وكان بيته محضرة للعلم فكان يعلم الفقه والأصول واللغة والسيرة مع مشاركته في التدريس بالحرم النبوي الشريف . كان فاضلا كريم النفس حســـن المعاشرة لين الجانب . وقد نال شهادات تقديرية من جامعة الإمام ، ومن مركز الخدمـــة الاجتماعـــية في المديـــنة المنورة على نشاطه الثقافي وتعريفه بآثار المدينة النبوية الشـــريفة. وكانت لـــه علاقات طيبة بعلماء السعودية وغيرهم من علماء الخليج العربي كالشـــيخ عبد العزيز بن باز مفتي الديار السعودية ، والشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف سابقاً ورئيس اللجنة العليا للتوعية الإسلامية ، والشيخ عبد العزيز بن صالح إمـــام وخطيـــب الحرم النبوي والشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمدينة المنورة والمدرس بمسجدها الشريف والشيخ حسن الأنصاري مدير التعليم الموازي بالمدينة المنورة والشيخ محمـــد بـــن إبراهيم آل مبارك الأحسائي صاحب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهـــب الإمـــام مـــالك الذي قرظه المترجم ، والشيخ إبراهيم الأنصاري رئيس الدعوة والإفتاء في قطر وغيرهم .

وتوفي يوم 24 شوال 1409هـ ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى .

● تآليفه :

1-الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم . 2-شرح ألفية ابن مالك في ثلاث مجلدات. 3-محاضرات ودروس في السيرة والنحو مسجلة على أشرطة الكاسيت ، وقد نالت استحسان العلماء وطلاب العلم على حد سواء [1].

- 85 -

محمد فال الملقب (ابّاه) بن بابا بن أحمد بيب العلوي

عالم فاضل وشيخ جليل ، وُلد في بلدة أبو عقال بمنطقة الترارزة من بلاد شنقيط سنة 1265هـ . ونشأ في بيت علم وأدب هيأه للفتوة والصدارة . وقد فقد والديه ولمّا يبلغ الثانية عشرة من عمره ، فواجه الحياة بصبر وعصامية مهتماً بتوسيع معارفه ، وتعميق مداركه . فحضر على المصطفى بن أحمد فال وابن عبد أمّ الديماني ، ولازم الشيخ المختار بن أبي الجكني فبرز في العلوم الشرعية واللغوية ، وتصدر في التدريس والتربية على يد الشيخ أحمد بن بدّي العلوي . خرج إلى الحج عن طريق ميناء داكار بالسنغال في أوائل شهر شوال من سنة 1306هـ فوصل مع رفقته إلى الإسكندرية بعد أسبوعين ، وأضافهم الشيخ عبد الفتاح المصري ، وأكرم مثواهم ، وساعدهم في إكمال إجراءات السفر ، وتوسط لهم لدى أحد أرباب السفن ليحملهم إلى جدة . وقد عقد لهم ندوة أدبية على ساحل البحر حضرها الشيخ أحمد حمزة المصري الذي عرف بحبه للشناقطة ، وضيافته إياهم وقد أشاد بأدبهم في ختام هذه الندوة قائلاً : (أنتم الذين تعرفون علم الأدب..) ، فأنشده المترجم معترفاً له بالجميل :

يا حِلية الأعصار والأمصارِ ... عقل القلوب وناظر الأبصار

إن نهجرنكم لا قلى لكننا ... فيض الندى منكم دوام جار

فنحيد عن فيض الندى إذ نختشي ... غرقاً بطامي لجة التيار

والقلب محبوس دواماً عندكم ... إن غاب جسم فهو وسط الدار

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلتين أجريتهما مع الدكتور محمد الخضر ضيف الله في مكة المكرمة مساء الإثنين 2000/04/06م ، والأستاذ المأمون محمد غالي في المدينة المنورة ليلة السبت 1418/01/11هـ

وزار الجامع الأزهر ، وجالس علماءه مطلعاً على مناهجهم ، وباحثاً عن كتب المالكية في مظانها . ولما تهيأ الركب الشنقيطي للرحيل أسف الشيخ أحمد حمزة لفراقهم ، وأنشأ قائلاً :

تركوا المقام بمنزلي وجواري ... فلأجل ذا حُمر الدموع جوار

قالوا تخاف البرد قلت جوانحي ... فيها لهيب فاق حر النار

إن غبتم عن منزلي ما غبتمْ ... عن خاطري كلا ولا أفكاري

كونوا كما شئتم فمالي عنكم ... بدٌّ ولو قطعتُ بالبتار

ثم دخلوا جدة ووجدوا عريفهم بها حينئذ الشيخ أحمد المشاط قد توفي فترلوا عند نجله الأستاذ طاهر وامتدحه المترجم مبينا أنه الخليفة الحقيقي لوالده فقال :

لئن كان موت الشيخ أحمد ذي الندى ... وهو صعيد للميمم طاهر

فلا يخشينّ ورّاد حوض نواله ... مغيض أتى الجود مادام طاهر

ثم أدى مناسكه ودخل المدينة المنورة غرة شهر المحرم من سنة 1307هـ ولقي فيها الفضلاء مثل عبد الجليل برادة وأحمد زروق التونسي وسيدي محمد بن الخليفة المغربي فتذاكر معهم وصفا الود بينهم . وأضافه في الينبع محمد الأرنؤوطي وأكرم وفادته ، وأُخبر بأن الأمير إبراهيم الذي كان للشنقاطة معه صلات ودّية قد عزل فقال :

أيا قاصد الينبوع إن كنت سائلاً ... وليس لإبراهيم ثمة مرصد

فإن ينابيع الندى بعد لم تغر ... فملة إبراهيم أحيى محمد

ثم رجع إلى بلاده عن طريق ميناء طنجة المغربي ، وتابع دوره التعليمي والإصلاحي إلى وفاته سنة 1349هـ /1930م رحمه الله تعالى .

• تآليفه :

1-شـــرح مـــرتقى الوصول إلى علم الأصول .2-شرح باب القياس في مراقي السعود .3-رحلة الحج . 4-منظومات في التصوف .5-فتاوي فقهية في مواضيع متفرقة .6-كتاب التكملة في التاريخ. 7-ديوان شعر[1].

- 86 -

محمد فال بن سيدي محمد البيضاوي الجكني

ولـــد في كرُو ببلاد شنقيط سنة 1323هـــ /1905م وهاجر غلاماً مع الشيخ محمـــد الخضر ابن ما يأبى الجكني إبان احتلال فرنسا للبلاد ، وأقام معه في المغرب سنوات قبل أن يستقروا في الحجاز . وقد حفظ القرآن الكريم صغيراً ، ودرس في المدرسة الفلاح في مكة المكرمة ، وتتلمذ على علماء أجلاء كالشيخ محمد الخضر ، والشيخ محمد حبيب الله آل مـــا يأبى ، وحصل على إجازات علمية في فنون شتى . وانتقل إلى الأردن في بداية الخمســـينات الهجرية ، وعمل في سلك المحاكم الشرعية حيث عمل قاضياً شرعياً ومفتياً لـــلمملكة الأردنـــية الهاشمية ، وإماماً للملك المؤسس عبد الله الأول بن الشريف حسين وعضـــوا في محكمة الاستئناف الشرعية ثم مديراً للمحاكم الشرعية ، وإماماً للملك الباني الحسين بن طلال .

وقـــد زار بـــلاد شنقيط سنة 1386هـــ/1966م مع الشيخ محمد الأمين ابن مـــا يأبى لصلة الرحم ، ثم عاد إلى الأردن وتابع نشاطه العلمي والوظيفي حتى وفاته غرة ربـــيع الأول ســـنة 1396هـــ الموافق 05 مارس سنة 1976م ، ودفن في مقابر مدينة عمان رحمه الله تعالى [2].

---

[1] راجع محمد فال بن شماد (تحقيق) :رحلة محمد فال بن باب (رسالة مرقونة) نواكشوط 1982م ، وأحمد بن الحسن (تحقيق) : التكملة لمحمد فال بن باب ، تونس 1986م .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمدفاضل بن محمد الأمين آل مايأبى في جدة ليلة 2001/06/16م .

- 87 -

محمد فاضل بن محمد تقي الله
آل ما يأبى الجكني

ولـــد في بلاد شنقيط وهاجر مع والده صغيراً إلى الحجاز وعنه أخذ معارفه وعن أعمامـــه الأجلاء . ثم جاور بالمدينة المنورة وعين قاضياً في بدر ثم في المهد ، ثم انتقل إلى وزارة الإعـــلام فكان موظفاً في فرعها في المدينة المنورة . وقد أُصيب بوعكة صحية نُقل على إثرها إلى مصر وتُوفي بالقاهرة سنة 1382هـ/1962م رحمه الله تعالى .

حدثني الأستاذ محمد تقي الله ابن ما يأبى ناقلاً عن نجل المترجم المهندس نور أنه لما تـــوفي والـــده بحثوا لـــه عن قبر في القاهرة فعسُر عليهم فسألوا عن قبر عمه الشيخ محمد حبيـــب الله فدلوا عليه ، فلما فتحوه وجدوا كفنه على حاله وجسمه سوياً لم يتغير كأنما دُفن لتوه رحمه الله تعالى. وكان قد مرّ على وفاته ساعتها ثمان عشرة سنة ، فأغلقوا القبر وبحثوا عن غيره فدفنوه فيه [1].

(قلت) ولا غرو فمن طالع تآليفه لاسيما فتح المنعم على زاد المسلم يعلم ما كان عليه من علم وصلاح ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم . وفي الوقت الذي نذكر فيه هذه الكرامة الجليلة والمنقبة العظيمة ننبه إلى أن الكرامة جائزة الوقوع للولي عند أهل السنة ولم يـــنكرها إلا المعـــتزلة لئلا تشتبه بالمعجزة، ورُدّ عليهم بأن المعجزة شرطها دعوى النبوة ، والولي مقر بالمتابعة [2]. وقد وصف الله تعالى أولياءه بقوله : { ألا إن أولياء الله لا خوف علـــيهم ولا هـــم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم } [3] .

والولاية قسمان : ولاية عـــامة يدخل فيها جميع المسلمين لقوله سبحانه : { الله ولي الذيـــن آمـــنوا يخرجهم من الظلمت إلى النور } [4] ، وولاية خاصة هي الواردة في

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد تقي الله ابن مايأبى بالمدينة المنورة ليلة 1417/08/10هـ.

[2] راجع السيد عثمان بن حسنين الجعلي : المرجع السابق 50/1 .

[3] يونس : 62 ، 63 .

[4] البقرة : 257 .

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى قال : مـــن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بـــه ، وبصـــره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطيـــنه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وماترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) رواه البخاري [1].

وعـــلى أية حال فالمطلوب من المسلم أن يحيى لدينه ويسعى لنصرته ، ورفع شأنه حـــتى تكونه كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى ، وما عليه بعد ذلك أن يحفظ الله جســـده بعد الموت أو لا يحفظه فذلك أمر موكول إليه سبحانه لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون . فقد حفظ الله أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد مماتهم معجزة لهم وتكريماً لأقدارهم ، وحفظ جسد فرعون موسى إهانة لـــه ، وتكذيباً لربوبية ، وتوبيخاً وتقريعاً لمن ضلّ به من بني إسرائيل . حتى يعلموا أنه آدمي مخلوق ، ومن كان كذلك فهو محكـــوم عليه بالإعدام في سابق الأزل لقوله عز وجل : {كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا تـــرجعون }[2] ، وليكون عبرة لمن يأتي بعده من الطغاة والجبابرة ، والعصاة الذين يؤذون المؤمـــنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، ويستبكرون في الأرض بغير الحق لقوله سبحانه : {فالـــيوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية}[3] . وقد يحفظ الله أجساد بعض أوليائه إظهـــاراً لبعض ما آتاهم الله من فضله في الدنيا قبل الآخرة لما جاء في كتاب الناس لأبي جعفـــر الداودي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجســـاد الأنبـــياء والشهداء والعلماء والمؤذنين)، قال الإمام السهيلي (ت581هـــ) في كـــتابه الـــروض الأنف : أول الحديث خرّجه سليمان الأشعث ، وأما ذكر (الشهداء والعـــلماء والمؤذنـــين) فـــزيادة غريبة لم تقع لي في مسند غير أن الداودي من أهل الثقة والعـــلم[4] . وقـــد وُجـــد من الشهداء والعلماء الذين فتحت قبورهم طائفة من السلف

---

[1] البخاري – الفتح (6502) .

[2] العنكبوت : 57 .

[3] يونس :92 .

[4] السهيلي : الروض الأنف 1/211-212 (بتصرف) .

والخلــف لم يـتغيروا بعد موقم منهم حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن عمرو بن حرام وعمــرو بن الجموح وطلحة بن عبد الله رضي الله عنهم [1]. وأما الخلف فنذكر منهم في بلاد شنقيط الشيخ سيدي أحمد البكاء الكنتي حيث كان ضريحه على حافة جُرف وادي ولاته بحيث لو جرى السيل جرفه معه ، فانقطع السيل عن الوادي حتى غارت الآبار وهمّ الناس بالجلاء . فأتى الشيخ سيدي أحمد البكاء ثلاثة من ذرية سيدي عبد الرحمن المحجوبي في النوم وقال لهم : (إن أردتم أن يسيل واديكم فانقلوني عن مجرى السيل ، فإنه لا ينبغي لــه أن يمر على قبري) ، فاجتمع أعيان البلدة وكان في ولاته يومئذ سبعون عالماً متفنناً ، فلما نبشوه وجدوه صحيحاً لم يتغير شيء من أكفانه فضلاً عن جسده ، فنقلوه إلى الجبل الغــربي المعروف[2] رحمه الله تعالى ، والشيخ بشراي بن الشيخ ماء العينين القلقمي الذي استشــهد في أصْبُويَا في المغرب على أيدي الغزاة الفرنسيين في إحدى المعارك معهم ، حيث طُلب من إخوته تحويله إلى محل آخر فوجدوه على حالته لم يتغير كأنه نائم رحمه الله تعالى [3].

وقــد أورد الدكتــور عبد الله عــزام رحــمه الله في كتــابه (آيات الرحمن في جــهاد الأفغان) ضد الروس نماذج من ذلك فليُنظر .

وقــد يُفرق الله أجســاد الصالحين في بطون السبــاع ، وحواصل الطير زيادة في أجــرهم ، وترقية في مراتبهم الأخروية درجات ، ولا يناقض هذا صلاحهم ولا يطعن في مكانتهم عند الله تعالى.

فعــلم مما سبق أن هذه الكرامة وغيرها من الخوارق التي يعطيها الله سبحانه لبعض المؤمــنين في الدنيا قد يعطي بعضها للكفار على وجه الاستدراج ولكن تلك مُبطّنة بالنعم والــثواب وهذه مبطنة بالنقم والعذاب وإن تشابهتا في الظاهر فافهم ، والحكم فيهما عند الله تعالى : {كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون إن للمتقين عند ربهم جــنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون} [4] ، ويكون المصير

---

[1] المرجع السابق نفسه .

[2] الشيخ سيدي محمد الكنتي : الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد(مخطوط).

[3] رواية عن الأستاذ ودُّو ولد سيدي أحمد الشمسدي الذي حضر الواقعة .

[4] القلم :33-36 .

المختوم : {وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى وتنذر يوم الجمع لا ريب فريق في الجنة وفريق في السعير}[1].فشعار المسلم إذاً يجب أن يكون كما قال خبيب بن عدي رضي الله عنه :

ولست أبالي حين أقتلُ مسلماً ... على أي جنب[2] كان في الله مصرعي

وذاك في ذات الإله و إن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

والفرق بين الكرامة والاستدراج أن الأولى تكون مقرونة بالإيمان والطاعات والأخرى مصحوبة بالكفر والمعاصي ، وقد قسّم العلماء الخوارق إلى خمسة أقسام هي : أولاً المعجزة للنبي ، ثانياً: الكرامة للمؤمن التقي ، ثالثاً : المعونة للمسلم المسرف على نفسه ، رابعاً : الاستدراج للكافر إن كان طبق مراده ، ويدخل فيه السحر وأحوال الكهنة والشياطين ، خامساً : الإهانة للكافر أيضاً إن كان عكس مراده . ألا فليعلم هذا حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها .

- 88 -

محمد فاضل بن الشيخ المعلوم البوصادي

الفقيه المقرئ المشارك، والأديب اللغوي البارز. ولد في منطقة الترارزة من بلاد شنقيط، وأخذ عن والده والعلامتين يحظيه بن عبدالودود الجكني وزين بن الجمد الديماني، والشيخ التراد بن العباس القلقمي، ثم تفرغ للتعليم والإرشاد. ولما عزم على الحج باع ممتلكاته، وفارق أهله وأنشأ قائلاً:

إذا كنت تبغي الصعب أن يلد السهلا ... فدع خلفك الأوطان والصحب والأهلا

وجرد مصيباً من عزيمك صارماً ... إذا ليم سيف العزم لا يختشي عذلا

ودع عنك ليلى صبحها وظلامها ... ومنطقها المضني ودع ردفها الرملا

ولا تك ليلى دون همك عرضةً ... فذو العجز من تثنيه عن همه ليلى

---

[1] الشورى :7 .

[2] وفي رواية على أي شقٍ .

ثم سـافر براً عن طريق مالي والنيجر فالسودان، ثم دخل السعودية فأدى مناسكه سـنة 1363هـ وجـاور في المدينة المنورة. وقد شارك في التدريس بالمسجد النبوي الشريف، وعقد دروساً في مختصر الشيخ خليل وألفية ابن مالك والمقصور والممدود وغير ذلـك مـن دواويـن الشعر، وانتفعت به جماعة منهم الشيخ محمد مولود بن محمد جد، والشـيخ خطـري بن الشيخ محمد المجتبى البوصاديان. كان زاهداً في الدنيا، متقللاً منها مستغرقاً أوقاته في العبادة والإقبال على ربه، والاشتغال بما يعنيه.

وتوفي سنة 1364هـ في المدينة المنورة، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى. وله عقب في موريتانيا.

- **تآليفه:**

1- كنـز الوراثة في أشعار الثلاثة، وهو ديوان جامع لشعر بابا بن الشيخ سيدي الأبيري ومحمد بن أحمد يوره الديماني ومحمد الأمين بن الشيخ المعلوم البوصادي.

2- له منظومات علمية وأشعار رائقة لم تجمع حتى الآن[1].

- 89 -

محمد سالم بن اكبيديش الآكشاري

الفقيه المحدث، الزاهد الفاضل، ولد في آدرار ببلاد شنقيط. وطلب العلم في محاضر الجكنـيين في منطقة آفطوط. ولما بدأت طلائع الاستعمار تجوس البلاد هاجر إلى الحجاز فـأدى فريضـة الحج وزار المدينة المنورة ثم سافر إلى الرياض على عهد الملك عبد العزيز آل سـعود، وجلـس فـيها للتدريس والإرشاد. وارتبطت أسبابه بآل الشيخ محمد بن عـبدالوهاب وحصلت بينهم محبة وألفة وخاصة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديـار السـعودية سابقاً. وتـزوج من قبيلة البقوم المعروفة، ورزق بأبناء، وغلبت عليه الـلهجـة الـنجدية حتى أضحى من لايعرفه يحسبه من النجديين الأصلاء. وليس ذلك بغريـب فالقبائل الشنقيطية العربية ترجع كلها إلى الجزيرة العربية. وقد توفيت زوجته مع أبـنائها ولم يـتأهل بعدهـا. ولما كثر الإنجليز في المنطقة للتنقيب عن النفط في الستينات

---

[1] حصلت على هذه المعلومات في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد إبراهيم بن محمد عمران في المدينة المنورة يوم 1422/05/18هـ الموافق 2002/08/08م .

من القرن الرابع عشر الهجري قال متذمراً: (خرجت عنهم من بلاد شنقيط ودخلوا علي في بلاد نجد)، ولعله كان من ذلك الجيل النادر الذي يكره رؤية الكفار ومجاورتهم. ثم رجع إلى مكة المكرمة وجاور بريع ذاخر عند بعض الأشراف هناك. وعاش في شبه عزلة بعيداً عن قومه ولم نعلم عن حياته كثيراً مع ما كان عليه من العلم والفضل والعبادة، وكثرة الصدقات على الفقراء والمساكين. وأخبرني أحد الثقات أنه زاره فلم ير في بيته ما يرد النظر من متاع الدنيا، وطلب منه الدعاء فقال: (اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين) [1].

وصدق ذو النون المصري حين قال: "كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها واليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حباً ولها طلباً. وكان الرجل ينفق ماله على علمه، واليوم يكسب بعلمه مالاً. وكان يرى على صاحب العلم زيادة في باطنه وظاهره، واليوم يرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر"[2].

وتوفي في مكة المكرمة ليلة عرفة من سنة 1416هـ، وقد طعن في التسعين من العمر، ودفن في المعلاه رحمه الله تعالى[3].

- 90 -

محمد السالك بن الشيخ أحمد
آل العطاي الحاج الغربي

ولد في بلاد شنقيط بمدينة ولاته، وتفقه في محاضرها على يد أبيه وغيره من المشايخ. وكان والده قد جاء إلى هذه المدينة لطلب العلم في أواخر القرن الثالث عشر الهجري قادماً من قرية الخزباري بمطقة الترارزة. فاستقر فيها بعد تخرجه، وأسس فيها محضرة عرفت باسمه. ولما توفي والده خرج إلى الحج وأدى مناسكه ثم مر في طريقه

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد محمود بن سيدي ابراهيم في مكة المكرمة بتاريخ 1420/11/08هـ الموافق 2000/02/14م نقلاً عن الشيخ الطيب بن حمّتي.

[2] السلمي: طبقات الصوفية، ص/25.

[3] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد بن الغربي في مكة المكرمة يوم الأحد 1420/12/20هـ.

بصحراء جنوب ليبيا فلقي بها قبيلة من التوارق تنتسب إلى الأنصار تدعى (منغسات) فاستضافه رئيسها المسمى محمد آده وأكرمه، وسأله قائلاً: "هل أنت راجع لوالدين أو أولاد؟ فقال: لا، ولكني ذاهب إلى إخوتي. فقال له: "أما نحن فليس لنا معلم ونريد منك أن تبقى معنا لتعلمنا أمور ديننا، وسنعينك على المقام". فخشي من المؤاخذة، واستجاب له فأهداه مزرعةً وأنعاماً وزوجه بابنته الكبرى. ولما توفي الرئيس واحتلت إيطاليا ليبيا هاجر بأهله إلى الحجاز عن طريق سيناء مصر وبادية الشام. فوجد جماعة من الشناقطة في بلدة الرشادية في الأردن من بينهم أهل مايأبى الجكنيين وأهل زيدان البوصاديين وغيرهم، فأقام معهم. ولم يستطع المرور إلى الحجاز بسبب القلاقل وتضارب السياسات آنذاك إلى أن توفي سنة 1340هـ، ودفن في مقابر الرشادية رحمه الله تعالى. ومن ثم سافرت أسرته مع الشيخ محمد الأمين بن زين القلقمي وطائفته إلى تركيا[1] .

- 91 -

محمد السالك بن اعبيد

آل أحمدناه العلوي

ولد في منطقة آدرار ببلاد شنقيط، وهو معدود في الشمسديين لأن أسلافه ولدوا فيهم وماتوا فيهم، وهم كالشيء الواحد للرحم والقرابة. وهو من تلاميذ الشيخ ماء العينين القلقمي الذين هاجروا بسبب الاستعمار، وتوفوا في المشرق قبل الجلاء والاستقلال. وقد تركوا ذكراً مدوياً، وعلماً مستفيضاً يشهدان لأصالتهم وعلو هممهم. دخل إلى الحجاز على عهد الأشراف فأدى فريضة الحج وجاور في المدينة المنورة ابتداء. وقويت صلته بالشيخ محمد نصيف في جدة فكان يقدره ويكرمه، ثم ارتحل إلى أمير عسير الإمام محمد ابن علي الإدريسي فقربه وأسند إليه القضاء بمنطقة جازان لبرهة من الزمن حتى انضمامها إلى الدولة السعودية، حيث عين قاضياً لمحكمة القنفذة بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود. وقد كف بصره في أواخر حياته، وتوفي سنة 1367هـ ، ودفن في مقبرة القنفذة رحمه الله تعالى.

---

(1) الأستاذ أحمد الملقب أدو بن أحمد باب: المقابلة السابقة بتاريخ 1421/11/12هـ.

وترك مكتبة كبيرة تولى رعايتها بعده نجله الشيخ محمد المصطفى الذي عمل في الدولة السعودية لمدة 40 سنة تقلد خلالها عدة مناصب إدارية كان في آخرها مديراً للمالية والجمارك في مدينة القنفذة. وكان صديقاً للشيخ محمد سرور الصبان رئيس رابطة العالم الإسلامي الأسبق، ويتعاون معه في أعمال البر كبناء المساجد وإعانة الضعفاء وغير ذلك. وتوفي في شهر شعبان سنة 1421هـ وقد زاد على الثمانين عاماً، ودفن في مقبرة القنفذة رحمه الله تعالى[1].

- 92 -

محمد السالك بن خيِّ المغفري

أحد أعلام الشناقطة الأفذاذ الذين حجوا البيت الحرام، وسكنوا في دولة السودان من بعد. وهو محدث كبير وأصولي متمكن. كان يتنقل بين المدن والبادية للتعليم والدعوة وربما استقر فترة في قرية المزروب عند تلميذه وحبه الحاج الشيخ الزاكي آل الزاكي. وقيل إنه بلغ درجة الاجتهاد، ولقب بالمكتبة المتجولة. وكانت له علاقة خاصة بالشيخ عبد الوهاب صاحب محلة الزريبة، فكان يبالغ في إكرامه وأهداه قطيعاً من الإبل. وتوفي سنة 1405هـ رحمه الله تعالى.

- تآليفه:

— كتاب ترجيح الترجيح في الأصول[2].

- 93 -

محمد يحيى بن محمد الأمين بن أبوه اليعقوبي

العلامة الجليل، الأديب الأريب، ولد في بلدة (تاركه) التي تبعد ثلاثين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي من مدينة نواكشوط يوم الجمعة 17 رمضان 1310هـ، ونشأ في بيت

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ السالك محمد المصطفى في الرياض ليلة 23 محرم 1422هـ الموافق 2001/04/17م.

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ محمد الإمام بن أحمد عم في المدينة المنورة ليلة 22 رجب 1420هـ الموافق 1999/10/31م.

علم وعز. قرأ القرآن الكريم ومبادئ العلوم على والديه وعمه محمد سالم بن أبوه وغيرهم. ثم انتسب إلى محضرة العالم الكبير يحظيه بن عبدالودود الرائدة فدرس فيها ألفية ابن مالك مـع توشـيح المختار بن بونا لها المسمى "الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصـة" وإضـاءة الدجنة وغيرها. واهتم بتحرر المسائل وضبطها. وكان ينوب عن شيخه يحظيه في تدريس الطلاب عندما يتخلف لطارئ. وزار الشيخ سيدي بابا وذاكره في الحديث، ورحل إلى العلامة عبد القادر بن محمد سالم المجلسي في آدرار وسمع منه الفقه. ثم سافر إلى السنغال ونزل عند الشيخ أحمد بنبا فقربه وأحسن مثواه، وهيأ له مكتبةً للمطالعة والمدارسة، ودعا له بالخير فامتدحه بأبيات منها قوله:

الشيخ أحمد من عنـه الورى حجبـوا ولا غرابـة أن مـن كنهـه عجبوا
شمـس البلاد فما للنـاس عنـه عنـى كهي ويبدو كهي طـوراً ويحتجـب

إلى قوله:

محط رحال العجم قد كنـت والعـرب وشمس الضحى في مشرق الأرض والغرب

انتدبه آل الشيخ سيدي بابا للتدريس في محضرتهم، وتخرج عليه طائفة لعل أبرزهم أبـناء الشيخ سيدي بابا ومحمد بن أبي مدين. كان فاضلاً، زاهداً في الدنيا محباً لآل النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم من ا لصالحين، وقد سخر علمه وجاهه لنفع الناس وإصلاح ذات بينهم. ولما تملكه الشوق بالحرمين الشريفين أنشأ قائلاً:

لطيـبة أولى أن تـزار وأن تهـوى فجـد إليهـا السير غـاية ما تقـوى
ولا تصـغ فـيها للعـواذل مسـمعاً ولا تستطـب من دونهـا أبداً مثـوى
ألم تك فضـل الأرض شـرقاً ومغـرباً ومعـدن هذا الدين والعلـم والتقوى
ألـيس بهـا خـير الأنـام وحـزبه وقـادة أهـل الله في جـنة المـأوى
فـلا تـلم الآوي إلى بـرد ظـلها فمـن لام فيهـا ما أضـل وما أغوى

ثم خـرج حاجاً من آكشار في اليوم الثاني من صفر سنة 1347هـ ورافقه ابن عمـه محمـد سالم بن أحمد محمود من أطار فسلكا طريق الشرق حتى وصلا إلى تنبكتو

فنزلا عند أحمد بن أبي الأعراف فأكرمهما، وفتح لهما مكتبته النفيسة، فمدحه المترجم بقطعة يقول فيها:

جزى الله بالإحسان والبر والندى وبالجود والخيرات والرفق أحمدا
سعى في علوم الشرع سعي مشمر ليجمع منها الشمل حين تبددا
فأعمل فيها رسله وبنانه وأمواله العظمى طريفاً ومتلدا
فجدد منها كل ما كان دارساً ودرس منها كل ما كان جددا
فتىً كان كهفاً للغريب وملجأً وحصناً على مرِّ الزمان مشيدا

واطلع في مكتبته على مؤلفات للسطان المغربي مولاي عبد الحفيظ فأعجبه اهتمامه بالعلم وأهله، وثنائه على الشناقطة وإشادته بعلومهم فامتدحه بقصيدة نجتزيء منها قوله:

لعمرك ما إن لي بجملٍ ووصلها وسلمى وجارات لها أبداً شغل
ولكن قلبي شغفه حب معشرٍ على كل من تحت السماء لهم فضل
هم المعشر اللاؤون أوجب حبهم على كل من يقفو الهدى الحكم العدل
وأنزل أن لا يبتغي بكتابه سوى حبهم أجر فحبهم أصل

إلى أن يقول:

ألقي إليهم من بعيد تحية هي المجد ما حيي بها أحد قبل
إلى سيدي عبد الحفيظ الذي به علا ضاق عن تعدادها القطر والرمل
إلى من سعى للدين سعي مشمرٍ وكان له عن كل شيء به شغل
فجدد علم الدين بعد اندراسه فلم يعف منه بعد باب ولا فصل
فلو كنت أسطاع الوصول إليكم فعلت ولو يسعى بي الرأس لا الرجل
وأحسب إن صافحت الطرس أنني أصافحكم والخطو إلى الهوى سهل

ثم دخـل أرض أزواد وأضـافه فيها الشيخ محمد الصغير الملقب بالشيخ باي ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي واحتفى به فأخذ عنه، وأفاد من معارفه، ومدحه بشعر يقول فيه:

ألا إن آل الشـيخ جلـة ذا العصـر ... وذلـك لا يخفـى عليك سنى الفخـر

لهـم رتـب يعلـو على النجم قدرها ... ويعلـو علـى هـام الفـراقد والنسر

وأيـدي سخـاء ليس للسحب جودها ... تسـامى جداهـا أن يمـثل بالقطـر

ودخـل مكة المكرمة يوم الأربعاء 23 من ذي القعدة سنة 1348هـ، فحج وأقام بهذه البقاع الطاهرة حتى توفي ضحوة يوم الجمعة 15 صفر 1349هـ رحمه الله تعالى.

- تآليفه:

1 ـ فتح ذي المنة على إضاءة الدجنة. 2 ـ رحلة الحج. 3 ـ ديوان شعر 4 ـ أنظام تعليمية متنوعة[1].

- 94 -

محمد يحيى بن محمد المختار الداودي

المدعو بابا الفقيه الولاتي

قال عنه العلامة محمد حبيب الله ابن مايأبى الجكني: (حافظ علم الأصول وكوكب سمائه محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي.. كان إماماً من أهل الجد لا تأخذه في الله لومة لائم، كثير الردع لأهل البدع والمناكر)[1].

ولـد سنة 1259هـ في ولاته بالحوض الشرقي في بلاد شنقيط، وتربى في هذه القلعـة العلمـية الرائدة، وتعلم على علمائها وتأدب بهم، وكان أساتذته يستنيرون بجودة فهمه للنصوص، ودرايته بمقاصدها حتى قال أحدهم: (تلميذي محمد يحيى أعلمه الألفاظ

---

[1] أنظر المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط)، والحسن بن محمد الأمين (تحقيق) : رحلة محمد يحيى بن أبوه (الجزء الأول)، رسالة مرقونة، واتبيرو بنت محمد عبد الرحمن (تحقيق) : رحلة محمد يحيى بن أبوه (الجزء الثاني)، رسالة مرقونة.

[1] الشيخ محمد حبيب الله ابن مايأبى (المقدمة): "فتح الودود على مراقي السعود" لمحمد يحيى الولاتي، ص/3 .

ويعلمني المعاني، وأستفيد منه أكثر مما يستفيد مني). وأقبل على التحصيل بجد واجتهاد، وكان يقول: (إن ضوء النهار أعز من أن يضيع في غير المطالعة). وقد فتح الله له مغاليق العلوم فدخل دائرة التأليف صغيراً لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فنظم معاني الحروف من مغني اللبيب، وشرح ألفية السيوطي في علم البيان في سن الثامنة عشرة ، وشرح مراقي السعود للشيخ سيدي عبد الله في علم الأصول وهو ابن خمسة وعشرين سنةً.

وفي يوم 07 رجب سنة 1311هـ شد الرحال برسم الحج، فترك رحيله فراغاً كبيراً في الساحة الثقافية والعلمية والاجتماعية فأنشأ علامة تيشيت المختار بن أمباله قائلاً:

لئن غاب عن ولاته يحيى فإنما	تغيب عنها نورها وشبابها
وغيب عنها نحوها وبيانها	وغيب عنها فقهها وصوابها

واتصل بسلطان المغرب مولاي عبد العزيز بن مولاي الحسن فأكرمه وأحسن إليه، وفرض له مرتباً شهرياً، وأمر بحمله إلى الحجاز.

وقد أقام بالمغرب خمسة أشهر التقى خلالها بالعلماء والفقهاء والطلاب، وعقد لبعضهم دروساً خاصة حيث أخذ عنه في مجاط الفقيه سيد أعلي بن عبد الله وتلامذته دروساً في علم المعاني، وحضر له في الرباط الفقيهان سيد عبد الله التادلاوي وسيدي محمد ابَّ الأمين مجالس في علم البيان من كتاب تلخيص القزويني، وفي علم الأصول من جمع الجوامع، وسمعا منه كتابه (منبع الحق والتقوى) في فقه الكتاب والسنة، ونسخا كثيراً من تآليفه. والتقى أيضاً بقاضي مراكش السيد العربي المنيعي، وقرأت عليه بها جماعة في كتاب الشمائل للترمذي وبعض كتاب الشفاء للقاضي عياض منهم ابن عم السلطان مولاي عبد العزيز بن مولاي محمد. والفقيه أحمد محمود بن سيد صالح والشيخ أحمد بن محمد التجاني. ولما حل في جدة نزل في دار الشيخ جمجوم العامرة والتقى ببعض الأفاضل مثل عبد العزيز جمجوم، ومحمد والطاهر ابنا أحمد المشاط وعمر أفندي نصيف فأكرموه ، وسهلوا له التنقل بين الحرمين الشريفين، فقال شاكراً لمعروفهم:

وأنزل على آل مشاط تجد كرماً	غمراً يعم بعيد الدار والدان
قرىً وعوناً وتجهيزاً ومكرمةً	وبسط كف وتحديثاً بأفنان

وإن على آل جمجـوم نزلـت تكـن ... مـا دمـت ثمـة في بـر وإحسـان
لا يـبخلون عـلى ضـيف بفضـلهم ... يسلـو الغريب بهم عن ذكر الأوطان

وقـد أقـام في المديـنة المنورة أربعة أشهر سوى ثلاث ليال واجتمع فيها بنقيب الأشـراف السـيد الأرضي علوي، ومحمد الباشا شامل سلطان فزان حين نفاه النصارى وجاور بالمدينة المنورة والشيخ سعد المخرج بن محسن وفيه يقول:

وإن كنـت تبغي ذا الكـرامة والندى ... فمـالك فيها مثل سعـد المخـرج
جـزاه إلـه العـرش أسـنى كـرامة ... وزوده الـتقوى وقـواه بالفـلج

ودرس في الحرم النبوي موطأ الإمام مالك وعقود الجمان للإمام السيوطي في علم البيان وورقات إمام الحرمين في الأصول. وقد مر في إيابه بالإسكندرية ولبث فيها أياماً لم يشـعر به علماؤها حتى أتاهم مضيفه الشيخ أحمد حمزة بن الشيخ الحسن حمزة في أعظم مسـجد وقال لهم: (يا علماء الإسكندرية هذه نصيحة، نزل ببيتي أحد علماء شنقيط و لم يأته أحد منكم فكرهت أن يذهب إلى بلاده ويقول: دخلت الإسكندرية وما لقيت فيها عالمـاً، قوموا إليه لتستفيدوا منه ويستفيد منكم) فجاؤوه جميعاً عن بكرة أبيهم يتقدمهم إمـامهم في العلم الشيخ عبد الرحمن الأبياري فتذاكروا معه، فأخذ عنه بعضهم من بينهم الشيخ حسن بن الشيخ شحاته أبي السعود وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته من الحديث والفقـه والنحو والبيان والأصول. وكان من جملة ما أتحفوه به تسعة وعشرين كتاباً يقع بعضها في مجلدات، وأكثر من ثمانية عشر جنيهاً وبعض الحاجات الأخرى النفيسة ثم تحول إلى القاهـرة، ولبث فيها أياماً يتردد على الجامع الأزهر. ثم دخل تونس وتلقاه علماؤها وأعيانها بالبهجة وحسن الضيافة وعلى رأسهم نقيب الأشراف مولاي أحمد وكبير علمائها الشيخ سالم أبو حاجب ومفتي المالكية سيدي محمد النجار، والقاضي المالكي سيدي محمد الطيـب النـيفر ، ومقـدم الزاوية التجانية سيد الطاهر بن سيد إبراهيم، وسيدي محمد السنوسي بن عثمان. وقد أهدوه أكثر من ستين كتاباً يتألف بعضها من بضع عشرة جزءاً إضـافة إلى سبع وثمانين لويزة من الذهب، وأحد عشر ريالاً من سكة فرنسا. ثم عاد إلى

المغرب وأعطاه السلطان ووزيره أبو العباس أحمد بن موسى وبعض الأعيان ما يقارب ألف ريـال حسـنية عيناً، ومجموعة من الكتب والتحف الثمينة، ثم رجع إلى الصحراء ودخل أروان يوم 06 شوال من سنة 1317هـ .

وبقي على صلة ببعض العلماء الذين لقيهم في تونس وغيرها. وقد تلقى في سفره إجـازة في الفقـه الحنفي والشافعي، وتصدى للإجابة عن أسئلة كثيرة طرحت عليه في الأقطار الإسلامية التي زارها، وهي أسئلة متنوعة ومثيرة أثبتها مع أجوبتها في كتابه القيم (الرحلة الحجازية) فلتنظر هناك.

وكان برنامجه اليومي مشحوناً بأعمال البر، وموزعاً توزيعاً دقيقاً فكان لا ينام من الليل إلا قليلاً، ويقرأ خمساً من القرآن الكريم كل صباح مع بقية أوراده وأحزابه، ويدرس للتلامـيذ ويفـتي ويقضي، ويؤلف، كل ذلك له وقت معلوم. ولعل أشهر تلاميذه محمد ابـن أحمـد الصغير ومحمد بن امباله ومحمد المختار بن امباله التيشيتيون، وشيخنا المرواني ابن أحماد النولاتي.

واشـتهر بقول الحق وإعلائه، ومحاربة البدع وإدحاضها قياماً بحق الاستخلاف في الأرض، ورعايـة لميراث النبوة. وقد اشترط على من ولوه القضاء أن يقوموا بتنفيذ جميع الأحكام التي يصدرها ولو بالقتل، وكان معتدلاً في فكره وآرائه، ويتحرى الصواب على كل حال.

وقد أشاد أحد الشعراء بعلمه وانتشار صيته في بلاد الإسلام فقال:

سـل العلمـا الأعـلام شـرقاً ومغرباً	تـر الحكم منـه بالعـدول مسلمـا
فسـل علمـا السودان والبحر والذي	بتيشـيت أو شـنقيط ممـن تقدمـا
فـإنهم اسـتفتوه في الشـرع دائمـاً	فكـان مجيـباً لـلمعاند مفحمـاً
ومن تـونس الخضـراء سـل علماءها	وسائـل ربـاط الفتـح إذ فيه علما
واسـكندر اسـألها بأيـام حجـه	تر الكـل بالحكـم المصحح أفحمـا
ومكـة سـل فـيها وسـائل بطيـبة	تـر السـند المـروي عـنه مقدماً

وتوفي سنة 1330هـ، ودفن في مقبرة ولاته رحمه الله تعالى.

- تآليفه:

1 ــ شــرح صــحيح البخاري. 2 ــ كتاب في مصطلح الحديث. 3 ــ شرح الحصن الحصين للنووي .4 ــ شرح منظومة ورقات إمام الحرمين في الأصول للشيخ سيدي محمد ابــن الشــيخ سيدي المختار الكنتي. 5 ــ شرح مرتقى الوصول في علم الأصول لمحمد ابــن عاصــم الغرناطي. 6 ــ شرح مراقي السعود في الأصول للشيخ سيدي عبد الله ابــن الحــاج إبراهــيم العلوي. 7 ــ رسالة في أحكام هبة الحيوان مع استثناء ذكوره. 8 ــ كــتاب الأطعمــة والأشــربة. 9 ــ مجموع فتاوي فقهية ضمنها أحكام الأوراق البنكــية. 10 ــ منبع الحق والتقوى في فقه الكتاب والسنة. 11 ــ الرحلة الحجازية. 12 ــ المجاز الواضح وشرحه الدليل الماهر الناصح في القواعد :جمع فيه ما جاء في منهج الزقاق بزيادة.13 ــ شرح تكميل ميارة لمنهج الزقاق[1]

- 95 -

الحاج محمود بن عمر با البولاري

أحد كبار المؤسسين للحركات الثقافية الإسلامية في غرب إفريقيا إبان الاستعمار. ولــد سنة 1326هــ /1908م في مدينة جول الواقعة على الضفة اليمنى للنهر في بلاد شــنقيط، وهو من أسرة فلانية محافظة. تلقى القرآن الكريم ومبادئ علوم الدين واللغة في محاضــر بــلاده وحصل على سند في قراءة الإمام نافع بروايتي ورش وقالون. ولعل أبرز مشــايخه عالم القراءات المشهور عبد الفتاح التركزي. رحل إلى الحجاز سيراً على الأقدام فــأدى مناسك الحج والزيارة، ولبث اثنتي عشرة سنة متنقلاً بين الحرمين الشريفين لطلب العــلم، لازم خلالها العالم الكبير السيد علوي بن عباس المالكي فأدخله في مدرسة الفلاح بمكــة المكرمة، ونال منها شهادة الارتقاء في العلوم الإسلامية. ثم رجع إلى مسقط رأسه سنة 1360هــ وأسس به مدرسة على الطراز الحديث تعتبر نقطة تحول للتعليم التقليدي في مــنطقة فوتــا. وأرسل أول بعثة علمية إلى الجامع الأزهر سنة 1371هــ/1952م،

---

[1] للتوسع في ترجمته راجع محمد عبد الله بن محمد المختار: إنباء الأبناء بالجد فيما كان للأب والجد (مخطوط)، ومحمد يحيى بن محتار الولاتي: الرحلة الحجازية ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص/275، وبابا بن محمد عبد الله (تقديم) : فتح الودود على مراقي السعود ، ص / هــ و ز .

وأتبعها بأفواج أخرى. وقد انزعج المستعمر الفرنسي من هذه المدرسة ونشاطها الدعوي والعلمي فضايقها وحدّ من مقرراتها لاسيما فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي والجغرافيا، والحساب، واستدعى شيخها إلى مالي والسنغال واستجوب، وأخذت عليه التعهدات بالكف عن إرسال طلابه إلى الخارج، وإرجاع الدارسين منهم بالأزهر. وقد افتتحت فروع لهذه المدرسة في مالي وغينيا والكمرون، ووفّرت لهذه الدول الإطارات العربية التي تحتاجها في مرافقها المتعددة.

ويذكر عن حكمته في الدعوة وسرعة بديهته في الجواب أن نصرانيةً سألته: أيهما أفضل الموت أم الحياة؟ فقال لها: الحياة أفضل لأنها صفة من صفات الله عز وجل. فقالت: إذاً نبينا عيسى عليه السلام أفضل من نبيكم محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه لازال حياً؟! فأطرق عنها ملياً ثم قال: إذاً أنت تقولين بهذا المنطق أنك أفضل من مريم ابنة عمران عليه السلام بحجة أنك لا زلت بقيد الحياة وهي قد توفيت عليها السلام!! وأنت تعلمين أن هذا غير صحيح قطعاً، أما نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم فهو سيد ولد آدم وإمام الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بما فيهم عيسى بن مريم عليه السلام فأفحمها .

وتوفي سنة 1398هـ/1978م في نواكشوط، ونقل إلى جول وفيه دفن رحمه الله تعالى.[1]

-96 -

المختار بن أحمد محمود الجكني

كان حجة في اللغة العربية ومقدماً في الشعر والخطابة مع رجاحة عقل وفراسة صادقة. ولد في قرية (لقويسي) بمنطقة الترارزة في بلاد شنقيط، ونشأ فيها مع والديه، وظهرت عليه أمارات النبوغ والذكاء منذ صغره فحفظ القرآن الكريم في التاسعة وجوده ثم اشتغل بتحصيل العلوم في محاضر عشيرته، وفي محضرة العلامة الشهير يحظيه بن عبد الودود فأجاد في العقائد والفقه والنحو والآداب، وبرز في اللغويات حتى لقب بالقاموس المتجول. وكان متوقد القريحة، واسع الرواية والدراية، حاضر البديهة. وقد أنشأ غرر

---

[1] المختار بن حامد: حياة موريتانيا (جزء الثقافة)، ص/373-374. ومقابلة مع كبار طلبته الأزهريين أجريتها معهم في نواكشوط سنة 1418هـ.

القصائد قبل بلوغه، وشارك في المساجلات التي جرت بين ابن عمه أحمد محمود الملقب (مَمُّ) بن عبد الحميد والشاعر أحمد بن عبد الله الملقب (الذيب). وهاجر عن حكم الفرنسيين إلى الحجاز في أوائل الستينات الهجرية ، وزار مصر وقرأ في الجامع الأزهر على الشيخ محمد حبيب الله ابن مايأبى الشنقيطي فأجازه إجازة عامة في الحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، والفقه وأصوله.

وقد أرسل إليه والده أبياتاً في غربته يقول في مستهلها:

يا حي يا قيوم يا جبار ... أدعوك أن يأتينا المختار

وأنه تشتاقه الأبصار ... وليس عن رؤيته اصطبار

فأجابه بقوله:

ألا هون عليك أبي فإني ... لفي حفظ الإله وأنت فيه

لئن أمسيت مكروباً بأمر ... عسى الكرب الذي أمسيت فيه

سيجمعنا المهيمن في أمان ... كما قد ضم يوسف مع أبيه

ثم عجل بالأوبة ولازمه حتى توفي ومن ثم رجع إلى مصر ومنها انتقل إلى الأردن، وألقى بها عصا الترحال فأكرمه ملكها الشريف عبد الله الأول وأسند إليه التدريس في معهد العلوم الإسلامية قبل إنشاء الجامعات الأردنية الحديثة. ولعل أبرز تلاميذه الشيخ محمد أهليل إمام مسجد الويبدة بعمان.

ومن عيون شعره قصيدة (الزرقاء) التي فازت بجائزة المجمع اللغوي المصري في منتصف الستينات الهجرية، وقد كتبت بفنية شعرية خاصة بحيث تقرأ على ثلاثة أوجه وهي:

احذر عيون المها إن طفن والحورا ... وألغ أمر الحسان وانبذنه ورا

راقتك سُفّر حور العين إذ برزت ... فاستحي ويحك ممن صور الصورا

وغض طرفك عنها واخش خالقها ... واستخف منه أتعصي الله وهو يرى

ولذ بعفو الغفور الله منشئها ... البر من قد أنار الشمس والقمرا

فأنت لست بباق فالإله علا ... وعز شأناً وجل اعمل بما أمرا

والـــدار دار غـــرورٍ لا نجى لـــسوي   مـــن لـــنجاة بهـــا قـــد راح وابـــتكرا
إن رمـــت مـــا تتمـــنى كلـــه فأطع   أمـــر المهـــيمن وارض بـــالذي قـــدرا
فاخضـــع لأمـــر شكور من لدعوته   إنقـــاد يظفـــر بمـــا يهـــواه دون مـــرا
إذا توجـــــه داعٍ نحـــوه ســـيرى   مـــناه في كـــل أمـــر مفظـــع حضـــرا
يقضي جميع الأمـــور النائبـــات وإن   أظـــل خطـــب يـــرجى الله لاَ الأمـــرا
لا يســـتحق ثـــناءً غـــيره أبـــدا   لا والمهـــيمن مـــن كســـري بـــه انجبرا
غير الغفـــور الصبور أترك رجاه ولا   تـــرم مـــن الغيـــر شـــيء قـــل أو كثرا
وعاجـــز مـــن ســـواه مـــا برا أحدٌ   ســـوى إلهـــك شـــيئاً فارضـــه وزرا
فلا تـــثق بـــوفـــور مـــن سواه وثق   بـــالله وارج لديـــه نـــيلك الوطـــرا
وكـــن تقيـــاً وفيـــاً للإلـــه وصنـــ   ـــه كـــي تعلـــى فتـــرقى في ذرا الكبـــرا
بأمر مجـــري البحور اعمل ورمه تفز   وإن تـــرم مـــن ســـواه لم تجـــد أثـــرا
وإن أردت الدنـــيا مـــع حقارتهـــا   لم تَلـــف خيراً وتُلـــف صفـــوها كدرا
فلترج مولى الحبور الدائـــم الأبـــدي   تجـــد إن اخـــترته الـــتقديم والظفـــرا
فـــنعم ربـــك ربـــاً في أمـــورك إن   ترمـــه تظفـــر وتكـــف الســـوء والضررا
مـــنه هـــداك لـــنور نـــافع وقضى   ما رمـــت جُـــلاّ ويـــقضي ما بقي سترى
فكـــن مديمـــاً دعـــاه مخبـــتاً لـــه   تشفـــع إن رمـــت شيئـــاً بالأولـــى نصرا
واستشفعاً في حضور الحاج إن بعدت   لـــه بـــذي الفضـــل طـــه خير من فطرا
لـــه وصـــل وسلـــم بالـــدوام على   مـــن صـــان ذا الـــدين حتى عز وانتشرا
على الســـراج المنيـــر من أبان وصا   م للإلـــه وصـــلى بـــالدجى ســـحرا

وله أيضاً قصائد مديحية ومقطوعات شعرية في مواضيع شتى منها قوله في تسلية الفضلاء:

إذا رفـــــع الأراذل للـــــثريا   وخفـــض ســـادة القـــوم الـــزمان
فلا تعجـــب لـــذاك وكـــن حكيمـــاً   فقـــد يعلـــو عـــلى الـــنار الدخـــان
كـــذا زبـــد الـــبحار تـــراه يعلـــو   وفي القعـــر اليواقيـــت الحســـان

ومنها نصيحته لزائر الحواضر العصرية:

مادمـــت في مصـــر يا ذا الحزم خذ حذرا	فـــيهـــا ففيهـــا الفتى يخشى الردى أبدا
فـــيها جـــوارٍ جـــوارٍ ضـــعبة وبهـــا	أيضـــاً جـــوارٍ عـــوارٍ كالظباء سدىً
فـــذي مهالـــك تـــردي مـــن يصادفها	حـــالاً وهـــذي بـــها يلقى رداه غدا
إن غـــض طـــرفيـــه لاقى في الحياة ردى	أو لم يغـــض يـــنله في المعـــاد ردى

كـــان عالماً عاملاً، عزيز النفس، عفيفاً قانعاً، مقصوداً في ا لحاجات، يعرف ذلك تلاميذه وكل من خالطه من العلماء والعوام.

وتوفي سنة 1380هـــ/1959م في عمان ودفن فيها، وقد زاد على الستين رحمه الله تعـــالى. وخلف مكتبة هامة تضم بعض المخطوطات القيمة، وهي بحوزة أبنائه في المملكة الأردنية الهاشمية.

● تآليفه:

1-الـــترجمان والدليل لآيات التتريل.2- الأسئلة العلمية: وقد أجاب عنها الدكتور محمد بن سيدي الحبيب الجكني وتمت بذلك الفائدة[1] .

- 97 -

المختار بن حامد الديماني

عـــالم جليل وشاعر كبير معاصر، وهو مؤرخ موريتانيا الشهير بابن خلدون الثاني لفضـــله العـــلمي، وعمـــق تبحره في التاريخ العربي والإسلامي بصفة خاصة. ولد سنة 1315هـــ بمنطقة الترارزة في بلاد شنقيط. وترعرع في بيئة ثقافية متميـــزة، وتفتقـــت عبقريـــته في محضـــرة والده القاضي الشيخ حامد التي ورثها عن جده العلامة محنض بابا ابـــن اعبـــيد، حيث انتسب إليها في سن مبكرة وقرأ فيها على خاله الشيخ عبد الرحمن ابـــن بيدح الديماني القرآن الكريم والتجويد والنحو والبلاغة والمنطق ثم ارتحل إلى محضرة أهـــل أحمد بن محمد سالم ونهل من معارفها مدة من الزمن، وعاد إلى والده فأكمل عليه

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمود مختار في جدة ليلة 1422/05/20هـــ الموافق 2001/08/10م.

تعليمه واستفاد من مكتبته الكبيرة التي كانت تحوي شتى أنواع الفنون. وقد اشتهر بمعرفة التاريخ والوقائع والأنساب أكثر مما اشتهر بالعلوم الأخرى رغم أنه أخذ منها بحظ وافر. وعين في عهد الاستعمار أستاذاً للتاريخ العربي والإسلامي في معهد بوتلميت، واشتغل في تلك الأثناء بإعداد موسوعة عن تاريخ البلاد. وبعد ما استقلت البلاد اتخذه الرئيس المؤسس الأستاذ المختار بن داداه مستشاراً ثقافياً خاصاً فخوله ذلك السفر سنوياً إلى عدد من المكتبات العالمية فازداد اطلاعه وتمكن من جمع المصادر اللازمة لمشروع موسوعته التي قضى في تأليفها حوالي أربعين سنة. وقد اهتمت وزارتا التعليم والثقافة في موريتانيا بانتاجه الأدبي فاعتمدت بعض نصوصه الشعرية في المقررات المدرسية الوطنية، وأعدت عن أدبه رسائل عديدة في جامعة نواكشوط والمدرسة العليا للأساتذة. شارك في كثير من الندوات واللقاءات الفكرية في عصره ممثلاً لبلاده كالدروس الحسنية التي كان يعقدها الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية في كل رمضان ويحضرها أساطين العلم والأدب والفكر. وفي سنة 1400هـ هاجر إلى الحرمين الشريفين وجاور في المدينة المنورة وتفرغ فيها للعبادة وكان يتردد عليه طائفة من علماء موريتانيا والسعودية ويتباحثون معه في القضايا العلمية المختلفة من بينهم الشيخ عطية محمد سالم القاضي والمدرس في المسجد النبوي الشريف.

ومن مقطوعاته السياسية نورد هذه الأبيات التي يتحدث فيها عن موقفه من إحدى الحكومات المتعاقبة على السلطة في موريتانيا:

تسائلني هل أنت مع الحكومه ... أم أنت مع الحكومه في خصومه
فقلت لها الخصومة ضد طبعي ... وضد الطّبع آنف أن أرومه
ولم تفرض حكومتنا علينا ... جزاها الله تأييد الحكومه

ومن شعره أيضاً:

تقضت في الزمان لنا ليال ... وددنا لو تؤوب لنا إيابا
أقام العز فينا ما أقامت ... وكان ذهابهن له ذهابا
أقمنا سنة المختار فيها ... وكان دليلنا فيها الكتاب
وقام الدين فينا واستقمنا ... على التقوى امتثالاً واجتنابا

وقـــد كـــنا كشـــمس أولي حلـــوم رواســـخ تســـتخف لهـــا الهضـــابا
وأفهـــام تضـــيء لهـــا الديـــاجي وأخـــلاق تـــذم لهـــا الرضـــابا
وكـــان لنـــا مقـــام كل حـــول نقـــول بـــه فنفعلـــه الصـــوابا

* * *

نـــأمل أن نعـــود إلى ســـجايا أوائلـــنا وننقلـــب انقلابـــا
عســـى عصـــب أولـــوا همـــم وعزم إلى الخـــيرات تنـــتدب انـــتدابا
تجـــدد ما عفـــاه الدهـــر منهـــا و تعمـــر ماغـــدا منهـــا خرابا

وتـــوفي في المدينة المنورة غرة شهر محرم سنة 1414هـــ، ودفن في البقيع الطاهر رحمه الله تعالى.

- تآليفه:

1 ـــ تاريخ وجغرافية موريتانيا الحديثة: قام ببيعها إبان الحرب العالمية الثانية على المعهـــد الفرنســـي بإفريقيـــا الســـوداء بإنـــدر، وقد ترجم إلى اللغة الفرنسية وطبع. 2 ـــ موســـوعة تاريخ موريتانيا: طبع منها حتى الآن الجزء الجغرافي والجزء الثقافي وبقي مـــا يزيد على ثلاثين جزءاً. 3 ـــ المعجم: جمع فيه أكثر من أربعة آلاف مؤلف شنقيطي بالاشتراك مع الباحث الألماني هيموفيسكي. 4 ـــ كتاب في المنطق. 5 ـــ أنظام فقهية في نـــوازل محـــددة (منها نظم في القبض). 6 ـــ دواوين شعرية كثيرة نشر مختارات منها في كتاب مستقل في السبعينات الهجرية. 7 ـــ مقامات متنوعة (منها مقامة في الشاي)[1].

- 98 -

مولود بن أحمد بن اجَّيه التاشدبيتي

أديـــب مشـــهور، وشاعر مطبوع، ولد بمنطقة الترارزة في بلاد شنقيط وبها نشأ. وطلـــب العلم في محاضرها على جماعة منهم محمذ فال بن أبو فره وعبد الرحمن بن محمذ فـــال بن متالي. دخل الحجاز للحج سنة 1362هـــ، واجتمع بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في مكة المكرمة فأعجب به، وأجرى له عطاءاً سنوياً وهدية فاخرةً.

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ الحسن محنض في الرياض مساء الأربعاء 1422/01/24هـــ الموافق 2001/04/18م.

وكانت له علاقة حميمة بآل جمجوم في جدة وخاصة الشيخ محمد صالح جمجوم،وقد رثاه بعد وفاته بقصيدة يقول فيها:

بنى المجد جمجوم وماهو راجح   من الفضل والمعروف غاد ورائح
وخلف أبناء كراماً بنوا له   من المجد مجداً لم تطحه الطوائح
فقام به عبد الرؤوف وبعده   محمد صالح أخوه المكافح
وما مات من أبقى جميلاً وصالحاً   وما منهم إلا جميل وصالح

وجميل وصالح ابنا الشيخ محمد صالح المذكور.

ولما أدى نسكه وزار انتقل إلى السودان واستقر فيها، وتأهل منها، وشمله أهلها بالمحبة والاحترام كعادتهم مع الشناقطة قاطبة. ثم صار يحج كل عام ويجلب معه ما تيسر من مؤونة إلى المجاورين بالحرمين الشريفين. ومن أخص أصدقائه في السودان السيد عبدالرحمن المهدي والمهندس عبدالرحمن عبدون عضو مجلس السيادة، ومحمد الملقب بالمر ابن علي التوم وفيه يقول:

سلامٌ على المرِّ المسمى محمداً   سليل علي بن التوم فحل المكارم
فتىً عرفت عرب الكبابيش فضله   وكل امرئ بين الكواهل حاكم
هو المر والحلو المؤمل فيهم   لدفع ظلوم أو لرد المظالم
فلا زال في أعلا مقام ورتبة   بسبطي علي والرسول وفاطم

كان كريم النفس، حسن السريرة، كثير الإنفاق، كفالاً للأيتام، وحسبه ذلك فقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى) رواه البخاري[1].

وقد ختم الله له بحجة سنة 1382هـ توفي على إثرها في المدينة المنورة عن تسعين سنة ونيفاً ، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى[2] .

---

[1] البخاري ـ الفتح (6005) واللفظ له ، وأبو داود (5150) ، والترمذي (1918) .

[2] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ أحمد بن عبد العزيز بالمدينة المنورة ليلة 1417/08/09هـ .

- 99 -

مولود بن الناهي اليعقوبي

العلامة النظامة ، واللغوى المذكور ، كان يحفظ القاموس المحيط . رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج ، وزار النبى صلى الله عليه وسلم . ثم جاء بخزانة كتب ضخمة ، ساهمت في إثراء الساحة العلمية في جهته .

ترجم له الأستاذ أحمد سالم بن محمد يحظيه في مقدمة (مرام المجتدى) ، فذكر أنه من آل زنون بن دامان ،ويعقوبي من حيث المساكنة والمصاهرة . وهو من أهل القرن الثالث عشر الهجرى رحمه الله تعالى .

- **تآليفه :**

1-كتب في اللغة. 2-نظم في التاريخ. 3- نظم طبقات الشعراء[1].

- 100 -

صالح بن الفقيه عبد الله بن الطالب محم الزحاف الإديلبي .

العالم السنى ، الفقيه الفاضل ، ولد ليلة الجمعة 26 ربيع الآخر سنة 1141 هـ أخذ رواية الإمام نافع ، ومختصر الشيخ خليل عن الفقيه البشير بن الحاج الهادي . وقرأ صغرى السنوسى ودليل القائد والرسالة على الطالب الأمين بن الطالب الحبيب . وقد درس هذه الكتب لتلاميذه بتحقيق وبحث وتدقيق . كان وصولاً للرحم ، سخياً كثير الصدقة والمعروف ، ذا مروءة ، حسن العشرة . ملازماً للمسجد ، كثير النوافل ، لايبرح مجلسي البخاري والشفاء . توجه إلى المشرق سنة 1204 هـ وأدى حجة الأسلام . وجاور في المدينة المنورة لأجل الحج حتى حج حجته الثانية التى توفى فيها . ويقال عن سبب مجاورته أنه سمع قصة في مجلس الشفاء يقول نصها : حكى أن قوماً أتوا سعدون الخولانى المستنير فأعلموه أن رجلاً قتلوه كتامة ، وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه ،وبقى أبيض اللون ، فقال: لعله حج ثلاث حجات ؟! قالو : نعم . قال : حدثنى أن

---

[1] سيدي محمد بن محمد عبد الله : معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي ، ص/146 .

من حج حجةً أدى فرضه ، ومن حج ثانيةً داين ربه ، ومن حج ثالثةً حرم الله شعره وبشره على النار اهـ .

وتوفي في ذى الحجة سنة 1205 هـ رحمه الله تعالى[1] .

- 101 -

صالح بن عبد الوهاب الناصري

العالم النسابة ، المؤرخ البحاثة ، ولد بولاته ونشأ بها . وتتلمذ على أعلام منهم بوب بن أحمد مولود، والقصري بن محمد المختار ، والطالب الأمين بن الطالب الحبيب البربوشي والطالب عبد الله الملقب الرقيق الداودى . وقد إنصرف إهتمامه إلى تحقيق الأنساب الحسانية والصنهاجية ، والبحث في الوقائع التاريخية ، مشاركاً في غيرها . ثم جال في البلاد وزار المغرب وتونس ومصر والحجاز . فحج وزار والتقى بالعلماء والأعيان . وبعثه الأمير المختار بن أعمر التروزي سفيراً إلى أبدمل ملك السنغال سنة 1224 هـ . كان معتبراً في قومه ، ذا مكانة عند الزوايا . يقول في قصيدة له مشيداً بمكانة عشيرته :

وقدماً رفعنا في المغارب معقلاً ... زمان سليم أو هلال بن عامر

إلى أن يقول :

ومن كان عنا سائلاً عن تجاهل ... فنحن عياسات الظبا والمزابر

و نحن أقنا للحجيج طريقه ... ونحن سننا توبةً للمغافر

وتوفي سنة 1272 هـ رحمه الله تعالى .

• تآليفه :

1-منظومة في أوليات التاريخ . 2-الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية . 3-كتاب الأعلام. 4-حاشية على شرح الورقات للنيسابوري. 5-زخارف السلوك. 6-غوامض الحديث. 7-فتح الألقاب. 8-النبذة في حوادث السنين. 9-أنساب صنهاجة.

---

[1] البرتلي : المرجع السابق ، ص/156-157 .

10-سـوط عـذاب على كل كذاب. 11-فتاوى فقهية. 12-أشعار وأنظام تعليمية مختلفة[1].

- 102 -

عبد الله بن محمد الكنتي

الشيخ الصالح المتعبد ، تعلم ببلاده على الشيخ سيدي المختار الكنتي نزيل أزواد ، ولازمه واعتنى به فانتفع به . حج مع الركب التواتى سنة 1194هـ . وسمع من الشيخ صالح الفلاني الفوتي في الحرمين . ثم رجع مع الركب المصري في شهر صفر سنة 1195 هـ ، فتدبج مع الشيخ مرتضى الزبيدي وأبلغه سلام شيخه ، وأخذ له منه كتاباً .

كان رحمه الله تعالى حياً في أواخر القرن الثانى عشر الهجرى[2].

- 103 -

عبد الله بن محمد البوحسني

حـج بيـت الله الحرام وزار ، وأخذ إضاءة الدجنة إجازة عن مفتى الحرمين أبى مهدى عيسى بن محمد الثعالبى الجزائري . ثم رجع إلى بلاده ، وأجاز بها جماعة . وهو من أهل القرن الحادى عشر الهجرى رحمه الله تعالى[3].

- 104 -

عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه المسومي

ولد في مدينة تنبدغه بالحوض الشرقي في بلاد شنقيط حوالي سنة 1935م، وتربى في بيت علم ودين، إذ كان والده عالماً وقاضياً ورئيساً لمؤتمر العلماء الموريتانيين الذي نظم بعد استقلال البلاد فانعكس ذلك على شخصيته، وأثر في تكوينه العلمي والفكري فنشأ طموحـاً عالي الهمة. وقد انتظم في محضرة والده في سن مبكرة وتلقى فيها القرآن الكريم

---

[1] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط) ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/100-112 ، وسيدي محمد بن محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص/79 ، 80 .

[2] الزبيدي : معجم الشيوخ (مخطوط).

[3] البرتلي : المرجع السابق ، ص/160 .

وعلومـــه والحديـــث ومصطلحه والفقه وأصوله واللغة والنحو والأدب والبلاغة والمنطق، وحصل على إجازات من بعض العلماء. وكان من أبرز أساتذته الشيخ المعمر محمد سالم ابـــن الشـــين الأدكوجي (دفين تنبدغه) إمام اللغة والنحو في تلك المنطقة بلا منازع. ولما ظهـــرت بوادر التحرر من نير الاستعمار ساهم في امتحان الكفاءة ونالها سنة 1956م، وحصـــل عـــلى الشـــهادة الثانوية سنة 1958م، ثم حاز المرتبة الثانية في اختبار القضاء وابتعـــث إلى دولة تونس الشقيقة للتأهيل القانوني والقضائي سنة 1961م ضمن مجموعة مـــن الطـــلاب منهم الشيخ محمد سالم بن عدود والشيخ الطالب أخيار بن الشيخ بوننا والقاضي بيه بن السالك والشيخ هارون بن الشيخ سيديا. وكان المترجم له الأول من بين إثـــني عشـــر قاضـــياً تم اختيارهم بعدما أعدوا بحوثاً في الفقه والقانون. وحين عودته إلى موريتانيا عين رئيساً لمصلحة الشريعة في وزارة العدل ثم نائباً لرئيس محكمة الاستئناف، ثم نائـــباً لرئيس المحكمة العليا ورئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بهذه المحكمة، ثم مفوضاً سامياً للشؤون الدينية برئاسة الجمهورية حيث اقترح إنشاء وزارة للشؤون الإسلامية فكان أول وزيـــر لها، ثم وزيراً للتعليم الأساسي والشؤون الدينية، ثم وزيراً للعدل والتشريع وحافظاً للخواتم ثم وزير دولة للمصادر البشرية (برتبة نائب رئيس الوزراء)، ثم وزير دولة للتوجيه الوطني والمنظمات الحزبية، والتي كانت تضم وزارات الإعلام والثقافة والشباب والرياضة والـــبريد والـــبرق والشؤون الإسلامية، هذا بالإضافة إلى ترؤسه للجنتي التعريب وتطبيق الشريعة الإسلامية[1] ، وكونه أميناً دائماً لحزم الشعب الموريتاني (الحزب الوحيد الحاكم) الـــذي كـــان عضـــواً في مكتبه السياسي ولجنته الدائمة من سنة 1970م إلى 10يوليو 1978م حيـــث أطاحت اللجنة العسكرية للإنقاذ الوطني برئاســـة المصطفـــى بن محمد الســـالك بالرئيس المختار بن داده بسبب النـــزاع المسلح في الصحراء الغربية. وقد شارك

---

[1]ولعلـــي لا أذيع سراً إذا قلت لحكام المسلمين: (إن شعوبكم لا ينوون لكم شراً بل يريدون لكم الخير ، فأنتم مـــنهم وهم منكم ، وقصارى ما يتطلعون إليه هو ما يطلبونه منكم من ا لحكم بما أنزل الله عز وجل فحسب، فإن أرضـــيتموهم بما يريدونه رضي الله سبحانه عنكم ، ودام سلطانكم ، وصلحت بلادكم وصرتم يداً على عدوكم ، وإن كانـــت الأخـــرى أغضبتم ربكم ، وتفرقتم أيدي سبأ ، وشغلتم بأنفسكم عن عدوكم ، وكنتم عبرة للزمان وأهله . ولتعلموا أن السلطة لو كانت تدوم لأحد ما وصلت إليكم ، ألا فاعتبروا بمن سبقكم ، وليتحمل كل واحد منكم مسؤوليته أمام الله سبحانه ثم أمام الأجيال والتاريخ) .

المترجم في كثير من المؤتمرات الإقليمية والدولية كالمؤتمر الأول لقمة الدول الإسلامية بالرباط والمؤتمر الأول التأسيسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي على مستوى وزراء الخارجية في جدة، ومؤتمر القمة لعدم الإنحياز بالجزائر ومؤتمر القمة العربي الإفريقي بالقاهرة، كما شارك أيضاً في الستينات في مؤتمر الحقوقيين الناطقين بالفرنسية في لومي، وأشرف على المؤتمر الأول الإفريقي لرابطة العالم الإسلامي بنواكشوط. وقد قام بمهمات لدى عدد من زعماء العالم منهم الملك فيصل والملك خالد والملك فهد آل سعود أيام كان ولياً للعهد، وحضر تتويج ملك إسبانيا الملك خوان كارلوس ممثلاً لبلاده، وكان مرافقاً للملك فيصل ابن عبد العزيز إبان زيارته لموريتانيا سنة 1972م، وقلده وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الممتازة. وقد شارك في ندوات فكرية وعلمية رفيعة في كل من الجزائر والسعودية وباكستان وإيطاليا وإسبانيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا. وفي سنة 1982م ارتحل إلى المملكة العربية السعودية وتعاقد مع جامعة الملك عبد العزيز في جدة، فاسندت إليه تدريس التفسير وأصول الفقه والقواعد والنظريات الفقهية وقواعد اللغة العربية وأساليب البيان. وأشرف وناقش بعض رسائل الدكتوراه والماجستير بالمعهد العالي للقضاء وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض وجامعة أم القرى في مكة المكرمة. وقد رشح لرئاسة موريتانيا من طرف الإسلاميين في أول انتخابات رئاسية عرفتها البلاد في شهر يناير من سنة 1992م فاعتذر عنها .

والمترجم يجيد اللغة الفرنسية، وهو عضو في مجالس وهيئات ومنظمات إسلامية عالمية عديدة منها وفد الحوار الإسلامي المسيحي لدى رابطة العالم الإسلامي، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد التابع للرابطة أيضاً، وهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، والهيئة الخيرية العالمية الإسلامية في الكويت، ومؤتمر العالم الإسلامي في كراتشي، والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث إضافة إلى مشاركاته كخبير في اجتماعات المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وهو الآن بقيد الحياة مقيم في جدة حفظه الله تعالى.

- **تآليفه:**

1 - توضيح أوجه اختلاف الأقوال في مسائل من معاملات الأموال في الفقه.

2 - أمالي الدلالات ومجال الاختلافات في الأصول.3 - سد الذرائع. 4 - خطاب الأمن

في الإســلام 5- حــوار عــن بعد عن حقوق الإنسان في الإسلام. 6- القيم الإنسانية المشتركة (ساهم به في ندوة لندن) . 7 - نظم من بداية المجتهد ونهاية المقتصد[1].

-105 -

عبد الله بن سيدي محمود الحاجي

ولــد ببلاد شــنقيط ، وتلقى علومه فيها عن أبيه ، و العلامة سيدى عبد الله ابــن الحــاج إبراهيم ، والعلامة الطالب جدو بن أمخيتير . وكان لاينام إلا قليلاً لشدة إجــتهاده ، وعلو همته . وهو من بيت فضل وصلاح ، وكان والده رئيساً لقومه وللناس فــيه اعــتقادٌ حسنٌ . ولما أراد الحج اجتاز بأرض (أزواد) ، والتقى فيها بالشيخ سيدى المخــتار الكنتى فأكرمه ، ورآى منه عجائب تشهد لرسوخ قدمه في مقامه فسلّم لــه ، والتمس دعاءه . ثم حج ، وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم ،وقال :

ماكنــت مــذ زمن ترجوه هــذاؤه	هــذا شــفيع الورى بشرى هذاؤه
هذا العتيــق وذا أبــو الفتــوح وذى	أهــل البقــيع أحــباؤه وأبــناؤه
فسـل بــه وبهــم ماكنــت تطلبــه	هناك تقضى لذى الحوجاء حوجاؤه
حاشــاه أن يستغيــث المستغيــث به	و تستطيــل عليــه الدهر أعداؤه

ولما رجع إلى بلاده قال متأسفاً :

بــان الرسول و بانــت عنك طيبته	إن الأحبــة و الأوطان أعــداء

ثم ظهر أمره ، وعلا ذكره ، فكثر أتباعه من الزوايا والتياب واللحمة وصاروا لــه تلاميذاً وجنداً ، وهو لهم شيخاً وقائداً .

وتوفى سنة 1250هــ رحمه الله تعالى .

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ عبد الله بن بيه في جدة يوم 1421/06/13هــ الموافق 2000/09/11م، وأضفت إلى ذلك ما أعرفه من سيرته الشخصية.

● تآليفه :

1-شرح أسماء الله الحسنى. 2- تفضيل قبائل العرب. 3-نظم أهل بدر.
4-أشعار وأنظام في مواضيع مختلفة وغيرها[1].

- 106 -

عبد الجليل بن أحمد المغفري

الشيخ الفاضل ، ورد على القاهرة حاجاً في شهر جمادى الآخرة سنة 1182 هـ واجتمع بالشيخ مرتضى الزبيدي فسمع منه حديث الأولية وغيره . ثم أدى نسكه، وقفل إلى بلاده .

كان رحمه الله تعالى حياً في عشر التسعين بعد المائة والألف من الهجرة[2].

- 107 -

الشيخ عبد الرحمن الشنقيطي

أحد العلماء العاملين ، والمشايخ الصالحين . جاور بالمدينة المنورة مدة طويلة ، وأخذ عنه بها طائفة منهم الشيخ تاج الدين بن إلياس المفتي . وانتفع به طلاب العلم وظهرت بركته عليهم . كان عابداً كثير الصيام والقيام ، آخذاً نفسه بالمجاهدات . وقّفَ مكتبته على زاوية الشيخ محمد السمّان.

وتوفي في المدينة المنورة سنة 1181هـ رحمه الله تعالى[3].

- 108 -

عبد الرشيد الشنقيطي

كان شاباً صالحاً ، و شخصيةً إجتماعيةً وسياسيةً فذّةً . تولّى الدفاع عن حق الشناقطة المجاورين في وقف المغاربة العام في الحجاز . وقطع البحار والبراري لإثبات

---

[1] أحمد بن الأمين : المرجع السابق ، ص/361-365 ، وسيدي محمد بن محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص/89.

[2] الزبيدي : المرجع السابق .

[3] محمد خليل بن علي المرادي :سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، 330/1 .

هويتهم المغاربية ، وتفنيد القول بأنهم من السودان .فكتب لـه القاضى التاودي بن سوده وغـيره من علماء المغرب بأنهم من خلفي المغاربة ، وزوده السلطان محمد الثالث بن عبد الله بمنشـور يشهد لـه . وسلّـم بذلك أيضاً مفتي الديار المصـرية ، فأقام الحجة على المعارضين ، وتحقق له ماأراد . وقد إجتمع بالحافظ المرتضى الزبيدي سنة 1199 هـ ، وسمع منه أشياء حين إجتاز القاهرة إلى فاس .

وتوفى سنة 1201 هـ في المدينة المنورة رحمه الله تعالى[1] .

- 109 -

عبد الودود بن المختار العطواني[2]

أحد عباد الله الصالحين ، ولاغرو فهو من بيت علم وعمل أنجب أعلاماً فضلاء . حـج سـنة 1192 هـ ، ولبث أشهراً في المشرق واجتمع بالسيد مرتضى الزبيدي في القاهـرة وحصل منه على إجازة بعدما سمع منه حديث الأولية يوم الثلاثاء 24 صفر سنة 1193 هـ . ثم رجع إلى بلاده ،وأجاز غير واحد .

كان رحمه الله تعالى حياً في أواخر القرن الثاني عشر الهجري[3] .

- 110 -

عبد الودود بن سيدي عبد الله

آل إبراهيم الخليل الملقب خاجيل

الفقـيه الأديب، العالم اللغوي، ولد سنة 1281هـ/1863م في منطقة أوكار بـبلاد شنقيط. ونشأ في وسط ثقافي متألق يشحذ الهمم، وينمي الملكات، فحفظ القرآن الكـريم صـغيراً وأخـذ ضـبطه وتجويده عن الشيخ بن حبيب، ثم لازم الفقيه الأفضل

---

[1] الزبيدي :المرجع السابق .

[2] العطواني :نسبة إلى أولاد عطية وهو ما ذكره الزبيدي في معجمه ، ولكن الكتاني في كتابه (فهرس الفهارس) نسبه إلى قبيلة تجكانت ، وليس هذا بمستبعد لكثرة التحالفات العشائرية،وعلاقات المصاهرة بين القبائل مما يفضي غالباًإلى ذوبان الأفراد في أخوالهم ، أو في القبائل التي تعصبوا معها مع احتفاظهم بأنسابهم الحقيقية لأنفسهم وأحفادهم امتثالاً للشرع . ولعل حالة الشيخ عبد الودود من هذا القبيل والعلم عند الله تعالى.

[3] الزبيدي : المرجع السابق ، والكتاني : فهرس الفهارس 438/1 .

ابـن عبد الودود فتفقه به وتأدب. وعرف بقوة الحافظة، وحدة الذكاء حتى قيل إنه قلما وقـع ناظره على كتاب إلا واستظهره محدداً الموضوع بالسطر والكلمة. وقد حج البيت الحرام ، وزاربعض الأقاليم الإفريقية فنفع وانتفع.

وتوفي سنة 1356هـ/1936م رحمه الله تعالى.

- **تآليفه:**

1-أنظام فقهية في مسائل متعددة.2-ديوان شعر.3-رحلة الحج[1]

- 111 -

العاقب بن محمود الصنهاجي

الإمـام الأجل ، العالم المفضال ، ولد سنة 913 هـ . تفقه بأبيه وعمه ثم رحل لـلحج ، واجتمع بالشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين ، وأجازه ناصر اللقاني ، والـسـتاجوري إجـازة عامة. وتولي قضاء تنبكتو بعد وفاة أخيه القاضي محمد بن القاضي محمود سنة 973هـ ، فعدل فيه . وأجازه الشيخ أحمد بابا التنبكتي بمروياته ، وكان يعين أئمة الجامع الكبير على أساس العلم والكفاءة . وله كرامات وأحوال غريبة .

وتوفي سنة 991هـ رحمه الله تعالى [2] .

- 112 -

العاقب بن عبد الله المسوفي

الإمـام الفاضـل ، الفقيه الطبن ، كان ممن قل مثله في عصره ومصره . سافر إلى الحـج وأخـذ بمصـر عن محمد بن عبد الكريم المغيلي ، والجلال السيوطي وغيرهما . له كـتابات في مجالات شتى ، منها تعليق نفيس على قول خليل في مختصره (وخصصت نية الحالف ...) .

كان بقيد الحياة قريباً من سنة 950 هـ رحمه الله تعالى [3].

---

[1] أنظر عبد الودود بن سيدي عبد الله: رحلة الحج (مخطوط)، ومحمد عبدالله بن محمد محمود: الرحالة عبد الودود ابن سيدي عبد الله (رسالة مرقونة) .

[2] البرتلي : المرجع السابق ، ص/38 ، 74 ، 108 ، 155 ، ومخلوف: شجرة النور الزكية ، ص/286.

[3] مخلوف : المرجع السابق ، ص/278 .

- 113 -

الشيخ عثمـــان الشنقيطي

أحد أئمة الدين ، تتلمذ عليه جماعة منهم الشيخ أحمد بن عبد الله الشامي المكي ، وأجازه توفي في مكة المكرمة سنة 1318 هـــ رحمه الله تعالى[1].

- 114 -

عثمان المجاور بن محمد بن الطالب الوافي القلاوى

الفقـــيه الفاضـــل العالم العامل ، تتلمذ على الفقيه أبى عبد الله محمد بن ابى بكر ابـــن الهاشمى القلاوى .وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أبو بكر بن الحاج عيسى .وقد حج ثلاث مرات متتالية كانت أولاها سنة 1118 هـــ .

وجـــاور في المدينة المنورة ، وتوفي بها في شهر رمضان سنة 1121 هـــ رحمه الله تعالى[2].

- 115 -

عثمان بن محمد الأمين المباركي

علامـــة اجتماعي مشهور، وأديب لوذعي مذكور، قال عنه الشيخ محمد الخضر ابـــن مايـــأبى الجكني في إجازته[3] العامة لـــه في 12 شوال سنة 1348هـــ: (حضرة الفاضل الأريب الحاذق الكامل الشيخ عثمان بن محمد الأمين الشنقيطي).

ولـــد في بـــلاد شنقيط في أوائل القرن الرابع عشر الهجري الموافق لسنة 1893م وتـــربى في مـــنطقة الساقية الحمراء أيام ازدهارها على يد عالمها المجاهد الشيخ ماء العينين القلقمي. وقد أقبل على تحصيل العلم بنهم وشغف، فنشأ محباً للعلماء ومجالستهم، متطلعاً إلى معـــالي الأمور بهمة كبيرة وعقل راجح. ولما سقطت البلاد بيد المستعمرين هاجر إلى المشـــرق وجـــاور في المديـــنة المنورة فأكمل تعليمه في حرمها الشريف على يد جهابذته

---

(1) أبو بكر الحبشي : المرجع السابق ، ص/45 .

(2) البرتلي : المرجع السابق ، ص/191 .

(3) تجد صورة هذه الإجازة في الصفحة التالية .

الأعلام من شناقطة وغيرهم. ثم عمل مدرساً في مدرسة الفلاح بجدة، ثم عضواً في المحكمة المستعجلة بها سنة 1340هـ، ثم قاضياً بثغر العقبة سنة 1341هـ حينما كانت تابعة للحكومة العربية الهاشمية في الحجاز. التحق بالأردن بعد سقوط الحكومة العربية، واشتغل في سلك القضاء الشرعي رئيس كتاب ثم وكيل قاضي، ثم قاضياً من سنة 1355هـ الموافق 1935م إلى سنة 1378هـ/1958م حيث عين مديراً للشرعية إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1381هـ/1961م فعمل نائباً لرئيس مجلس الأوقاف الأعلى لفترة وجيزة. كان عالماً وقوراً، كثير الحفظ، قوي الذاكرة، نافذ الحجة، حاضر البديهة مع أريحية وكرم نادرين. وكان صاحب قلم متجرداً في كتاباته صادق التحقيق قوي التحرير، عمدة في أسرة مجلة (هدي الإسلام) الأردنية. ومن شعره قوله في مطلع قصيدة ألقاها في إحدى المناسبات العامة:

بان الخليط وليت القوم ما بانوا	وزودوك اشتياقاً أينما كانوا
بانوا بناعمة جيداء بهكنة	يفدي تدللها ترب وأخدان
هيفاء زينها طرف وسالفة	والقدُّ من بانة والجفن وسنان
رمت فؤادي بسهم وهي مقصدة	هوت به عيطل صفراء مرتان

وقال في مستهل أخرى أيضاً:

سقا مربعاً بالسلط طل ووابل	رباب به تزهو الربا والخمائل
وتفتر أفواه التلال ضواحكاً	عن الأقحوان اللدن والغصن مائل
مغان بها الآرام تلفي جوازئاً	وخلفتها أدم حسان مطافل
بليت وما البلوى فراق أحبة	ترامت بهم تيه الفيافي المجاهل

وتوفي يوم 02 شوال 1383هـ الموافق 15فبراير 1964م.

وله ذرية في الأردن منهم نجله الشيخ عمر وهو شخصية أردنية مرموقة، وقد تقلد وظائف عديدة في الأحوال المدنية والجوازات العامة، والقوات المسلحة الأردينة، وهو الآن مختار عشائر المغاربة، ومأذوناً شرعياً وحكماً وخبيراً لدى المحاكم الشرعية في عمان. وهو على عهد والده ديناً ومروءة وفقه الله تعالى وحفظه.

- تآليفه:

1-النقـــباء والنجـــباء في السيرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والسلام.2- مقالات متنوعة نشرتها مجلة (هدي الإسلام) الأردنية[1].

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الشيخ عمر عثمان المباركي في عمان ليلة 1422/05/15 هـ الموافق 2001/08/05م.

- 116 -

علي بن محمدنالله بن الطالب جبريل البرتلي

أحـد العـباد الأتقياء الذين لاتلهيهم تجارة، ولابيع عن ذكر الله . حج بيت الله الحرام وزار ، وقيد رحلته . كان يحب الصالحين ويعتقدهم ، وتذكر له كرامات وخوارق وتـوفي في السدس الأخير من ليلة الأربعاء الموافق 27 ذي القعدة سنة 1094 هـ رحمه الله تعالى[1].

- 117 -

عمر بن محمد المغفري

الشـيخ الصـالح ،الولى العارف العلامة ،حج سنة 1193 هـ . ولبث فترة في الحجاز ، فالتقى بالعلماء ، ولازم الشيخ مرتضى الزبيدي في القاهرة ، فسمع منه حديث الأولية وغيره ، وأجازه وعاد إلى بلاده .

كان رحمه الله تعالى حياً في التسعينات من القرن الثاني عشر الهجري [2].

- 118 -

عمر بن المختار المغفري

أحـد كبار العلماء ، وأجلاء المشائخ ، حج سنة 1174 هـ واجتمع في القاهرة بشيخ السجادة الوفائية السيد أبي المعادى ، والسيد مرتضى الزبيدى الذى وصفه بقوله : (الشيخ الصالح الولى العارف العلامة) . وقد عقد معهما عقد المؤاخاة ، وأجازهما ببعض المعارف . وروى عنه العلامة أحمد الطبولى الطرابلسى .

وتوفي في طرابلس الغرب ، ودفن بجوار سيدي أحمد زروق رحمهما الله تعالى[3] .

---

[1] البرتلي: المرجع السابق ، ص/199.

[2] الزبيدي : المرجع السابق .

[3] الزبيدي : المرجع السابق ، والكتاني : المرجع السابق ، 1/119-120 .

- 119 -

عمر بن السالك بن محمد اسويدات الحاجي

آل المرابط سيدي محمود

العالم الهمام، والشجاع المقدام، ولد في منطقة (الرقيبة) في بلاد شنقيط، وتربى في بيت عزٍ محاطاً برعاية والديه وعنايتهما. ولما شب عن الطوق اغترب لطلب العلم في مدينة ولاته بالحوض الشرقي فأدرك عالميها الجليلين الفقيه محمد يحيى بن سيدي عثمان وشيخنا محمد بن معزوز فلبث معهم عشر سنوات ينهل من معارفهما المختلفة . وكان لا يقنع بتلقي الفقه دون أدلته، ويكثر على شيوخه في طلبها حتى قال له الفقيه محمد يحيى ذات مرة: (يا ولد اسويدات أخشى أن تصبح يوماً من الأيام ظاهرياً). وحج سنة 1321هـ، وكان خروجه من البلاد قبل استعمارها بسنة، ولم يرجع إليها إلا بعد الاستقلال وكان يرى أن ذلك من التوفيق فيقول: (خرجت من البلاد قبل النصارى وجئت إليها بعد خروجهم). اشتغل بالتجارة بين الحجاز واليمن والهند والإمارات العربية المتحدة والبحرين ثم جاور بالمدينة المنورة بعدئذٍ مدرساً وواعظاً في الحرم النبوي حوالي سنة 1330هـ. فكان درسه بعد صلاة الفجر في التفسير وبعد الظهر في البلاغة وبعد المغرب في الفقه وبعد العشاء في كتب السنة. وتزوج بامرأة مغربية من آل الدباغ أنجبت له ولده الوحيد محمد، وتوفيت عنده فتزوج بعدها ابنة الشيخ محمد الخضر آل ما يأبى، وقد توفيت عنده أيضاً. كان مالكي المذهب مع ميول بين للظاهرية لاسيما ابن حزم، وربما اعترض على بعض أقواله في المحلى، ومن ثم رغب عن التمذهب في أواخر حياته واكتفى بالتمسك بنص الآية والحديث. وقد نوقش في ذلك وجرت مناظرات بينه وبين العلماء من الشناقطة وغيرهم فلم يزده ذلك إلا تمسكاً برأيه. فكان يقول لتلاميذه: (سبحان الله لقد تحقق ما توقع شيخي الولاتي). وسأله أحد طلابه عن رأيه في كتاب (دليل الخيرات للإمام سيدي محمد الجزولي)؟، فقال له: (نعم دليل الخيرات فيه صيغ من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لم تثبت ولكن من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بدليل الخيرات أفضل ممن لا يصلي عليه) . أخذ عنه جماعة منهم الشيخ المحدث عبد الرحمن ابن يوسف الإفريقي والشيخ محمد المختار بن أحمد مزيد الجكني والشيخ عمر بن محمد

فلاتـــه، وهم من مدرسي المسجد النبوي الشريف، والشيخ محمد الحسن بن محمد مبارك ابـــن سـيدي القلقمي والشيخ صالح محمد كمال الدين الأخميمي والشيخ محمد عبدالله ابـــن ضياء الدين آل المختار بن بونا الجكني. وكان يعتمد في نفقته على كسب يده من الفلاحة فكانت له مزرعة في جهة قباء تسمى (الدويمة) يجني منها كثيراً حتى عُدّ من كبار المنـــتجين للتمور والحبوب في المدينة المنورة . وكانت لـــه حظوة عند أسرة آل مبارك في الأحساء، أثيراً لدى رئيس دولة الأمارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشـيخ عمير بن يوسف ، ويفزع إليهم في المهمات فيحلونه ويكرمونه، ويغدقون عليه بســـخاء. وكانت مائدته لا تخلو من ضيوف، وهو كريم كثير العطايا والهبات، ولم يســتبق شـــيئاً لسخائه لا عروضاً ولا عقاراً حتى قال من يعرفه: (يكفيه أنه غير مديون) شـــفقة علـــيه. وأشـــاد أحدهم بمناقبه فقال: (رحم الله الشيخ عمر كان يشبعنا ويعلمنا ويضحكنا ولا نجد هذه الخلال مجتمعة عند غيره) .

وتوفي يوم 08ذي الحجة 1388هـــ وقد زاد على الثمانين، ودفن في بقيع الغرقد رحمه الله تعالى.

أمـــا ولده الأستاذ محمد فلم يدخله المدرسة وعلمه على الطريقة الشنقيطية فحفظه القرآن الكريم، ودرسه مختصر الشيخ خليل في الفقه وألفية ابن مالك في النحو. فلما شب وأراد التوظيف اعترضته مشكلة الشهادات فاضطر إلى الانخراط في سلك التعليم النظامي مـــن تلقاء نفسه وتخرج بشهادة الابتدائية حين كانت مناهجها قوية. وقد تقلد وظائف هامة بوزارة الداخلية حتى تقاعد، وكان محرراً واسع الاطلاع. وتوفي سنة 1410هـــ في جدة رحمه الله تعالى، وله عقب في السعودية.

- **تآليفه:**

1- تفسير كلمة التوحيد بما جاء عن الله في كتابه المجيد. 2- شفاء الصدور بإبطال القـــول القائل بثبوت الشمس وكروية الأرض وأنها تدور: وهي رسالة وجهها إلى الملك ســـعـــود بن عبد العزيز يريـــد منع تدريـــس بعض نظـــريات علم الفلك في المدارس.

3- إتحاف المسلمين بإبطال ما ادعاه أهل الزيغ والضلال من وقوع التعارض في بيان رب العالمين. 4- القول السديد في بيان معنى التوحيد[1].

- 120 -

القارعة بنت محمدنا الشمسدية

كانـــت مجاورة بالمدينة المنورة ، وهي ضليعة بالأدب والشعر ، لاتطاق مناظرتها . وقد وقّفت منـــزلها على المسجد النبوى ومصالحه ، وتوفيت حوالى سنة 1352 هـــ ، ودفنت في البقيع الطاهر رحمها الله تعالى[2] .

- 121 -

سيدى بن أحمد بابا اليعقوبى .

مـــرّ بمصر عائداً من الحج فقربه أميرها ، وكلّفه باستنساخ الكتب لديه فأقام معه ســـت ســـنوات. ولما أراد السفر أهداه عشرة أعبد ، وعشرة إماء ، وجهزه بثلاثين جملاً موقرةً. وهو من أهل القرن الثالث عشر الهجرى رحمه الله تعالى[3] .

- 122 -

سيدي محمد الملقب الداس بن أحمد التنواجيوي

ولـــد في بلدة ترمس بمنطقة الحوض في بلاد شنقيط، ونشأ بها مع أبويه في رعاية كريمة، وقد فقد أمه في سن العاشرة من عمره فازداد والده اهتماماً بتربيته وتعليمه، وهيأه لخلافته في محضرته، فكان موهوباً، سريع الحفظ واسع الدراية، ملقن الحجة. وقد توفي عنه

---

[1] حصـــلت عـــلى المعلومات السابقة في مقابلات أجريتها مع كل من الأستاذ أحمد بن اسويدات والدكتور محمد الخضر ضيف الله في مكة المكرمة يوم 2000/04/06م ، والأستاذ أحمد الملقب أدو بن أحمد بابا في المدينة المنورة 1421/11/12هـــ .

[2] أحمد أمين صالح مرشد : المرجع السابق ، 192/1 نقلاً عن الأديب عبد الرحمن سليمان رفّة ، وأضفتُ إليه ما ثبت لدي من أخبارها.

[3] النحوي : المرجع السابق ، ص/274 .

وهـــو في عنفوان شبابه فأخذ الأمانة بقوة وربى إخوته ودرسهم، وزوجهم ذكوراً وإناثاً، فكـــان نعـــم الأخ ونعـــم الخلف. وفي سنة 1378هـــ خرج بأهله مهاجراً عن حكم النصـــارى، واتجه إلى الحجاز بصحبة ركب من الشناقطة من ضمنهم خاله العلامة محمد ابـــن أحمد نوح وابن عمه العلامة الداس بن محمد التنواجيويان فأدركهم الجنود في بلدة (أمـــبراق) في مالي فأرجعوهم إلى النعمة. ثم أعاد الكرة في العام الموالي ومنعوه أيضاً وقد تمكـــن من الحج بمفرده سراً سنة 1380هـــ، وعانى فيه كثيراً من الأهوال ثم عاد ورحل بعـــياله جهة تنبكتو فتلقاه أعيانها بالترحيب والإكرام وبخاصة نقيب الأروانيين الشيخ بابا ابن أبوعمامة ونقيب البرابيش عيسى بن الحاج علي، فطلبوا منه السكنى معهم للإفادة منه، فاســـتجاب لهـــم. ولبث بينهم حوالي ثلاثين عاماً يعلم ويفتي ويوجه وانتفعت به طائفة مـــنهم. وكان يشجع طلابه على الحفظ والتحصيل، ويهدي بعيرين لكل من حفظ خمساً من القرآن الكريم مع متني ابن عاشر والأخضري في الفقه المالكي. ومما يذكر من كراماته أنه جاءه رجال من الدرك الماليين يريدون أحد أولاده بحجة أنه تورط في نزاع قبلي سنة 1399هـــ، فقال لهم: (إنها تهمة باطلة وهو بريء منها). فقالوا له: (لابد من الذهاب به إلى المخفر للتحقيق معه)، وأركبوه عنوة في السيارة، فصلى ركعتين وفوض الأمر إلى من لـــه الأمر من قبل ومن بعد. فلم تستطع السيارة التحرك قيد أنملة وثبتت في مكانها ثبوت الجبال الراسيات. فعرفوا فضله واعتذروا إليه، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يردوه إليه في اليوم التالي سالماً معافى، فأذن لهم وتحركت السيارة وأوفوا بالتزامهم. كان عالماً مصلحاً يقدره الناس وينقادون لأمره، فعالاً للطاعات دالاً على الخيرات نهاءً عن المنكرات، حريصاً عـــلى صـــلة الـــرحم، حانياً على الفقراء والأرامل مواسياً لهم، مشهوراً بدقته في تهذيب الأخلاق والسلوك. وكان راقياً مستجاباً لاسيما فيمن به مسٌ، ولا يأخذ عليها جعلاً ولا يرضـــى بالمشـــارطة في العلم، وهذا نادر في قطره. ولقد حج سنة 1408هـــ، فلما تهيأ للسفر تعثر ذات ليلة فمرض ولزم الفراش، ولم يزل يتعالج حتى توفي سنة 1411هـــ عن أكثر من ثمانين سنة، ودفن في البقيع رحمه الله تعالى[1].

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ أحمد بن الداس في المدينة المنورة ليلة الخميس 1423/08/11هـــ الموافق 2002/10/17م.

-123-

سيدي محمد الملقب الداس بن محمد التنواجيوي

ولـــد في بـــلاد شنقيط بمنطقة الحوض الشرقي، وتربى على مكارم الأخلاق وعلو الهمة. درس القرآن الكريم على ابن عمه محمد بن أحمد نوح وأجازه في مقرأ الإمام نافع، وأخذ مبادئ الفقه عن محمد بن إبراهيم التنواجيوي. ثم انتقل إلى مدينة ولاته وعكف على الدراسة في محضرة الفقيه ابَّ بن سيدي عثمان الداودي لمدة ست سنين وتخرج به في الفقه والنحو، وأجازه في الحديث. ثم توجه إلى أهله في عوالي النعمة، وأسس محضرة جمعت في أحضـــانها وعلى مدى أعوام طويلة كثيراً من أبناء القبائل في تلك الناحية. وكان مقصداً للمتخاصمين يأتون إليه في حله وترحاله للتقاضي عليه لما علموا فيه من العلم والاستقامة، ويعتـــبرون حكمه بينهم نهائي وقاطع للنـــزاع. ومن ورعه أنه كان عندما يسمع الحجج ويستعرض البينات يكتفي بقراءة الفتوى من أحد الكتب المعتمدة في مذهب الإمام مالك رحمـــه الله تعالى. وهي طريقة حكيمة يعتمدها جل علماء البلد تنصلاً من العهدة، وبراءة للذمـــة في مـــثل هـــذه الأمور، وتلقى قبولاً عريضاً في المجتمع ، وتزيد من ثقته في المفتي والقاضي. وعرف عنه اهتمامه بالكتب وحرصه على اقتنائها مهما كلفه ثمنها ، من ذلك أنـــه اشترى كتاب شرح (صحيح مسلم) للنووي مع شرحه (إكمال إكمال المعلم) للأبي المالكي بناقة مسنة. وفي شهر رمضان سنة 1402هـــ سافر إلى المملكة العربية السعودية فـــأدى فريضة الحج وزار وجاور بالحرمين الشريفين. وطلب منه التدريس والإمامة ولكنه اعـــتذر ونآى بنفسه عن الأضواء والمغريات بعد ما كان يشار إليه بالبنان، واقتصر على تعلـــيم بعض المقربين منه احتساباً. ومن غريب زهده أن أحد علماء الشناقطة العاملين في المحـــاكم الشـــرعية بإحدى الدول العربية عرض عليه راتباً مغرياً مع بقائه في بلده مقابل مراجعـــته لـــبعض الأحكام التي تصدرها تلك المحاكم ليقر منها الصحيح أو يعقب عليها بالتصـــحيح إن كانت خاطئة. وذلك تحرياً منهم للحق ممن يتوسمون فيه العدالة والتحقيق من الفقهاء المبرزين عندهم، ولكنه رفض مع حاجته إلى مثل ذلك الراتب. كان محباً للنبي صلى الله عليه وسلم، متحرياً للسنة، حسن الظن بجميع المسلمين، مهتماً بشؤونهم، يفرح لسرائهم ويحزن لضرائهم. وظل يراوح بين الحرمين الشريفين مع ضعفه ولزومه للفراش إلى

أن قضى نحبه في مكة المكرمة ليلة الأحد 25 ذي الحجة 1419هـ عن ثمانين سنة ونيفاً، ودفن في مقبرة المعلاه بعد صلاة الصبح رحمه الله تعالى[1].

- 124 -

سيدي محمد بن حبت القلاوي

العلامة الكبير الشيخ الشهير ، عميد محضرة آل حبت ، ومؤسس مكتبتهم العتيدة في مدينة شنقيط العريقة . ولد في بلاد شنقيط سنة 1168 هـ . وتصدر في العلوم الشرعية واللغوية على علمائها . ثم رحل للحج ، وتنقل بين الأقطار العربية والحواضر العلمية في المشرق والمغرب للبحث عن الكتب وشرائها .وقد انتفع الناس بكتبه ، كما انتفعوا بعلمه وماله . وقد أصيب في آخر عمره بالشلل فكان يأتي إلى المسجد حبواً حرصاً منه على فضل الجماعة .

وتوفى سنة 1288 هـ رحمه الله تعالى[2].

وقد ترك مكتبة هامة تضم (1400) مجلد ، حافظ عليها أبناؤه من بعده ، وبلغت مقتنياتها في عهد ابنه أحمد (5629) كتاباً [3] . وقد نال منها الاستعمار فانخفض رصيدها إلى (1000) مجلد ونيف[4]. وهي تزخر بالمخطوطات النفيسة في الشريعة واللغة ، والطب والحساب ، والهندسة وغيرها. وتوجد فيها نسخة نادرة من كتاب (تصحيح الوجوه والنظائرمن كتاب الله تعالى) لأبي هلال العسكري،تم نسخها في غرناطة سنة 480 هـ[5].

---

[1] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد ينجه بن الداس في مكة المكرمة مساء الأحد بتاريخ 1420/09/11هـ الموافق 1999/12/19م.

[2] المختار بن حامد : حياة موريتانيا (مخطوط) ، والنحوي : المرجع السابق ، ص/154 ، 232 ، 516 ، وسيدي محمد بن محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص/40 .

[3] أحمد بن المفيد : شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي (رسالة مرقونة) ص/32 .

[4] سيدي محمد بن بناهي : نماذج من تاريخ أسرة آل حبت ، ص/55 .

[5] النحوي : المرجع السابق ، ص/154 .

- تآليفه :

1-المواهب النحوية في شرح الألفية. 2- شرح المقصور والممدود لابن مالك .
3- كتاب في إتفاق الأئمة. 4- كتاب الحساب 5- منظومة في أحكام إلتقاء الساكنين.
6- منظومة في علم المنطق. 7-نظم في المهم من العروض والقوافي. 8- نظم في إباحة خرقة الرأس للنساء.

-125 -

سيدي محمد الملقب عبدوت بن محمد عبد الله آل أحمد الأسود

ولد بمنطقة النعمة في بلاد شنقيط في السنة المعروفة بـ (أَرَدانِتْ)[1] القائد ، والتي يسميها أهل الحوض بـ (أَرَدانِتْ) الشريف وهو الموافق ليوم 03ذي الحجة 1326هـ، ونشـأ بها مع والديه في رعاية كريمة وحسن تربية. وهو من بيت علم وصلاح وإنفاق، وكان جده الثالث مولاي أحمد الأسود من أكابر أعيان قطره، وأجلاء أفاضله الذين يشار إليهم بالبنان ديناً ومروءةً، ومبرات عظيمة لا سيما تربيته للأيتام، ومواساته للفقراء والمساكين. وتبعه في ذلك أبناؤه حتى قيل عن نجله الشيخ سيدي محمد الكبير أنه لما أراد الارتحال إلى المشرق، وعزم على الجوار بالحرمين الشريفين سمع هاتفاً يخاطبه بالحسانية ويقول: (لقمة بافّارْها خيرٌ لك من مكة بأحجارها) ، و(آفّارْ) بالحسانية يعني البخار الذي يتصاعد من الطعام الحار. ففهم منه أن إنفاقه على المحتاجين أكثر له أجراً من الجوار لأن العبادة التي يتعدى نفعها إلى الغير خير وأفضل من العبادة الخاصة. فعدل عن قصده ولازم ما كان عليه من عمل صالح حتى لقي ربه.

وقد أتم المترجم حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة على والده، وتلقى عنه ضبطه وتجويده وما تيسر لـه من العلوم الشرعية واللغوية ثم سافر براً إلى الحجاز مع بقية أفراد أسرته، فلما بلغوا بلدة (امبراق) في منطقة (تنبكتو) توفي والده ولعله يشمله قوله تعالى: {ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله

---

[1] أرَدانَ : كنية حسانية تطلق على سحابة الشتاء وهي رابعة الأمطار الفصلية عند أهل بلاد شنقيط ، والثلاثة الأخرى تعرف عندهم بالخريف والـمِتليّة والنّيسان.

وكان الله غفوراً رحيماً}[1]. ثم دخل أرض أزواد وآدغاق ونزل في ضيافة المشايخ الكنتيين من آل الشيخ سيدي المختار الشنقيطي مثل الشيخ باي والشيخ الميمون فأحسنوا وفادته، ولبث معهم فترةً التقى خلالها بالشيخ محمد المجتبى بن خطري البوصادي إبان عودته من حجته الأولى سنة 1343هـ. ثم دخل الحجاز مع والدته بعد معاناة، وتخلص بفضل الله سبحانه من قطاع الطرق وجواسيس الحكومة الفرنسية المستعمرة الذين كانوا يتربصون بالحجاج ويسجنون كل من سافر من غير تصريح، ويغرمونه ويردونه من حيث أتى. وقد جاور بالمدينة المنورة أولاً ثم تحول إلى مكة المكرمة وبها توفيت والدته لال عائشة بنت الحاج سيدي الجماني. وكان يرى عدم جواز بيع أو شراء أرض مكة المكرمة بحجة أنها فتحت عنوة كما اختاره الجمهور . ولم يتملك منها سكناً إلا بعد ما قدم عليه ابنا عمه الشيخ محمدي بن محمد أحمد وسيدي محمد بن سيدي الأمين فاقتنع بضرورة مشاركتهم في السكنى مراعاة لقول الشافعي وغيره بفتح مكة صلحاً [2]. وقد اشتغل بالعلم تدريساً ومدارسة، وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان يغبطه على حفظه ونباهته، وجميل مذاكرته. وهو مع ذلك محل ثقة وأمانة لدى العلماء وولاة الأمر والتجار في السعودية، فكان يتعاون معهم لنفع المعوزين. ومما يؤثر عن معالي وزير المالية السعودي الأسبق حمد بن سليمان أنه كان عندما يكلفه الملك سعود بن عبد العزيز بتوزيع بعض الهدايا والصدقات يسند الوزير أمرها إلى الشيخ سيدي محمد الشنقيطي.

كان باراً بوالدته، زاهداً في الدنيا وحظوظها، متحرياً للسنة في أقواله وأفعاله. وهو الآن بقيد الحياة مجاور بمكة المكرمة حفظه الله تعالى، وله فيها ذرية وفقهم الله تعالى.

- **تآليفه:**

1 ـ تيسير الوهاب المنان على توضيح متشابه القرآن لمحمد بن أنبوجه التيشيتي الشنقيطي. 2 ـ رسائل رجزية تتناول رسم القرآن الكريم وأحكام الحج والرقائق. 3 ـ رحلة الحج[3].

---

[1] النساء: 100.

[2] راجع ابن دقيق العيد : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، تحقيق عبد القادر عرفان العشا حسونه ، ص / 383.

[3] حصلت على المعلومات السابقة في مقابلة أجريتها مع الأستاذ محمد عبد الله بن الشيخ سيدي محمد وإخوته في مكة المكرمة مساء الخميس بتاريخ 1422/11/24هـ الموافق 2002/02/07م.

- 126 -

الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي

قال فيه الفقيه البرتلي صاحب فتح الشكور: (كان رحمه الله تعالى عالماً فقيهاً أثرياً أصولياً بيانياً مفتياً مدرساً)، وقال عنه العلوي صاحب الوسيط: (علامة نحرير، طار ذكره وانتشر، واشتهر علمه في الآفاق وابذعر، وما عاصره مثله علماً وفهماً). ولد في ضاحية مدينة تجكجه ببلاد شنقيط سنة 1153هـ. وتلقى فيها مبادئ العلوم ثم ارتحل إلى العلامة المختار بن بونا الجكني فتفقه به وقرأ عليه في النحو كافية ابن مالك والتسهيل وشرحه، وألفية السيوطي في البيان وشرحها (عقود الجمان) والتلخيص وشرحه (الإيضاح) للقزويني وكبرى السنوسي في التوحيد وغير ذلك. ثم انتقل إلى اللغوي عبد الله ابن الفاضل اليعقبوبي ودرس عليه الدواوين العربية المعتمدة، ثم حج البيت الحرام وزار وقدّس، واجتمع بالعلماء والأخيار في الحجاز والشام ومصر وتباحث معهم. ولما بلغ خبره أمير مصر محمد علي باشا أكرمه، وأهداه فرساً من الكحيلات العتيقة، فسئل عنها فقال: (جعلتها حطاباً) يعني أنه اشترى بثمنها (كتاب الحطاب) في الفقه المالكي. ثم دخل فاس وصحب العلامة سيدي محمد بن حسن البناني محشي عبد الباقي علي خليل وتدبج معه. ثم تفرغ للنظر والتحرير سنين مديدة حتى حاز المذاهب الأربعة وبلغ في الحديث غاية مناه وفي ذلك يقول العلامة باب بن أحمد بيب العلوي:

قد كاد أن يوصف بالترجيح ... لفهمه ونقله الصحيح
وكان في الحديث لا يبارى ... كأنما نشأ في بخارى

ولما اشتهر ذكره بالمغرب أرسل إليه السلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الله فامتنع عن الذهاب إليه، فأمر بحمله إليه على الهيئة التي يوجد بها، فوجد على فراشه يطالع وأدخل عليه على تلك الهيئة، فقربه وبجله، وصار لا يصبر عن مذاكرته، وأتحفه بمكتبة كبيرة. وحين اكتملت له أربعين سنة في التحصيل قفل راجعاً إلى بلاده وجاء بخزانة كتب تزيد على أربعمائة كتاب. واشتغل بالتعليم والفتيا، وعكف على الإرشاد والتأليف فضربت إليه أكباد الإبل من قاصية الديار للاغتراف من بحره الزخار. واعتبر مجدداً للدين

في قطره، ووضع الله له القبول في الأرض ومكن له في القلوب. ولعل أشهر تلاميذه سيدي محمد بن علي العلوشي والطالب المصطفى بن أطوير الجنة والطالب بن حنكوش وعبد الله ابـن سـيدي محمود الملقب النهاه. وقد انتهى إليه القضاء والرأي في إمارة تكانت فكان أميرها محمد بن امحمد شين يستشيره ويصدر عن رأيه.

وكـان شـيخه المختار بن بونا الجكني يراعي حرمته، ويقدر مكانته من ذلك أنه كان يقرأ بالجيم المتفشية فإذا حل بتكانت قرأ بالشديدة، فسئل عن ذلك فقال: (لا يمكن مخالفـة ابن الحاج إبراهيم ما دمنا في تكانت). وكان معمراً أوقاته بالطاعات حريصاً على وقـته لا يـنام إلا قليلاً من الليل في وسطه ، وقليلاً من النهار في أوله، يغلب عليه وارد الخـوف فلم ير ضاحكاً قط وإنما كان يبتسم ويقول: (القهقهة عند الصوفيين حرام لأنها تميت القلب، وعند الفقهاء مكروهة ولو اطّلعوا على مفسدتها لحرّموها).

ولقد أحسن القائل:

ألهـتك اللذائـذ والأمـاني	عـن البـيض الأوانـس في الجـنان
تعـيش مخلـداً لا مـوت فـيها	وتـلهو في الجـنان مـع الحسـان
تنـبه مـن مـنامك إن خـيراً	مـن الـنوم الـتهجد بالقـرآن

وقـد اشتهر بزهده في الدنيا فلا يفرح لإقبالها ولا يهتم لإدبارها، محباً للصالحين والأولياء مجلاً لهم، صيناً للعلم وأدواته. سئل يوماً عن تعظيمه لغمد كتابٍ فقال: (ظلم الجار إهانة للمجير).

وكان يفتي بتحريم (التّنْباكه) تدخيناً أو نشوقاً، ويقول لأهلها على سبيل الإقناع: (لا توجـد إلا كفتان إحداهما للخير والأخرى للشر فانظروا أين تضعوها؟). وبلغت به محاربـته لها أنه وقّف الصحاح الستة على مرتادي مسجد تجكجه العتيق واستثنى منه أهل تنـباك وأوصى باستماعهم فقط. وله خوارق وكرامات عجيبة يطول سردها نقتصر منها على أثنتين إحداهما الحمامة التي كلمته بلسان فصيح وأنذرته من القوم الذين تمالأوا على قـتله حسـداً وظـلماً فنجاه الله تعالى من كيدهم، والأخرى وقعت للشيخ محمد البناني ابن أحمد جد العلوي وهي أنه كان يقرأ تآليف صاحب الترجمة على تلميذه الشيخ سيدي محمد بن علي العلوشي حتى لم يبق منها إلا كتابه نور الأقاح وشرحه توفي شيخه العلوشي

فحزن لذلك وأصابه كرب عظيم. فبينما هو نائم ذات ليلة رأى أنه اجتمع بالشيخ سيدي عبدالله نفسه وأقرأه الربع الأول من الكتاب فأصبح يحفظه لفظاً ومعناً، ثم رآه في الليلة الثانية فأقرأه الربع الثاني فلما أصبح أخبر بذلك فانقطع عنه و لم يفهم ما تبقى البتة. وتوفي سنة 1233هـ ودفن في بلدة القبة الواقعة على بعد سبعين كيلومتر من تجكجه رحمه الله تعالى.

- تآليفه:

بلغت خمسة وعشرين كتاباً نذكر منها:

1 ـ نظم مراقي السعود وشرحه (نشر البنود) على أصول المالكية.2 ـ نظم نور الأقاح وشرحه (فيض الفتاح) في علوم المعاني والبيان والبديع.3 ـ نظم طلعة الأنوار في مصطلح الحديث.4 ـ نظم روضة النسرين وشرحه بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآدابها[1].

- 127 -

سيدي عمر بن الشيخ سيدي أحمد البكّاء الكنتي

أحد الأكابر الفضلاء، والعلماء الأجلاء، ولد في مدينة ولاته ببلاد شنقيط. أخذ عن والده وغيره. وتواتر عنه أنه حفظ ألف مجلد قبل بلوغه في فنون شتى. وقد حج مرتين إحداهما مع شيخه سيدى محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، وأجتمعا بجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. وزار المغرب، ومصر، والشام، وبلاد السودان. وكانت بداية تلمذه على الشيخ المغيلي عندما ألتقى به في بلاد التكرور في طريقه إلى بلاد شنقيط برسم الدعوة إلى الله سبحانه، فتفاوض معه في العلم وقال له: من أين **أقبلت يافتى؟** قال: من المغرب الأقصى، وهو مسقط رأسي ومحل أقامتي ونشأتي. فقال: إن أرضاً يأتي منها مثلك في حداثة سنك لاتحتاج إلى مثلي. ثم حاوره في علم التربية والسلوك فأربى عليه الشيخ المغيلى، فبايعه وصحبه ثلاثين سنة حتى وفاته حوالي سنة 940هـ، فتولى غسله وتجهيزه بوصية منه. وقد أوصى أهل حضرته عند أحتضاره بالتلمذ على

---

[1] البرتلي: المرجع السابق، ص/173- 175 وأحمد بن الأمين: المرجع السابق، ص37-40 ومحمد محمود ابن الحاج إبراهيم: الدر الخالد في مناقب الوالد (مخطوط).

الشيخ سيدى عمر وصحبته . فخلفه في التعليم والأرشاد ، والسعي في مصالح الناس وإغاثة الملهوف والعطف على المساكين ، وزجر الظلمة والأخذ على أيديهم ، وورّث ذلك لبنيه وأتباعه .

وتوفي بمنطقة السوس في حدود سنة 960هـ عن مائة وأربعين سنة وأربعة وأربعين يوماً ، ودفن بواد نون رحمه الله تعالى[1] .

- 128 -

الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي

تولى زعامة الملثمين بعد استشهاد الملك تاشرت اللمتوني سنة 431هـ تقريباً، فساسهم بالدين، واتبع فيهم سيرةً حسنةً. رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم مرّ بالقيروان والتقى بأبي عمران الفاسي (ت430هـ)، إمام المالكية بالمغرب في وقته، فطلب منه أن يبعث معه رجلاً يفقه الناس ويعلمهم شرائع الإسلام. فأحاله إلى تلميذه الزاهد وجاج بن زولو في السوس الأقصى، وعهد إليه أن يصطفي له من يثق بدينه وعلمه. فاختار له عالماً من الملثمين أنفسهم يدعى عبد الله بن ياسين الجزولي (ت451هـ) ولما وصل الركب إلى مضارب القوم نزل الأمير يحيى عن راحلته، وأخذ بزمام بعير الشيخ تعظيماً له وقال: (هذا عبد الله بن ياسين، محي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليعلمنا أمور ديننا، ويدعونا إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم)، ففرح الناس به، وبالغوا في إكرامه. وأقام بينهم مدة حتى خرجت عليه طائفة من سفهائهم ضاقت ذرعاً بتعاليم الإسلام، وتولى كبرها رجلٌ يدعى الجوهر بن سحيم، فتمالأ مع بعض كبراء القوم وعزلوا عبد الله بن ياسين وآذوه، فخرج عنهم خائفاً يترقب.

ولله در القائل:

ونهج سبيلي واضحٌ لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمّت فأعمت

---

[1] الشيخ سيدي محمد الكنتي : الطرائف والتلائد (مخطوط).

وصدق الشاعر حين قال:

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم   و لا سراة إذا جهالهم سادوا

وقد لحق الأمير يحيى بشيخه وقال له: (إنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي، وديني، وما علي فيمن ضل من قومي). فوافقه على البقاء معه، وانتبذوا رباطاً لهم في جزيرة التيدرة على بعد 60كم إلى الشمال الغربي من نواكشوط. فلما بلغ عدد تلاميذه ألف رجل من أشراف الملثمين أمرهم بالخروج إلى الجهاد، فأذعنت لهم القبائل، وانصاعت إلى الحق، وحسن إسلامها. ثم زحفوا على بقية مناطق المغرب وقضوا على مافيها من بدع وضلالات، وأرسوا فيها قواعد الإسلام.

ولم يزل الأمير يحيى مع شيخه متمسكاً بعهده، شاخصاً للجهاد والدعوة حتى توفي سنة 440هـ رحمه الله تعالى. وتأمر بعده من المرابطين خمسة وهم على التوالي: يحيى ابن عمر اللمتوني (ت449هـ) وأخوه أبوبكر بن عمر (ت468هـ)، ويوسف ابن تاشفين (ت500هـ) ، وابنه علي بن يوسف (ت537هـ)، ثم تاشفين بن علي الذي تغلب عليه الموحدون وقتلوه سنة 540هـ، وأفل بذلك نجم دولة المرابطين[1].

---

[1] راجع ابن خلدون: العبر 182/6، 183، والناصري: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى 6/2 وابن الأثير: الكامل في التاريخ 74/8، وإبراهيم الجمل: الإمام عبد الله بن ياسين، ص/65 وما بعدها، وابن عذاري: المرجع السابق 7/4 وما بعدها، وابن أبي زرع: المرجع السابق ص/122-131، وحسن أحمد محمود: المرجع السابق ص/166 وما بعدها، وعبد الواحد المراكشي: المرجع السابق ص/100 وما بعدها، وابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ص/344-345.

الخــــــاتمة

الحمــد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد خــاتم المرسلين وعلى آله الطيبين ، وصحابته الأكرمين وتابعيه المقسطين إلى يوم الدين .

وبعد: فإذا كان هؤلاء الأفاضل قد أفضوا إلى ما قدموا رحمهم الله تعالى فإنه يجب على أبنائهم وحفدتهم من بعدهم تحملُ مسؤولياتهم التاريخية تجاه دينهم وأمتهم ، ومراعاة حق هذه الأخوة والصداقة اللتين كانتا تربطهم بأشقائهم في المعمورة ، وعلى مدى قرون طويلــة، وفــاء لعهدهم وصلة لأرحامهم، وإحياءً لذكراهم، وذلك من برهم شرعاً، لما روي أن رجلاً من بني سلمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يارسول الله هل بقــي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما)؟ فقال: (نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما) رواه أبوداود وابن ماجه وابن حبان.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أذكر المسلمين عامةً والشناقطة خاصة بما كان عليه سـلفهم من غيرة دينية، وعلو همة، وترفع عن الدنايا وسفاسف الأمور. وحرصهم على جمــع الكلمة، وتوحيد الجهود في سبيل عزة الإسلام وكرامة الأمة ، لذا نرجو من الجميع أن لا يفــرطوا في هــذه المنقبة العظيمة في داخل بلادهم وخارجها إذ أن حفظ الدين ، وصــيانة الأعــراض من الأولويات الضرورية التي جاءت بها الشرائع السماوية واتفقت علــيها. فــالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلكم، فهذا عصر التصفية والتمحيص، والأمور بخواتمها، وكما تدينوا تدانوا !! .

وقد عرفتم أنه ما من شيء أثقل على الحرِّ من أن يقال له:

فــإن فخــرت بآبــاء ذوي شرف ... صــدقت ولكــن بــئس مــا ولــدوا

والعقلاء هم الذين يقولون:

لســنا وإن كرمــت أوائلــنا ... يومــاً عــلى الأحســاب نــتكل

نــبني كمــا كانــت أوائلــنا ... تــبني ونفعــل مــثل مــا فعلــوا

وإني أتمنى على أقطارنا العربية والإسلامية بذل المزيد من الجهد والتضحية، والتنسيق فيما بينها لاستيعاب طاقاتها البشرية، ووضع الخطط الناجعة لاسترجاع (أدمغتها) و(عقولها) المهاجرة إلى الغرب حتى تتمكن من استثمار هذه الكنوز الفكرية والذخائر العلمية، إن لم يكن داخل كل بلد ففي النطاق الإسلامي على الأقل. ولا يتم ذلك إلا بإقامة مراكز للبحث العلمي وتشجيعها والإنفاق عليها بسخاء، وبناء المنشآت التقنية التي تمكنهم من توظيف خبراتهم وتطوير مهاراتهم، إضافة إلى وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، كلٌّ حسب تخصصه وكفاءته.

وأذكركم أخيراً بقوله تعالى: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد)[1]، وقوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)[2]، وقوله جل وعلا: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[3]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (ياعبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)رواه مسلم[4].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(1) فصلت: 46.

(2) الحشر: 18

(3) الحديد: 21

(4) مسلم (2577) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

نبذة عن حياة المؤلف

• نسبه :

هو أبوعلي محمد الملقب بحيدّ[1] بن الشيخ سيدي علي الملقب الشيخ يربان[2] بن الشيخ الطالب[3] أخيار الملقب الشيخ أبتنا بن الشيخ سيدي عيسى بن سيدي المختار ابن سيدي محمد بن عبد الرحمن بن الطالب محمد بن الطالب مختار بن أحمد بن الطالب علي بن سيدي محمد اللقب محمّ[4] بن سيدي يحيى بن سيدي علي بن شمس الدين ابن يحيى الكبير القلقمي[5] بن سيدي محمد بن سيدي عثمان بن مولاي أبي بكر ابن سيدي يحيى بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي محمد الزكي الملقب آران[6] ابن مولاي عبد الله الكامل الملقب أتلان[7] بن مولاي أحمد الأغر الملقب أجملان[8] ابن مولاي إبراهيم بن مولاي مسعود بن مولاي عيسى بن مولاي عثمان بن مولاي إسماعيل بن مولاي عبد الوهاب بن مولاي يوسف بن مولاي سعيد بن مولاي عامر ابن مولاي يحيى بن مولاي عبد الرحمن بن مولاي أحمد بن مولاي إدريس الأصغر ابن مولاي إدريس الأكبر بن مولاي عبد الله الكامل[9] بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله وجهه وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأمه عائشة بنت سيدي محمد الجكنية ، ووالدتها السحيّة بنت خوكّ الجكنية ، وجدته لأبيه الحِجّة بنت الشيخ يربان بن الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمية ،

---

(1) أصله أبي محمد.

(2) أصله يربيه الله لنا فاختزل تخفيفاً لكثرة استعماله.

(3) باللهجة الحسانية تعني الأستاذ .

(4) ترخيم محمد .

(5) نسبة إلى قلقم تسمية صنهاجية مدينة بالمغرب الأقصى .

(6) أي الزكي باللهجة الصنهاجية وقد غلب عليه هذا اللقب بسبب مساكنته ومجاورته للقبائل الصنهاجية ومثله نجله وحفيده المذكورين بعده .

(7) يعني الكامل باللهجة الصنهاجية .

(8) أي الأغر بالصنهاجية .

(9) هو عبد الله المحض ويسمى بالكامل والمحض لأن أباه الحسن المثنى بن الحسن السبط وأمه فاطمة بنت الحسين السبط وهما من أهل بيت النبوة رضي الله عنهم أجمعين وناهيك به كمالاً .

ووالدتهـا فاطمة بنت حبيب الرحمن التندغية من محلة أربعين جواداً ، وقبيلتا تجكانت وتنـدغة من حميَـر القحطانية ، وجدة والده لأبيه سارة بنت الشيخ محمد فاضل ابن مامين القلقمية ، رحم الله تعالى الأموات وبارك في الأحياء .

- دراساته :

تعـلم في المحاضر ثم التحق بالمدارس النظامية سنة 1392هـ /1972م وحصل منها على شهادة الثانوية العامة (الباكلوريا) في العلوم الطبيعية سنة 1407هـ الموافق 1987م ، ثم سجل في كلية الشريعة بنواكشوط التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، و تخرج منها أستاذاً سنة 1412هـ .

- أنشطته :

له اهتمام بالدعوة وبقضايا الأمة ، وهو ينهج في توجيهه سبيل الحوار والإقناع مـع تركيزه على تصحيح المفاهيم والرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ، ويعمل على التقارب بين المسلمين بمختلف مشاربهم ، وتوحيد صفهم على الأسس العامـة التي هي محـل اتفاق من الجميع ، وكثيراً ما يردد قول الحكيم : (لنعمل فـيما اتفقـنا عليه وهو كثير جداً ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه وهو قليل جـداً) . وقـد انتظمت محاضراته في مدارس نواكشوط ومساجده ابتداءً من سنة 1402هـ الموافق 1982م ، وبخاصة في إعدادية لكصر والثانوية العربية والجامع العتيـق المعروف بجامع الشيخ بداه بن البوصيري . وقد توظف في سفارة موريتانيا لدى السعودية منذ سنة 1415هـ الموافق 1995 ولا يزال يعمل فيها في الشؤون الثقافية .

- تآليفه:

1- رسالة الحرية (ويرد فيها على من يظن أن الحرية تفسخ وتحلل من الدين).

2- رسالة المناصحة في حكم المصافحة بين الأجنبيين .

3- التوسل والوسيلة .

4- أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).

5- آفاق التعاون الثقافي بين موريتانيا والسعودية .

- هذا بالإضافة إلى مقالات منها :

- التشريع الإسلامي وجمعه بين الأصالة والتطور (جريدة الشعب الموريتانية ، ربيع الآخر سنة 1405هـ /1985م) .
- وتحديد النسل وخطورته (جريدة الشعب الموريتانية شعبان 1408هـ إبريل 1988م).
- والديمقراطية الغربية وفتنتها (جريدة البيان الموريتانية رقم29 أغسطس 1992م) .
- شجرة العائلة (جريدة الوطن السعودية العدد 119 ذي القعدة 1421هـ/يناير 2001م) .

وله مقالات أخرى في مجلة (شنقيط)التابعة لنادي الثانوية العربية ومجلة (المرابطون) التابعة لمعهد العلوم الإسلامية والعربية في موريتانيا ، وقد شارك في تحريرهما إبان دراسته في هاتين المؤسستين.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

● المخطوطات :

* أحمد بن حبت :

1-مذهب المقاصد في التاريخ .

* أحمد بن بياه :

2-الرحلة .

* باب بن الشيخ سيديا :

3-تاريخ إدوعيش ومشظوف .

* محمد بن أبو :

4-رحلة من السنغال إلى مالي.

5-رحلة من الزمور إلى آدرار .

* محمدي بن سيدينا العلوي (بدي):

6-نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ .

* محمد المصطفى بن اطوير الجنة :

7-رحلة المنى والمنة .

* محمد عبد الله بن محمد المختار :

8- إنباء الأبناء بالجد فيما كان للأب والجد .

* محمد اليدالي :

9-مناقب الإمام ناصر الدين رحمه الله تعالى :

* المختار بن حامد :

10-حياة موريتانيا .

* صالح بن عبد الوهاب الناصري :

11-الحسوة البيسانية في الأنساب الحسانية .

* عبد الودود بن سيدي عبد الله :

12-الرحلة .

* السيد مرتضى الزبيدي :

13-معجم الشيوخ .

* الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم :

14-صحيحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد قلْ .

* الشيخ المامي بن الشيخ ماء العينين :

15-الجأش الربيط في مغربية شنقيط .

* الشيخ موسى كمرا :

16-تميـــيز الأشراف من الأطراف فيما يزري بالمروءة عند أهل فوتاتورو من الاحتراف .

* الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل :

17-المناظرة .

* سيدي محمد بن أحمد الأسود :

18-رحلة الحج .

* الشيخ سيدي محمد الكنتي :

19-الرسالة القلاوية .

20-الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد .

* الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمد بن سليمان :

21-رسالة الأنساب .

- **الكتب المطبوعة :**

* إبراهيم الجمل :

22-الإمام عبد الله بن ياسين ، طبعة دار الإصلاح ، سنة 1981م .

* إبراهيم بن عبد الله الحازمي :

23-مـــن أعلام القرنين 14-15 الهجريين ، ط1 دار الشريف بالرياض ، سنة 1416هـ .

24-الفواكـــه الشهية في الخطب المنبرية للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ط2 دار الشريف ، الرياض 1417هـ.

* ابن أبي زرع :

25-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور بالرباط سنة 1972م م

* ابن الأثير :

26-الكـــامل في الـــتاريخ ، راجع أصوله وعلق عليه نخبة من العلماء ، ط2 دار الكتاب العربي [د.ت].

* ابن بطوطة :

27-الرحلة ، ط1 المطبعة الأزهرية بمصر سنة 1346هـ /1928م .

* ابن تيمية :

28-مجموع الفتاوي ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم الحنبلي وابنه محمد ، طبع في القاهرة ، سنة 1404هـ .

* ابن جني :

29-المنصـــف ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، سنة 1379 هـ/1960م .

* ابن حبان :

30-صحيح ابن حبان ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1412هـ /1991م

* ابن حجر العسقلاني :

31-فتح الباري على صحيح البخاري ، ط1 دار السلام ، الرياض ، 1421هـ 2000م .

* ابن حزم :

32-جمهرة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998/1418م .

* ابن حوقل :

33-صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،[د.ت].

* ابن خلدون :

34-المقدمة ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413هـ/1993م.

35-العبر ، مؤسسة جمال الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1399هـ .

* ابن الخطيب :

36-أعمال الأعلام ، (القسم الثالث) ، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء سنة 1964م .

* ابن كثير :

37-تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت 1416هـ /1996م ،

38-البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، [د.ت].

* ابن عبد الحكم :

39-فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، 1930م .

* ابن عذاري المراكشي :

40-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(الجزء الأول) ، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان، دار الثقافة ، بيروت [د.ت] ، والجزء الرابع تحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبعة دار الثقافة بيروت ، 1973م .

* ابن قتيبة :

41-عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، القاهرة ، 1963م.

* ابن قيم الجوزية :

42-إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية في بيروت ، سنة 1407هـ/1987م .

43-زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط10 مؤسسة الرسالة ، بيروت،1405هـ 1985م .

* أبو بكر بن أحمد الحبشي العلوي :

44-الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير صلى الله عليه وسلم ، ط 1 ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة سنة 1418هـ .

* أبو داود :

45-السنن ، تحقيق الدكتور بدر الدين جتين ، ط2 ، دار الدعوة ودار سحنون ، 1413هـ .

* أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ:

46-معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، زاده وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي ، تحقيق إبراهيم شبوح ، القاهرة 1388هـ .أبو عبد الله الإدريسي :

47-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1 عالم الكتب ، بيروت ، 1409هـ 1989م .

* أبو عبد الله البرتلي :

48-فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1401هـ /1981م .

أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي :

49-سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، (محل الطبع وتاريخه مجهولان) .

* القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي :

50-ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق سعيد أحمد إعراب وآخرون ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة 1403هـ .

* الآلوسي :

51- عارف حكمت ، حياته ومآثره ، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ، ط 1 ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق 1403 هـ/1983 م .

* أحمد أمين صالح مرشد :

52-طيبة وذكريات الأحبة ، ط 1 ، الشركة السعودية للتوزيع،جدة 1416هـ الموافق 1995م .

* الإمام أحمد بن حنبل :

53-المسند ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1421هـ/2001م .

* الشيخ أحمد الشمس :

54-النفحة الأحمدية في بيان الأوقات المحمدية ، ط1 ، مطبع الجمالية ، القاهرة ، 1330هـ .

* أحمد مختار العبادي :

55-تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1987م .

* أحمد عطية الله :

56-القاموس السياسي ، دار النهضة ، القاهرة ، 1980م .

* أحمد بن الأمين :

57-الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، ط4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1409 /1989م .

* الدكتور أحمد نصيف الجنابي :

58-علوم القرآن الكريم /حضارة العراق .

* الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي :

59-آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1417هـ/1997م .

* الدكتور أحمد القديدي :

60-نحو مشروع حضاري للإسلام ، ط1 ، مطابع رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1417هـ .

أحمد أمين صالح مرشد :أمين الريحاني :

61-ملوك العرب ، دار الجيل ، بيروت ، 1343هـ /1924م.

* أنس يعقوب الكتبي :

62-أعلام من أرض النبوة ، ط1 دار البلاد ، جدة 1415هـ .

* الأصمعي :

63-الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط5 ، بيروت [د.ت] .

* إسلم بن محمد الهادي :

64-موريتانيا عبر العصور ، ط1 ، مطبعة الأطلس بنواكشوط [د.ت].

* باشري محجوب عمر :

65-رواد الفكر السوداني ، ط1 ، دار العالم الإسلامي ، بيروت ، 1981م .

* الدكتور بدوي عبد الصمد الطاهر صالح :

66-لإتحاف بتخريج أحاديث الإشراف ، ط1 دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي 1420هـ/1999م .

* بول مارتي :

67-كنته الشرقيون ، تعريب وتعليق محمد محمود بن ودادي ، مطبعة زيد بن ثابت بدمشق [د.ت].

* الإمام البخاري :

68-صحيح البخاري ، ط1 ، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1419هـ/1998.

* البكري :

69-المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، طبعة 1913م .

* البيهقي :

70--شعب الإيمان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410هـ/1990 م .

* الترمذي :

71-السنن ، طبع بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، [د.ت] .

* جان كلود كلوتشكوف :

72-موريتانــيا الــيوم ، ترجمة إلياس ملكي ، ط1 ، مطابع بي بي أم ، كازالي ، مونفراتو ، سنة 1990م .

* حامد عباس :

73-قصة التوسعة الكبرى ، ط1 ، دار البلاد ، جدة 1416هـ .

* الحاكم :

74-المستدرك ، دار الحرمين ، القاهرة ، 1417هـ .

* حسن أحمد محمود :

75-قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، [د.ت] .

* الدكتور حمداتي شبيهنا ماء العينين :

76-قبائل الصحراء المغربية ، ط1 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1419هـ .

* الإمام الحضرمي :

77-السياسة في تدبير الإمارة ، تحقيق علي سامي النشار ، ط1 الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء 1401هـ .

* الشيخ حسن محمد المشاط :

78-رفع الأستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار ، ط7 ، سنة 1410هـ .

* حسن محمد محمود الشنقيطي :

79-النهضة الأدبية في نجد ، ط1 ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده ، القاهرة سنة 1370هـ/1951م .

* حسن السائح:

80-الحضارة المغربية عبر العصور ، ط1 ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1975 م.

* خير الدين الزركلي :

81-الأعلام ، ط7 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1986م .

* الخليل النحوي :

82-بلاد شنقيط ، المنارة والرباط ، ط1 ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ، 1987م .

* الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي :

83-الحرمان الشريفان ، التوسعة والخدمات خلال مائة عامة ، ط1 ، دار عكاظ جدة ، [د.ت] .

* زكي الدين شعبان :

84-الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية ، منشورات الجامعة الليبية (كلية الحقوق) [د.ت].

* الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل :

85-نعت البدايات وتوصيف النهايات ، دار الفكر ، بيروت ، [د.ت] .

* المتقي الهندي :

86-كنز العمال ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1399هـ/1979م .

* مجموعة مؤلفين :

87-أطلس العالم الصحيح ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1417هـ .

* الحافظ محب الدين الطبري :

88-القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر ، بيروت ، 1403هـ /1983م.

* محمد بن أحمد يوره :

89-إخبار الأحبار بأخبار الآبار ، تحقيق أحمد بن الحسن ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 1993م .

* محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي :

90-رحلة الحج تحقيق عطية محمد سالم ، ط1 ، دار الشروق ، جدة ، 1403 هـ/1983م .

* محمد الآلوسي :

91-عارف حكمت ، تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ، ط1 ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، 1403هـ /1983م .

* محمد حبيب الله ابن ما يأبى :

92-زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم مع شرحه فتح المنعم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، [د.ت] .

* محمد خليل بن علي المرادي

93-سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ط 3 ، دار ابن حزم ، بيروت 1408هـ/1988م .

* محمد الخضر ابن ما يأبى :

94-كوثر المعاني الدراري على صحيح البخاري ، تقديم نجله محمد الأمين ، ط1 دار النشر عمان ، 1408هـ/1988م .

* محمد المجذوب:

95-علماء ومفكرون عرفتهم ، ط2 ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1403هـ/1983م.

* محمد بن خلف المعروف بـ (وكيع) :

96-أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، [د.ت] .

* الدكتور محمد المختار بن أباه :

97-الشعر والشعراء في موريتانيا ، ط1 ، الشركة الوطنية للتوزيع ، تونس ، 1987م.

* محمد المختار السوسي :

98-المعسول ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1960-1961م .

* محمد مخلوف :

99-شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1349هـ.

* محمد رشيد رضا :

100-تفسير المنار ، المجلد الأول ، سنة 1315هـ .

* محمد الراظي بن صدفن :

101-السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا ، المطبعة الوطنية ، نواكشوط [د.ت] .

* محمد محمود بن أحمد تلمود :

102- ارشاد المسترشدين بإيضاح المحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة ، ط 1 دمشق ، 1400 هـ /1980م .

* محمد محمود بن التلاميذ :

103-الرحلة العلمية السنية ، ط1 ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1319هـ .

* محمد محمود الصواف :

104-رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، ط1 ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، 1395هـ /1975م.

* محمد المصطفى بن الإمام الشنقيطي:

105-تنوير قلوب المسلمين بتاريخ أمهات المؤمنين ، مطبعة المدني بالقاهرة ، 1966م .

106-زبدة أسانيدي ، ط1 ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، سنة 1387هـ.

* محمد بن عبد المنعم الحميري :

107-الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1975م .

* محمد عثمان جمال :

108-عبد الله بن المبارك ، ط1 ، دار القلم ، دمشق ، 1391هـ /1971م .

* محمد بن علي الأهدل :

109-نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون ، ط1 ، مطبعة زهران ، بمصر ، [د.ت].

* محمد علي مغربي :

110-أعـلام الحجاز (الجزء الأول) ، ط2 ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، 1405هـ/1985م.

* محمد العربي الخطابي :

111-فهـارس الخـزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1407هـ /1987 م.

* محمد بن أحمد العقيلي :

112-تاريخ المخلاف السليماني ، دار اليمامة ، الرياض ، سنة 1402هـ.

* محمد فال بن باب العلوي :

113-التكملة في تاريخ الترارزة والبراكنة ، تحقيق أحمد بن الحسن ، بيت الحكمة تونس ، 1986م .

* محمد سيدي علي :

114-الحـياة الثقافية في المدينة المنور على عهد المماليك ، دار عين للدراسات ، القاهرة ، 1994م.

* محمد يحيى الولاتي :

115-الرحلة الحجازية ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1410هـ .

116-فـتح الودود على مراقي السعودي ، تحقيق بابا بن محمد عبدالله ، ط1 ، مطابع عالم الكتب ، الرياض ، 1991م .

* محمد يوسف مقلد :

117-موريتانيا الحديثة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1960م .

118-شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون ، ط1 ، بيروت ، 1962م .

* المختار بن أحمد محمود الشنقيطي:

119-الترجمان والدليل لآيات التتريل ، ط1 دار السلام ، القاهرة ، 1413هـ

* المختار بن حامد الشنقيطي :

120-حـياة موريتانيا (جزء الجغرافيا) ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1414هـ/1994م.

121-حياة موريتانيا(جزء الثقافة) ط1 ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1990م .

* المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر:

122-المسجد النبوي مأثرة التوسعة السعودية الخالدة ، إصدار المديرية العامة للإذاعة [د.ت].

* الشيخ منصور بن يونس البهوتي :

123-شرح منتهى الإرادات ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1421هـ /2000م .

* المقري :

124- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ، 1388هـ .

* معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة:

125-الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، دارسة مسحية شاملة ، جامعة الدول العربية ، القاهرة، 1978م .

* المعهد التربوي الوطني الموريتاني :

126- تاريخ السنة الثالثة الإعدادية ، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة ، تونس 1402هـ/1982م .

* الإمام مسلم :

127-صحيح مسلم ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1416هـ /1995م .

* المسعودي:

128-مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط1 ، دار الأندلس ، بيروت، 1965م .

* الشيخة مي محمد الخليفة :

129-شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة ، ط1 ، المكتبة البريطانية 1993م .

* الناصري:

130-الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد ، طبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954م .

* الشيخ صفي الرحمن المباركفوري :

131-الرحيق المختوم ، طبعة مكتبة جدة ، [د.ت] .

* الطيب بن عمر :

132-السلفية وأعلامها في موريتانيا ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1416 هـ/1995م .

* طه حسين :

133-الأيام (الأعمال الكاملة) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980م .

* عباس الجراري :

134-ثقافة الصحراء ، دار الثقافة ، الدار البيضاء 1978م .

* عبد الله ناصح علوان :

135-تربية الأولاد في الإسلام ، ط21 ، دار السلام ، بيروت ، 1412هـ/ 1992م .

* عبد الله بن محمد الفودي:

136-ضياء التأويل ، ط1 ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، 1380هـ .

* عبد الله السريع :

137-موريتانيا الماضي والحاضر ، ط1 ، دار قرطاس للنشر ، الكويت ، 1988م.

* عبد الباري عبد الرزاق النجم :

138-جمهورية موريتانيا الإسلامية ، ط1 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1966م .

* عبد الحفيظ منصور :

139-الفهرس العام للمخطوطات في المكتبة الوطنية التونسية ، طبعة المعهد القومي للآثار ، تونس ، 1995م .

* عبد الحفيظ الفاسي :

140-معجم الشيوخ ، ط1 ، المطبعة الوطنية ، الرباط ، 1350هـ/1931م .

* عبد الرحمن الجزيري :

141-كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، ط7 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1406هـ/1986م.

* الدكتور عبد الرحمن حميدة والدكتور ساطع محلي :

142-دليل العالم ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق 1992م

* عبد الرحمن علي الحجي :

143-التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1396هـ/1976م .

* عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس :

144-ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ط1 ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، 1412هـ.

* عبد الرحمن السعدي :

145-تاريخ السودان (النص العربي) طبعة باريس ، ميزونيف ، 1981م .

* عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي :

146-إمارة الزبير بين هجرتين ، ط1 ، 1408هـ/1988م .

* عبد السلام بن عبد القادر ابن سوده :

147-إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجرين ، تنسيق وتحقيق محمد حجي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1417هـ 1997م .

* عبد اللطيف أحمد الدليشي :

148-من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة ، الشيخ محمد أمين الشنقيطي ، ط1 مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، 1401هـ .

* عبد العزيز بن عبد الله :

149-معلمة المدن والقبائل .

* عبد القادر بدران :

150-تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ، ط2 ، دار المسيرة ، 1399 هـ/1979م .

* عبد الواحد المراكشي :

151-المعجم في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، ط1 القاهرة مطبعة الاستقامة ، 1368هـ /1949م .

* عدنان بن سالم بن محمد الرومي :

152-علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، 1420هـ .

* علي حافظ :

153-فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ط3 ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، 153جدة ، 1417هـ /1996م .

* علي طعمة:

154-المغرب ، مؤسسة الهيثم للطباعة والنشر ، بيروت [د.ت] .

* علي عبد الله الدفاع :

155-تاريخ العلوم عند العرب ، ط1 ، مؤسسة سعيد الصباغ ، بيروت ، 1403هـ/1983م.

* عمر رضا كحالة :

156-معجم قبائل العرب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1412هـ/1991م .

* عصمت عبد اللطيف :

156-دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1408هـ .

* العياشي :

158-الرحلة العياشية، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط،1399هـ 1979م .

* غالي محمد الأمين الشنقيطي :

159-الدر الثمين في معالم دار الأمين ، ط3 ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة 1411هـ/1991م .

* الفيروز آبادي :

160-القاموس المحيط ، ط2 ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، القاهرة ، 1371 هـ/1952م .

* القزويني :

161-آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت1380هـ 1960م.

* القلقشندي:

162-صبح الأعشى ، مطابع كوشا تسوماس وشركاه ، القاهرة ، [د.ت] .

* سفارة موريتانيا بتونس :

163-أضواء على موريتانيا .

* سلامة محمد سلمان الهرفي :

164-دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين ، المكتبة الفيصلية ، مكةا لمكرمة ، 1405هـ .

* سيدي محمد بن محمد عبد الله :

165 معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي ، ط1 ، مؤسسة سعيدان ، تونس ، 1996م .

* سيدي عمر بن علي :

166-فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا بتنبكتو ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، 1995م .

* السلمي :

167-طبقات الصوفية ، ط3 ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1406هـ .

* السيد عبد العزيز بن سالم :

168-تـاريخ المسـلمين وآثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م .

* السيد عثمان بن حسنين الجعلي:

169-سراج السالك شرح أسهل المسالك ، ط1 ، دار الفكر بيروت1402هـ

* السيوطي :

170-الحاوي للفتاوي ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1402هـ .

* الشوكاني :

171- فـتح القدير ، ط 1 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، وأولاده بمصر سنة 1350هـ .

* هادي حسن حمودي :

172-المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1406هـ /1986م .

* الهيثمي :

173-مجمـع الـزوائد ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دار الفكر ، بيروت ، 1414هـ/1994م.

* وزارة الإعلام بنواكشوط :

174-الجمهورية الإسلامية الموريتانية ، طبعة سنة 1987م .

* ياقوت الحموي الرومي :

175-معجـم الأدبـاء ، تحقـيق الدكتور إحسان عباس ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1993م .

• الرسائل الجامعية والبحوث غير المنشورة :

* إبراهيم بن أحمد (تحقيق) :

176-ديوان محمد بن آبو ، المدرسة العليا للأساتذة ، نواكشوط ، 1988م.

* عبد الله بن حسن حميدة :

177-نشأة الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1986م .

* اتبيرو بنت محمد عبد الرحمن (تحقيق):

178-رحلة محمد يحيى بن أبوه (الجزء الثاني) ، المدرسة العليا للأساتذة ، نواكشوط ، 1988م.

* أحمد بن المفيد :

179-شنقيط ودورها الثقافي والاقتصادي ، من منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين ، رسالة الإجازة العالية ، المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين ، نواكشوط 1982م .

* أحمد سالم بن مولاي علي :

180-دارسة لشخصية المختار بن ابلول ، رسالة الإجازة العالية ، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ، نواكشوط 1985م .

* الحسن بن محمد الأمين (تحقيق) :

181-رحلة محمد يحيى بن أبوه (الجزء الأول) ، جامعة نواكشوط ، 1987م .

* أحمد بن سيدي (تحقيق):

182-وفيات الأعيان لمحمد بن البراء ، نواكشوط ، 1984م .

* محمذ بن أحمد بن المحبوب :

183-أدب الرحلة في بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1995م .

* محمد بن أحمدناه الملقب بـ (بدّن) :

184-ديوان الشيخ التراد بن العباس ، مطبوع على الآلة الكاتبة ، نواكشوط ، 1984م .

* محمد بن محمد يحيى بن الدوّ :

185-محضرة يظيه بن عبد الودود ، أطروحة الإجازة ، المدرسة العليا للأساتذة والمفتشين ، نواكشوط ، 1985م .

* محمد عبد الله محمود (جمع وتحقيق):

186-ديوان محمد عبد الله بن أحمذي ، نواكشوط ، 1985م .

* محمد مبارك بن الطالب عبد الرحمن (تحقيق):

187-رحلة البشير بن المباركي إلى الحج ، نواكشوط ، 1982م .

* محمد الأمجد بن محمد الأمين السالم :

188-كمال الدين محمد المجيدري اليعقوبي ، نواكشوط ، 1990م.

- لمقالات الصحفية والدوريات :

* الدكتور أحمد حسن الزيات (مقال):

- مجلة الأزهر المصرية عدد (2)سنة 1961م .

- من وحي الرسالة ، القاهرة ، 1963م .

* أحمد بن محمد يحيى (مقال) : الخلفية التاريخية للمخطوطات الموريتانية ، نشرته مجلة الأنباء رقم(1) الصادرة عن اللجنة الوطنية الموريتانية لليونسكو (1997م) .

* الدكتور أحمد مختار انبو المدير العام لليونسكو (خطاب) : نشرته الشعب الموريتانة بتاريخ 1986/05/16م .

* أحمد بن سيدي (مقال) : الشعب الموريتانية العدد (1131)بتاريخ 1399/04/13هـ .

* استطلاع عن التعليم في موريتانيا : نشرته مجلة (الأمة) القطرية ، العدد (60) من السنة الخامسة ، ذو الحجة 1405هـ/أغسطس 1985م .

* اسلم بن سيدي حمود (مقال) : الشعب الموريتانية العدد (1723) بتاريخ 1981/03/19م .

* بحيد بن الشيخ يربان (مقال) : شجرة العائلة ، نشرته جريدة (الوطن السعودية) ، العدد 119 ، ذو القعدة /1421هـ .

* تقرير عن كتابة الدولة المكلفة بمحاربة الأمية في موريتانيا : مجلة الأنباء رقم (1) الصادرة عن اللجنة الموريتانية لليونسكو (1997م) .

* تقرير عن المخطوطات الإسلامية : مجلة (البلاغ) ، العدد (1203) ، بتاريخ 1417/03/12هـ.

* الرئيس الفرنسي جاك شيراك (خطاب) بمناسبة زيارته لموريتانيا : الشعب الموريتانية عدد (6032) بتاريخ 1418/05/04هـ الموافق 1997/09م

* حماه الله بن السالم (مقال) : مجلة الدارة السعودية العدد(4)شوال 141هـ

* كلمة عن موريتانيا : نشرتها جريدة الشرق الأوسط ، العدد (6549)بتاريخ 1996/11/02م.

* اللجنة الموريتانية لليونسكو : مجلة الموكب الثقافي ، العدد (9-10) ، يناير- فبراير 1997م.

* مجلة المنهل السعودية ، العدد 499 ، الربيعان 1413هـ .

* الدكتور طه الحاجري (مقال) : العربي الكويتية العدد(107) .

* محمد بن أحمد بن المحبوب(مقال): المنهل السعودية ، شوال/ذو القعدة 1998م .

* محمد الأمين بن فاضل (مقال) : البيان الموريتانية ، العدد (29)بتاريخ 23 –29 أغسطس 1992م .

* محمد المصطفى الندى (مقال) : الشعب الموريتانية العدد الأول ، رمضان 1402هـ .

* محمد عبد الله عنان (مقال) : مجلة العربي الكويتية العدد (25).

* الدكتور محي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : خطاب بمناسبة الحملة الدولية لإنقاذ المدن التاريخية الموريتانية ، نشرته جريدة الشعب في العدد(1702)بتاريخ 1401/04/13هـ .

* الدكتور مصطفى خوجلي (مقال) : المنهل السعودية في شوال/ذي القعدة 1417هـ .

* عمار هلال (مقال) : انتشار اللغة العربية في إفريقيا السوداء (الحلقة الثانية) ، نشرته مجلة تاريخ العرب ، العدد (27) ، يناير 1981م .

* عثمان الصالح (مذكرات) : نشرتها مجلة المعرفة السعودية في العددين (16-17) سنة 1417هـ.

* الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز : خطاب بمناسبة زيارته لموريتانيا نشرته مجلة المنهل السعودية ، سنة (38) ، ذو الحجة 1392هـ/يناير-فبراير 1973هـ .

* مركز التكوين والإعلام بنواكشوط : موريتانيا أرض الرجال ، نواكشوط 1973م.

* السيد بن أباه (مقالان) : دعوة عاجلة لإنقاذ المخطوطات الموريتانية ، نشرته جريدة الشرق الأوسط ، العدد 6557 ، 10 سبتمبر 1996م وترجمة جمال بن الحسن في العدد 8216 يوم 1422/03/04هـ .

* اليازجي : الضياء ، السنة السابعة ، مصر ، سنة 1904م .

• تقارير رسمية ووثائق :

- ملفات من الوثائق الوطنية الموريتانية بنواكشوط أحيل على أرقامها في هوامش الكتاب.
- ملفات من الوثائق الوطنية السنغالية بداكار أحيل على أرقامها في هوامش الكتاب .
- صكوك إدارة أوقاف الشناقطة بالسعودية في المدينة المنورة ذُكر تاريخها في متن الكتاب .

• المراجع الفرنسية :

- jeans louis triaud : Islam et Societes Soudanaises au moyen age,1973.
- Francis Dechassey: la Mauritanie 1900-1975. L etrier, la houe et le livre, Ed. Anthropos: Paris1977.
- Ould cheikh(Abdel weddoud):Nomdisme et pouvoir politique dans la societe maure .precoliniale(xIe-xIxe) .

These pour l obtention du doctorart en sociologie ,Paris, 1985.
- Paul(carcasane), Maures et Touregs, Revue Franco-sahariene Paris,1902.
- Desire(vuillemin),Cappolani en Mauritanie ,Revue D histoire des colonies, N.148-149,4e trimestres 1955.
- Denise Bonche : (these) L Enseignement dans les territoires Francais de L A . O.F , Paris –Lille,1975 .

فهرس الموضوعات

فهرس تراجم الأعلام